

من كنوز القرآن

الطبعة الأولى

مواقف الأنبياء

في القرآن

تحليل وتوجيه

الدكتور

صلاح عبد الفتاح الخالدي

دار الفقه
دمشق

بسم الله الرحمن الرحيم

مواقف الأنبياء
في القرآن

التابعة الأولى

١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م

حقوق الطبع محفوظة

تطلب جميع كتابات :

دار القلم - دمشق : ص ٤٥٢٣ - ت : ٢٢٢٩١٧٧

الدار الشامية - بيروت - ت : ٦٥٣٦٥٥ / ٦٥٣٦٦٦

ص ١١٣ / ٦٥٠١

توزيع جميع كتبنا في السعودية عن طريق

دار البشير - جدة : ٢١٤٦١ - ص ٢٨٩٥

ت : ٦٦٠٨٩٠٤ / ٦٦٥٧٦٢١

من كنوز القرآن

٨

مواقف الأنبياء

في القرآن

تحليل وتوجيه

الدكتور

صالح عبد الفتاح الحادي

دار القلم
دمشق



مقدمة

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ، وَنَتُوبُ إِلَيْهِ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

أما بعد :

فقد تحدث القرآن عن الأنبياء والمرسلين، وعرض لنا قصصهم وحياتهم، ومواقفهم مع أقوامهم، ودعوتهم لهم، وما جرى بينهم وبينهم، وما انتهى به الأمر من إهلاك الله للكافرين، ونصره للبهتئين والمرسلين.

وحديث القرآن عن الأنبياء والرسل حديث مفصل، ورد في معظم السور المكية والمدنية، فلا تكاد سورة من السور الطويلة والمتوسطة تخلو من عرض مشهد لقصة رسول مع قومه، أو إشارة لما جرى بين نبي وبين قومه !.

ويوقن كل مسلم أن حديث القرآن عن الأنبياء والرسل هو الصدق والصفحة والصواب، لأن القرآن كلام الله، ولا أحد أصدق من الله سبحانه ! فكل ما أخبر به القرآن عن رسول أو نبي فهو الحق، وكل ما نسب له من قول أو فعل أو تصرف فقد وقع حقيقة كما ورد في القرآن.

ومواقف الأنبياء والرسل في القرآن مواقف حقيقية واقعية، حدثت على الأرض.

وإذا كانت بعض هذه المواقف معجزات فإننا لا ننكرها ولا نستبعدُها، وإنما نؤمن أنها وقعت وحصلت وحدثت، كما أخبر القرآن، لأنها من فعل الله، والله سبحانه فعَّال لما يريد، لا يُستبعدُ حدوث الآيات والمعجزات بأمره سبحانه وتعالى. . . ويجب علينا أن (نوسّع) عقولنا، فلا نجعلها عقولاً (مادية) صغيرة ضعيفة، تنكر الخوارق والمعجزات، وإنما نجعلها عقولاً (قرآنية) تستوعب

المعجزات والآيات التي حصلت للأنبياء والرسل، لأنها من فعل الله، القادر على كل شيء!!.

وبعض مواقف الأنبياء والرسل المذكورة في القرآن تحتاج إلى توضيح، قد لا يحسن بعض المسلمين فهمها عندما يقرأ الآيات التي أخبرت عنها، لأن (معلوماته) عن التفسير قليلة، ومعرفة بلغه القرآن ضعيفة.

ولقد أوردت أسفار (العهد القديم) كلاماً كثيراً عن الأنبياء والرسل السابقين، وذكرت روايات مطولة عن بعضهم، ونسبت لهم أقوالاً أو أفعالاً أو مواقف فيها مساس بهم، وانتقاص لهم، لا تتفق مع نبوتهم وعصمتهم وحفظ الله لهم.

ونحن نعلم أن أحبار اليهود الكافرين هم الذين ألفوا أسفار (العهد القديم) وسجلوا فيها الإسرائيليات الباطلة، والروايات المكذوبة، التي تنتقص الأنبياء والرسل، ثم نسبوها إلى الله، وزعموا أنها كلام الله في التوراة، التي أنزلها على موسى عليه السلام! وقد كذبوا فيما قالوا، لأنهم حرّفوا التوراة، وخلطوا كلام الله الذي فيها بكلامهم الباطل.

واستهوت هذه الإسرائيليات والأكاذيب الواردة في أساطير وأسفار (العهد القديم) معظم المؤرخين والمفسرين المسلمين، فذكروها في كتب التاريخ التي ألفوها، وسجلوها في كلامهم عن قصص الأنبياء والرسل، وفسروا بها آيات القرآن التي تحدثت عن الأنبياء والرسل. ومنهم من أكثر من تلك الإسرائيليات، ومنهم من توسّط في ذكرها، ومنهم من قلّل ذكرها، ولم يسلّم من المفسرين إلا النادر جداً، الذي نزه تفسيره عن تلك الإسرائيليات.

وعندما يقرأ القارئ المسلم ما ورد في التفاسير المختلفة يشغرب، فهل ما ورد فيها من تصرفات ومواقف الأنبياء والرسل صدرت عنهم فعلاً؟ مع مخالفتها لطبيعة الرسل، وعظمة شخصياتهم، وسمو أخلاقهم! وإن لم تكن صدرت عنهم فما معنى الآيات القرآنية التي أخبرت عن بعض مواقفهم وتصرفاتهم!!.

وكثيراً ما كان يأتينا قارئون وقارئات للقرآن، يسألون عن معاني الآيات التي تحدثت عن بعض الأنبياء والرسل، ويطلبون معرفة الصحيح مما جرى، بعد

قراءتهم لبعض الإسرائيليات الواردة في كتب التفسير .

وتمنى بعضهم لو كتبنا كتاباً في توجيه بعض مواقف الأنبياء والرسل ،
وتفسير بعض أقوالهم وأفعالهم المذكورة في القرآن ، وحل ما يثور حولها من
إشكال ، ونقض ما يوجه لها من اعتراض ، وكنا نترك هذا إلى مشيئة الله وقدره ،
فلأن بشأ سبحانه هذا يوفق إليه .

وسبق أن أصدرنا كتاب (القصص القرآني : عرض وقائع وتحليل أحداث)
في أربعة أجزاء ، قبل أكثر من ستين ، والله الحمد والشكر ، واستعرضنا فيه قصص
الأنبياء والرسل المذكورة في القرآن ، من آدم إلى عيسى عليهم الصلاة والسلام .
وحرضنا فيه على البقاء مع القرآن وما صحَّح من حديث رسول الله ﷺ ، ونزَّهنا
الكتاب عن أية إسرائيليات أو أساطير أو خرافات ، وما كنا نسجل فيه خبراً أو
معلومة إلا ونورد دليلنا عليها ، إما من آيات القرآن الصريحة أو الأحاديث النبوية
الصحيحة ! وكنا نسرِّ في الكتاب ببعض مواقف الأنبياء والرسل ، فنحلُّها
ونوجهها ، ونزيل ما قد يثار حولها من شبهة ، ونحل ما قد يكون حولها من
إشكال .

وأحببنا أن نخصص للإشكالات التي تثار حول مواقف الأنبياء والرسل
كتاباً خاصاً يكون مختصراً مفيداً ، سهل التناول ، فجاء هذا الكتاب بعون الله
وتوفيقه .

(مواقف الأنبياء في القرآن : تحليل وتوجيه) موضوعه : الإشكالات التي
تثار حول قصص الأنبياء والرسل في القرآن ، والتساؤلات التي تطرح حول معاني
الآيات التي تحدثت عنهم ، ونسبت لهم أقوالاً وأفعالاً تحتاج إلى حسن فهم
وتفسير .

ومنهجننا في هذا الكتاب هو ذكر الآية أو الآيات التي نتحدث عن النبي أو
الرسل ، وذكر الإشكال الذي يثار حوله ، والتساؤل الذي يوجه إلى موقفه ،
وتشخيص المشكلة . ثم حلُّها وتحليلها ، وتوضيحها وتوجيهها ، وتأويلها
وتفسيرها .

وحرضنا في تحليل وتوجيه المواقف ، وحل وتفسير الإشكالات ، على
حسن فهم الآيات التي تحدثت عنها ، وتفسيرها بآيات القرآن الأخرى ، وما صحَّح

من حديث رسول الله ﷺ، ثم حُسن تأويل تلك الآيات، وبيان معناها.

وشرطنا على أنفسنا أن لا تُسجل إسرائيليّات أو غرافات في الحديث عن تلك المواقف، ولم نُورد في الكتاب خبراً أو معلومة إلا ذكرنا عليه دليلاً من القرآن أو الحديث الصحيح. فجاء الكتاب (مترهاً) عن الإسرائيليات، والله الحمد والشكر.

والأنبياء الذين وجَّهنا موافقهم، وحلَّلنا الإشكالات التي توجَّه لهم هم:

آدم عليه السلام، حلَّلنا عشرين إشكالاً حوله، ونوح عليه السلام، حلَّلنا ثمانية إشكالات حوله، وهود عليه السلام، حلَّلنا خمسة إشكالات حوله، وصالح عليه السلام، حلَّلنا خمسة إشكالات حوله، وإبراهيم عليه السلام، حلَّلنا سبعة عشر إشكالاً حوله، ولوط عليه السلام، حلَّلنا ستة إشكالات حوله، ويعقوب ويوسف عليهما السلام، حلَّلنا سبعة عشر إشكالاً حولهما، وموسى عليه السلام، حلَّلنا ستة وثلاثين إشكالاً حوله، وداود عليه السلام، حلَّلنا خمسة إشكالات حوله، وسليمان عليه السلام، حلَّلنا ثلاثة عشر إشكالاً حوله، وأيوب عليه السلام، حلَّلنا أربعة إشكالات حوله، ويونس عليه السلام، حلَّلنا ستة إشكالات حوله، وزكريا ويحيى عليهما السلام، حلَّلنا خمسة إشكالات حولهما، وعيسى عليه السلام، حلَّلنا سبعة عشر إشكالاً حوله.

أما نبينا محمد ﷺ، فقد (عاتبه) الله على بعض ما صدر عنه من أقوال وأفعال، وسجَّلت ذلك العتاب بعض آيات القرآن، مثل عتابه على موقفه من أسرى بدر في سورة الأنفال، وإذنه للمخلفين عن غزوة تبوك في سورة التوبة، وزواجه زينب بنت جحش رضي الله عنها في سورة الأحزاب، وعُبريه في وجع عبد الله بن أم مكتوم رضي الله عنه في سورة عبس. وآيات العتاب تحتاج إلى تحليل وتوجيه، وحلَّ إشكالات ونقض شبهات.

وسوفُ نُخصِّصُ لها دراستنا القادمة من سلسلة (من كنوز القرآن) وشكرونا بعنوان (عتاب النبي ﷺ في القرآن: تحليل وتوجيه) بعون الله وتوفيقه.

والى الله نتوجه بهذه الدراسة القرآنية، التي وجَّهنا فيها مواقف بعض الأنبياء والرسل في القرآن، سائلين منه الأجر والثواب وحسن القبول، ونرجو من الإخوة القراء أن يكرمونا بأية ملاحظة أو توجيه، وستقبل ذلك بصدور رحب،

ونعدهم أن نتظر في ما يقدمونه، وأن نأخذ بما نراه من صواب، والحكمة ضالة المؤمن، أتي وجدها فهو أحق الناس بها. . كما نرجو من الإخوة الكرام دعوة صالحة يظهر الغيب.

اللهم اجعل القرآن الكريم ربيع قلوبنا، ونور صدورنا، وذهاب همومنا، وجلاء أحزاننا، وارزقنا تلاوته آناء الليل وآناء النهار، وعلمنا منه ما جهلنا، وذكرنا منه ما نسينا، واجعله حجة لنا يوم القيامة.

وصلّى الله على سيّدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلّم.

الإثنين ١٠/٥/١٤٢١ هـ

٢٠٠٠/١٢/٣١ م

صويلح: ص. ب: ٦٦٩

هاتف: ٥٣٤١٦٨٤

الدكتور

صلاح عبدالفتاح الفادري

الفصل الأول

اشكالات حول قصة آدم عليه السلام

تحليل وتوجيه

مِنْ رَبِّهِ كَلِمَةً فَذَبَّ عَنِهَا [سورة ٣٧]، ومنصوب بالفتحة وليس بتثنية الفتح،
كما في قوله تعالى ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾ [سورة ٣١]

ويؤكد (دم) عرباً مشتقاً، لأدخل عليه تثنية، وكذا محذور بالكسرة،
وسبغ منه من صرف هو لعنمة والعجمة، كما يقول سحويون، أي هو
اسم علم، وهو أعجمي.

الثاني دم هو أول محبوب من بشر، وهم تكن بلغة عربية قد شأت،
لأن لغة عربية شأت هذه خلاف سبين، عندما ينطق بها العرب في حيرة
العربية، فكيف يمتدح عرباً مشتقاً من شاة هذه لغة

إدراك مرحلتي عبد الله (دم) سمع اسم أعجمي، مسوغ من صرف،
للعجمة والعجمة، وليس سمعاً عربياً مشتقاً من آدم أو لأمة

٢ - التوفيق بين الآيات لمتحدثة عن خلق آدم:

تحدثت آيات قرآنية عن خلق آدم، وفي حديثها بعض الاختلاف، حيث
أخبرت آيات أنه خلق من تراب، وأخبرت آيات أخرى أنه خلق من طين، وأخبرت
آيات غيرها أنه خلق من صصان كالمحار

وقد يظن بعضهم أن آيات المتحدثة عن خلق آدم عليه السلام متعارضة
متناقضة، ويعتبر ذلك مطعناً ضد القرآن وسبباً في سوء فهمه، وخطأ فهمه.

إن آيات المتحدثة عن خلق آدم متوافقة متكسمة مسجمة، تحدثت كل نية
عن مرحلة من مراحل خلقه، لأن خلقه لم يكن دفعة واحدة، وإنما مرّ بحمل
مراحل، وفيما يلي ترتيب هذه المراحل.

المرحلة الأولى: خلقه من حفنة من تراب الأرض:

قال تعالى ﴿وَمِثْلَ مَثَلِ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَالْحَقُّ كَمِثْلِ آدَمَ خَلَقْنَاهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ
فَيَكُونُ﴾ [آل عمران: ٥٩].

ولهذا في (خلقته) تعود على آدم عليه السلام أي خلق الله آدم من تراب،
ثم قال له: كن، فكان كما أراد الله

ولأية صريحة في أن الله خلق آدم من تراب، وهذا في المرحلة الأولى من

خلق

وبوضح رسول الله ﷺ تفصيل ذلك، فقد روى أبو داود [رقم ٤٦٩٣] والترمذي [رقم ٢٩٥٥] عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ قال: «إن لله خلق آدم من قصبه فصبها من جميع لأرض، فجاء سوّ آدم على قعر لأرض، فجاء منهم لأحمر، والأبيض والأسود، وبين ذلك، والسهل والحزق، والخبيث والطيب، وبين ذلك» .

بعض يحدث سبب اختلاف الناس في ألوانهم، فهو بسبب اختلاف ألوان تراب الأرض، كما يعلل سبب اختلاف الناس في عيائهم وطبائعهم ومشاعرهم، فهو بسبب اختلاف صفة تراب، من الشدة والنبوة ويدلّ يحدث على أن لقصة تروى في خلق مهة آدم عليه السلام جمعت ألوان التراب المختلفة، وصفاته المتعددة.

المرحلة الثانية . خلقه من طين .

قد خلق آدم عليه السلام من طين مرحلة ثانية، وحدث سرح حفنة تراب المأخوذة من الأرض بالماء، حيث صارت طيناً.

قال تعالى ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَكِ إِنِّي خَلَقْتُ نَسْرًا مِّنْ يَّمِينِ﴾ (سورة ص: ٧١)

وكذا إبليس يرى خلق آدم، رأى حفنة التراب، ورآها لتأمرحت دماء فصارت صفاً، وما رفض السجود لآدم تسمى بأصله الري، ورأى بعته حبراً من آدم ذي الأصل طيني قال تعالى: ﴿قَالَ مَا مَنَّكَ إِلَّا سَمْعَةً مُّرْتَكَّ قَالَ تَأَخَّرْتُ مِنْهُ سَقَنِي مِنْ نَّارٍ وَسَقَمْتُ مِنْ طِينٍ﴾ [الأعراف: ١٢]

المرحلة الثالثة . خلقه من طين لازب .

قال تعالى ﴿فَأَسْقَيْنَهُمْ آمْنًا شَدَّ حَلَقًا مِّنْ حَلَقَاتِنَا حَقَّقَهُمْ فِي طِينٍ لَّازِبٍ﴾ [الصافات: ١١]

و(اللازب) هو الثابت المماسك قال الراغب لأصفهني «اللازب الثابت شديد الثبوت»^(١).

وهذه مرحلة ناتجة عن تحويل الطين الرخو في المرحلة سابقة - إلى

(١) المعجمات، ص ٧٣٩.

صبي شديد ممانيت كفيف غلظ ، ودلت تمهيداً لتجميعه وسيله

المرحلة الرابعة : خلقه من صلصال من حمأ مسنون .

قال تعالى ﴿ وَذَكَرَ قَالَ رَبِّكَ إِلَيْنَا نَكْتُبُكَ إِنِّي خَشِيتُ شَكْرًا مِنْ صَلَافٍ مِنْ حَكَمٍ
مَسْتَوٍ ﴾ [الحجر : ٢٨] .

الصلصال من (صل) وصل هو الصوت قول راعب لأصمهاهي «أصل
الصلصال تردّد الصوت من شيء يابس يقال صل بسمير» ١٥ أذكر في
الشيء اليابس ، وشمي الطين الجافّ صلصلاً^(١) .

و(الحمأ) هو : الطين الأسود العنتن .

و(المسنون) هو : المتغير .

وهذه المرحلة ناتجة عن المرحلة السابقة ، فبعد أن صار الصلُّ رحو صلباً
لأبداً شديداً جامداً ، ترك فترة ، فتحوّل إلى صلب أسود متغير حاف

المرحلة الخامسة : خلقه من صلصال كالفخار :

قال تعالى ﴿ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ ﴾ [الرحمن : ١٤] .

و صلصال هو الطين اليابس ، وشمي بدت لأت إد بقرت عليه يعصل ،
أي : يخرج صوتاً .

وشمّه هو طين اليابس القحدر ، والقحدر هو الآية والجرا المصوغة من
طين المحروق سار بعد ينسه

وشميت هذه الآية والحزر (قحدر) من قحدر قول راعب «والقحدر
الجرا ، ودلت لصوته بدقّر ، كما تصوّر بصورة من يكثر التصحر »

وهذه هي المرحلة الخامسة - والأخيرة - التي مرّ بها خلق آدم عليه السلام ،
قل أن يفتح الله الروح فيه

ومن خلال ترتيبنا المرحليّ للآيات التي تحدّثت عن خلق آدم عليه السلام ،
قل نفع الروح فيه ، يرى أنّه لا تعارض بينها ، كما قد يطرأ على ذوي نظير

(١) للمعجمات ، ص ٤٨٨

انقاصه، إنما هي منكممة موقفة، تتحدث كل أية عن مرحلو من مرحلي حقيقه،
ويُجمعُ بينها على هذا الأساس.

أخذت خمسة من السرب، كما تقول الآيات عن المرحلة الأولى، فيما
جُلت به من صارت صبا، كما تقول الآيات عن المرحلة الثانية، فيما رذ حط
الطيب ومرجه، وصوته بعضه بعض. صار ضبا لاربا حامدا شديدا، كما تقول
الآيات عن المرحلة الثالثة، فلما نيك هذا الضيب لارث فترة حث ويس، وصار
منشأ متعثر أسود، كما تقول الآيات عن المرحلة الرابعة، فلما ردت يوسه هذا
الطيب، صار كمنحدر. يُخرج صوتا وصصلة لا يُقرع به، كما تقول الآيات عن
المرحلة الخامسة.

٣- كلام الملائكة عن استخلاف آدم عليه السلام

أحر الله ملائكته أنه سيحمل آدم حقيقه، وكان بعد أن مر حقيقه
بالمراحل الخمسة المذكورة سابقا. وصار تشا لآ حاددا، مصوعا من نصيب
الياس كالنخار.

وقد تدنى ﴿وَإِذْ قَامَ رَبُّكَ لِلْمَلَأِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ
فِيهَا مَنْ يَفْسِدُ فِيهَا وَيَقْتُلُ الْبَنَاتِ وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَيَنسِفُ الْبَنَاتِ وَيَقْدُسُ نَفْسُكَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا
تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٣٠].

وقد تثار حول هذه الآية الإشكالات التالية

أولاً: تُسخر الآية قول الله بملائكته، واستفهام الملائكة حونه، وحواث
الله على استفهامهم قال الله لهم، وقالوا هم لله. ورد الله على قولهم

وبعض (مفتوسر) بالمصطلحات و مدهات المكربة المعاصرة
- كما يعقر طية - قد يُستون هذا (حوار) من الله والملائكة أو قرأ بعض هؤلاء
كلاما مكتوبا قرو، فيه حوار الله بملائكته عدم أريد استخلاف آدم، بأن أحرهم،
ثم ردوا عليه، ثم رد على ردهم ١١.

والحوار مصطلح شائع في هذا العصر، يُطال به كثير من الناس، من
سب سماع (سراي الآخر) سعة صدر، وإثارة القرضه بضمير صه لتقول ما عدها
ولا اعترض من على هذا، ونحن نُطالبت بالحوار، ويدعو كل مسؤول

- مهم، كانت درجة مسؤوليته - إلى إتاحة الفرصة للمعارضين ليفوضوا عنه هم،
وسمعه الرأي الآخر سعة صدر

لكن اعتراضا على تسمية م قدس الله للملائكة، وما يدور به (حوار) ١

الحوار يسمي من الأضداد المختلفة المساوية في مساوها، يكون بينها
اختلاف في الآراء، وتعارض في نظرات. فلتفي وتجاوز وتناقش، ويخرج كل
طرف من عنده، ثم ينتهي اللقاء بالاتفاق على رأي معين ١

ولا مساواة بين الله وحائقي وبين الملائكة حقيقيين، والله به عظمة
والجلال سبحانه ١ ولم يكن هناك خلاف وبرع بين الله وملائكته، أرادوا حقه عن
طريق الحوار ١ لأن الله يُحَرِّمُ وَيُقَدِّرُ ويريد ويأمر، وملائكته يُقَدِّمُونَ ١

إذن لا يمكن تسمية م حري بين الله وملائكته (حوار) بما أحزهم به عن
ما سيفعله، فاستفهموا عنه، فأجابهم الله سبحانه ١.

ثانياً لماذا أخبرهم الله؟

قد بُدِئَ إشكالك عند بعض الناس لماذا أخبر الله ملائكته أنه سيجعل حليفة
في الأرض؟

قد عثر بعضهم أن هذا من باب (الاستشارة) أي شاور الله ملائكته،
ويطلب رأيهم فيما سيفعله من استخلاص آدم ١ وقد قرأ لأحدهم كلاماً يهد
لمعنى ١ ذهب فيه إلى أن الله استشار ملائكته في جعله آدم حليفة، وبهذا ردوا
عليه معترضين ١.

وهذا كلام مردود، والله لا يستشير ملائكته - ولا أحد من خلقه - فيما
سيفعله ويريد ١ ولا (شورى) بين الله وخلق ١

ث (المستشير) قد تحق على بعض الأمور، فطلب من (المستشار) م
عنده، ليعرف وجه انصواب فيها ١ والله سبحانه عايد لكل شيء، ولا تحق عنه
خافه، فلا يستشير الملائكة، ولا يطلب منهم أن ولا تحسلاً ١

أخبر الله الملائكة أنه سيجعل حليفة في الأرض، وهذا من باب (تكريمهم)
بمعرفتهم ما سيفعله، قبل أن يفعله، فلا يحذرون به، وهذا نقص من سبحانه
عليهم، وتكريم لهم، فهو إخبار وإعلام ليس إلا ١

وحده لإحدى نصوصه لحريم ﴿فَلْيَجْعَلْ فِي الْأَرْضِ خَلْقَةً﴾ (احاصل) سم
 فعل، يدل على إقرار الحاشية الحريم، فله نقل بهم بي ساحل في الأرض
 حقيقه، وعثر عثر سكون دسم ان عل، فل يكون، لأنه ار ذلك سحبه،
 وضام اراده فلان ان يحصل وتحقق. لأن ما شاء لله كذا، ولا رد لأمره.

ثالثاً - توجيه سؤال الملائكة.

لقد أحرمه الله عن استخلاف آدم قسوته ﴿أَتَحْمِلُ فِيهَا مِنْ نَجْسٍ مِنْهَا﴾
 وبوفه مع مع لاستخدام نفس صبر عنهم (أحمر) بهرة في الحمرة
 لاستخدام لم يرد هذا الاستخدام "وحداد" استخدام

قد ذهب بعضهم إلى أن الاستخدام هنا إنكري ويرى أن سلانكه أكرروا
 على الله فعله، وعترضوا على استخلاف آدم، لأنهم رأوا نفسهم لأحق والأحرر
 بالاستخلاف. فله حقيقه سبب في الأرض ويمسك دماء، بيدهم سحور
 بحمد الله ويقسور له، فلما استندهم نه عن لاستخلاف وحت دم مكابهم
 دنت اعترضوا عليه ﴿قَالُوا أَتَحْمِلُ فِيهَا مِنْ نَجْسٍ مِنْهَا وَتَنْسِفُ الرِّمَاءَ وَتَحْسَبُ نَفْسُكَ
 بِحَسْبِكَ وَتَقُولُ لَكَ﴾...

وهذا كلام حطير، وحطاً كبير، لا يحور أن يفسره سؤال الملائكة

والله خلق الملائكة عاندين مطيعين له، لا يعصونه، ولا يحسونه، ولا
 يعترضون عليه، ولا ينكرون فعله!

قال تعالى عنهم ﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَتَّبِعُونَ مَا يُوْمِرُونَ﴾ (التحریم ٦)
 وقد أنصأ عنهم ﴿لَنْ يَكُونَ مَكْرَمُونَ﴾ لا ينشؤونه وتقولهم وهم
 يأمرهم، يتحلون ﴿[الأنبياء: ٢٦-٢٧].

فمن كانت هذه صفاتهم الفطرية، لا يعترضون على الله، ولا ينكرونه
 فعلاً، وسبب لا سكر أن يكون لاستخدام في الآية ﴿أَتَحْمِلُ فِيهَا مِنْ نَجْسٍ مِنْهَا﴾
 إنكارياً.

بوجه سؤال ملائكة أنهم أرادوا أن يعرفوا الحكمة من استخلاف آدم، من
 باب نعم، وربده نفس إنهم يوقنون بحكمه نه في أفعاله، وبما أنه أرذ
 استخلاف آدم فله هو الصواب، ولكنهم لا يعرفون وجه صواب، فسألو الله

عن ذلك من باب (الاستفهام).

كانهم يقولون: أخبرنا ربنا عن الحكمة من جعل آدم حذقة، ليعرفها
ونرداد ذلك علماً وقيماً!

ولذلك أحاطهم الله على سؤالهم، مبيحاً لهم حكمته من ذلك لاستحلاف!

٤ - كيف عرفت الملائكة إفساد الخليقة وسفكه للدماء؟

لقد أخبرهم الملائكة أنه جعل في الأرض خليقة، قالوا له: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا
مَنْ يُقْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ؟﴾ أي: تجعل في أرض من سيفسدها، ويسفك
دماء الناس فيها؟

وقد عرف قل قليل حكمته بحار الله بملائكة بذلك، وعن معنى سؤالهم
واستفهامهم.

وسألتهم في ما أتيت: كيف عرفت الملائكة أن لحيمة سيفسدها ويسفك
الدماء؟ وكيف يفسد آدم بعد وسفك الدماء؟

خاص الإحاريون ونفسرون كثير، في حل هذه الإشكالات، والجواب على
هذه سؤال، وذهب كثير منهم إلى الإسرائيليات والأساطير، وقرروا
افتراضات بطلية ولا يعابها إيراد تلك الإسرائيليات، لأن لا يرى ذكر شيء
منها في نصير قصص القرآن، وحل إشكالات حولها

وأجاب بعضهم جواباً نظرياً عقلياً ليس عليه دليل، وبكثرة سئى على افتراض،
حيث قالوا: سأل الملائكة الله ماذا سيكون من ذلك بحقيقة؟ فقال لهم: به
سيفسد في الأرض ويسفك الدماء! عند ذلك قالوا: أتجعل فيها من يفسد فيها
ويسفك الدماء؟!!

هذه كلام معقول، ومقبول لو كان عنده دليل من الآيات الصريحة أو
الأحاديث الصحيحة ولكن ليس عنده دليل، ولذلك لا نقول به

ولمحبوب على لسؤال، يقول: لعل الملائكة توقعوا ذلك من باب
فراستهم وقطعتهم، وتعبضهم، ودقة ملاحظتهم!

رأوا مراحل خلق آدم من التراب والطين، ولاحظوا طبيعة هذا العنصر
الأرضي التربوي، فهذا الخليقة المحنوق من التراب سيتأثر به، وسيتنصق

بالأرض و التراب، ولذلك سيفسُدُ في الأرض ويسفكُ الدماءُ

لاحظوا هذا نثر سنيهم الإيمانية النورية نحة. ومن ثم سألوا سؤالهم من
سأب لتوقع أي نت حقت هذا الحبيبة من التراب، وهو سيأتو بذلك،
وسيفسُدُ في الأرض ويسفكُ الدماء.

وعراستهم صحيحة، ولذلك لم يُحطَ به الله في كلامهم، بل أقرهم عليه،
وقال لهم: ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾.

أي. أعلم أن هذا خليفة سيفسُدُ في الأرض، ويسفكُ دماء، لكنه وحده
هو الذي يصلح ليكون خليفة في الأرض رغم هذا

ومن المقصود بقول الملائكة: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُقِيدُ فِيهَا وَتَسْجُدُ لِلْيَمَةِ﴾
هل هو آدم؟ وهل آدم سيكون معسداً مسافكاً للدماء؟

المقصود هو (الإنسان) خليفة على العموم، وليس شخصاً معيناً بديه،
ومن ثم لم يكن (آدم) عليه السلام هو المفسود، لأنه سيكون ساء، ولن يكون
معسداً في الأرض، ولا مسافكاً للدماء!

(الإنسان) خليفة عشار حسبه سيفسُدُ ويسفكُ الدماء، وهذا ينطبق على
أدس كثير من ناعيتهم وأشخاصهم، فكم ظهر مفسدون في الأرض من الشر
وكم ظهر مسافكون للدماء منهم!

ولمّا دعيت بعيداً، دس آدم من صلبه هو أول مفسد في الأرض، مسافك
لدماء، حيث أدم على قل أحبه ظمأ، وارتكت بذلك أول جريمة قبل وقعت
على وجه الأرض، وقد أحزن الله عن قصة آسي آدم، في آيات سورة المائدة
[٢٧-٣١]، وبذلك صدقت هراسمة الملائكة، وصحّ توقعهم!

وبئس إفساد بعض الناس في الأرض وسفكهم لدماء من لوازم سحلايهم
في الأرض!

٥ - آدم خليفة لمن؟

حين الله آدم عليه السلام خليفة في الأرض ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَكَةِ إِنِّي
جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾.

لكنه خليفة لمن؟ أو خليفة من؟

ذهب بعض الأحبار والمفسرين إلى إسرائيليات، يبحثون فيها عن
(سكن) لأرض قبل دم، الذين صار آدم حبيبة لهم، وأوردوا في هذا رواية
غير ثابتة، لأنها لم ترد في الأحاديث الصحيحة عن رسول الله ﷺ، وسنذكر لا
نسجل منها شيئاً هنا.

والصحيح أنه لم يكن سكن في أرض قبل دم، لأن الأرض ولا من سكن،
ولا من غيرهما من المخلوقات حبة عاقبة، ولا يوجد روايات صحيحة تخبر
عن هؤلاء السكان، ولو وجدنا حديثاً صحيحاً مرفوعاً بنبي ﷺ يتحدث عن
ذلك لقديماً بها.

وبناء على ذلك نقول: لم يكن محبوبات عاقبة على لأرض قبل دم،
ليكون آدم حبيبة عليهم، وادم عليه السلام هو أول محبوبي حيي عاقبي أول على
لأرض، وسنذكر مظهر من ذلك على لسلام حبيبة عن أي أسس
قبي.

بقي أن نسأل: هل يجوز ما شئنا كان آدم حبيبة له في لأرض؟
بعض العلماء معوا ذلك، وذهبوا إلى عدم جوره، لأن الله سبحانه لا يحتاج
إلى حبيبة له في لأرض، فهو (فائز) عليها، مدبر كل شيء فيها، أحاط بها علماً
وسمياً وبصراً، لا يفتأ عليها لحظة، ولذلك لا يحتاج إلى حبيبة له فيها.
وبعض العلماء ذهبوا إلى جواز ذلك، ومن ثم قالوا: آدم حبيبة لله في
لأرض أو من غير هؤلاء في حور وصحة هذه العبارة.

وبين معنى عتار آدم حبيبة لله أن الله يحتاج إلى من يحلمه، أو أنه يعيب
عليه ليحلمه غيره فيها، فإنه أحاط بالأرض علماً وسمياً وبصراً
ومستحلاً لله لأدم عليه السلام بكرية منه به، ليقوم هو - ودرته من
بعده - باستصلاح الأرض وتعميرها، وإدريتها وقيدة باقي المحبوبات الحية
عليها، التي سخرها الله لها - كرمه الله بذلك، وجعل هذه مهمته عليها، مع
حضور الله وقايته على كل شيء فيها.

ولا يشترط في الحليمة عتار (المستحيف)، فقد يكون المستحيف
موجوداً، ومع ذلك بكرم (المستحيف)، ويعصيه صلاحاً يحب بشره.

قال لإمام رابع «والخلافة النبوية عن الغير - إما نعمة لمبوب عنه، وإما بغيره، وإما بغيره، وإما بتكريم المستحقين، وعلى هذا الوجه الأخير استخلف الله أولياءه في الأرض» (١).

سأعني ذلك بربى أن الله جعل آدم عليه سلام حقيقته له مسجونه في الأرض تكريماً منه له.

أما دريئة بربى الله جعله خلافت عن بعضهم بعضاً، كتب ما جعل حبه جيل بعده، وورث لأرض منه، وصار فيها نسله قال تعالى ﴿وَهُوَ الَّذِي جَمَعَكُمْ عَلَى الْأَرْضِ وَقَدْ تَفَكَّهُمْ قَوْمٌ بَعْضُكُمْ دَرَجَةً عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ (الأنعام ١٦٥)

٦ - معنى قول الله: ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي﴾:

خلق الله آدم جسماً مصوراً، وثقله محضاً حادماً، ليس فيه روح ولا حياة ولا حركة، وبعد ذلك أراد الله أن يجعله حياً، فنفخ فيه من روحه

قال تعالى ﴿يَا قُلُوبُ إِنَّا جَعَلْنَا فِئْتَكُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ مَعْتَدِينَ﴾ (سورة ص: ٧١-٧٢).

لا نتحدث هنا عن (الروح) التي نفخها الله في آدم، لأن هذه الروح سرٌّ من أسرار علم الله، لا يعلمها حقيقة ولا كنهها إلا الله سبحانه، استأثر الله بحدث، ولم يعلم به أحداً من البشر.

يرقى قوله تعالى عن (الروح) الروح، يتحدث في ساس حتى قيام الساعة، ويعني عجزهم عن معرفة حقيقته قال تعالى ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (الإسراء ٨٥)

وقفت أمام حرف لحن (س) في قوله ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي﴾ ما معناه؟ إنها (بيانية)، وليست (تبعيضية)!

لا يمكن أن تكون (تبعيضية)، لأنها لو كانت كذلك لكانت روحاً، وهذه الروح يمكن أن تتعفن أو تتحزق وأحد الله (تغصناً) من روحه، وجرءاً منها، ووضعها في جسم آدم فصار حياً فما في آدم - وفي دريئة من بعده - هو حرة وبعض وقسم من روح الله!!

(١) المعربات، ص ٢٩٤

وهذا كلامٌ خطيرٌ جداً لأنه يجعل الله روحاً محشمة، ويجعل هذه الروح قالبةً للتبويض والتقسيم، ويجعل في آدم جزءاً من روح الله، أي جزءاً من الله! وهذا يعود إلى الفكرة الكافرة (المحول والاتحاد)، التي يؤمن بها بعض الكافرين، ولتي تجعل الله حلاً في خلقه، متحداً معهم، بحيث صاروا صورة مجسمة مادية عن الله!!

ولعل أسس الحرافة الصارخة في تأييد عيسى عنه سلام أن عقولهم لم تستوعب) ولادة عيسى بدون أب. والروح التي نفخها حبيب عليه السلام في مريم رضي الله عنها. والتي أحزننا الله عهد في قوله تعالى ﴿وَتَنَبَّأَ أَخَصَّكَتُ فَرَحَهَا فَفَعَّلَهَا يَبْهَكَ مِنْ رُوحِكَ﴾ (الأنبياء: ٩١)

ولعنهم دهوراً إلى أن (من) في قوله ﴿فَفَعَّلَهَا يَبْهَكَ مِنْ رُوحِكَ﴾ بتبويض، وما حمته حبيب معه هو جزء من روح الله، نفخها في مريم، فحملت عيسى عليه السلام، فعاد عيسى وفيه جزء من الله، وبهذا قدوة هو من الله، لأنه اتحد فيه لحب الإلهي (اللاهوت) مع الحب البشري (الانسوت)

إذن (من) في قوله: ﴿وَفَعَّلَتْ يَوْمَ يَوْمِ رُوحِي﴾ - وفي قوله عن عيسى: ﴿فَفَعَّلَهَا يَبْهَكَ مِنْ رُوحِكَ﴾ - لا يمكن أن تكون (تتبويض)

بها (ببانية) بل أن هذه الروح التي في آدم عليه السلام هي من عبد الله، أي من أمر الله، خلقها الله سبحانه برادته، وأراد جعلها في آدم بشيئته، ووضعها في دم بامرء، فصارت دم إنساناً حياً كما قال تعالى ﴿فَسَخَّمُ مِنْ رُوحِي دَمَهُ قَالَتْ لَمْ يَكُنْ فَيَكُونُ﴾ [آل عمران: ٥٩].

خلق الله الروح خلقاً، كما خلق أي مخلوق آخر، وبه يميز عن كيفية خلقها، ولا السادة التي خلقها منها. وجعلها في دم عبداً للعبادة، وجعلها في درسته من بعده عبداً لحياتهم، وحررها من أديهم دليل على موتهم

وصافه لروح إلى الله ﴿وَفَعَّلَتْ يَوْمَ يَوْمِ رُوحِي﴾ تكريم تلك الروح وبشرية، كما أضيفت الافة إلى الله، في قوله تعالى ﴿هَذِهِ نَافَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ﴾ [الأعراف: ٧٣]، وكما أضيف اليك الحرام إلى الله، في قوله تعالى ﴿يَتَبَنَّىكَ الْمُحَرَّمُ﴾ [إبراهيم: ٢٧]

٧ - ما الذي علمه الله لآدم عليه السلام؟

قال الله تعالى: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ ﴿قَالُوا سُبْحَنَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ ﴿قَالَ تَكَادُمْ أَنْبِئُهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَمِمَّا أَنْبَأَهُمْ وَاسْتَمَعُوهُ قَالَ أَفَلَمْ لَكُمْ فِي أَنْعَامِ اللَّهِ غَيْبٌ أَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ وَالْأَرْضُ وَأَعْنَمُ مَا بُدُونُ وَمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ [سورة ٢١: ٢٣]

أراد الله أن يبين للملائكة بحكمة من جعله آدم حليفة، وأنه هو (المؤهل) بما رآه الله به - بهذه الخلافة، فمتحه ومنتحمهم، وسمح هو في الامتحان بإجابته على السؤال الذي وجه له، بينما عجزوا هم عن الإجابة.

علم الله آدم الأسماء كلها، وأحضر ملائكة، وطبعت منهم الإخبار بتلك الأسماء، فلم يستطيعوا، لأن الله سمعهم، وقوى ﴿سُبْحَنَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ عند ذلك طبعت من آدم أن يحيز بالأسماء المطلوبة، فأحيز بها، وسمح فيما عجز عنه الملائكة!

عند ذلك عرف الملائكة بحكمة اختيار آدم بخلافة، وقال الله لهم ﴿أَفَلَمْ لَكُمْ فِي أَنْعَامِ اللَّهِ غَيْبٌ أَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ وَالْأَرْضُ وَأَعْنَمُ مَا بُدُونُ وَمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾
ما هي الأسماء التي علمها الله لآدم؟ وكيف علمها إيها؟ وكيف أجاب عنها أمام الملائكة؟

صاهر لآية أن الله علم آدم أسماء كل شيء. ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾، و آية حريصة على العموم ولشعوب، وبذلك أكدت (الأسماء) بكلمة (كُلُّهَا)

ولا تفصل الآية الأسماء التي علمها إيها، ولا تبين كيفية تعليمها! هل حققت الله (فموسى) أسماء لأشياء كلها؟ أم حفظت أسماء لأشياء التي يحتملها فقط؟ وهل علمه الأسماء باللغة العربية أم بلغة أخرى؟ وهل كان تعليمه بالتحفيز أم بكيفية أخرى؟

لا يمدك بصوصاً معتمدة في الآيات و لأحاديث الصحيحة للإجابة على هذه الأسئلة، ولا نذهب إلى الأساطيليات و لأساطير الإجابة عليها، كما ذهبت بعض المؤرخين والمفسرين، ونعتبر الكلام عن يدوب دليل غير مقبول، فهي من (مجهول) التي أنهمها الله علما

عَلَّمَ اللهُ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا، وَلَعَلَّ ذَلِكَ كَانَ يَأْنُ حُجْلٍ فِيهِ السُّطْقُ وَالْكَلَامُ،
والتَّعْيِيرُ وَالْيَبَانُ، وَالْإِفْصَاحُ عَمَّا فِي نَفْسِهِ، وَتَرْجُمَةُ مَا يَدُورُ فِي خَدِّهِ، وَتَرْجُمَةُ
بِالْأَسْمَاءِ بِلُغَمَاتٍ، يَأْنُ يَحْجُلُ اسْمًا لِقَضَا شَيْءٍ لَدَى أَمْرِهِ، أَوْ الشَّيْءِ الَّذِي
يَحْتَاجُهُ.

وَالسُّطْقُ وَالْيَبَانُ نِعْمَةٌ مِنَ اللَّهِ أَعْنَى الْإِنْسَانِ حَبِيبَةً فِي الْأَرْضِ، وَهُوَ
صَرُورِيٌّ لِلْقَبِيلِ بِهَذِهِ اخْتِلَافِهِ، فَلَوْلَمْ يَقْدِرِ الْإِنْسَانُ عَلَى سَطْقٍ وَكَلَامٍ، وَالْإِفْصَاحِ
عَمَّا فِي نَفْسِهِ، وَاسْتَعْيَرٍ عَنْ حَاجَتِهِ، وَتَسْمِيَةٍ كُلِّ شَيْءٍ بِاسْمِهِ، فَكَيْفَ سَيَحْقُقُ
خِلَافَتَهُ؟ وَكَيْفَ يَنْجَحُ فِي حَيَاتِهِ؟

وَبَدَلْتُ مِنَ اللَّهِ عَلَى الْإِنْسَانِ فِي تَعْيِيمِهِ الْأَسْمَاءَ، وَجَعَلْتُ قَادِرًا عَلَى السُّطْقِ
وَالْكَلَامِ وَاسْتَعْيَرٍ وَلِبَانٍ، فَتَأَنَّى ﴿الرَّحْمَنُ رَحْمَةً عَلَّمَ الْقُرْآنَ إِنَّ رَبَّكَ خَلَقَ
الْإِنْسَانَ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾ [الرحمن: ١-٤].

وَلِمَعْرِفَةِ قِيَمَةِ هَذِهِ النِّعْمَةِ أَرْبَابِيهِ الْعَمْرَةَ تَذَكَّرُ صُعُوبَةَ حَيَاةِ الْأَحْرَسِ
لَا بُدَّ لَكُمْ، لَعَاخِرُ عَنِ الْمَطْقِ، فِي تَعَامُلِهِ مَعَ الْأَحْرَسِ، وَفِي مَعَارَسَةِ حَيَاتِهِ وَقَصْدِهِ
حَاجَاتِهِ، وَبَوَاقٍ سَمُّ كُنْهَمُ مِثْلَهُ كَمَا حَرَمَ صُغْرًا، فَكَيْفَ تَكُونُ حَيَاتُهُمْ؟
وَكَيْفَ سَتَحَقُقُ الْخِلَافَةُ؟

لَعَلَّ تَعْيِيمَ اللَّهِ لَأَدَمَ الْأَسْمَاءَ كُنْهًا هُوَ مَا جَعَلَهُ فِي نَفْسِهِ مِنَ الْقُدْرَةِ عَلَى السُّطْقِ
وَالِاسْتَعْيَرِ، وَالرَّبْرَبِ بِالْأَسْمَاءِ بِلُغَمَاتٍ، وَالْإِفْصَاحِ عَمَّا فِي نَفْسِهِ

وَعَدَّ شَرِيحًا مِنَ الْكَلَامِ لَا يَحْدُثُهُ الْمَلَاتُكَةُ، وَبَدِثَ بِمَنْ يَعْلَمُهُمْ ذَلِكَ لِأَنَّهُمْ
يَسْتَبْهِمُ خِلَافَةً فِي الْأَرْضِ، وَبِهَا هُمُ (عَادُونَ) اللَّهُ

وَنَعْلِمُ أَدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا تَكْرِيمًا مِنَ اللَّهِ تَعَالَى، وَبَدِثَ لِقَصْدِهِ عَلَى مَلَاتُكَةِ
بَذَلَتْ لِمُعْلِمِهِ الصَّرُورِيَّ لِلْخِلَافَةِ فِي الْأَرْضِ، وَتَقْرِيرُ الْعَصْلِ لِعِلْمِهِ وَشَرَفِهِ، وَمَعْرِفَةُ
الْعِلْمَاءِ الْعَالِيَةِ عِنْدَ اللَّهِ سَيَحَاجُهُ!

٨- تَوْحِيهِ سَجُودَ الْمَلَاتُكَةِ لِأَدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ:

بَعْدَمَا حَقَّقَ اللَّهُ أَدَمَ، وَبَيَّنَّ لَهُ مِنْ رُوحِهِ، فَصَلَ إِبْنَانًا حَتَّى، أَمَرَ مَلَاتُكَةَ أَنْ
تَسْجُدَ لَهُ، فَقَالَتْ أَمْرًا، سَجِدُوا كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ

قَالَ تَعَالَى ﴿يَا أَيُّهَا الْمَلَأُكَةُ إِنِّي خَلَقْتُكُمْ مِنْ طِينٍ فَإِنْ سَوَّيْتُكُمْ وَتَوَضَّعْتُ فِيهِ

مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُمْ سَاجِدِينَ ﴿٧٣﴾ فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَتَمًّا ﴿٧٤﴾ [سورة ص ٧١-٧٣]

وطهر الأياد أن الأمر يشمل ملائكة كلهم. وإن (إن لتعريف) في (الملائكة) للاستعارة، فجميع ملائكة بدر كمن مخلوقين في ذلك الوقت أمرو بالسجود لآدم، وجميع هؤلاء الملائكة سامعون لسجد لآدم، لأن الملائكة يتقذرون أمر الله ولا يخالفونه.

والآيات حريصة على تأكيد شمول تسبب الأمر لجميع ملائكة ﴿فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَتَمًّا﴾ حيث وردت نصير بتوكيد، هم (كلهم أجمعون) وقد اختلف المفسرون في بيان كيفية سجودهم لآدم:

ذهب بعضهم إلى أن سجودهم له كان مجرد بقاء، من باب التحيّة ولشكره، فعدم سقوطه في السجود نحو أممه، وكان هذا الإحسان بحدّه، كما ينتهي أحد أسس برعيه فيحي به، ويحتمل رأيه أممه، احتراماً وعظيماً له^{١١} ولا يوفى هؤلاء على هذا تفسير للسجود، لأن السجود هو السجود الحقيقي.

يرى أن سجودهم له كان سجوداً حقيقياً على الأرض، كسجود بحر لله في الصلاة، لأن كلمة (سجود) عند الإصلاق تصرف إلى السجود الحقيقي على الأرض، ولا تصرف عن هذا المعنى إلا لغيره، ولا توجد فيه فريضة صرفة ثم إن طاهر لاية تدل على ذلك، فقد قرأ الله لهم ﴿فَقَدْ سَوَّيْتُ وَصَّيْتُ رُوحِي فَقَعُوا لَهُمْ سَاجِدِينَ﴾

إن (قعوا) فعل أمر، الماضي منه (وقع) يقال وقع، يقع، وقع، فعلاً وعدم يقال وقع فلان ساجداً، فإن معناه أنه حرّ إلى الأرض وسجد عليها.

وبكستان (قعوا) و(ساجدين) ندلّ على أن سجود ملائكة لآدم كان سجوداً حقيقياً، حيث نزلوا إلى الأرض، وسجدوا عليها

وقد بساء بعضهم كيف سجدت الملائكة لآدم؟ مع أن السجود لا يكون إلا لله^{١٢}.

وتوحيهُ سجودهم لأدم بأنه ساجدٌ تَكْرِيماً وتَحِيَّةً، وليس ساجدٌ عُدَّةً، لأنَّ
سجودَ عبادة لا يكونُ إلا لله، ومن سجدَ لعبيرِ الله عبداً له كان مُشْرِكاً بالله!
ثم إنَّ الملائكةَ عندما سجدوا لأدمَ عليه السلام إنما كانوا مُقَدِّرينَ لأمرِ الله،
عابدينَ له سبحانه.

اللهُ هو نَدِيُّ أمرهم بالسجود لأدم، فسجدوا له مُقَدِّرينَ لأمرِ الله، محلّصينَ
في عبيدِهِم له سبحانه، أي أنهم كانوا ساجدينَ لله في حقيقته^{١١}

وكانَ آدم عليه السلام كان قبلَهُ لهم في سجودهم لله، فسجودُهم له في
بُصْاطِهِ، مع أنه ساجدٌ لله في الحقيقة كما يعمَلُ محضٌ في الصلاة، فحُرٌّ بِتَقَلُّ
القُدَّةِ في صلاته، وبِوَلِيٍّ وَحُودِهَا شَطْرَ الكعبةِ، وصلاتُنا بما هي لله، فكما أن
الكعبةَ قُدَّةٌ لِي سجدِنا وصلاتُنا لله، كانَ آدمُ كَأَنَّهُ قُدَّةٌ سَلاتُنا في سجودِهِم
لَهُ^{١٢}

ولعلَّ الملائكةَ كانوا في سجودهم لأدم عليه السلام، معترفينَ بقصده
عليهم، وكانَ سجودُهم تَكْرِيماً وتشريعاً وتَحِيَّةً، فقد سَقَّ أن عرفوا قصده عليهم
في الامتثالِ بِنَدِيٍّ أَحرَّاهُ الله لهم ولهُ، وطبَّتْ مِهمُ تسميةِ الأسماءِ للمسمياتِ،
فمَجْزَوْا عن ذلك، وقَامَ بِهِ آدمُ عليه السلام.

وكانَهم ساجدونَهم يَخْلُونَ شَهادَةً بعِصْلٍ بَعْدَ ومِرَّةٍ نَعَالِمْ لِعَالِيَةِ عِندَ
اللهِ.

٩- توجييه عدم سجود إبليس:

عندما سجدَ الملائكةُ كُلُّهُمْ أجمعونَ لأدم، رفضَ بِسَبَبِ السجودِ، وعَصَى
أمرَ الله، قال تعالى ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٣٤].

وكانَ إبليسُ مأموراً بالسجود لأدم، نَصَرَ لِقَرْنٍ، قال تعالى ﴿قَالَ مَا مَنَّكَ
الَّذِي أَتَمَنَّا أَنْ تُقِرَّكَ﴾ [الأعراف: ١٢].

وبسَبَبِ لِبْسٍ مِنَ الملائكةِ، لأنَّهُ لو كانَ مِنَ الملائكةِ لَقَدْ أَمَرَ اللهُ وسجدَ
لأدم، كما فعلَ الملائكةُ، فاللهُ خلقَ الملائكةَ من نورٍ، وحملَهُمْ مطيعينَ به، وهم

لا يعصون الله ما أمرهم، ويفعلون ما يؤمرون، وهم عداة مكرمون، يستحقون الليل والنهار لا يفترون

قال تعالى ﴿عَلَيْهَا مَلَكُوتُكَ عِلَاطٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحریم: ٦]

وقال تعالى ﴿وَمَنْ عَدُوٌّ لِّلَّذِينَ يَشْكُرُونَ عَنِ عِدَائِهِمْ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ﴾ [يسحقون لئلا والنهار لا يفترون] [الأنباء: ١٩ - ٢٠]

وإليس من الجن بصرف القرآن، قال تعالى ﴿وَيَذَلُّكَ لِمَلَائِكَتِكَ سَاجِدُونَ لَآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ﴾ [الكهف: ٥٠]

ولا معنى لاختلاف حننرين والمؤرخين في أصل إبليس، بعد هذا التصريح القرآني بأنه من الجن!

يجب أن يتفق العلماء جميعاً على أن إبليس من جن ونس من الملائكة، بهذا السبيل القرآني الصريح، كما أنه عليهم أن يتفقوا على أنه كان مأموراً بالسجود لآدم، قد شمله أمر الله للملائكة ﴿مَا مَنَعَكَ آلَتُجَدَّ أَمْرُكَ﴾

إليس من الجن، ونس من الملائكة، ومع ذلك شمله أمر الله للملائكة بالسجود لآدم، ويبدو أنه كان معهم، فبطش عليه ما ائصق عليهم، ولم تحبر لآيات عن السب الذي جعل إبليس مع الملائكة، ولا العمل الذي كان يعمله في الجنة، ولا محاول معرفة ذلك من الأسرار السرية!

وبما أن إبليس من الجن فإن الامتناء في قوته ﴿فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ﴾ استثناء مفصل - كما يقول علماء النحو - أي أن المستثنى ليس من جنس المستثنى منه.

وإليس هو أول من كفر بالله، ونزوة عنه، لأنه شكك وعصى، قال تعالى ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ أَن تَسْكَرُ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ [السر: ٣٤]

وأيدي دفعه إلى عدم السجود هو استكباره وفتخاره، وشعوره بأنه حر من آدم، وهذا ما صرح به الله، عندما سأله عن سب عدم سجوده، قال تعالى ﴿قَالَ مَا مَنَّكَ لَا أَتَعْبُدُ إِلَّا رَبِّيَ قَالَتْ تَابِعْ رَبِّيَ حَقِّي بِنَارٍ وَخَلَقْتُم مِّن طِينٍ﴾ [الأعراف: ١٢].

إبليس من الجن، مخلوق من النار، وأدم مخلوق من طين، وفي مقاييس

إبليس لادُّ حَيْرٌ مِنَ الصَّيْرِ، فهو حَيْرٌ من آدم، وكيف يسجدُ لخاصلٍ نَمَقُصُور؟

هد هو لاسْتَكْبَارُ الذي دفع إبليس إلى العصيان والكفر، لم ينظر للأمر على أنه تكبُّفٌ من الله، وأنَّ الله هو المحْكَمُ عليهم، سَحَرُ الحَيْر، ويأمر بالصواب، وسما أنه أمر إبليس أن يسجد لآدم، فإنَّ هد هو صواب

و(إبليس) هو سمُّ ذلك المخلوق الجني، الذي كَانَ أَوَّلَ من كفر بالله من الحقِّ أجمعين، فسحقَّ نعمة الله إلى يوم الدين، وكان إمام الكفار وقتَهم.

ورهب بعضُ العلماء إلى أنَّ (إبليس) سمُّ عربي، مشتقٌّ من (الإبلاس)، وهو حيرةٌ واسترْدَد، يقال استرْدَد فلان: إذا تحير وتردَّد ولم يعرف سبباً يحجب

وسم مع هؤلاء، ويرى أنَّ (إبليس) سمُّ علم أعجمي، سُخِّي به ذلك المخلوق حتى تكافر، وهو ممنوعٌ من الصرف، تُعْجِمِيَّةٌ ومعجمة، مثله في ذلك مثل (دم) الذي رُحِبَ أنه اسمُ علم أعجمي، وبس عربياً مشتقاً ولا صله بين (إبليس) لأعجمي وبين (الإبلاس) سامعه أعريبه، لأنه سُخِّي به ذلك الاسم قبل أن تؤخذ نعمة عريبه، وقبل أن تتكلم بها قول عربي

اسمه (إبليس) ووضَّفه (شيطان).

١٠ - الجن وإبليس والشيطان:

مصطلحات ثلاثة قد لا يُحسنُ بعضُ الناسِ التفريقَ بينها، فظنوها مترادفةً بمعنى واحد، مع أنَّ بينها فروقاً ملحوظة

الجنُّ وإبليسُ والشيطان، ما هو الفرقُ بينها؟

(جنُّ) سمُّ جنس، يُطلَقُ على ذلك الصنف من المخلوقين، حيث خلقهم الله من النار، قال تعالى ﴿ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ ﴾ وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَّارِجٍ مِنْ نَّارٍ ﴿ [الرحمن: ١٥-١٤]

وقال تعالى ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْكُونٍ ﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا مِنْ قَبْلُ مِنْ نَّارِ السَّجُورِ ﴿ [الحجر: ٢٦-٢٧]

ونارُ السموم هي النارُ الحارة، شديدة الحرارة.

ومرْحُ النار هو أحرُّ جزءٍ حارٍّ من لهبها نار، وأوَّلُ جزءٍ من لدن

الأسود المتصاعد من النار، ومزج هذين الحراش وحفظهم معاً

وهذا ما أكده رسول الله ﷺ، فقد روى مسلم [رقم ٢٩٩٦] عن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله ﷺ: «أُخِصَّتْ لِمَلَائِكَتِهِ مِنَ بُورٍ، وَخُلِقَ الْجَنُّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ بَارٍ، وَخُلِقَ آدَمُ مِنْ طِينٍ»

ولأنَّ الجنَّ مخلوقون من (مارج من بار) كانت طبيعتهم دريعة حمية

طبيعتهم دريعة نسب ذلك لحره من لبيب لبار لبار، وهي حمية (مستترة) بسبب ذلك لحره من اندحار الأسود، ومعنوم أن اندحار لأسود يحجب ما وراءه ويستتره.

الجنُّ لمخلوقون من مارج بار، في مقابل الإنس لمخلوقين من بطين، وهما لصفان مختلفان، المكنفان، المندون يعيش على وجه الأرض

والجنُّ لهم عالمهم الخاص، وحياتهم الخاصة، وتحتكون معاً على الأرض، وهم يربون، والجنُّ لأبراهيم، كما قال تعالى ﴿يَنْبَأُكُمْ هُوَ وَقِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَحْسَبُونَ﴾ [الأعراف: ٢٧].

والجنُّ المكنفون مثلثاء، مأمورون بالإيمان بالله وخدمته وعبادته وحده، ومنهم من أسلم وهدى، ومنهم من كفر وكفر، مسلموهم في الجنة مشرور منعمون، وكافروهم في النار معذبون!

قال تعالى عن الجنِّ المسلمين والجنِّ الكافرين ﴿وَأَنْ يَكْفُرُوا أَوْ يَكْفُرُوا فَقَدْ أَسْلَمُوا﴾ [البقرة: ١٧٠] ﴿وَأَنْ يَكْفُرُوا أَوْ يَكْفُرُوا فَقَدْ أَسْلَمُوا﴾ [البقرة: ١٧٠] ﴿وَأَنْ يَكْفُرُوا أَوْ يَكْفُرُوا فَقَدْ أَسْلَمُوا﴾ [البقرة: ١٧٠] [الجن: ١٤-١٥].

ولهذا أعلن الجنُّ إيمانهم لما سمعوا القرآن، كما ورد في آيات الأولى من سورة الجن قال تعالى ﴿قُلْ أُوْحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنْ الْبَنِيِّ فَصَلُّوا رَبَّكُمْ فَصَلُّوا﴾ [الجن: ١-٢]

هذا عن عالم الجنِّ بقسميه الجنِّ المسلمين والجنِّ الكافرين
الإنس بقسميه: الإنس المسلمين والإنس الكافرين

وستقبل الآن محدث عن المصطلح الذي (يسر)

بَنَ (إِبْلِيسَ) اسْمُ عَلَمٍ أَعْجَمِي، أُطْلِقَ عَلَى أَوَّلِ كَافِرٍ بِاللَّهِ، وَهُوَ مِنَ الْجَنِّ،
 كَمَا صَرَّحَ الْقُرْآنُ: ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ﴾ [كهف: ٥٠]
 وَهُوَ مَخْلُوقٌ مِنَ النَّارِ، بِاعْتِرَافِهِ، عِنْدَمَا قَالَ لِلَّهِ: ﴿أَنَا خَيْرٌ مِمَّنْ سَقَيْتَ مِنْ نَارٍ
 وَعَلَّقَهُ مِنْ عَلِيِّ﴾ [الأعراف: ١٢].

و(إِبْلِيسُ) كَانَ مَحْبُوفًا لِعَلِ آدَمَ، وَكَانَ مَأْمُورًا بِالسُّجُودِ لآدَمَ، كَمَا فِي
 الْمَلَائِكَةِ، وَكَانَ فِي الْجَنَّةِ، وَنَظَرُ كُفْرٍ وَعَصْيٍ طَرَفَهُ اللَّهُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَأَعْطَاهُ إِلَى
 الْأَرْضِ مَعَ آدَمَ، وَنَظَرُ ظَلَمٍ مِنَ اللَّهِ أَنْ سَقَى حَتَّى إِبْنِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، أَمَدُهُ حَيَاتِي قَرِيبَ
 قِيَمِ السَّاعَةِ، فَهُوَ مِنْ أَصُولِ الْمَخْلُوقَاتِ عَمْرًا. بَكَتُ سَيَمُوتُ قَرِيبَ قِيَمِ سَاعَةٍ، ثُمَّ
 يُبْعَثُ كَمَا فِي الْإِسْوَ وَحَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، لَعَنَ مَعَ حَرْبِهِ بَكَتُ فِي نَارٍ
 وَلَعَلَّ (إِبْلِيسَ) هُوَ أَبُو الْحَرِّ، كَمَا أَنَّ (آدَمَ) أَبُو الْإِنْسِ، وَهَذَا مَا يُمْكِنُ أَنْ
 يُلْحَظَ مِنْ قِصَّةِ آدَمَ وَإِبْلِيسَ، وَالْإِنْسِ وَالْجِنِّ.

آدَمُ هُوَ أَوَّلُ مَخْلُوقٍ مِنَ الشَّرِّ، وَنَظَرُ حَقِيقَةِ اللَّهِ وَحَدِّ إِبْلِيسَ أَمَدَهُ، حَلَقَهُ نَهْ
 قَبْلَهُ ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَارِ
 الْكَلْبِ ﴿[الحجر: ٢٦-٢٧].

وإِبْلِيسُ كَانَ فِي الْجَنَّةِ، وَالظَّاهِرُ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ مَعَ أَحَدٍ مِنَ الْجِنِّ فِي الْجَنَّةِ،
 وَصَارَتْ الْعِدَّةُ فِي الْجَنَّةِ بَيْنَ آدَمَ وَبَيْنَ الْإِنْسِ وَإِبْلِيسَ أَبِي الْحَرِّ، وَنَظَرُ أَعْطَاهُمَا اللَّهُ
 إِبْنِي الْأَرْضِ نَظَرُ الْإِنْسِ مِنْ آدَمَ، وَنَظَرُ الْحَرِّ مِنْ إِبْلِيسَ
 وَنَظَرُ الْإِنْسِ حَقِيقَةُ فِي الْأَرْضِ، كَانَ آدَمُ أَبُو الْإِنْسِ بِأَمْرِهِ، بِمَا كَانَ
 إِبْلِيسُ أَبُو الْحَرِّ شَطْرًا، وَدَرِيَّةُ آدَمَ مِنَ الْإِنْسِ مَعَهُمْ لِمُؤْمِنِينَ وَمَعَهُمْ كَافِرُونَ،
 وَدَرِيَّةُ إِبْلِيسَ مِنَ الْحَرِّ مَعَهُمْ مُؤْمِنُونَ وَمَعَهُمْ الْكَافِرُونَ أَيْضًا.

فَمَا (الشَّيْطَانُ) فَإِنَّهُ وَصِفَ عَامًّا، وَلَيْسَ اسْمًا حَاصًّا، وَهُوَ مُصْطَلَحٌ عَرَبِيٌّ،
 مُشْتَقٌّ، جَذَرُهُ الثَّلَاثِي (شَطَنَ) - عَلَى الرَّاجِحِ -.

يُقَدَّرُ شَطَنٌ، يَشْطُرُ، شَطْنًا بِمَعْنَى تَعَدٍّ، وَبِمَعْنَى الشَّيْطَانِ بِمَعْنَى
 سَعِيدٍ

وَالشَّيْطَانُ هُوَ لِمَعْبُودٍ عَنِ الْإِيمَانِ، الْعَبْدُ عَنِ الْحَيْرِ، سَعِيدٌ عَنِ رَحْمَةِ اللَّهِ،
 وَهُوَ يَهْدِي بِكَوْنٍ قَرِيبًا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ، قَرِيبًا مِنَ الشَّرِّ، قَرِيبًا مِنَ الْكَفْرِ

والشيطان وصف عدة. يُصَوَّرُ عَلَى كُرٍّ كَوْنُهُ، مِهْمًا كَلَّ نَصْبُهُ، بِسَبْأِ أَم
جَنَافًا

كُلُّ كُفْرٍ شَيْصَانٌ، وَمِمَّا أَرَادَ كَثَرُ قِسْمِهِ كَثَرُ حَقِّهِ وَكَثَرُ بَسْطِهِ، بَدَلَتْ
الشَّيْطَانُ يُصَوَّرُ عَلَى نَوْعَيْنِ مِنَ الْكُفَّارِ: كَافِرُ الْحَرِّ شَيْصَانٌ، وَكَافِرُ الْإِنْسِ شَيْصَانٌ
وَمِمَّا أَنَّ (إِبْلِيسَ) هُوَ أَوَّلُ كَافِرٍ، كَانَ شَيْطَانًا لَمْ يَلِدْ

وَمِمَّا مَعَهُ أَنْ (شَيْصَانٌ) وَصَفَ عِدَّةً تُصَوَّرُ عَلَى نَوَاحٍ ثَلَاثَةٍ

أَوَّلُ شَيْصَانٍ الَّذِي هُوَ مِنَ الْحَرِّ، وَالثَّانِي هُوَ الَّذِي هُوَ مِنَ الْكُفْرِ، وَقَدْ أَصْبَحَ عَلَيْهِ
وَصْفُ (شَيْصَانٍ) فِي صَبِيحِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَالثَّلَاثَةُ هِيَ: فَارُغُهُمَا الشَّيْطَانُ عَلَيْهِ
فَأَخْرَجَهُمَا وَمَا كَانَا يَتَوَلَّيَانِ. [الْقُرْآنُ: ٣٦].

إِذْ كَانَ أَوَّلُ كَافِرٍ اسْمُهُ (إِبْلِيسُ)، وَوَصَفَهُ (الشَّيْطَانُ).

لَمْ يَلِدْ حَقِّي كَوْنُهُ كِلَا كُفْرٍ مِنَ الْحَرِّ شَيْصَانٌ، لِأَنَّهُ وَصَفُ يُصَوَّرُ عَلَى
كُلِّ كَافِرٍ

ثَلَاثَ دَلِيلٍ يَكُونُ كُلُّ كُفْرٍ مِنَ الْإِنْسِ شَيْصَانٌ، سَوَاءٌ كَانَ يَهُودِيًّا أَوْ
مَنْصُورِيًّا أَوْ مَجُوسِيًّا أَوْ مُلْهَدًا.

وَالثَّانِي عَلَى أَنَّ كُلَّ كُفْرٍ مِنَ الْإِنْسِ وَنَحْوِ شَيْصَانٍ ثَلَاثٌ مِنَ الْإِنْسِ هِيَ
نَعْدَى: * وَكَذَلِكَ حَقَّقْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عِدَّةً شَيْصَانٍ لَيْسَ وَلَمْ يَلِدْ يُؤْمِنُ بِتَصَلُّهِمْ وَبِإِقْبَالِ
رُحْمَتِ الْقَوْلِ عَزَّ وَجَلَّ. [الْإِنْعَامُ: ١١٢].

عَشْرَتِ لَذِيَّةٍ عِدَّةً لَأَسَاءَ مِنَ الْإِنْسِ وَنَحْوِ شَيْصَانٍ، وَهِيَ كَقُرُونٍ

وَقَدْ نَعْدَى فِي سَبْعَةِ دَلِيلٍ: * قُلْ عَوْدُ بَرْتِ كَتَابِيْنَ رِيْ مِلْكِ الْكَافِرِ
يَكُونُ ثَلَاثٌ مِنَ الْإِنْسِ شَيْصَانٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَقَّقْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عِدَّةً شَيْصَانٍ لَيْسَ وَلَمْ يَلِدْ يُؤْمِنُ بِتَصَلُّهِمْ وَبِإِقْبَالِ
رُحْمَتِ الْقَوْلِ عَزَّ وَجَلَّ. [سُورَةُ الْكَافِرِينَ: ١٠].

عَشْرَتِ لَذِيَّةٍ عِدَّةً لَأَسَاءَ مِنَ الْإِنْسِ وَنَحْوِ شَيْصَانٍ، وَهِيَ كَقُرُونٍ
وَقَدْ نَعْدَى فِي سَبْعَةِ دَلِيلٍ: * قُلْ عَوْدُ بَرْتِ كَتَابِيْنَ رِيْ مِلْكِ الْكَافِرِ

وَالْخِلَاصَةُ أَنَّ إِبْلِيسَ مِنَ الْعِزِّ. وَهُوَ قَائِدُ الْكَافِرِينَ مِنَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ،
وَالشَّيْطَانُ وَصَفَ بِفَسَادِهِ عَلَى كُلِّ كَافِرٍ مِنَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ، أَمَّا الْحَرُّ فَلَيْسَ وَكَذَلِكَ

شياطين، لكفرون منهم شياطين، والمؤمنون منهم مثل مؤمني لؤس صبحون

١١ - خلق آدم وحواء من النفس الواحدة:

خلق الله (حواء) وجعلها روحاً لآدم، وأسكنها معه في الجنة، وقد عرف أن لآدم روحاً في الجنة من حلال آيات القرآن **قُلْ تَعَالَىٰ ۖ ﴿وَقُلْنَا يٰٓأَدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الْغَالِبِينَ﴾** [البقرة: ٣٥].

ولم يرد اسمه روحه (حواء) في آيات القرآن، وبما ورد في حديث رسول الله ﷺ روى البخاري (برقم ٣٣٣٠) عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ قال: «لو لا نبي إسرائيل لم يختر اللحم، ولو لا حواء لم نخس شيء روحه» ومعنى (ختر اللحم): أختار وفسد وتغير.

يدلُّ الحديث على أن نبي إسرائيل كانوا أول من ذبح اللحم ولعلَّ هذا كان سبب محبتهم، فانكروا ما أحدثوا حاجتهم من اللحم الذي يدعونه، وما رد عن حاجتهم يعطونه لغيرهم!

أما نبي إسرائيل فقد كانوا - بسبب محبتهم - يدعرون بلحم بلايم القادمة، وبما أنه لم تتوفر لهم أدوات الحفظ والتبريد بمنورة ناس في هذا العصر، لذلك كان اللحم عندهم (يختر) ويتس ويفسد.

وليس المراد بالحياة في قوله «ولو لا حواء لم نخس شيء روحه» حياة في العرص، وارتكابت فاحشة الربا، فإن (حواء) رضي الله عنها كانت امرأة عن الربا، بما المراد بحياة الحياة في الدين والنساعة، وارتكابت بدب والمعصية، بمعنى أن معصم الروحات يكن عوداً تشبذل على أرواحهم، وبهذه دور كبير في تزيين المعصية لهم، وحملهم عليها!!

ولا يدلُّ الحديث على أن (حواء) هي التي أعتد إبليس على روحه دم، وقامت بإعرائه لياكل من الشجرة، كما يذكر ذلك الإسرايليات، إنما يدلُّ على أن حسن (حواء) في العال في هذه دور في إغواء أرواحهم، وتوسيع معصية لهم، وذكر (حواء) في الحديث يؤاذه أي امرأة، ولا يؤاذه أشهر (حواء) روح دم على وجه الخصوص!

و لِرَاحِجٍ أُنْ أَسْمَ (حواء) أَعْجَمِي وَلَيْسَ عَرَساً مُشْتَعَةً، كَمَا قُلْنَا فِي اسْمِي
آدَمَ وَإِبْلِيسَ، لِأَنَّ الْعَرَبَ جَاؤُوا بَعْدَ حَوَاءَ بِقُرَّةٍ طَوِيلَةٍ.

و تَوْفَقُ لَأَنِّ الْحَدِيثِ عَنِ النَّفْسِ الْوَاحِدَةِ، أَنِّي خَلَقَ اللَّهُ مِنْهَا دَمَ وَحَوَاءَ
فَالْعَالِي ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا رَوْحَهَا وَيُثَبِّتُ
مِنْهَا رِجَالَكُمْ كَثِيرًا وَنِسَاءً﴾ [النساء: ١].

دَهَتْ كَثِيرٌ مِنْ مَحْتَسِرِينَ إِلَى أَنَّ لِمَعْرَادِ النَّفْسِ الْوَاحِدَةِ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ،
وَالْمَعْرَادِ رَوْحِهَا حَوَاءَ أَيْ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ حَوَاءَ مِنْ نَفْسِ آدَمَ
وَاعْتَمَدُوا عَلَى حَدِيثِ صَحِيحِ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَقَالُوا: خُلِقَتْ حَوَاءُ مِنْ
ضِلْعِ آدَمَ.

رَوَى سَحَرِي [بِرَقْم ٣٣٣١] وَمُسْلِمٌ [بِرَقْم ١٤٦٨] عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «اسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ حَيْرًا، فَإِنَّ الْمَرْأَةَ
خُلِقَتْ مِنْ صُلْعٍ، وَإِنَّ أَعْوَجَ شَيْءٍ فِي الصُّلْعِ أَعْلَاهُ، فَإِنْ دَهَتْ تَقْبَعُهُ كَسْرَتُهُ، وَإِنْ
تَرَكْتَهُ لَمْ يَزَلْ أَعْوَجَ، فَاسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ حَيْرًا».

اعْتَرَوْا الْحَدِيثَ صَرِيحًا فِي خَلْقِ حَوَاءَ مِنْ صُلْعِ آدَمَ، لِأَنَّهُ يَقُولُ: فَإِنَّ
الْمَرْأَةَ خُلِقَتْ مِنْ صُلْعٍ، وَإِنَّ أَعْوَجَ شَيْءٍ فِي الصُّلْعِ أَعْلَاهُ، وَأَحْدَا (بِصُلْعٍ) عَلَى
طَاهِرِهِ بِنَادِي، وَقَالُوا: خُلِقَتْ حَوَاءُ مِنْ صُلْعِ آدَمَ حَقِيقَةً.

وَلَسَا مَعَ هَؤُلَاءِ الْعُلَمَاءِ فِي فَهْمِهِمْ لِلآيَةِ وَالْحَدِيثِ، وَلَا يَقُولُونَ: إِنَّ حَوَاءَ
خُلِقَتْ مِنْ ضِلْعِ آدَمَ حَقِيقَةً، إِنَّمَا يَقُولُونَ: خُلِقَتْ حَوَاءُ مِنْ نَفْسِ لِبُطْعَةِ الْإِنْسَانِيَّةِ
الَّتِي خُلِقَتْ مِنْهَا دَمٌ، وَتَشْتَلِكُ الصِّمَاتُ وَالْحَصَائِصُ الْإِنْسَانِيَّةَ فِيهِمَا، مَعَ الْفُرُوقِ
بَيْنَ الذَّكَرِ وَالْأُنْثَى، الْبَلَنِيَّةِ وَالنَّفْسِيَّةِ وَالْعَقْلِيَّةِ.

لَيْسَ لِمَعْرَادِ النَّفْسِ الْوَاحِدَةِ فِي الْآيَةِ ﴿الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ دَمٌ عَلَى
وَحْدِ الْحَصَوِيِّ، إِنَّمَا الْمَعْرَادُ فِي النَّفْسِ الْإِنْسَانِيَّةِ الْوَاحِدَةِ، نَتِي جَعَلَهَا أَسَاسَ
الْوُجُودِ الْإِنْسَانِيِّ، الْمَتَمَثِّلِ فِي الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ، وَالْيَ (أَنْدَرُ) الرِّجَالُ وَالنِّسَاءُ
عَلَى أَسَاسِهَا!.

لَيْسَ وَاحِدَةً فِي الْآيَةِ هِيَ الْكِيَانُ الْإِنْسَانِيُّ، الْقَائِمُ عَلَى الْجِسْمِ وَالرُّوحِ
وَالْعَقْلِ وَهَذَا مَحْتَوًى فِي الذَّكَرِ وَالْأُنْثَى، مَعَ فُرُوقٍ سَهْمًا، وَكُنْ هَذِهِ الْفُرُوقُ

ضروريه لتؤدي كل منهما دوره في الحياة، وهي لا تسعى عن كل منهما صفة
الإنسانية، وصيغته اشتره!

هذه النفس الإنسانية الواحدة كانت امرأة تكوينا في علم الله، حيث أراد
خلق الإنسان على أنثى، وخلقته حينئذ في الأرض، وصيغت امرأة تكوينا في
علم الله تعالى. إلى أن أراده سبحانه في علمه أن يخلق، فخلق (دم) أن بشر
منها، أني خلقه وهو ذك (الروح) لا يي تقام على بصير الروح
﴿يُخَلِّقُ نَفْسًا مِنْ طِينٍ ثُمَّ يُوَسِّوهُنَّ رُوحَهُ فَمَقْعُوهَا لَمْ يَكُنْ مِنْهُ﴾

وبعد خلق الله الذكر من نبت نفس إنسانية واحدة، خلق الأنثى
حواء، وفق صيغة وصفت وخصائص نفس واحدة، مما يتلاءم مع طبيعة
الأنثى وخصائصها: ﴿وَنَلَقَّ مَبَأَ رُوحَهَا﴾!

وهذه معادلة الرجل نفس إنسانية موية، في جسمه وعقله وروحه، وأن
لمرأة نفس إنسانية موية، في جسمها وعقلها وروحها. وهذه فيه ما فيه من
تكرس المرأة وتشريتها

هذا هو معنى تكريمي للمرأة، الذي يريد الآية تعبيره، ويخصه لها
الآية الأولى من سورة النساء التي عرشت بعض الأحكام المتعلقة بالنساء
إذ لا تدل الآية دلالة صريحة على أن حواء خلقت من دم حنف مادية
محسوسا.

ولا يتكلم الحديث الصحيح السابق على أن حواء خلقت من صمغ دم حنف
مادة محسوسة كدنت إنما يتحدث الحديث عن طبيعة المرأة الانسانية، أية
امرأة، ولهذا يوصي الرجال بالنساء.

إن الحديث يقرر أن تركب (العاطفي الانفعالي) للمرأة، حيث جعل الله
المرأة - على العال - عاصمة انسانية مدونة، وذلك لحسن طبيعتها ودراسيتها
في الحياة، تلك الرسالة القائمة على الاندفاع والعاطفة!

المرأة - على العال - ليست مأنسة في تفكيرها، بل هي رجل - على العال -
يتصف بالتأني والموضوعية، لتحقيق رسالته في الحياة!

وبعوض الحديث الصحيح الاندفاع والانفعال : عاصمة في امرأة في

صورة مادية، لتقريب المعنى وتوضيحه، بعرضه في صورة (صنع) ! ومعلوم أن الصلح أعوج، وأن أعوج ما فيه أعلاه، ويستحيل تقوسه هذا الصلح وإزالة اعوجاجه، ومن أراد ذلك فسوف يكسره !

والمرأة في طبيعتها النسيب والعاطفة هكذا، فلا تستطيع المرأة أن تكون موضوعية في دعائها - ولا تستطيع الرجل أن يقصي عني بمعاليه سريع، وعاطفته مددعه، وبأن حول ذلك فسوف تصطبغ وبه رقة، ويدلث عليه أن يقبل بها كمن هي، وأن يرصها بطبيعتها لامتداحة عاطفية، التي حلها لله عليها !!

والصلح اسود في حديث لمن صنع ده - عني ما برححه - وإعما هو لتصوير العاطفة والاندفاع في طبيعة المرأة.

ويهد سقيم بلابة و حديث، لا بعد فيهما بصريحاً حتى حواء من صنع آدم . .

ونفي كيفية خلق حواء من (مهمات القرآن) التي لم يبينها، ولا يمكن أن نعلم عنها شيئاً، لسكوت الآيات والأحاديث عنها.

كل ما نقوله حول خلق حواء حقيقاً الله من انصبعه الإنسانية بوحدة، التي خلق منها آدم قبيل، وجمعها روحاً في الجنة، وما أمطهم إلى لأرض عرشها وألحقت منها السبل وسات

١٢ - نوحية نهي آدم وحواء عن الاقتراب من الشجرة

أسكن الله آدم وحواء في الجنة، وأباح لهما أن يأكلا منها رعداً، من حيث شاءا، وبها هما عن الاقتراب - والأكل - من شجرة معينة من أشجارها قال تعالى ﴿ وَقَدْ يَتَادَمُ أَتَكُنْ أَتْ وَرَوَّجُكَ الْجَنَّةَ وَكَلَّا مِنْهَا رَعَدًا حَيْثُ يَنْقُصَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ [الشجرة ٣٥]

ومعنى قوله ﴿ وَكَلَّا مِنْهَا رَعَدًا حَيْثُ يَنْقُصَا ﴾ : كَلَّا مِنْهَا أَكَلًا هَبْئلاً رغبداً، فهو كثير ميسور، كل أشجار الجنة يُباح لكم الأكل منها إلا شجرة واحدة فقط !
وقال تعالى ﴿ وَتَتَادَمُ أَتَكُنْ أَتْ وَرَوَّجُكَ الْجَنَّةَ فَكَلَّا مِنْ حَيْثُ يَنْقُصَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ [الأعراف ١٩]

بها هم لله عن شجرة معية من أشجار الجنة كثيرة، وعسى الأعراب منها
علماء، قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوهَا شَجَرَةً تَتَكُونُ مِنْ أَنْطِيمٍ﴾

وقد ساءل بعضهم ما هذه الشجرة التي بها هم لله عن الاقتراب منها؟
إنه بصرى اقرب والحديث صحيح لا تحدث تلك الشجرة، ولا تعيثها،
وبما تُفيعها مهمة وحسن مطسوس أن تُفيعها على بهاها، ولا تذهب إلى
الإسرائيليات في تحديدها.

كل ما يقوله شأنه كانت شجرة معية من أشجار الجنة كثيرة، عرفها
ادم وحواء، وحرسا على عدم الاقتراب منها، أو الأكل منها، ولا يصرفنا بحسب
الجهل بها

وقد يتساءل بعضهم تسألاً آخر لماذا بها هم لله عن الاقتراب أو الأكل
من تلك شجرة؟ وما هي لأصرار المترتبة عليهم من الأكل من شجرة؟ وعساها
أنها كان في الجنة فهل في الجنة تكيف ومحطور ومسوع؟ ما حكمة ذلك؟

بداية نقرر أن الله حكيم في كل ما يفعل، وقوله هو الصواب، وبهية هما
عن تلك الشجرة مرتبط مع حكمته سبحانه.

صحيح أن الجنة دار نعيم، وأنه يسر بها تكيف أو محطور، هد على
الحاجة عامة العبدية، ولكن بهذه الحاجة العامة تخصيص، ولهذه القاعدة
ستشاء فتكيف الله بهم بعدم الاقتراب أو الأكل من اشجرة ستشاء من القاعدة،
ومسألة خاصة لا تعم ولا يقاس عليها

ولعل لحكمة من بهيها عن ذلك تروية، فادم وحواء أساس البشرية،
والله يعلم أنه سيهبطهما إلى الأرض، وسيحقن من سبهما كثير من رحا
والساء، وسيكف الناس على الأرض بالتكيف ومواثيق، وسقول لهم هد
حلال فافعلوه، وهذا حرم فاجتنبوه

لعل تكيف لأبوين ادم وحواء سلك التكيف في الجنة كان لتقوية لإرادة
الشريفة، وشهدا مهمة الإنسانية، بالاسم شرع الله وعهده، وكان هذا التكيف
بهم تمهيداً وبهيئة التكيف القدمة بدرتهما على لأرض

واللافت ليلظر أنَّ الله عندما أراد معيها من الأكل من الشجرة بهما عن
 لا قرب من الشجرة، وسن عن الأكل منها، قدس ﴿وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ﴾
 إنَّ الهي عن الاقتراب من الشجرة أبلغ من الهي عن الأكل منها، لأنَّه
 تنصُّ الهي عن لأكل وريدها به هي عن الصربي يدي يؤدي إلى لأكل، لأنَّ
 الاقتراب من لشجرة يعني بالأكل منها، وبذلك كان لا ماع عن الاقتراب من
 الشجرة امتناعاً عن الأكل منها.

وهذا هو معنى في الإسلام (سدا، سدا راع) أي إعلاق بطرق التي
 توصلُ لمحرمة، فعندما كان الإسلام يحرمُ الحرمة، كان يُعنى كلَّ طرق التي
 توصلُ إليه، فلم حرِّم لربما مثلاً واعبره فاحشة كرس، حرِّم كلَّ ما يؤدي إليه،
 كالشرح والاحتلاط، وسطرة والتشبه والمصافحة.

ولذلك عندما أرادَ الله مع آدم وحواء من الأكل من الشجرة بهما عن
 الاقتراب منها، من سب تربيتهم وتقوية رادتهم، وتهيبتهما لتكليف بعد ذلك

١٣ - لماذا أكلنا من الشجرة رغم نهيهما عن ذلك؟

هي الله آدم وحواء عن الاقتراب من الشجرة، وحذرهم من عداوة إبليس
 بهما، قد تعني ﴿وَلَدَفْنَا لَلْمَتَّيْصَكَةِ تَسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ
 أَبَى ﴿فَقُلْنَا يَتَقَادِمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِرَوْحِكَ فَلَا تَخْرُجَنَّ مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْفَى﴾ [سورة
 ١١٦-١١٧].

والمعنى إنَّ إبليس عدوُّ لك ولروحك حواء، فاحذر منه، وإياكم أن
 تسجداً لوسوسه، فإنه لا يريدُ الخير بكماء، وإما يريدُ حرركم من الجنة
 والترم آدم وحواء بالهي، وأكلنا من أشجار الجنة لكثيرة، واستعدنا عن
 الشجرة المحرمة.

وحذروا من إبليس، ونظروا إليه باعتباره عدوًّا يريدُ إخراجهم من الجنة
 واستمرَّ على هذا فكرة من الرمن.

ولكنَّ إبليس لم يتركهما، وحرص على فسدهم ودعوهم، وبيدهما في
 لمحضور وأراد أن يأكلنا من الشجرة ليعصب الله عليهما.

وسوس ببسبهما، ولكنهما كانا منهن من بعد، ولكن
لعمري لم يأتس منهما، واستمر ذلك سنة مرات ومرات، وفي سبيل لأمه،
ووقع في المحظورة، وأكلا من الشجرة

لعمري سبحان، وعمه معرفتهما بعد، وبعد أكلا من الشجرة رعم
عمهما بأنهي، تحدث على ذلك، في سورة الأعراف

قَالَ نَدَى ﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْآتِهِمَا وَقَالَ مَا
هَٰؤُلَاءِ رُكُودًا عَنْ حُذُورِ شَجَرَةٍ وَلَا أَنْ يَتَنَبَّهُوا مِنَ الْمَلَكَيْنِ وَهُمْ سَبَّحَتُمَا بِحَمْدِ اللَّهِ الْكَلِيلِ
أَلَمْ نَقُلْ لَّكَ إِنَّكَ لَأَنْتَ الْغَافِلُونَ﴾ [الأعراف ٢٠-٢٢]

كلمة (وسوس) بدت على اسم، محبات، لا تيسر لأعرافهم، وهذا معناه
أبداً به سبحانه، منذ أول محادثة

وعنه، ليس في ذلك من الشجرة، المعرمة، وشككهما في صواب نهي
الله بهما ﴿وَقَالَ مَا هَٰؤُلَاءِ رُكُودًا عَنْ حُذُورِ شَجَرَةٍ وَلَا أَنْ يَتَنَبَّهُوا مِنَ الْمَلَكَيْنِ﴾

حاصب ببسب في دم وحواء (عبرية)، حبيب لله أصيب في النفس الإنسانية
لتحسب مخالفة في الأرض، هي غريزة سميت، ورعة في حدود ﴿تَكُونُ
مَتَكَبِّرًا أَوْ تُكَذِّبِينَ﴾

وقد لأدم ما أخبر الله عنه في آية أخرى قال ندى ﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ
الشَّيْطَانُ قَالَ تَدْعُهُمْ هَٰؤُلَاءِ عَلَى شَجَرَةٍ مُّحْدَدَةٍ وَتَذَكَّرُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا﴾ [ص ١٢٠]

كل بسبب معطوف على رعة في حبل ﴿هَٰؤُلَاءِ عَلَى شَجَرَةٍ مُّحْدَدَةٍ
وَكُلُّ شَيْءٍ مَّصْنُوعٌ عِندَ اللَّهِ فِي ثَلَاثَ سَاعَاتٍ﴾ [ص ١٢٠]

ولذلك طرد الله عن هاتين الغريزتين في قصته دم وحواء، وأعرها
بإرشادهما، في قصته مصدرة سميت وحواء

وكما بسبب كذب في وسوسته، وبإسناد لا يمكن أن يملك منك لا
سبي، ومهما منك في منك، في رواه، وكتب به على (السان بسوب)، ولا يمكن
أن نجد حادثة في هذه السورة

وكما بسبب شهوة في شهوة حبل ﴿وَقَالَ مَا هَٰؤُلَاءِ رُكُودًا عَنْ حُذُورِ شَجَرَةٍ وَلَا
أَنْ يَتَنَبَّهُوا مِنَ الْمَلَكَيْنِ﴾

أَيُّ اللَّهِ لَا تَرِيدُ لَكُمْ الْحَبْرَ عَمْدًا بِهَا كَفَّ عَنِ الْأَكْلِ مِنَ الشَّجَرَةِ،
وَمَصْدَحُكُمْ مَا فِي الْأَكْلِ مِنَ الشَّجَرَةِ، وَاللَّهُ يُحْشِي مَكْمَلًا إِنْ أَكْنَعْتُمْ مِنَ الشَّجَرَةِ، فَإِنْ
أَكْنَعْتُمْ مِنْهَا بِحَقِّكُمْ حَسْبُكُمْ بَدَنُهُ وَالْحَبْرُ الْإِنْسِي وَهَذَا مَا لَا يَرِيدُهُ اللَّهُ بِكُمْ،
وَلَدَلْتُ بِهَا كَفَّ عَنْهُ، وَسَدَّكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْهَا لَنْ لَا تُحْبَرُ كَذِبًا

وَهَذَا كَقَرُّهُ مِنْهُ بِاللَّهِ، وَبِهِمْ لَهُ سَدْرُهُ وَفَعَلَهُ، وَحَوَّجَهُ مِنْ أَدَمَ وَحَوَّجَهُ، مَعَ أَنَّهُ
لِلَّهِ الْقَوِيُّ الْقَادِرُ الْحَكِيمُ سُبْحَانَهُ!!

وَمَعَ هَذَا لَأَعْرَأَ مِنْهُ لِهَمَّهُ، لِأَنَّ هُمَا بَعْدَ حَدِيثَيْنِ مِنْهُ، مَذْكُورَيْنِ بَعْدَ وَتِهِ،
فَلَمْ يُصَدِّقَاهُ، وَلَمْ يُسْتَجِيبَا لَهُ

وَهَا لِحَاً لِلْبَلْسُ إِلَى حَيْثُ شَبَّصُوا حَسْبُكُمْ مَكْرَهُ، وَهِيَ الَّتِي أَحْبَبَهَا اللَّهُ عَنْهَا
فِي قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿وَقَاتِلْهُمْ فِي لُكَّائِهِمْ تَنْصِيحًا﴾

وَمَعْنَى (قَاتِلْهُمْ) حَتَّى يَهْلِكَ يَمِينُ، وَأَقْسَمَ لِهَمَّا بِاللَّهِ بِهِ بِصَادِقٍ فِي
قَوْلِهِ، صَاحِبٌ لِهَمَّا فِي كَلَامِهِ قَدْ هَمَّ أَنْفُسُهُمْ كَمَا بِاللَّهِ بِهِ بِصَاحِبٍ لِكَمَا، أَرِيدُ
الْحَبْرَ بِكُمْ، وَأَدَلَّكُمْ عَلَى طَرِيقِ التَّمَلُّكِ وَالْحُلُودِ!

هَذَا هُوَ لِسَبِّ سَدِّي دَعَاهُمَا إِلَى الْأَكْلِ مِنَ الشَّجَرَةِ إِنْهُ يَمِينُ، يَمِينُ
وَلَعْنُ هَذَا الْيَمِينِ هُوَ أَوَّلُ يَمِينٍ كَذَبَ فِي بَرُودِهِ، لِأَنَّ سَلَانِكَةَ لَا يُقْسَمُونَ
بِاللَّهِ، وَإِبْلِيسُ هُوَ أَوَّلُ الْحَيِّ، وَسَبَّ يَكُنْ أَوْلَادُهُ مِنْ بَحْنِ مَوْحُودِينَ، وَأَدَمُ وَحَوَّجُ
وَحَدَّاهُمَا فِي الْجَنَّةِ!

وَلَدَلْتُ سَدَّ سَمْعِ أَدَمَ وَحَوَّجَ يَمِينِ إِبْلِيسَ بِعَهْدِ اللَّهِ، أَوْ أَحَبَّ الطَّرِيقِ
بِكَلَامِ يَمِينٍ بَعْدَ يَمِينِهِ، وَلَعْنُهُمَا لَمْ يَكُنْ يَرِيدُ قَعْدَ أَنْ يَصِلَ لِمَكْرُوسٍ وَحَدَّثَ بِإِبْلِيسَ
إِلَى أَنْ يَحْتَفِ لِهَمَّا كَذِبًا، أَمْ وَفَدَ حَلْفَ اللَّهِ، فَقَدْ بَوَقَعَا أَنْ يَكُونَ صَادِقًا هَذِهِ
الْمَرَّةَ، لِأَنَّهُ أَقْسَمَ بِاللَّهِ!

وَهَذَا عَقَلَتْ لَأَيَّةً عَلَى قَسَمِ إِبْلِيسَ يَقُولُهَا ﴿مَلَأْتُهَا بِغُرُورٍ﴾

وَمَعْنَى هَذِهِ لَحْمَتُهُ أَنْ إِبْلِيسَ دَلَّى أَدَمَ وَحَوَّجَ، وَأَمْرُ لِهَمَّا عَنْ سَمَرِهِ الْعَالِيَةِ
نَحْيَ جَعَلَهَا اللَّهُ لِهَمَّا فِي الْحَبْرِ، إِلَى مَرَاتَةِ أَدَمَ، حَتَّى تَهْطِلَهُمَا اللَّهُ إِلَى الْأَرْضِ
وَهَذِهِ هِيَ التَّدْلِيَةُ الَّتِي دَلَّاهُمَا إِبْلِيسُ إِلَيْهَا!!

والسوء في قوله (معزور) هي سوء السعة، أي أن إبليس أعوهما ودلّهما وأرلّهما بسبب عروده وحداغه، وعكزه وحبيته، ودبت عندما أقسم بهما بيمين، مصداقاً..

قد أكلنا من شجرة ما بين عهد الله، بسبب يمين بيمين بهما أنه صادق
مخصص

١٤ - كيف وسوس إبليس لهما رغم إخراجهم من الجنة؟

لما رفض يمين السوء لآدم مكرراً، نعه الله، وأمره بالخروج من الجنة، وأباح لآدم وحواء الأكل من أشجار الجنة، إلا شجرة واحدة معببة، وحذرهما من عداوة إبليس، لكن إبليس وسوس لهما، وما زال بهما إلى أن أخرجهما من الجنة

والسؤال الذي ثار هنا كيف وسوس إبليس لآدم وحواء، مع أن الله أخرجه من الجنة؟ وهل أعاده الله إليها بعد أن أخرجه منها؟ أم أن إبليس دخل الجنة (متسللاً) بعد أن غافل ملائكة؟ ولم يعلم الله به^{١١١}

العرب أن بعض المفسرين والإخباريين قالوا بالقول لأحيرا وأحدو هذه الحركات من لإسرائيليات، ورسموا أن الله أخرج إبليس من الجنة، لكنه دخلها بعد ذلك (متسللاً) معافلاً حراسها من ملائكة، وأن (الجنة) هي بني أحمته في طيها وأدخنته، دون أن يشه بها الملائكة^{١١٢}

ويستمر الدخول من إيراد هذه الحركات الإسرائيلية إلى التفسير، وتفسير آيات القرآن، مع أنها أكاذيب تصادم مع عقيدتنا.

ويعتقد أن المسألة سهمة، وأن توحيتها سهل مبور، من خلال آيات القرآن.

قُلْ تَعَالَى ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِمَلَائِكَتِهِ أَنْسُجُوا لَآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ﴾ قَالَ مَا مَنَعَكَ آلَا تَسْجُدَ لِأَمْرِي قَالَ كُنْتُ أَكْبَرُ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ ﴿قَالَ فَاهْبِطْ مِنْ هَٰذَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ مِنْهَا إِنَّكَ مِنَ الْمُخْرَجِينَ﴾ قَالَ أَعْرِضْ عَنْ يَوْمَ يَعْتَبُونَ ﴿قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ﴾ قَالَ فِيمَا أُغْوِيَنِي لِأَفَعِدَنَّ لَهُمْ مِنْ عِندِي مَعْشَرًا ﴿قَالَ إِنَّهُمْ مِنْ أَفْوَاهٍ وَمِنْ هَٰجَاتٍ وَعَنْ أَنْفِهِمْ وَعَنْ شَفَاهِهِمْ وَلَا يَجِدُ

ثلاثة من الجنة إلى الأرض، وبهذا تنفذ أمر الله بإخراج إبليس من الجنة

وبعد يرى أنه كانت هناك فترة من الزمن - لا نعلم مدتها - لا لله - من يحكم على إبليس بالطرد وإخراج من الجنة، وبين إخرجه منها فعلاً، وفي هذه الفترة من الانتظار، سوس لآدم وحواء فأكلا من شجرة، وشاء الله بحكمته أن يؤخر لإخراج والطرد فعلاً، لينفذ قدره سبحانه بهما هذه الحجة، ويبين إلى الأرض، ومن باب تعرض هذا الوجه بذهن، نقدم هذا المثال قد يكون أحد الأشخاص موقفاً في السجن، ثم يُقدَّم إلى المحاكمة، وفي حيز مساعفة من ساعات دوام المحكمة يُصدَّرُ لِقاضي حكمه براءته، ومن ثم يُصدَّرُ أمره بالإفراج عنه، ولكن لا يمكن تنفيذ أمر القاضي بالإفراج عنه لانهاء لدوره الرسمي، فيبقي ليرى في السجن ليلة أخرى، إلى أن تتم إجراءات الإفراج عنه في صباح اليوم الذي

على ضوء هذا المثال نحس فيه بروحه مسألة وسوسة إبليس لآدم وحواء بعد الأمر بإخراجه من الجنة، ونحمل فترة رتبة بين الحكم عليه بالإخراج، وبين تنفيذ ذلك لإخراج فعلاً، والله تعالى أعلم.

١٥ - توجيه ظهور سوءاتهما بعد الأكل من الشجرة.

بعدما أقسم إبليس لآدم وحواء بالله أنه لهما ناصع، ثيابا عهد الله، وأكلا من شجرة، ونم يُفصل العران كمية أكلهما من الشجرة، ولا نوع الشجرة التي أكلها، إنما ذكرنا مخرجاً عن لأكلي من شجرة، وهو يُدو سوءاتهما لهما.

قال تعالى: ﴿فَلَمَّا ذَاكَ الشَّجَرَةَ دَخَلَ كَمَا سَوَّيْنَاهَا وَلَوْفَا بِمَعْقِدَ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْخَلَّةِ﴾ [الأعراف: ٢٢].

وقال تعالى: ﴿فَأَسْكَلْنَا بِهِمَا قَدَتَ كَمَا سَوَّيْنَاهُمَا وَبَعِثَ بِمَعْقِدَ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْخَلَّةِ﴾ [طه: ١٢١].

ومبني أنشئ على أن ظهور سوءاتهما لهما كان بعد لأكلي من شجرة، حيث عرث أية سورة لأعراف عن ذلك بالجملة بشرطية ﴿فَلَمَّا ذَاكَ الشَّجَرَةَ دَخَلَ كَمَا سَوَّيْنَاهُمَا﴾ إذ رُتبت حروف بشرطية ﴿دَخَلَ كَمَا سَوَّيْنَاهُمَا﴾ على فعل الشرط ﴿ذَاكَ الشَّجَرَةَ﴾، فمحرز أن ذاك الشجرة، ودخلت ثمرتها بطن، ذلك لهما سوءات فوراً

وعُثِرَتْ يَتْلُو سوره صه عن ذلك بناءً انه تيب مع تحفيل ﴿فَكَفَّلَا بَنَيْنَا﴾
فَدَتِ لَكُمَا سَوَاءٌ تَكُونَا

وانه حكمهم في قدره وإرادته، حيث شاء سبحانه أن يكون ظهور سوء أب
لهم مساوياً على لأكل من شجرة، ولا يعرف السب الذي جعل شجرة بني آكلها
سواءً بظهور سوء أب، ولا دور تلك الشجرة (يحيى) في ظهور السوء، لأن
الله لم يحرم بذلك كل ما سواه، بل الله أحكمه هو الذي أريد هذا وشاءه،
وجعل الأكل سباً بدو سوءت، فتم ذلك كما أريد الله

ما هي تلك سوءات؟ وكيف نسب إليهما بمجرد أكلهما من شجرة؟ وأين
كانت تلك سوءات من أكلهما؟ هل كانت معصية بشعر فسقطت لأكلي
وبدت سوءات، أم كانت معصية بشيء حرّم من الأعضاء لأكلي؟ أم كانت
كاملة في دخول لحم فظهرت وبررت بعد لأكلي من شجرة؟

نم تقدم يأت بقراب حادثة على هذه الأدلّات، وبه يحارون بصحة
بحث فيها، أو سور رسول الله تبيّن عنها وغير مفسون - في مباح البحث
لإسلامي لعلمي - ذهب بعض المفسرين والإحاديث إلى الإسرائيليات
والخرافات لأخذ تلك الإجابات

وبما أن لا يثبت بصورة معتمدة في توجيه ذلك، فإن يحارون بوجهيه
بالاجتهاد والنظر، وتقديم ذلك من باب الاستئناس.

أقول له تعالى ﴿فَمَّا دَاوُ الشَّجَرَةَ دَتِ لَكُمَا سَوَاءٌ تَكُونَا﴾ يشير إلى أن هذه
سوءات كانت موجودة عندهما قبل أكلهما من شجرة، ولكنهما سم يندما لها،
وسم يفكر فيها أي سم يعرف أنها سوءات فمما داف شجرة، بدت بهما هذه
السوءات أي ظهرت بهما باعتبارها سوءات، فصار يعرف أنها سوءات، وأن
كشفها عيب، ولهذا صاروا يسترانها بورق الجنة

مرجع سوءات كانت موجودة قبل أكلهما من شجرة، فكيف سم يعرف
أنها سوءات كشفها عنه إلا بعد أكلهما من الشجرة، وهذا ما لاحظته من حمّة
﴿بَدَتِ لَكُمَا سَوَاءٌ تَكُونَا﴾

ب سوءات بدت لهما، وهذا معناه أي كانت موجودة، فكيف ظهرت بهما
على أنها سوءات، يسموؤهم كشفها.

وحتى يُعرف هذا الغم لندو سوءات فهم سذكُر حالة الطفل الصغر
 ولطف في سبب عمره الأولى، قد يمشي عرياناً وب حجل، وقد يكشف
 عن سوائه أدم غيره بدون تحرج، وهو لا يعنى دث وقحة أو فله حياء، لكنه لا
 يعرف أنها سوءة، وأن لها وطبعة حسنة، ترتبط بده والشهوة، وأن كشفها عيباً
 إن أعضاء الطفل التسلية موحودة في جسمه، فكيف به تدنه عنى أنها
 سوءة، ولم يتنظر لها باعتبارها عورة!

وعندما يكبر هذا الطفل، وصير شاك، يعرف أن أعضاءه شاسية سوءة
 وعورة، وأن لها وطبعة حسنة، عند دث يحرض عنى سترها وبصيتها، وعند
 دث يقدر بدنه سوائه! أي صدر يعرف أنها سوءة، مع أنها موحودة في
 جسمه منذ ولادته، ولكنه لم يتب لها في طعولته!

لعل هذا ما جرى لأدم وحواء، بعد أكلهما من شجرة، سوءاتهما موحودة
 من الأكل، كوجود سوءة الطفل الصغر، لكن لم يكون يعرف أنها سوءة، كما
 لم يعرف الطفل الصغير!

ويدون (سبقت) رعائتهما وبوارعهما وشهو بهما، ترثت عنى أكلهما
 من الشجرة، فحدث هما سوءاتهما ندوة نفسياً وحسبياً، فعرفا أنها سوءة، وأن
 كشفها عيباً. لذلك سارع بتعصبتها مباشرة، بأن صدر يقطع من أوراق
 أشجار الجنة، وينصفاه على سوءاتهما، حتى لا يريها، ولا يراها أحد آخر!
 هذا ما فهمه من الآية، وهو رأي سجده، وفهمه تقدمه، ونوحية تقوم به!
 والله تعالى أعلم.

١٦ - آدم عصي ربه:

لما وقع آدم وحواء في لمحطور لاميها الله عنى محافتهما قدر تعانى
 ﴿وَدَّاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَّا يَهْكُما عَنْ نَهْيِ الشَّجَرَةِ وَأَقْبَلَ لُكُما إِنَّ الشَّيْطَانَ يَكُ عَدُوًّا قَبِيًّا﴾
 [الأعراف: ٢٢].

أي لماذا أكلتما من الشجرة؟ فقد نهيتكما عن دث بها صريحاً،
 وحذرتكما من عداوة الشيطان لكما! فلماذا استحبتما لوسوسه؟
 وقد عرف آدم وحواء أنهما وقعاه في المحنة، وركبهما لمحطور، وحدث

سارع بإعلان التوبة والاستغفار، وظلنا من الله، معمره، قال تعالى ﴿وَلَا رَيْبَ
مَلَكْنَا أَنفَكًا وَلَئِنْ لَّمْ نَمُوتْ وَلَئِنْ لَمْ نَكُ مِمَّنْ نَاذِرِينَ﴾ [الأعراف: ٢٣]

وعند عترة العبد، وأعلن التوبة، قال الله عنهما، قال تعالى ﴿فَلَقَّحْ
عَادَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَتَيْنِ فَبَدَّ عَلَيْهِمَا قُلُوبَهُمَا فَكَفَرَا لِقَوْلِهِمَا هَذَا شَجَرُنَا وَنَبَّهْنَاهُمَا
عَلَيْهِمَا أَنْ يَكُونَ مِنَ الْغَافِقِينَ﴾ [البقرة: ٣٧].

هل ما صدر من آدم وحواء معصية أم لا؟

هو في الظاهر معصية، لأنه مخالفة لهي نصريح بهما لله عن الاقتراب
من الشجرة والأكل منها، وكهنا حاتم الهي نصريح، وأكلا من الشجرة، فعدا،
نسمي هذا؟ ألا نسمي معصية؟

لقد سمعنا لفر من معصية قال تعالى ﴿فَاخْتَلَا يَتَّبِعُ أَهْلَهُمَا سَوَاءً لَّهُمَا
وَصِفَاءً يَصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ زُرِّي لَقْنَهُ وَعَصَى عَادَمُ رَبَّهُ فَعَوَّى رَبُّهُ ثُمَّ آتَاهُ رَنْمُ فَتَابَ عَلَيْهِ
وَهَذَيْنِ﴾ [طه: ١٢١-١٢٢].

عصى آدم ربه ماكنه من الشجرة، وهذه المعصية عوى وفدت معيشته،
لأن الله مسرته إلى الأرض، حيث التعب والنصب في الحدا.

وبعدا عصى شعر بالدم فتاب إلى الله، فتاب الله عنه وعمر له، وحبسه
وجعله نبيا.

ومع ذلك بقي آدم عليه السلام حاتما من معننه، معنوا لحطته، ويرد على
الاس سدين يأتونه يوم القيامة، خالين شعاعته، مخوفه من الله

روى البخاري [برقم ٣٣٤] ومسلم [برقم ١٦٤] عن أبي هريرة رضي الله
عنه أن رسول الله ﷺ قال في حديث الشدعة الصويل: «يجمع الله يوم القيامة
الأوليين والآخرين في صعيد واحد، فيسمعهم الله عي، وينفذهم لصرا، وتندو
شمس، فيسبح تس من العنم والكرب ما لا تُظفون، وما لا يحسمون

فيقول بعض الناس لبعض ألا ترون ما آتكم فيه؟ ألا ترون ما قد بلغكم؟ ألا
ترون من يشعركم إلى ويكم؟»

فيقول بعض الناس لبعض اتوا آدم!

فيأتون دم، فيقولون يا آدم أنت أبو بشر، حنقت الله بيده، وفتح فت

من روجه، وأمر ملائكة فسجدوا لك، شغفك إلى رثك، ألا ترى ما نحن فيه؟
ألا ترى ما قد بلغنا؟

فيقول دم إنني عصيت بيوم عصياً به يعصت فيه مشي، ولن يعصت
بعده مشي، وبه بهاني عن شجرة، فعصيته نفسي، نفسي، ذهروا إلى عيوني،
ادهبوا إلى نوح

والشاهد في الحديث اعتراف آدم عليه السلام بمعصيته، حيث أكل من
الشجرة بعد أن نهى الله!

ومن مفعلة دم وحواء في أكلهما من لشجرة كان معصيه، بسبب قول الله
عن دم ﴿وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ﴾، وقول دم في الحديث «معصيته»

وهذه لمعصية استوحشت على آدم وحواء سوية، بذلك سارعي بالتوبة
والدم والاستعانة ولاعترا ف بمعصية وقدا ﴿رَبِّتَ طِفْلاً أَفْسَا وَإِنْ لَمْ تَعْبَرْ لَكَ
وَرَحْمَتَا نَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾.

وأكرمهم الله بأن غفر لهم وذاب عيبيهما

١٧ - توجيه معصية آدم لربه:

عصى آدم ربه، بسبب شره، ووقفه لأن في توجيه معصيته
كيف عصى ربه وهو النبي؟

بم تكن معصية آدم في أكله من شجرة عن عهد، بل كانت عن سهو وعملية
وسيد، بسبب قوله تعالى ﴿وَقَدْ عَهِدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِنْ قَبْلِ قَيْسٍ وَلَمْ يُحِذْهُ عَزْمًا﴾
[طه: ١١٥].

وقد حتم المفسرون في تفسير هذه الآية، فذهب جمهورهم إلى أن
معصيه هو وبعد عهد إلى آدم، بأن نهيه عن الأكل من شجرة، وحذره من
عدوة إبليس، لكنه سبي عهداً وتركه، وشتحت بوسوسة الشيطان، وأكل من
الشجرة، وبذلك لم يجد له عزمًا وقصدًا وردة وصبرًا، فهو كان يحدث عزمًا
وعزيمة وإرادة فقط على العهد ولم يأكل من شجره!

ولأنه فقد عزم والعزيمة فقد عصى ربه ﴿وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ﴾

ولسامع جمهور المفسرين في هذا التفسير للآية

مر حنح أن معصية عبد هو حنح من به أنه عهد إلى دم، أن بهاء عن
الأكل من لشجرة، وحارة من عذوبة يمينه، كن دم سي عهد لله له، ومن
تذكره، وكان هذا السبب منه بعد أن أقيم به بسبب الله أنه صبح، وأنه يرد
مصلحه، وشدة إلى صديق حدود وعتك، وعاصي عهد لله في هذا نحو -
ولم يذكره أكل من الشجرة!

ويحتمل به أنه كمن من شجرة، واست - ومن يكن عارماً ولا عهد ولا قصد
ومعنى ﴿وَلَمْ يَحْذَرُ عَرَمًا﴾ له حذره قصداً ولا نصيباً على الأكل من شجرة،
ومن يعرف على الأكل، ولم يتعمد المحاكمة، ومن يصبر على ترك المحظور اسم
حذره عارماً على المحاكمة، لأنه أكل من شجرة، واست - وسبب يفي عنه بقصد
والتمدد.

وفي الآية - على هذا فهم والتفسير - توجية معصية آدم في أكله من
الشجرة، بأنه كان في حنة سبب منه عهد به - وعدم تذكره، ولو كان ذكر العهد
لله بما أكل من الشجرة! وهذا سبب يفي عنه عزم وتعمد وتقصير
والإصرار.

وكان حنة ﴿وَلَمْ يَحْذَرُ عَرَمًا﴾ توجية لأكل دم من شجرة، وتحليل
سلك فعل، سبق يكون بمثابة عذر به، وشهد به بأنه لم يتعمد ولم يقصد
ولم يعرف على المحاكمة.

ولخلاصة معصية دم في أكله من لشجرة معصية سبب وبسبب معصية
عارم قصدي عهد، وأكله منها كان في حنة سبب وعدم تذكر، وبسبب في حالة
عمل وعزم وقصد.

وما تذكر دم عهد لله بعد الأكل - وكان ذلك بعد تدو سبوت - عرف أنه
خائف عهد لله، وأنه ترك المحظور، وأنه سبب عصي، فسارح بالتوبة والإبادة
والاستعفاء، وصلى من لله أن يعفر به، فتاب الله عليه وعفّر له!

وإذ كان الله لا يؤخذ السبب إذ عصاه وهو سبب، ويعفو عنه لسببه،
بشرط توبه واستعداده عند يصحح ويذكر، فدم أبو البشر أولى أن لا يؤخذ،
لأن ما صدر عنه كان عن سبب، وسارح بالتوبة والاستعفاء!

وعندهما بعد لمسلم العذر عندما يحلف ويعصى ناسياً، فآدم أبو البشر
أولى بالإعذار

«يطبق على أبي البشر عليه السلام قوله تعالى ﴿وَكَأَنِّي بَيْنَ أَيْدِيكُمْ أَتَقَرُّ إِذَا اتَّسَقْتُمْ
طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠١]
ومحمّد أن تذكّر آدم، باسم أبي الله، فثبت لله عليه ﴿فَتَقَرَّبَ مِنْ رَبِّهِ
كَكَتَبَتْ فَكَانَ عَلَىٰ أَنَّهُ مُوَكَّلٌ﴾ [البقرة: ٣٧]

١٨ - ماهي الجنة التي جرت فيها أحداث قصه آدم

قد يتساءل بعض المدرسين ماهي الجنة التي حُرث فيها أحداث قصة آدم
عليه السلام؟ هل هي الجنة المعروفة، دار سعيدة التي أعدها الله لمعتقين؟ أم هي
جنة أخرى في مكان آخر؟

يذهب بعض العلماء إلى أن الجنة التي حُرث فيها تلك الأحداث سميرة
ليست هي دار سعيدة، وإنما هي جنة على الأرض، ستان حبيب مني الأشجار
المشجرة على جبل مرتفع، في مكان ما على الأرض

يقولون: خلق الله آدم، ووضعته في ذلك البستان (جنة)، وأوحى له الأكل
من أشجار ذلك البستان، وبها عن شجرة واحدة فيه، وكان إبليس مقيم في ذلك
البستان، ووسوس لآدم وحواء، وأكلا من الشجرة المحرمة، وأخطبهم الله من
ذلك البستان في قبة الحبل، وأرسلهم إلى مكان آخر محفصاً، فالأحداث كلها
جرت على الأرض!!!

وبما أن تكون لأحداث وقعت في الجنة دار سعيدة، لأسباب ذكرها،
منها:

١ - كلّف الله آدم في الجنة تكليفاً، بأن معه من لأكل من شجره، وجنة
دار سعيدة ليست دار تكليف، وإنما هي دار حرّ وتوابع، فكيف يكلف به آدم
في دار سعيدة؟ وكيف تكون أشياء مموعة في دار سعيدة؟

٢ - قام إبليس بالوسوسة والإغواء، وحلف بيمين بكذبه، وهذه فتاح
مردودة صدرت عن إبليس، ولا يجوز أن تقع في الجنة دار سعيدة، وبحث أن
تكون لجنّة امرأة عنها!

٣ - عصي دُم وحواء في الجنة بأن أكلتا من الشجرة، وعصى إبليس رثته قبلهما بأن رفض أن يسجد لآدم، وكثر بذلك، ولا يجوز أن تقع هذه المعاصي في الجنة دار سعيد، فهي منزلة عن المعاصي

٤ - أخرج الله دُم وحواء من الجنة بعد أن أكلتا من الشجرة، وأهبطهما إلى الأرض، ولو كانت هي دار النعيم لما أخرجهما الله منها، لأن من دحبه فيه لا يخرج منها، وإنما يبقى فيها محلاً

هذه الأسباب الأربعة - وغيرها - من لأحداث مشيرة حوت على حيز في الدنيا!

ون مع هؤلاء ساحتين في مذهبنا إياه، ونرى أن (جنة) التي جرت فيها لأحداث هي الجنة المعهودة دار سعيدة

وديب على ذلك ورود كلمة (الجنة) في عدة آيات تحدثت عن قصة آدم في القرآن، (الجنة) عند خلافه في القرآن تصرف إلى الجنة المعهودة دار سعيد، ولا تصرف عنها إلى الجنة المستب في يد إلا شربة صرفة في الآيات، وهذه بقربة غير موحودة في آيات قصة آدم

من ورود كلمة (الجنة) في القرآن بمعنى البستان المشجر، قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَكُونُهُمْ كَمَا نَلُونَا أَصْحَابُ نَجْدَةٍ يَوْمَ يَقْرَأُ النَّاسُ لَكُمُ الْفَرْقَ﴾ [القلم ١٧].

وقوله تعالى ﴿أَيُّدُكُمْ أَمْ كُنتُمْ تَقُولُونَ لَمْ نَجْعَلْ مِنْكُمْ شَرْبَةً وَأَعْيَاباً﴾ [البقرة: ٢٦٦].

إن السابق في هذه الآيات يشير إلى أنها (جنة) في يد، فيها من لأشجار ولثمار، والأعلى في ورود كلمة (الجنة) في القرآن أن يرد بها الجنة دار سعيدة

ولا محذور من وقوع أحداث قصة آدم في الجنة دار سعيد، والأسباب التي ذكرها أصحاب القول الآخر لا تقوى على رد هذا القول

إن ما قالوه صحيح، لكن بالنسبة للجنة دار الحراء يوم القيامة، يوم فيها من تدجن الله المؤمنين الصالحين الجنة برحمته، ليعموا فيها حرماً وثوباً بهم على صلاحهم واستقامتهم في الدنيا، ومن دحبه فيه لا يخرج منها، ولا يمكن أن تقع

فيها معصية، ولا تكيف فيها ولا مسوع ولا مخطور، ومؤمنون معصون فيها،
يُباح لهم كل ما فيها

يكون هـ في ليلة يوم القيمة، مكافأة وثواب للمؤمنين، لكن هـ لا يصح
أن يكون في ليلة يوم حق لله دم سلاء وامتحان بالتكليف، وأن يكون فيها
مسيوعات، وأن يكون فيها محاصيات. وأن تقع فيها معاصي، وأن يُخرج الله من
عصى منها وهو ما جرى من أحدث قصة آدم!

قد شاء الله حكيم أن يحدث هـ في ليلة در سعيم، وقدّر وقوعه
بحكمته سبحانه وتعالى، بيّنه قدره سبحانه، هي برزخ لإسباب الخليفة إلى
الأرض، أي أن أحدث قصة دم في ليلة در سعيم حادثة خاصة استثنائية،
وقعت بأمر الله وحكمته ونبت حادثة خاصة لم تتكرر، ولم تحدث مرة ثانية!

قال حنّ عبد الله أن أحدث القصة وقعت في ليلة در سعيم للمؤمنين
الصالحين!!

١٩ - احتجاج آدم وموسى عليهما السلام:

وتجها أكر دم عليه سلاء من شجرة ومعصيته، بأنه فعل ذنب سيئ غير
ذاكر، ولم يكن قاصداً ولا عازماً ولا متعمداً.

وحتى نحس بهم هـ الأمر مشكل، يستعرض حديثاً صحيحاً لرسول الله
ﷺ، أحسن بعد عن حور ورحمة حور من سبتين تكريمين آدم وموسى عليهما
السلام، بشأن أكل آدم من الشجرة وبر له إلى الأرض

روى أبو دود [برقم ٤٧٠٤] وميث [٢ ٨٩٨] عن عمر بن الخطاب
رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ قال: «قل موسى يا رب، أبوء آدم، أخرجنا
ونفسه من الجنة»

فأراه الله دم فقد أنت آدم؟

فقال له: نعم!

قال أنت الذي صبح الله فيك من روحه، وأسجدت ملائكته، وعلمك
الأسماء كلها؟

قال نعم!

قال فما حفلت على أن أخرجته وبغضت من الجنة؟

فقال له دم من أنت؟

قال أنا موسى

قال أنت موسى بن إسرائيل الذي كنمت لله من وراء حجاب، فله
يجعل لك وسه رسولاً من حقه؟

قال نعم!

قال: فتلو مني على أمر قد سبق من الله القصص قبلني؟

فقرأ رسول الله ﷺ عبدك فتح آدم موسى، ففتح دم موسى،

وهذا رواية أخرى بعد الحديث، فقد روى البخاري [رقم ٣٤٠٩]

ومسلم [رقم ٢٦٥٢] عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ، قال
«فتح موسى دم عبيهما سلا»، فقال له أنت الذي أخرجك من سدس سدس
الجنة وأشقيتهم؟

قال آدم يا موسى أنت الذي اصطفاك الله برسالاته ويكلامه، أتدوني
على أمر قد كنته لله عني، أو فذره عني، قل أن يحسني؟

قال رسول الله ﷺ: ففتح آدم موسى.

أخبرنا رسول الله ﷺ عن يوم موسى لأدم عنهما اسلام، لامة على كنه
من الشجرة، الذي نزل عليه إخراجك منه وسبه من نجه، أنت الذي أخرجت
سدس سدس من الجنة وأشقيتهم؟

وفدرد عليه آدم بقوله: أتدوني على أمر، قد كنته لله علي قبل أن يحسني؟
وكنت حجة آدم أوضح، وردّه على موسى أقوى، وشهد به رسول الله ﷺ
بالغلبة، في قوله: «فتح آدم موسى».

عسر بعض بعضاء أن آدم فتح موسى، لأن موسى لامة على أكله من
الشجرة، وهو الذي تاب منه، ففتح عليه آدم، بأن الله قد كتب وقدر عليه
الأكل من الشجرة، قبل أن يجعله أكلما، يؤمّه موسى على تركاب ذنب قدره الله
عليه ثم تاب منه، فتاب الله عليه؟ وبما أنه تاب منه وتاب لله عنه فلا وجه يومه!

وبالإمام الحافظ ابن كثير فهم ويعني طبت جده ، ذكره في كتاب (فصوص
الآباء) [صحه در الحير بدمشق ٣٦] قد وثقه لأنه على جرحه بصفه
وذكره من الجدة

فقال له آدم ان لم أخرجكم ، وإنما أخرجكم الله ندي رتب الإخراج على
أكلي من الشجرة ، وقد رتب الله ذلك وكتبه وقدره علي ، من أن أحس ، فأت
تلومني على أمر ، ليس له بسوء إني أكثر من نبي يهتد عن لأكل من الشجرة ،
فأكلت منها ، وكون الإخراج من نحة مرتبة على لأكل ، ليس من فعلي ، بما هو
من فعل الله ، فان لم أخرجكم ولا نفسي من نحة ، لأن هذا الإخراج كان من قدر
الله وصنعيه ، وله الحكمة في ذلك .

والخلاصة أنه إن كان يوم موسى لأدم على نحه من شجرة فلا معنى به ،
لأن آدم نكل منها ناسياً ، ولأنه تاب منه ، فتاب الله عليه ، ويد أدب المستم دت ثم
تاب منه فلا وجه لومه ، ويدت حج آدم موسى ، وذكره بأن الله قدره عليه فمن
حقيقه ، وقد تم بصر على الدرس لأن الله قدره عليه ، وبما سارع دلتونه منه

وإن كان يوم موسى لأدم على إخراج نحه ودينه من نحة بسبب لأكل
من الشجرة ، فلا معنى له أيضاً ، لأن آدم ليس له إرادة في الإخراج من نحة ،
وبما الإخراج كان بقدر من الله وحكمته ، والله رتب إخراج آدم من نحه على أكبه
من الشجرة ، ولذلك كان أكله من الشجرة بأالإخراج ، والمسيب والمقل هو
الله ، فبما يدوم موسى آدم على شيء لم يفعله ، لأنه من فعل الله

٢٠- هل كان إنزال آدم إلى الأرض عقوبة له:

أمر الله بإنزال آدم وحواء والنس من نحة إلى الأرض ، بعدما أكل من
الشجرة ، قال تعالى ﴿ فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقَدْ أَهْبَطُوا بَعْضُكُمْ
بَعْضًا عَذْرًا ذَكَرَ فِي الْأَرْضِ مُسْفَرًا وَمَنْعَ الْجِيءِ ﴾ [الشجرة ٣٦]

وقد تعالى ﴿ قَالَ أَهْبَطُوا بَعْضُكُمْ بَعْضًا عَذْرًا ذَكَرَ فِي الْأَرْضِ مُسْفَرًا وَمَنْعَ الْجِيءِ ﴾
﴿ قَالَ يٰٓأَيُّهَا عَادٌ وَإِبْرَاهِيمَ تَشْكُرُونَ وَمِمَّا تَخْرُجُونَ ﴾ [الأعراف ٢٤-٢٥]

وقد تعالى ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلٰٓئِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ
أَفَىٰ ۖ فَلَمَّا نَسُوا مَا كُنُوا عِدُوًّا لَّكَ وَلِرَبِّكَ فَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ سَفَهَ ۚ وَإِنَّ لَكَ أَلًا

مَجْرُوعٍ فِيهَا وَلَا تَقْرَأُ ﴿١١٦﴾ وَأَنْتَ لَا تَقْضُوا فِيهَا وَلَا تَتَّبِعْنِ ﴿١١٧﴾ فَمَنْ مَوْصُومٌ إِنَّهُ الشَّيْطَانُ قَالَ
تَعَادَمَ هَلْ أَدَمْتُ عَلَى شَجَرٍ الْخَلْدِ وَمَنْ لِي لَا يَلِي ﴿١١٨﴾ فَأَحْكَلَا فِيهَا قَدَاتَ لَحْمٍ سَوَاءٍ ثُمَّمَا
وَكَيْفَ مَحْصِيغَانِ عَيْنِي مِمْ وَزِي لُجْنَةٍ وَعَصَى آدَمَ رِيْمُ قَمُوقِ ﴿١١٩﴾ ثُمَّ تَقَنَّهَ رِيْمُ قَسَبَ عَلَيْهِ
وَهَذَى ﴿١٢٠﴾ قَالَا أَفَاطَلَتْ بَيْنَكُمَا جَنَّةٌ مَبْعُوثُكُمَا بَعْضٌ عَذُو ﴿١٢١﴾ [طه. ١١٦-١٢٣].

كان آدم في الجنة في عيب، لا يحوج ولا يعري، ولا يضأ ولا يذئ بخرو
شمس وقت صبحي ﴿١١٦﴾ لا لك لا لمجوع فيها ولا تقري ﴿١١٧﴾ ونك لا تطمؤ بها ولا
نصحي ﴿١١٨﴾

وهذا عز موم له على الأرض، فإن خرج من الجنة إلى الأرض فسوف
يشقى ويكد ويتعب ﴿١١٩﴾ فلا تحرجكما من الجنة فتشقى ﴿١٢٠﴾

ولذلك أخبره الله بأن عداوة ستحكمه علاقه به وبين يمين، وبين معط
أفراد دريه ﴿١٢١﴾ قَالَا أَفَاطَلَتْ بَيْنَكُمَا جَنَّةٌ مَبْعُوثُكُمَا بَعْضٌ عَذُو ﴿١٢٢﴾

وهذا ما حصل من نير من أسائه، حيث عدا أحدهما على أخيه بشقيق
فقته صماً وبعياً وعدواً، مع أن لهما هو آدم عليه سلام

وقد يتساءل بعضهم: عصي آدم في أكله من الشجرة في الجنة، ثم أمر به الله
بعد ذلك إلى الأرض، فهل كان إرأه إلى الأرض عقوبة به؟

قد يجيب بعض العلماء على السؤال بالاحتجاب، ويعتبرون ذلك بأن آدم عليه
سلام عصي في أكله من الشجرة، وبذلك صلب نفسه باعتزافه، ولأنه لله عبي
ومعصيته، ثم عاقبه بأن أمر به إلى الأرض، فلا مكان له في الجنة بعد معصيته،
وحرم منه من يميمها بمحافتة، ومكانه هو الأرض، حيث شغل والكؤ ولجوع
والعطش والسعي والنصب!!

ولا توافق هؤلاء على أن إرأه من بحه كان عقوبة به، ويرى أن الله سم
يعاقب آدم عليه السلام لأكله من الشجرة.

سم يعاقبه لأنه أكل من شجرة ناسية، ولم يكن عامداً أو عارفاً أو دصداً،
والناسي لا يعاقب!!

ولم يعاقبه لأنه سارخ بالشبهة والإبادة والاستعصار، فذات لله عهده وعقره به،
﴿فَتَنَى آدَمَ مِنْ رَبِّهِ كَيْفَ تَقَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ الْتَوَكُّبُ الرَّحِيمُ﴾ [لقم. ٣٧] وكيف يعاقبه

عني فعليه بعدت رحمة وحقر له وناب عنه" ب معني توبة لله عنه عدة مؤ حدة
عني ما صدر منه

و فرق بين ما صدر من آدم وما صدر من يسر منه ب دم سارح بى توبة
والاستغفار لمحور احسنه بمعصيته، وما سرر ديث، كذا انه لم يستكفر عن
لدم والتوبة، ولدت عتم لله ووب عنه، ولم يعف عنه عني ما صدر منه

أما بين فية لم يعرف لذه، وما سراج عن محضه، ولم يسارح بى
دم وتوبة والاستغفار، وقصر عن محضه واستكباره، ولما سألته عن سبب
عدم سحوده باع بكنهه وافتحاره، و... له آخر منه، خلقتني من نار وخلقته
من طين، وتابع إصراره على وسوسته وإغوائه للزينة ادم، وبعدهم عن صريق
لا يبار، وحذر رسته في الحجة بفساد لاس، وبعد بدت ماء لله ا ولدك
بعنه لله وعصب عليه، وصرده من نحة مدموما مدحورا، وأهبطه إلى الأرض
عقوبة له ا.

إد كك بحر ح بلس من نحة وبر به إلى الأرض عقوبة له، بسمام يكن
إحرج دم من نحة وإبراه إلى الأرض عقوبة له، بتوجيه لذي قدمه

كان إحراج آدم من النحة بى لارض شيد لردة لله في حمله حبيقة في
الأرض، فأنه شاء جعل دم حنقة في لارض، وأخير لملائكة بدت قل حني
آدم، والله شاء أن يمكث آدم فترة في نحة، يستمتع بعيسها، ثم تصدر منه
المحاجة بأكفه من الشجرة، والله ثبت بحر حه من نحة إلى لارض عني تلك
المحاجة، لتعبد يراده، وتحقق قدره

بأ دم مخلوق ليكون حنقة في الأرض، لا يعيش في نحة في نك
المرحلة من حياته، وحادثه في النحة مؤقتة، لأنه أن يبرن بعدها إلى الأرض،
ليقوم بواجبه في خلافة اهد، بعيد عن اغتراب به من نحة إلى لارض عقوبة
له ا والله أعلم.

* * *

الفصل الثاني

إشكالات حول قصة نوح عليه السلام

تحليل وتوجيه

الفصل الثاني

إشكالات حول قصة نوح عليه السلام

تحليل وتوجيه

١- نوح: اسم علم أعجمي:

(نوح) اسم علم ثلاثي، أُطبق على أول رسول أرسله الله إلى الأرض وقد يدهش بعض الباحثين إلى أن اسم (نوح) عربي، وأنه مشتق من (النَّوح) وهو السكاء، يقال: نوح، يوح، نوحاً، أي بكى بكاءً، وهذا قول مردود، لأنَّ للغة العربية لم تكن قد نشأت زمن نوح عليه السلام، وإنما ظهرت بعد ذلك.

والراجح أن (نوحاً) اسم علم أعجمي، وأنه لا صلة بينه وبين النوح والسكاء في اللغة العربية، وقد زعم بعض رواة الحرافات أن رسول الله نوحاً عليه السلام سُمي بذلك لأنه كان يكثر النوح والسكاء، لكن هذا رعم بطل.

وبما أنه اسم علم أعجمي فلا بحث له عن معنى في لغت العربية، كما رجَّحنا أعجمية أسماء: آدم وحواء وإيليس.

ورغم أن (نوحاً) اسم علم أعجمي إلا أنه مصروف، وليس مصوعاً من انصرف، مثل أسماء آدم وحواء وإيليس وإبراهيم وإسماعيل، وغير ذلك.

والسبب في عدم منعه من الصرف أنه ثلاثي ساكن الوسط، واسم العلم الأعجمي إذا كان ثلاثياً ساكناً الوسط يكون مصروقاً في الإعراب، مثل نوح، ولوط.

٢- كيف تحول قومه من التوحيد إلى الشرك؟

نوح عليه السلام هو أول رسول أرسله الله إلى الأرض، وقبده كان آدم أبو البشر عليه السلام أول نبي بعثه الله إلى آتائه.

وَنُراجِعُ تَهْ لَا يُوْحِدُ أَسْبَابُ أَوْ رَسُلٌ مِّنْ دُونِ وَبُوحٍ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، بَعْدُ
وَرُوْدُ دِيْثِ صِرْحَةٍ فِي الْأَمْرَانِ وَالْأَحَادِيثِ بِصَحِيحِهِ وَمَا يَذْكُرُهُ بَعْضُهُمْ عَنْ سَوِّفَ
(ثَبَتَ) وَ(دَرَسَ) بَيْنَهُمَا سَوِّفَ عَلَيْهِ دِيْثٌ مِّنْ حَرَمٍ وَرُسُلَةٍ

ولا يوجدُ علماً دليلٌ من القرآن واسمه على سوء (شئت) فسوفُ في قول
نبي، لا شيء، أم (أدريس) عنه سلام وبر حج من حلال انقصاص
بقراي - أنه جاء رسولاً بعد بر همه عنه السلام، ويدل بر حج عدم وجود
سبي ورسول بر آدم ويوح عليهما السلام!

وقد يورد بعض مؤرخين ولاحد من أسماء ماء بوج، وسخون سلسلة
السابية وبين دم عبيهم، السلام. وان حج أن هذا ليس عليه دليل عذب، لعدم
وروده في آيات ولاحدِيث نصحيحه، وقد أخذ لإخباريون سلسلة لسبب من
إسْر نبيات، ورويات عهد غديم، وهذه لا تصلح أن تكون دليلاً مقولاً في
السلام!

بِلاَ عَرَفِ اسْمَاءِ اَبِيهِ بِرَبِّهِ اَمَّا اَبُوهُ فَاَعْلَمُ بِهٖ وَبَيْنَ اَدَمَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، كَمَا اَنْتَ لَا
عَرَفُ عَدَدَهُمْ، وَلَا بَصَرُ اَنْحَثِ مَدَنُ

وكتب يعرف أن الناس في قوم نوح كانوا مؤمنين بالله، موحدين له، وهم يكنّ بينهم شرك أو كافر، وأول ما صهر كتموا وتكبروا في قوم نوح، وبدلت بعث الله لهم نوحاً عليه السلام نبياً رسولاً ۱.

لإيمان والتوحيد أصيل، وهو أول ما وُجد على الأرض، وتحقق في آدم
عليه السلام وأولاده وأحفاده، فكيفهم كبر موحدين لله، والشرك وكفر طريفة
شدَّ عرسه، صهر من بعض الناس بعد ربهم، وتحقق وجوده في قوم نوح

هذه حفيضة سلامية، قررتها آيات القرآن، وأحاديث رسول الله ﷺ

قَالَ تَدْعُنِي ﴿كَانَ الْإِنْسَانُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُخْبِرِينَ وَهُدًى وَآمُرًا
مَعَهُمُ أَنْ يَتَّقُوا يَوْمَ تُفْعَلُونَ فِيهَا أَخْتَقُونَ فِيهِ وَمَا أَدْرَاكَ أَنْقُوتَ مِنْ
نَعِيمٍ مَا جَاءَ تَهُمْ أَلَيْسَتْ بَنِي آدَمَ فَهَذِي آدَمُ الْأَوَّلُ إِنَّمَا أَخْتَقُونَ فِيهِ مِنَ الْحَقِّ يَأْتِيهِ-
وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [البقرة ٢١٣]

مقرر الايداع أو الناس في مدينة بيريج مشرية كيو (نعمه واحده)، مؤمير

بالله، مؤخرين، ثم جاءت آيات بعد ذلك، يقدون للشيطان، وكفرو بالله،
فبعث الله فيهم سنين مبشرين وموعدين، فعبدوهم إلى الله، وأمرنا معهم لكتاب
ناحق، أربع حلاف، ونحو الأربع، ونقسم باسم إلى قسم قسم آمنوا
بالله، واهتدوا بكتابه، وقسموا نصروا على كفرهم وسأعهم للشيطان

روى مسلم [رقم ٢٨٦٥] عن عاصم بن حمير رضي الله عنه، أن
رسول الله ﷺ قال يوم في حصته: «لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا أُعَذِّبُكُمْ مَا أُهَيِّئُ
مِمَّا عَنِّي، يَوْمِي هَذَا كَرَّمْتُ بِحَقِّهِ عَدَّةَ حُلَالٍ، وَبِي حَقَّتْ عِدَّتِي حَقًّا
كُنْهِمُ، وَبَيْنَهُمْ بَنِي صُصَّ، وَحَسَنُهُمْ عَنْ دِينِهِمْ، وَحَزَمْتُ عَلَيْهِمْ مَا أَحْبَبْتُ
لَهُمْ، وَأَمَرْتُهُمْ أَنْ يُشْرِكُوا بِي مَا لَمْ أَنْزِلْ بِهِ سُلْطَانًا»

نص هذا الحديث على أن باسم يدعو على وجه الأرض حنفاء مؤمنين
مؤخدين، وهذا ما كان عليه آدم عليه السلام وتابوا ودرته من بعده، وستمروا
على التوحيد فترة من الزمن!

ثم صرا أشرا بعد ذلك، حيث جاءت شياطين بالحيث بعد ذلك،
واستحدوهم عليهم، و(اجتالهم) وعد فيهم عن دين الحق، وأمرتهم أن يشركوا
بالله، وأن يعبدوا معه الأصنام والأوثان

عند ذلك بعث الله لهم نوحاً عليه السلام نبياً رسولاً، فبهى قومه عن عبادة
الأصنام ولشرك بالله، ودعاهم إلى الإيمان بالله وتوحيده، وكن لقوم كدوده
ورفضوا دعوته!

وقد ذكر القرآن أسماء خمسة آلهة كان قوم نوح يعبدونها، وأصروا على
عبدتها قال تعالى: ﴿وَمَكَرُوا مَكَرًا كَبِيرًا وَوَدُّوا لَأْسًا لَا تَرِئَهُمْ يَهتِكُ وَلَا تَسْرُودُ وَلَا
سُوءًا وَلَا يَفُوتُ وَيَعُوْثُ وَيَشْرِكُ﴾ [نوح: ٢٢-٢٣].

الآلهة الخمسة هي: وده، شواع، بعث، يعوق، سراً

وذكر ابن عباس رضي الله عنهما كيفية إحراق قوم نوح عن توحيد الله،
وعبادتهم للآلهة الخمسة المذكورة.

روى البخاري [رقم ٤٩٢٠] عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «كتب
هذه أسماء رجال من جن من قوم نوح، فيما هلكوا أوحى شيطان إلى قومهم
أن يصوروا إلى محاسنهم التي كانوا يحلمون أنصافاً، وسفوفها بأسمائهم،

فصنعوا ، فلم تُغند ، حتى إذا هبت أوثث ، ونسخ العلم ، عُدت «

يذكر ابن عباس رضي الله عنهما في هذه الرواية الموقفه عنه أن الشراة
حاة قوم نوح بالسريخ ، وليس دفعة واحدة ، وهذا من حيث شياطين وكده

كان في الأحوال مدسه من قوم نوح أسن صلحوا ، هم وذو سواغ
وبعوث ويعوق وسره ، وكذا قومهم بحوبهم بصلاحهم وبقوهم ، وبما ماتوا
ستمرو قومهم في محبتهم ، فاستعمل استنصاح هذا ، وحاة إلى قوم ، ودخل إليهم
من هذا الباب ، وفاء بهم أتم بحول لصلحين بدين ماتوا ، اصنعوا لهم
تماثيل ، وصور لهم أصدا ، وتكن هذه التماثيل والأصدا تشبههم تماماً ،
وصنعوا هذه التماثيل في محبتهم التي كانوا يجسسون فيها ، تنظروا إليها عندما
تمردون بها ، وعد ذلك تذكريهم باستمرار ، ولا تسوهم ، وتبقى محبتكم لهم !

واستجبت ذلك الحيل لإيحاء الشيطان ، ولم يدركوا أبعاد الحظيرة في
المستقبل ، وصنعوا تماثيل لهم ، وشبهوا في مجالسهم ، ولم يعدوا ، إنما بقوا
متذكرين لهم !

ومات ذلك لعين ، وجاءت أحيال بعده ، ورأوا تلك التماثيل منصوبة شنته
في سجنس والمبدين ، ولم يعرفوا حقيقتها ، ولم يعلموا ما كان عيب أصحابها
من يمد بالله واستقامه على طريقه .

واستعمل شيطان حيث جهنهم بحقيقة ، ورين بهم عاداتها ، على أنها
آلهة في الأرض ، تشارك الله الحاصل ، فإذ عسوها قرنتهم إلى الله رضى ، فأشركوا
بالله ، وعدوا تلك الآلهة التماثيل !

وهكذا حدث شرك بالله وعدة لأصنام والأوثان في قوم نوح عبيه
السلام ، فجاءهم نوح عليه السلام ، وأنكر عليهم عادة غير الله ، بكنهم أصروا
على كفرهم !

٣ - بقي نوح معهم حوالي ألف سنة !:

بعث الله نوحاً عليه السلام نبياً رسولاً إلى قومه ، بدعوهم إلى عبادة الله
وحده ، وهو أول رسول أرسله الله إلى الأرض ، وأدم قبله كان نبياً ولم يكن
رسولاً

روى البخاري [رقم ٣٣٤٠] ومسلم [رقم ١٩٤] في حديث لشدة
الطوبى، عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ قال: «**يَأْمُرُ
بُوحًا مَقُولُونَ** يَا بُوْحَ أَنْتَ أَوَّلُ الرُّسُلِ إِلَى الْأَرْضِ، وَسَمَّاكَ اللَّهُ عَبْدًا شَكُورًا،
أَشْفَعُ لِي رُبُّكَ، أَلَا تَرَى مَدْحَنَ فِيهِ؟» أَلَا تَرَى مَا قَدْ سَعَى؟
وطلبت بوح عليه السلام من قومه أن يعبدوا الله وحده، وأن لا يشركوا به
أحدًا

قال تعالى ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ تَقَوُّوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِهِ﴾ [الأعراف: ٥٩].

ولكن لملا من قومه فصوا دعونه وأصرُّوه على كفرهم ﴿وَمَكَرُوا مَكْرًا
كَبِيرًا﴾ وَهَلُوا لَا يَدْرِيءُ الْهَيْكَلُ وَلَا يَدْرِيءُ وَلَا سَوْلًا وَلَا يَمُوتُ وَنُوحٌ وَنِسَاءُ النَّاسِ لَمَّا
أَمَرُوا كَيْدًا وَلَا يَرِيدُ نَجْدًا﴾ [سوح ٢٢-٢٤]

وقد استخدم نوح عليه السلام معهم مختلف لأساليب في الدعوة، فمن
أسلوب الترغيب، إلى أسلوب التهيب، إلى أسلوب تحبيب، إلى دعوة
الرية، إلى الدعوة لعلية، إلى الدعوة في الليل، إلى الدعوة في النهار

وقد أخبر عن بعض هذه الأساليب قوله تعالى ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَبًّا
وَمَا كُنْتُ بِمُرْسِيٍّ عَلَيْهِمْ وَلَا مُرَادًّا لَهُمْ فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ
وَأَقَاتِهِمْ وَاسْتَقْبِلْهُمْ وَأَصْرُوا وَاسْكُرُوا شَيْئًا كَرًا﴾ ثُمَّ فِي دَعْوَتِهِمْ جَهَادٌ ثُمَّ فِي
أَعْبَادِهِمْ وَشَرِّتْهُمْ شَرًّا﴾ [سوح ٥-٩]

استمر يدعوهم بهذه الأساليب المختلفة مدة طويلة، ثم نكس شهرًا ولا
سنة، ولم تكن عشر سنوات ولا مئة سنة، إنما كانت ألف سنة لا حمس عمادًا
قال تعالى ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَبُذِّلَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ
سَنَةً﴾ [العنكبوت: ١٤].

تسمته وحمسونه وبوح عليه السلام وسط قومه، يدعوهم إلى الله في
الليل والنهار، والسر والعلانية، صبح ويزهد، ويرغب ويرهب، ويدقش
ويجادل وصره، ويوحه ويتحدى، وهم يرددون عليه بالاسم والسر، والسمرة،
والإغراض، والكفر والكذب! ومع ذلك بقي نوح عليه السلام طول
هذه العتات من السن داعية صابرًا ثباتًا شطًا.

إيه في هده الحادثة (الهدوء) بعد ديس شه. سوذو و حنهم بصير و شابت
و شاده مع ان عماره قضيه لا تعدى عشرات سنه. في مغان عفر نوح
عليه السلام في الدعوة الذي امتد إلى مئات السنين!

و راکب و ح حده سلام في مدعو قومه في لإيمان بالله سبحانه و حمسن
سنة، قبل معنى هده أنه عاش أكثر من ألف سنة! فقد عاش مدة من ابوس قبل
النبوة، لا نعلمها، وعاش مدة بعد الطوفان، لا نعلمها!

و قد يستعرب بعض قصص صف و حنني لعقول من معاصره من هده
و يرويه من غير معقول. بعض يشار أكثر من ألف سنة! لأنه يقسم أعمار
ناس في ذلك زمان على أعمار ناس في هده عصر، فمتوسط أعمار ناس في
عصرنا هو ستون و سبعون سنة، من معقول. حنوني يقول: فلا عاش منه
سنة، أه عاش منه و حمسن سنة. أم لا قبل فلا عاش في سابعي ألف سنة
فهذا غير معقول!

صحت العنبر. ياديه هده ناس يستعدونه هده، لا علوبهم صغيرة،
أم صحت عقول خدانية. يدين شكك مقدرات علوبهم و هو خدش يقرب
فيهم لا يستعدونه، و لا يتعدونه، و لا يتعدونه بمقتضى مقبول

قد ورد هده في صريح نبي: ﴿فَبَشِّرْهُ بِمَا كُنْتَ لَاحِقَ بِهِ مِنْ عَذَابٍ﴾
و يؤمن يؤمن بعد أن عليه هده، و يعضد من كذب صريح نبي الله كفو،
و لأية صريحة في نوح عليه السلام نبي رعا في قومه سمعت و حمسين
عاماً!!

و في ياديه نوح الشريه كده هده ناس فيلأ، و يدك عاص لله فده عدد
ناس يقول معمر، حيث كادو يعيشون حوي ألف سنة، و في عصرنا أكثر عدد
ناس، و يدك تافضت عمرهم، و صاب ناس ناس و سبعون، و قرن من
يتجاوز ذلك!

و أخبرنا ابن عباس رضي الله عنهما أن المدة سنة من دم و نوح عبيد
السلام كانت عشرة قرون

و في نسخة من نسخة [٢٠٠ - ٢١٠] من نسخة من نسخة من نسخة

عنه قال «كان بين نوح و آدم عشرة قرون، كلهم على شريعة نوح، فاجتمعوا،
فبعث الله سبيبين مُبشِّرين ومُبذِّرين»

ومدة القرب في ذلك زمان بين كمدة قرون في زمان، لأن مدة اقرون هي
متوسط أعمار الناس في زمان، وبما أن متوسط الأعمار في زمان حوالي سبعين
سنة، بذلك مدة القرب في زمان حوالي سبعين سنة، وليس منه سنة ونصف كما
يظن بعضهم -.

وبما أن متوسط أعمار الناس زمان نوح عليه السلام حوالي ألف سنة، لذلك
كانت مدة لقرون في ذلك الزمان حوالي ألف سنة.

ومدة القرون العشرة بين آدم ونوح حوالي عشرة آلاف سنة، وكان الناس
مؤمنين موحدين طيبة عشرة آلاف سنة، ثم حدث بكمثر بعد ذلك

وبما أن أعمار الناس زمان نوح عليه السلام طيبة تقارب الألف سنة،
فليس غريباً ولا مستعجباً أن يعيش نوح عليه السلام أكثر من ألف سنة!!

٤ - معنى خيانة امرأة نوح له:

أخبرنا القرآن عن موقف بعض أفراد نوح من دعوته:

- والده مؤمن بالله، ودخل في دينه، ولذلك ستعمر الله لهما، قال
تعالى ﴿رَبِّ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَابْنِ مَرْيَمَ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شِرْكٌ مُّؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنِينَ وَآمَنَ مَعَهُمْ﴾ [نوح
٢٨]. ولو لم يكون مؤمنين به لما دعا الله لهما.

- أحد أبنائه كان كافراً، وسعوداً لهده بمسألة بعد فحين يرد الله

- امرأته كانت كافرة، فقد دعاها نوح عليه السلام إلى الله، وبكبرها رفضت
دعوته، وأصرت على كفرها، ومن صعوبة تكفير عن السيئ الرسوب أن تكون
امرأته على غير دينه، ومع ذلك يعاشرها ويعيش معها، ويبحث معها الأولاد!

مرأة نوح كمرأه نوح، ووصفهما الله بخيانة، قال تعالى ﴿حَرَبَكَ اللَّهُ
مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا أَمْرَأَتُ نُوحَ وَأَمْرَأَتُ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ صِدْرَيْهِ مِنْ عَصَاوَنَاتٍ فَكَلِمَتَا
فَعَسَاوَاهُمَا فَلَمْ يَتَّبِعْهُمَا مِنْكَ اللَّهُ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا الْجَنَّةَ مَعَ الْأَخِيَيْنِ﴾
[التحریم: ١٠]

وعد لا نحسن بعضهم فيهم حياة امرأة نوح له، فحملها على الحية في
العرص، ويسب لها ارتكاب فاحشة الزنا!

ويستدل على هذا الفهم للحية بقوة تعالى عن نوح ﴿قَالَ نَسُوا اللَّهَ
فَإِنَّهُمْ أَكْفَرُ مِنْكُمْ وَالنَّارُ أَسْفَلُ مِنْ عُثْرِكُمْ﴾ [هود: ٤٦]

فأبته ليس من أهله، لأن امرأته خائنة في عرضها!!

وهذا كلام مردود، وألم نزل امرأة نبي قنقذ، وهرش الأبناء طاهر، لم تلوثه
امرأة أحديهم بالزنا!!

ومعنى حياة امرأة نوح له حياستها في دينه، أي أنها أصرت على الكفر،
رغم دعوة نوح بها، وقد تكلم روحه النبي. أما أن تربي فلا!

واعتبر لقرآن كفر امرأة نوح حياة له، لأنه نبي رسول، ودعاه إلى الله،
وألصل في أمره أن تكون موافقة له في دينه، لأنها قرأت أساس إيمه، فلو خالفته
في دينه، واختارت غير طريقه، كانت خائنة له!

• متى دعا نوح على قومه؟

بعد أن عاش نوح عليه السلام مع قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً يدعوهم
إلى الله، لم يزمن به إلا عدد قليل، قال تعالى: ﴿وَأَوْحَىٰ إِلَىٰ نُوحٍ أَنْمَلْ لِقَوْمِكَ
مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ آمَنَ﴾ [هود: ٣٦]، وقال تعالى: ﴿وَمَا أَمِنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ﴾
[هود: ٤٥].

وبعد هذه المدة الطويلة دعا نوح على قومه قال تعالى: ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا
تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا إِنَّكَ إِن تَذَرَهُمْ قَبْلَكَ لَا يَذَرُهَا إِلَّا قَابِ
قُورًا﴾ [نوح: ٢٦-٢٧].

دعا نوح عبه السلام ربه أن يهبط بكافرين من قومه، وأن لا يبق فيهم
(دياراً) على الأرض، وهو الإنسان البغي، وعقل دعونه بأنهم مسدون صناديق،
لا خير فيهم، ومسدون غيرهم وصلوهم، وقد استشرى قسداً وعحق فيهم،
فهم لا يدسون لا قاحراً كقار أمثلهم! وما أنهم على هذه بدرجوس من امعاد فلا
داعي لبقائهم أحياء! ولذلك دعا الله أن يهلكهم!

وقد يسمى بعض الناس فيهم دعوة نوح على قومه وبوحبيهم، فبعتزها تبعته
لصيق صدره وصجره، وعدم صبره، ويعسره محطناً في هذه الدعوة

ويشهد على هذا ما عرفت نوح نفسه عليه السلام يوم قيامة فقد روى
لبحاري [رقم ٣٣٤٠] ومسلم [رقم ١٩٤] عن أبي هريرة رضي الله عنه عن
رسول الله ﷺ قال - في حديث شجاعه بطويل - «يقول لهم دُم عليه السلام
اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى نوح»

فيأتون نوحاً، يعزبون به نوح ابن أوز أرسل على لأرض، وسبّح الله
عبداً شكوراً. اشفع لنا إلى ربك! ألا ترى ما نحن فيه؟ ألا ترى ما قد صنع؟

فيقول لهم: إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يعصت قبله مثله، ولن
يعصيه مثله مثله - وبه قد كانت لي دعوة، دعوت بها على قومي، نفسي،
نسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى إبراهيم عليه السلام

والشاهد في الحديث قول نوح عليه السلام قد كانت لي دعوة، دعوت بها
على قومي! أي أنه كان محطناً في دعوته على قومه، وأدرك بحسن بعدائه يوم
القيامة.

أما خوفه من الأهوال يوم القيامة فهذا حقيقة، لأن كل بحافون يوم
القيامة، لما سمر بهم من أهواله وأخطاره، في مشاهدته وبطائه، وكل لأبيه
بحافون في ذلك اليوم!!

إن نوحاً عليه السلام لم يكن محطناً في دعوته على قومه بالهلاك، ولم يصف
صبره على دعوتهم، ولم يصف صدره بهم، والذي عذب مع قومه حوالي ألف
سنة، داعيةً بصحاً موثقاً، لا يقاوم عنه إنه صادق صدره أو فقد صبره فدعى عليهم

متى دعا عليهم بالهلاك؟

بعد أن أحضره الله أن قومه أصروا على كفرهم، وأنه لن يؤمن من قومه إلا من
قد آمن! وأنه من يؤمن أحد من الكافرين بعد ذلك!

قال تعالى ﴿وَأَوْحَىٰ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدَّ آمَنَ فَلَا تَهَيِّئْ
لَهُم مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ﴿٣٦﴾ وَأَصْحَابُ الْفُلْكِ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيُنَا بِآلِ هَارُونَ فَطَمِّنُوا ۖ إِنَّهُمْ
مُفْعَرُونَ﴾ [هود ٣٦-٣٧]

لقد انتهت الفرصة المموحة لهم للإيمان، لأنهم لم يتنهروا، ولم
يستفيدوا منها وماذا يريدون فرصة أطول من ألف سنة لاجئين عاماً

علم الله أنهم لن يؤمنوا، لأنهم عبثاً مسكرون، طعمة محرمون، لم تؤثر
فيهم دعوة، ولم يتجنبوا الصيحة، ولذلك انتهى الأمر، وأعقب الناس، فقد آمن
من آمن، وبدت استماد وفار، وكثر من كفر، وبدت حاب وحرا

وأوحى الله إلى نبيه نوح عليه السلام بشيء كل شيء، فمن يؤمن من قومه
لا من قد آمن - وهم فلائل - ولآخر من احذروا بكفر، وأصروا عليه، بدلت
ختم الله على قلوبهم، فأصمهم وأعمى أبصارهم !!

عد ذلك دعا نوح عبده لسلام على قومه بالهلا، وقال ﴿ رَبِّ لَا تَسْرَ عَلَيَّ
الْأَرْضَ مِنْ أَكْثَرِ ذُنُوبِي ﴾

وولم يحزنه الله بالحتم على قلوبهم بالكفر لما دعا عليهم، فقد عذب معهم
حوالي ألف سنة صامتة متحملاً، لم يدع عليهم، لأنه كان يصنع في يديهم

أما وقد أحزنه الله بالحتم على قلوبهم، وأنهم لن يؤمنوا، وأن مهمته
عندهم قد انتهت، وأنه لم ينق إلا وفرغ العذاب بهم، فمن مناسب لأن يدعو
عليهم بالهلا، وقد جاءت دعوته في زمانها ومكانها مناسب، وكان على
صواب تام فيها !!

٦ - لماذا عرض على ابنه ركوب السفينة؟

أمر الله نوحاً عليه السلام أن يصنع سفينة، ولما انتهى من صنعها أحياه الله
أنه سيهلك القوم الكافرين، وسيعرفهم بالسوء ﴿ وَلَا تَحْمِلْ فِي السَّفِينَةِ أَنْفُسَهُمْ ﴾ [هود: ٣٧].

وأمر الله نوحاً عليه السلام أن يحمل معه في السفينة المؤمنين من بشر،
وما في المخلوقات الحية قال تعالى ﴿ حَقَّقْ إِدْجَاءَ أَمْرًا وَقَارَ السُّورِ فَلَمَّا أَنجَلْنَا نَحْنًا
مِنْ كُلِّ رَافِعٍ أَتَيْنَا وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عِلْمَهُ الْقَوْلَ وَمَنْ أَمَرَ ﴾ [هود: ٤٠]

لقد كان ركاب السفينة ثلاثة أصناف كما أخبرنا هذه لأنه
الاول. المؤمنون من أهل نوح، وهم أهل بيته الذين آمنوا وشعروا، ومن

معلوم أنَّ أهل بيته «نقصوا إلى صفتين مؤمنين وكافرين، أمره الله بحمل أهل مؤمنين، وسنشى تكفيرين منهم ﴿وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَقَىٰ عَلَيْهِ الْقَوْلُ﴾ ومعنى سقى عليه القول: احتار الكفر وأصرَّ عليه، وحقَّ عليه أمرُ الله، وسيقعُ به العذاب.

اشي مؤمنون من قومه، من غير أهل بيته، وكان عددهم فضلاً، كما قال الله ﴿وَمَنْ ءَامَنَ وَمِمَّا مَنَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ﴾

ولا يعرف عدد هؤلاء، لأنَّ الله لم يحبر عددهم، ولا يدهش إسي الأسر ثبات لتحديد عددهم، ويكفي أن يعلم أنهم قليل

اشت روحان اثنان - ذكر وأُنثى - من كلِّ المخلوقات حية، سواء كانت حيوانات أو حيور أو حشرات أو رواح - قال تعالى ﴿قُلْتُ أَتَمِلُّوْنَ بِهَا مِنْ كُلِّ رَوْحٍ أَتَقِيْنَ﴾

والنويين في (كل) نويين عوض - كما يقول سحويون - وهو عوض عن مصاف إليه محدود، واستعديز أحسن فيها من كل صنف روحين اثنين، من أصناف المخلوقات الحية.

والحكمة من هذا الأمر أن الطوفان سيكون عاماً، يشمل الأرض كلها، وستموت جميع المخلوقات الحية به، وحتى لا تنفرض المخلوقات الحية، يحمل في السببة معه ذكر وأُنثى من كلِّ صنف، تستأنف حياة هذه الأصناف بعد الطوفان.

وحمل نوح عليه السلام في السفينة الأصناف الثلاثة، وبدأ الطوفان، وفاز الماء من (التنور) وهو القرن الذي يُخبر فيه

ودعا نوح عليه السلام ومن معه ربهم ليحيهم، وشكروا على ما أعم عليهم به قال تعالى ﴿وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ نَجَّيْنَاهَا وَمَرَسَهَا إِنَّ رَبِّي لَمُعَزٌّ ﴿٤١﴾﴾ [هود: ٤١].

وقال تعالى ﴿فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنَا وَمَعَكَ عَلَى الْفُلِّ مَنِ اتَّخَذَ لِلَّهِ حِسَابًا مِّنَ الْفُلُوفِ الظَّالِمِينَ ﴿٢٨﴾﴾ [المؤمنون: ٢٨-٢٩].

ركوبهم السفينة باسم الله، وجريان السفينة وسط الأمواج باسم الله، وحفظها

وسط الأمواج من العرق باسم الله، ورسو السفينة باسم الله، وبعاء المؤمنين من العرق باسم الله . .

٧ - لماذا كان ابنه في معزل؟

سارت السفينة وسط أمواج الصوف، وارتفع بصوف أبي قحطم بحال، كما قال تعالى ﴿ وَهِيَ تَمْرِي بِهَيْمَتِي مَوْجٌ كَالْعِجَالِ ﴾ [هود ٤٢]

ونظر نوح عليه السلام من بعيد، فرأى أنه لكافر وحيد في معزل، فدعه إلى ركوب السفينة، ولكنه أبى .

وقد سجل القرآن ما جرى بين نوح وانه، وصور هذا المشهد مشير، قال تعالى ﴿ وَمَا دَىٰ نُوْحٌ أَنَّهُ وَكَانَ فِي مُقَابِلِ نَسْوَىٰ أَزْكَبَ قَعًا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكٰفِرِيْنَ ۚ قَالَ سَتَرْتُكَ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُكَ مِنَ الْمَآءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا نَجِدُكَ فِي مَوْجٍ وَخَالٍ بَيْنَهُمَا الْوُجُوهُ فَكَانَ مِنَ الْمُتْرَكِيْنَ ﴾ [هود ٤٢ ٤٣]

لما رأى نوح عليه السلام أنه في معزل، دعاه إلى أن يركب معهم لسفينة، وقال له: اركب معنا، ولا تكن مع الكافرين، ولكن أنه رفض الدعوة، وقال لأبيه سادعت إلى جبل يعصمني من الماء، ويعصمني من العرق، فأخبره نوح أنه لا نجاة ولا عصمة إلا لمن رحمه الله، والله لا يرحم إلا المؤمنين .

وبما كان الحديث مستمر آتين الأب وانه، جاءت موجة عاتية، فقطعت، وأحدثت الأسر معها، فكان من المعزفين ﴿ وَخَالَ بَيْنَهُمَا الْوُجُوهُ فَكَانَ مِنَ الْمُتْرَكِيْنَ ﴾

وقد يشكر بعضهم دعوة نوح أنه اركوب السفينة، ولا يحصل نوحية وتحليل هذه الدعوة، ويعتبر الدعث على الدعوة عاصفة (لآفة) التي سيطرت عليه .

يقول بعضهم إن نوحاً عليه السلام أت رحيم، وقد رأى أنه من بعيد، ورأى الأمواج تقترب منه، وأنه سيعرق، واشفق عليه من العرق، وبدت دعه إلى ركوب السفينة ليجو، مع أنه كافر، ولكن عاصفة لآفة تعلت عنه، وقد أخطأ في توجيه هذه الدعوة لأنه !!

وهذا توجيه غير سديد !!

له بوق نوح عليه السلام أن أنه كفر عندما رآه في معرول، ولو أيقن أنه كفر لما وجه له الدعوة لركوب السفينة، ولو أن عاصفه لأبوة كانت تحركه بحمله في سفينة بنا صعدا لركاب المؤمنين فيها، إنه به، فمما لم يركبه معه في السفينة؟ ولماذا لم يركب معه امرأته السفينة؟

لقد كان نوح عليه السلام له صريحا، بهاء عن حمل أي إنسان كفر من أهله ﴿قُلْ أَتَمِلُ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ آتَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَقَى عَلَى الْقَوْلِ وَمَنْ أَمَرَ﴾

إنه يعلم أن امرأته كفر، ولذلك لم يدعها لركوب سفينة عدا صلاتها، ويعلم أن به كفر، ولذلك لم يوجه له الدعوة لركوب سفينة عدا صلاتها، فلماذا يوجه له الآن الدعوة لركوب السفينة؟ لو كانت عاصفه الأبوة تحركه لأركبه معه من قبل.

إن حن بشكر دعوته لأنه هو في الحملة المعترضة - وكان في معرول - في قومه تعالى ﴿وَمَنْ نُوْحٌ نُّوحٌ وَكَانَ فِي قَوْمٍ مُّكَافٍ فِي مَقَرٍّ يَنْقُضُ مَقَرَّ﴾

ما معنى قوله: ﴿وَكَانَ فِي مَقَرٍّ يَنْقُضُ مَقَرَّ﴾

تحرر الحصة أن من نوح كان معترضا لقوم الكافرين في أنه بدأ الظروف عدد القوم الكافرين، واستعد عنهم، وتوجه إلى مكان آخر، ورفع هناك في ذلك المكان المعزل.

وبما كان وقف هناك في ذلك المكان المعزل وقع نظره عليه، ووجهه به وقف في ذلك (المعرول) فقد كان به مع القوم الكافرين، كفرأ مشبههم، ولذلك لم يركبه معه في السفينة..

وهذا لعل نوح عليه السلام سأل ما بهي جعله يأتي إلى هذا المعزل؟ ولماذا عذر جماعته الكافرين؟ جعله بدا به أن يومس، ولذلك عذرهم وتفصل عنهم، لأنه يريد أن يؤمن، بعدما شاهد الظروف؟

ولذلك أراد نوح عليه السلام أن يساعد الله على الانحياز إلى المؤمنين، للنحة من العرق، فوجه به الدعوة لركوب السفينة معهم ﴿يَسْقَى أَزْكَبَ مَقَرَّ وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ﴾.

ومما يرجع هذا الوجه والسحب تركيز نوح عليه السلام على سمعيه،

حيث دعا إلى أن يركب السفينة معهم ﴿ارْكَبْ مَعَنَا﴾، وبهذه عن أن يكون مع الكافرين ﴿وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ﴾، وعلى نكر (مع) مرتين هي لأنه يؤكد ترجيح هذا التوجيه

فمعنى قوله ﴿ارْكَبْ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ﴾ دعوة إلى أن يدعو إلى الإيمان، فامس ويدخل في دينك، وركب سفينة معك، ولا تكن كافراً مع الكافرين.

دعوته به لركوب السفينة، دعوته إلى الإيمان يتأهل لركوب السفينة، وبني حمته على توجيه هذه الدعوة به أنه شاهد وقفاً وحده في معرفته، تركاً للقوم الكافرين!

وردة الدين على دعوة أبيه بأنه يبحث عن مكاب من، بأوي يبه، وهو ذهب (صُعد) إلى قمة جبل، يعصمه من الماء، والماء يسبح قمة لجبل حسب تصوُّره!

فمن له أبوه ﴿لَا عَاصِمَ لِيَوْمٍ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ لا من رَجَعُ أي سيكون الطوفان عذاباً شاملاً، وسعمر فعم النجاة، فلا نجاة لك في جبل، ولا يعصمك الله من لظوف إلا بالإيمان. فمن آمن بالله رحمه الله، وهؤلاء ركاب السفينة معي مؤمنون، ولذلك رحمهم الله بالنجاة من الطوفان، فأمرني بحميتهم في السفينة، فتمسك من، وركب السفينة معك، فهي وسيلة نجاة واحدة!

وعند ذلك صاح الموح العاصم الأس بوقف في سمع، فأخذه معه، وبذلك انقطع الحديث بين الأب وابنه، وصار الابن من سمع قريب!

هذا هو الجزء الذي حمل الأب بوحاً عنه سلام على توجيه الدعوة لآبيه لركوب سفينة معهم، وبهذا يعرف أن (عاطفه لآبوه) لم تكن هي وراء هذه الدعوة، بل وقوفه به (في معرفته) بركب قومه معترلاً بهم، مما دفع الأب إلى نصر أن لا يرسد به أنه أن يمس، ولذلك جاء إلى هذا المعنى!!

٨- عتاب الله لنوح لسؤاله عن ابنه.

بعدما شاهد نوح عنه السلام عرف به أمام عيبه، مَنَّ الله عن ذلك، فعاتبه الله، ويُنَّ له حقيقة الأمر

وقال معاني ﴿وَنَادَى نُوحٌ ذُنُبَهُ مَقَالَ رَبِّهِ بِإِنْ تُبْقِي مِنْ أَهْلِي وَابْنًا وَصَدَاكَ أَكْثَرَ النَّاسِ وَأَتَى
 أَهْلَكَ الْمَرْكَبِينَ﴾ فان نوحاً بنو ليس من أهله، ثم عمل غير صحيح فلا تقتل ما ليس لك به.
 عني في عصفت أن تكون من العهدين، قال رب بني أعوذ بك أن أشتك ما ليس لي به.
 عني ولا تقرب لي وترحتني أكثر من العهدين ﴿هود ٤٥-٤٧﴾

يقصد نوح عليه السلام بقوله ﴿إِنْ تَبْقِي مِنْ أَهْلِي﴾ أن به لدي عرق من
 صلبه، ولهذا هو من أهله

ومعنى قوله: ﴿وَأَتَى أَهْلَكَ الْمَرْكَبِينَ﴾ أنت يا رب وعدني سبحانه أهلي
 المؤمنين، ووعدت حق واقع، لأنك لا تحلف سبحانه، وأنت الحكيم في فعلك،
 فهو صواب محض، وأنت أحكم الحاكمين.

يشوب نوح عليه السلام بي قول الله له ﴿فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفُ الْأُولَى قَرَّبُوا
 وَاهِلَاتُ لَأَمْ سَقُ عَنْهُ الْقَوْلُ وَمَنْ أَمِنْ وَمَنْ أَمِنْ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ﴾

ويريد نوح عليه السلام من كلامه أن يعرف حقيقة مصير أهله، أن يعرف عني
 ماذا مات أهله، هل مات مؤمناً أو مات كافراً

ولا يقصد نوح عليه السلام من سؤاله الاعتراض عني عرفي الله لآله أهله
 نبي رسول عليه الصلاة والسلام، وهو لا يعترض عني فعل الله وقدره، لأنه يؤمن
 أن الله عليم حكيم. وأن فعله صواب، ولهذا لا يعترض عني

إما يريد من سؤاله أن يعلم الله عن نهاية به، وهل مات مؤمناً أو كافراً

والذي أوقع نوحاً عليه السلام في اللبس هو أنه شهد أنه في معزل، فدعه
 إلى ركوب السفينة مع المؤمنين، لأنه خبر أنه عثر به عومه قد يد به أن يسلم،
 ولم يصارحه به بكفره، وبما كان بكلمه جاء نوح بعد مر فأحد لابس، وقطع
 حديثه مع الأب!

ثم يعلم نوح على ماذا مات أهله، هل مات مؤمناً أو مات كافراً، ولا يعلم
 ذلك إلا الله، ويدك شأن الله عن ذلك مستعصماً وليس معصراً

وكانه سؤاله يشوب برئ رب به نبي، وإن صلت أنه مؤمن، لأنه كان في
 معزل بعيداً عن الكافرين، فهل عبر أنه بهم لأنه من؟ أو لأنه عني وشك للإيمان؟
 أو على به للإيمان؟ فإن كان كذلك فهو من أهلي المؤمنين، وأنت وعدت بإحياه

أهلي المؤمنين، وإن سم بكن كدك ومات كفرًا، فأريد أن أعرف !!

وقد حذره التوضيح من الله، حيث ذكر به حقيقة ما مات عنه الله، وأن طهه في الله سن صحيحًا، فهو كفر، ولما كان في معزل ك كفرًا، وأعرقه الله لكفره، وهو بهذا الاعتبار ليس من أهله !!

وكرر هذا التوضيح جاء في صيغة عتاب شديد، قال تعالى ﴿قَالَ نَسَخْ لِئَمْ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَتَّبِعْ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ مِنْ شَيْءٍ إِنَّمَا أُعْطِيَكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ [هود: ٤٦].

وقد فهم نوح عليه السلام الأمر، وشعر بأن لأزلي به أن لا يسأل سؤاله، وبذلك سرع بالاعتذار، قال تعالى ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخُوذُ بِكَ أَنْ أَتُكَلِّمَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِشْقٌ وَلَا تَغْيِرْ فَرْجِي وَتَرْجِمَنِي أَكُنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [هود: ٤٧].

ولا تعارض بين قول نوح عليه السلام ﴿يَا أَيُّهَا أَهْلِي﴾ وبين قول الله به ﴿يَسْخُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ﴾.

معنى قول نوح يا أهله، من حيث النسب، لأنه ابنه من صلبه، أحبته زوجته، وكنت عقيقة في عرضها، ثم تركت فاحشة الزنا، لذلك هو من أهله من جهة النسب، باعتباره أحد أفراد أسرته

ومعنى قول الله به ﴿يَسْخُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ﴾ إنه ليس من أهلك في الحقيقة، لأنه لم يكن مؤمناً، وأهله في حقيقة هم المؤمنين فقط، فإن كان أحد أفراد أسرته كافراً، لم يكن من أهله في الحقيقة

وعلى أي كونه من أهله لتحقيقين بكفره بقوله بعد ذلك ﴿يَسْخُ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ﴾

والمعنى أنك يعمل أعمالاً غير صالحة، لأنه كفر، وكفره أطل عمه وأفسده، فتحوّل إلى عمل غير صالح.

ولمحيث في جملة ﴿يَسْخُ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ﴾ أنه حوّل شخص نفسه إلى (كافراً) من العمل غير الصالح ثم نقل جملة إنه عمل عملاً غير صالح، وبكها قالت به عمل غير صالح، وروى عيسى بن جملته

ما أشبهه نوح عليه السلام عن به أنه من أهله، أراد به بصلة لصلته بسببه

بينهما، وما يمدّه الله عن به، أنه ليس من أهله، أرذله، نصبة الإمامية الاعتقادية،
فما أنه ليس على دينه فقد قطعت لصلته بينهما، رغم أنه من صلبه سناً

ويحصى الدس يد هوب بعد هي نفي كون ابنته من أهله، فيثبون ذلك نساً
ونسلاً، ويقولون: لم يكن ساً له من صلبه، وإنما جئت به امرأته عن طريق
الزنا، وقامت جدية روجه في عرصها! وهذا كلام باطل، سبق أن ردده قبل
قليل، عند كلام عن حياته مرأه نوح به

إِنْ قَوْلُ اللَّهِ ﴿كَسُوْخٌ نَّمَّ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ نَمَّ عَمَلٌ غَيْرُ صَاحِبٍ﴾ سعي عن الاس
الكفر كونه من أهل سني، بسبب كفره وعمه غير صاحب، مع أنه من صلبه
نساً

وهذا يقرر مبدءاً إيمانياً عظيماً هو مبدءاً (الولاء والبراء).

إِنْ ولاء المؤمن لله، ولأوليائه الله من مؤمنين، وإن كانوا يعيدون عنه من
جهة السب والقرينة وهو يتراً من أعداء الله، ويخاصمهم، ويتعدّ عنهم، وإن
كانوا أقرب الناس إليه من حيث النسب والقرابة!

فها هو من نوح عليه السلام، من أقرب سب له سباً، ولكنه بعيد عنه،
وليس من أهله في الحقيقة لكفره

وهذا عرف نوح عليه السلام حقيقة نهاية به، وأنه مات كذراً، وطماناً
وهذا مشاعره.

وقد عاتبه الله نوحاً عليه السلام عتداً شديداً على سوءه، وبذلك قال به
﴿فَلَا تَتْلُوا مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾

أي لا تكسر يا نوح جاهلاً، وعنه هذه الحقيقة الاعتقادية، وهي انقطاع
نصبة الإمامية بين الأب لمؤمن وبه بكفر، وبانقطاع هذه لصلته الحقيقية مع
بعد من أهله، رغم أنه سناً، وإذا علمت هذه حقيقة فلا تأس ما ليس بك به
علم

وسارع نوح عليه السلام إلى الاستعداد والدخول إلى الله، وقال،
﴿رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَتْلُوكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَلَا تَتَقَرَّرْ لِي وَتَرْحَقِي أَكْثَرُ مِنَ
الْحَسِيرِينَ﴾

هي هنا أن تتساءل هل أخطأ نوح عليه السلام في سؤاله عن مصير ابنه؟

بعد تفسير ما للآيات التي تتحدث عن ذلك، ونوجه هذا الموضوع، نرى أنه لم يكن محطشاً، وبما كان على صواب، لأنه لم يعرف حقيقة نهاية ابنه، لوجود أحداث أوقعته في بلبس، ونسب له الإشكال، وكان سؤاله بهدف معرفة الحقيقة من الله، ولم يكن عتراضاً على فعل الله، ولا شفاعاً لانه، ولم يعرف الحقيقة سرهم بها واستمرزونه وآداباً.

وإذا لم يكن محطشاً فماذا عاتبه الله هذا العتب الشديد؟

عاتبه الله لأنه فعل خلاف الأوصى، فرغم أنه لم يخطئ في سؤاله، إلا أنه كان الأوصى والأحذر به أن لا يسأل، وأن يعرف لأمر بدون سؤال والله يريد من رسوله عبية بصلاة وإسلام أن يكون فعنه دائماً وهو الأولى والأفضل والأكمل والأحسن، والله يعاتبه له يرشده إلى ما هو أوصى وأفضل، رغم أن فعنه صواب!

الفصل الثالث

اشكالات حول قصة هود عليه السلام

تحليل وتوجيه

الفصل الثالث

إشكالات حول قصة هود عليه السلام

تحليل وتوجيه

١ - (عاد) من القود و (هود) من الهود:

ذكرت قصة عاد في القرآن بعد قصة قوم نوح عليه السلام، وبعث الله إلى عاد أحدهم (هود) عليه السلام نبياً رسولاً، وكانوا يسكنون في (الأحقاف)، وهي المنطقة الواقعة في جنوب شرق الجزيرة العربية، بين حضرموت وعمان.

وقبيلة (عاد) قبيلة عربية، من العرب العاربة، الذين كانوا يُحسبون الإعراب والطلق، ولعلمهم أول قبيلة عربية تكلمت اللغة العربية، وهم من العرب (سائدة)، الذين نادوا وانتهوا قبل عشرات القرون!

و(عاد) - اسم القبيلة - كلمة عربية، مشتقة من (العود)، والعود هو إعدة الشيء، تقول عاد الشيء، يعود، عوداً إذا رجع.

فكلمة (عاد) على وزن الفعل المعاصي، ثم أصبح اسماً لهذه القبيلة العربية

ولعل سبب تسمية القبيلة بهذا الاسم، هو أنهم أول قبيلة ظهرت بعد الطوفان، فنحن نعلم أن الطوفان كان عاصفاً على الأرض، أهلك الأحياء جميعاً، ولم يبق إلا نوح عليه السلام والمؤمنون الذين معه في السفينة. فلما انتهى الطوفان استقرت السفينة على جبل (الجودي) في العراق - شمال غرب الموصل - وعاش نوح عليه السلام مع المؤمنين الساجدين، ثم جاءتهم آجالهم فماتوا، ثم انتشر أولادهم في الأرض!!

وتوجه قومٌ منهم إلى الحبوب، واستقروا في (الأحقاف)، وأنشؤوا حصارة وقوة هناك، تحدثت آيات القرآن عن بعض مظاهرها

وسمى هؤلاء القوم العرب أنفسهم (عاداً)، وأرادوا بهذا الاسم إعدة الحياة الشريفة من جديد، بعد الطوفان الذي قضى على كل شيء

ومعنى الله أبى (عاد) أحده (هود) سار سولا عليه سلام، وبما أن (عاد) سمع عربى صريح، مشتق من هود والرجوع، ساء، فإن (هود) سمع عربى صريح أيضاً، مشتق من (الهود).

فإن من درس عن هود "مدى على ررود وسكون بقولون يهود المشي الرويد البطيء". وهود: إذا نام^(١).

أى أن لهود عدد من درس مشتق من سكون الرويد والطء وسأى أما الرابع الأصفهاني فإن الهود عنده هو "لرجوع يرقق، ومنه التهويد. وهو مشي كالديب. وصار الهود في التعارف توبة

وهود جمع هاد أى ساء وهو ساء سى عليه لصلاة وسلام"^(٢) وقد كـ (هود) مشتق من هود، فإن معناه هو توبة إلى الله، والرقق والطمأنينة والتأني، وهذه الصفات تحققت في شخصيته عليه السلام وبحلاصة أن اسم (عاد) مشتق من هود بمعنى الرجوع، واسم (هود) مشتق من الهود بمعنى التوبة والطمأنينة والتأني.

٢- ما هي (عاد إرم ذات العماد)؟

أحرث ذات قرار عن (عاد) بأنها "عاد إرم ذات لعماد"، قال تعالى ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ قَتَلْنَاكَ إِذْ دَخَلْتَ الْأَنْصَارَ﴾ ^(١) أَلَيْسَ لَكَ بِمُتْلَاهِ يَأْتِيَنِي ﴿ [نحصر ٨-٦]

فما هي ﴿إِذْ دَخَلْتَ الْأَنْصَارَ﴾ أَلَيْسَ لَكَ بِمُتْلَاهِ يَأْتِيَنِي ﴿^(٢)

هناك كلام كثير في الإسرائيليات والبحر فوات والأساطير عن مدينة أسطورية حسنة، سموها مدينة إرم ذات لعماد، واعتبروها مدينة عجيبة، مبنية من الذهب والفضة، وأنها متقلة بين البلدان

وقد أورد كثير من المحققين والإحاديث هذه لإسرائيليات وبحر فوات، مع أنه لا توجد مدينة أسطورية بهذا الاسم.

(١) مقاييس اللغة، ص ١٠٥٧

(٢) المقدرات، ص ٨٤٦-٨٤٧

فان الإمام بن كثير دونه رعه أن (رحم) مدسه تدور في الأرض، حتره في
شم، ودرقه في سم، ودرقه في جحر، ودرقه في غيرها، فقد أبدع النجمه،
وقال ما لا تيسر عليه، ولا بهما يعجز عنه، ولا منتهى تركن إليه^(١)

البيوت والقصور، أي كانوا سونوها على قمع لحسن، وربما سوعت من الأعمدة،
فكسح (ذات العماد) في الآية صفة بعدد، ويسبب صفة لمديته (إرم)
الخرافية الأسطورية

(عدد إرم) بلغت درجة عالية من سوء بيوت و قصور، مما استحقت أن
توصف بأنها ذات العماد.

وبعد أنكر عنهم هوذا عليه سلام لإكثر من سيايت معدية، و قصور
مرتفعة لأعمدة، فقال بهم ﴿أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ مَائَةً ثَعْتُونَ ﴿١٢٨﴾ وَتَشِيدُونَ بُرُجًا
لَمَعَكُمْ تَبْنُونَ وَبَارِئَ ظَنُومٍ بَطْشُهُمْ جَبَابُونَ﴾ [الشعراء: ١٢٨ - ١٣٠].

وسريع هو المكان المرتفع، والآية هي القصر العالي المرتفع

سبب بقصور العدية بني سوحا على حبال، ومصانع التي أشدوها،
كانوا أصحاب أعمدة، وبنيت وصفت عدد إرم بأنها ذات العماد

وأحرز الله عن عدد أنه سم نحق مشبه في سداد ﴿الَّتِي لَمْ يَخْلُقْ مِثْلَهَا وَ
الْبَلَدِ﴾ أي أن الله أعطى عدد قوة خاصة سم يعطيها لأي قبيلة أو أمة أخرى في ذلك
الزمان، وبذلك كانت (عاد) أقوى أمة في عصرها

فكلام عن قبيلة عدد، التي هي (عدد إرم)، وليس عن المدينة الأسطورية
بحرافية، مدينة (إرم ذات العماد)، التي سم يخلق لله مدينة مشبه في البلاد وكل
ما يقرب عن هذه المدينة الأسطورية ما هو إلا أسطورة مأخوذة عن الإسرائيليات،
وهذه لا قيمة لها عندنا.

٣- هل هي عاد واحدة أم عادان اثنتان؟

هل (عد) مذكورة في لغز عد واحدة، أم هك (عدن) اثنتان،
حملت كل واحدة اسم (عاد)؟

عص مؤرخين ومفسرين ذهبوا إلى أنهم (عدن) اثنتان، كل قبيلة
منهم حملت اسم (عاد) فهك عد أولى، وهك عد الثانية

وقدو عاد لأوى، هي التي وحدث بعد قوم نوح مباشرة، وبعث الله لها
هوداً عليه سلام سب ورسولاً، وفصل الله علب قصته مع عدد الأولى في القرآن،

وأهلك الله عاداً الأولى في القرآن.

وعادٌ ثنية هي فية ثنية، ناشئة عن عادٍ لأولى، وبنيهما عشرتُ
السبب، وكانت عادٌ ثنية بعد إبراهيم الخليل عليه السلام، وبنيهم رجلٌ آخر غير
هود عليه السلام، لم يذكر القرآن اسمه، وإنما كذبوا بنيهم أهلكهم الله بآريج
نصرصر لعنهم، التي سخرها عليهم سبع باباً وثمانية أيام حوصاً

وممن قال بهذا بقول الإمام اس كثير في كتابه (فصل في الأسماء)

وسندٌ هذا القريب على وجود (عادين) اثنين بدليين

لأور قوله تعالى ﴿وَأَنذَرْتُكَ عَادَ الْأُولَى رَبِّ وَتَوَدَّ قَاتِلًا﴾ [الحج ٥١]
- ٥١]، عادٌ لأوى هي عادٌ التي كانت تسكن في الأحقاف، وبنيها هود عليه
السلام، وإحصاءه عن (عاد الأولى) يرمم وجود (عاد الثانية) بعده

الثاني إحصاء الله عن عدائش وفعالعد عذاباً بصيحه، وهي التي أهلك
بها عاد الأولى، وعذاب بآريج النصرصر العانة، التي أهلك بها عاداً ثنية
وسامع هؤلاء العلماء في وجود (عادين) اثنين، ومساقتُ عدات عاد
بعد قليل، إن شاء الله

يؤد ظاهر حديث القرآن عن عادٍ بذل على أنها عادٌ واحدة، هي (عاد إرم)
التي كانت تسكن في (الأحقاف)، والتي بعث الله نبيها هوداً ساء عليه السلام
وإن قوله تعالى ﴿وَأَنذَرْتُكَ عَادَ الْأُولَى﴾، لا يرمم به وجود عادٍ ثنية،
ولا يُراد بكنمة (الأولى) في الآية الأولى العددية التاريخية بزمانية، بحيث تأتي
بعدها عادٌ الثانية والثالثة!

إن (الأولى) في الآية تعني: الأولية في الدرجة والمترتبة والمستوى
والمرتبة.

كانت عادٌ (الأولى) في القوة، حيث كانت أقوى أمّة في ذلك الزمان،
محبها الله من مظاهر السهوان وتمكين ما لم يسمح غيرها، فكانت هي لأقوى!
وقد أحترت آيات القرآن أن (عاداً) كانت هي لأوى في لقوة
قد نعى ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ مَكَرَ رَبُّكَ بِمَدْيَنَ﴾ [إرم ١٢] وكانوا أوصياءً إلى ثم يخلق ينشأ في

الْبَلَدِ﴾ [الفجر: ٦-٨]، بما أن الله لم يحن مثل عاد في هود في ليلاد، في ذلك الزمان، لذلك كانت (عاد الأولى) في القوة.

وقد تعالى ﴿فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً﴾ [مصلحت: ١٥].

محضر الله أن عاد استكبروا في الأرض، فصعوا وبغوا وظلموا، وعدوا على الآخرين، واعتزوا بعوتهم التي وهبهم الله إياها، ودبو من أشد ما قوة؟

وسؤلهم سؤل الطغاة المستكبرين الظالمين، يدين بمعصون قوتهم أداة لظلم، وسعد الآخرين، ولم سألوا هذا سؤل كبرياءهم أنهم لأقوى، وأنه لا تقاربهم قوة أية قبيلة أو أمة من حولهم.

وسوا - في عمره استكباره وصعبيهم - أن الله الذي خلقهم ومسخهم بقوة هو أشد منهم قوة، وأنه قادر على برعه منهم.

هذا التواؤن الاستكباري من عاد دليل على أنها (عاد الأولى) في القوة.

وقد أنكر عليهم بنهم هود عليه السلام استخدام قوتهم الأولى في البطش ولذلك قال لهم ﴿أَنْتَوْنَ بِكُلِّ بَيْعٍ بَاطِلٍ تَقْتُلُونَ﴾ [الشعراء: ١٢٨-١٣١].

من هذه الآيات يظهر أن عاد كانت أقوى أمة في ذلك الزمان، وبذلك قال الله عنها ﴿وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادَ الْأُولَى﴾ أي هي الأولى في القوة.

٤ - تعذيب عاد على مرحلتين:

لما رفض قوم عاد دعوة أحدهم هود عليه السلام، وتصروا على تكذيبه والكفر به، أوقع الله بهم عذابه، وأنحى هود عنه سلام ومن موامعه عذبهم الله بالصيحة وبالريح الصرصر العاتية.

واستدل القاتنون بأنها ليست عاداً واحده، وإنما (عاد) ثلث مرفوع نوعين من العذاب: الصيحة والريح.

وقالوا عذب الله عاداً الأولى بالصيحة، وهي التي قال الله عنها ﴿قَالَ

عَمَّا قَلِيلٍ لِّيُصِيبَهُمْ رِيحٌ ﴿٤٠﴾ فَغَسَّطَهُمُ اللَّيْحَةُ بِالْحَقِّ فَجَعَلْنَاهُمُ عَنَاقِبَ ﴿٤١﴾ [المؤمنون ٤٠-٤١]

وعَدَّتْ اللهُ عَذَابَ شَمْسَةِ رِيحٍ، وهي نبي قدس لله عليها ﴿وَأَنَّا عَادًا فَأَقْبَكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَارِضٍ﴾ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ نَّجَالٍ وَفُتِنَهُمْ آتَايَاهُمْ حُسُومًا ﴿[الحاقة: ٦-٧]﴾
ولا فرق بين لصيحة والريح، حتى يفتن هذا نوع من العذاب، وقد
على أمين محققين، وراححُ نهما مرحلتان لعذاب واحد
الريحُ أيا عَادُوا وحدة، وَأَنَّ الله عَذِيبٌ بِالرَّيْحِ، وكان عَذَابُهَا على مرحلتين
المرحلة الأولى الصيحة حيثُ أَعَذَّبْنَاهُمْ فَتَنًا، وكانت معهمة بالريح
العاتية.

قال تعالى ﴿فَغَسَّطَهُمُ اللَّيْحَةُ بِالْحَقِّ فَجَعَلْنَاهُمُ عَنَاقِبَ لِّتَقُولُوا الطَّيِّبِينَ﴾
[المؤمنون: ٤١]

المرحلة الثانية الريح الصرصر العاتية، التي سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ ثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ
مَّتَابِعَاتٍ، وهذه الريحُ جاءت بعد الصيحة.

قال الإمام بن كثير "ولا يمنع من اجتماع صيحة وريح عيهم، كما
حصل مع أهل مدین، حيثُ جمع الله عليهم آيات من عقوباته"

وقد مضت آيات القرآن في حديثها عن الريح التي أرسلها الله عليهم، قال
تعالى، ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَّتِهِمْ قَالَ هَٰذَا عَارِضٌ مُّطِيرٌ فَلَمَّا اسْتَلَقْتُمْ بِيْتَكُمْ
رِيحًا فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٤﴾ تَذَكَّرُوا كُلُّ عَصَا رَبِّهَا فَأَنسَوُوا لَا يُرَى إِلَّا مَسَكِنَتُهُمْ ﴿٢٥﴾﴾
[الأحقاف: ٢٤-٢٥].

لقد حَسِنَ اللهُ عَلَيْهِمُ الْمَطَرُ، فأصَابَهُمُ الْمَحَلُ وَبَجْدَتْ وَالْقَحْطُ، وكانوا
مُتَلَهِّفِينَ لِلْعَيْشِ، مُتَشَوِّقِينَ لِلسَّحَابِ الْحَامِلِ لِلْمَاءِ

فمَكَرَ اللهُ بِهِمْ لِكُفْرِهِمْ وَتَوَهُّاهُمْ وَاسْتِكْبَارِهِمْ، وحدث بأن أَرَاهُمُ السَّحَابَ
قَدَمًا بِهِمْ، مُسْتَعِلاً لِأَوْدِيَّتِهِمْ ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَّتِهِمْ قَالَ هَٰذَا عَارِضٌ
مُّطِيرٌ﴾

والعارض المذكور هنا هو الشعب، وشئني السحاب عارضاً لأنه يعترض الأفق، ويغطي السماء.

ولما رأى قوم عاد سحب معبراً لأفق، مستقلاً لأوديه، وكان أسود داكاً، فرحوا واستبشروا، وصوّره سبحانه طراً، وعيناً معيناً، وقالوا عسروين: ﴿هَذَا عَارِضٌ مُّظِلٌّ﴾

وما درى المعصومان أن هذا السحاب لأسود القادم إليهم هو سحب الأسود المتصاعد من الأرض، سبب الصيحة التي حدثت، حيث رُمِلت الأرض ورُخَّت، وسبح عن ذلك صيحة عاتية، وصوت شديد قاصف، سمعها دحان كثيف أسود..

تغاثره السحاب الأسود - دحان الكثيف - وهب عليهم بريح شديدة، واستمرت عليهم سبع ليالٍ ونهارية أيام، فقصت على كل شيء^١

ولهذا قال تعالى: ﴿تِلْكَ أَوَّلَ آيَاتِنَا الَّتِي بَدَأَ بَرِيحُ فِيهِ عَذَابُ آيَمٍ زَاكِئَةٍ كَلَّا شَقِيقَ يَأْمُرُ رَبُّهَا فَأُصْحُوا الْيَزِيدَ لَا مَسَكُفُهُمْ﴾

نقد سمع من قوم عاد العذاب، وطسوا من هود عليه سلام إيقع العذاب بهم، إن كان صادفاً في دعوى سوء، قال تعالى: ﴿قَالُوا أَجِئْنَا بِتَأْيِيدِنَا أَفَكُنَا عَنَّا بَرِيحًا فَإِنِ بَرِيحٌ مُّضِيَّةٌ لِّإِنَّا لَنِظَمٌ عَلَيْهِ رَبُّ قَالُوا إِنَّا نَعْتَمِدُ بَدْءَ اللَّهِ وَإِنَّمَا كُنَّا مِنَّا مُزْمِعِينَ﴾ [الأحقاف ٢٢-٢٣]

وسمى الله ابريح التي ساقب العاصف بهم لريح عقيم، قل تعالى ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ﴾ ما ندر من شيء أنت عليه، لا جعلته كالريح [الذاريات: ٤١-٤٢].

و(العقيم) وصف للمرأة العاقرة التي لا تنجب، بقدر هذه مرأة عقيم وإطلاق صفة (عقيم) على الريح، بسبب ما في يديها من تجميد من دمار وهلاك لقوم عاد - وهي ريح عقيم لا تحمل ماء ولا عيشاً ولا حبر لهم وهذه الريح العقيم التي أهلكهم الله بها هي (الدور)، بريح لشرقة المحنة

روى البخاري [رقم ١٠٣٥] ومسلم [رقم ٩٠٠] عن ابن عباس رضي

الله عنهما عن رسول الله ﷺ قال: «إني نضرت بالخصا، ورسا سدة أهلكن للدور»
 بدور هي الريح اشرقية الحافة، الحسة، و(خصا) هي ريح العربية
 معبته، اسي تحمل بعدة والعيش بأمر الله

٥ - الريح عليهم سبع ليال وثمانية أيام:

أرسل الله على عدد ريح احدثه في أيام محات، قال تعالى ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ مَّحْسُورَاتٍ لِيُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْغُرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [قصص ١٦]
 لأنم الي ستمرت لريح فيه مسخرة عنهم مهمة في سورة قصص من
 حيث بعدد، واكتت لايه بوصفها بأنها ﴿في أيام محات﴾

وسحر هو شدة، وهو ضد العدد، ولأيام محات هي لأيام
 المشؤومات.

ولأيام مهمة في سورة فصلت مبينة في سورة بقره، قال تعالى ﴿وَأَلَّا
 عَادَ فَأَهْلِكْنَا بَرِيحًا صَرْصَرًا عَلَيْهِمْ سَحَابٌ مَّثَلُ الْغَاسِقِ أَظْمَأَتْ وَأَعْيَتْ أَبْصَارًا
 فَفَرَّقَ الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعًا كَانَتْهُمْ أَعْيَارٌ مَعْلُومَاتٍ﴾ [سجدة ٦-٧]

وريح صرصر هي ريح ساردة شديدة البرودة وناس (صرصر)
 هو (صر)، وحضر هو لرد الشديد، بدليل قوله تعالى ﴿مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِي
 هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ مَرْجَاطَ النَّاسِ فَأَهْلَكَتَهُمْ﴾
 [آل عمران: ١١٧].

وكرر لفظ (صر) مصدر (صرصر) للدلالة على تكرار بمعنى، وأساس
 معنى الصر هو شد، فالريح صرصر هي الريح الساردة شديدة البرودة

وكان موت تلك ريح في كل يوم من الأيام شديدة، استمر صيلة كل يوم
 منها، واستغرق ليل اليوم ونهاره، وكل ساعة ودقيقة فيه، لم تتوقف ولم تضعف
 ولم تحب لحظة واحدة!

ودليل هذا قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمٍ نَّخِفُ شَتِيرًا﴾ [القصص: ١٩-٢٠]

معنى قوله ﴿في يوم نخف شتير﴾ استغرق ريح كل ساعة ودقيقة

ولحظة من ذلك اليوم المحس المشؤوم!

وهذه ريحٌ بصرى (عنه) أي أنها كانت شديدة هي هبوبها وسرعها واستمرارها، فهي قد تجاوزت حدَّ وسرعها المعتادة، وردت من شدتها وبرودتها وسرعها واستمرارها، حتى وصلت إلى كُرْبَيْتِ فيهم، وكلَّ شخصٍ منهم!

وهذه الريح استمرت عليهم سبع ليالٍ وثمانية أيامٍ حسوماً، كما أخبرت آياتُ سورة الحاقة.

و(الحصاة) هي الحصاة، التي تُرمى سمرارها وتلعبها طيلة الأيام ثمانية إلى قطع الحجير عن قلوب عدد، وقصع أعمارهم وأحارهم وشوهم.

وأساسُ معنى (الحسم) هو القطع وإزالة الأثر.

قال الراغب الأصفهاني: «حسمه يرمي أثر شيء، يُقَاتُ قطعه وحسمه، أي أزال مادته، وبه معنى السبِّ حسماً، لأنه يقصع برأس، وحسمه إدارته أثره بالكى.

و(ثمانية أيامٍ حسوماً) حسمه لأثرهم، وقيل حسمه حبرهم، وقيل قطعه لأعمارهم! وهذه الأقوال كلها داحية في عموم معنى»^(١)

وقد أخبر الله أن هذه الريح العقيم ستزول مسخرةً عندهم ﴿سَتَعْلِيَابُ وَتَسْمِيَةُ أَنَامٍ حُسُومًا﴾

وهذه تعني أن هبوبها عليهم كان من صباح أحد الأيام، منذ شروق شمس ذلك اليوم وضوء نهاره، واستمرت ثمانية أيام متتعة!

ولأنَّ ثمانية تصمُّ سبعين، فهو أردن أن بعد ثمانية أيام من صباح يوم السبت، إلى نهار السبت من الأسبوع الثاني، فرب بعد سبعين

وليوم قد يعثره عن النهار من شروق شمس إلى غروبها، كما هو هـ (وثمانية أيامٍ حسوماً).

وقد يعثره عن الليل والنهار معاً، عند غروبها من يوم سبيلٍ يُمثل

(١) المفردات، ص ٢٣٥

حده لمظنم حيث يدم ويسكن حاس . واليهاء يشل الحاس الشرف حيث
 حركه ومعمل ساس كما هي قوله تعالى ﴿ كُنِيَ عَلَيْكُمْ الْيَمَامُ كَمَا كُنِيَ عَلَى
 سَك مِن قَبْلِكُمْ لَمَّا كُنْتُمْ تُنْفِقُونَ إِنَّا كُنَّا مُعْتَدُونَ ﴾ [البقره : ١٨٣ - ١٨٤]

كل يوم من الأيام الخمسة يوم خمس ﴿ إِنَّا رَمَيْنَاهُمْ بِحِجَارٍ عَرَصَةٍ فِي يَوْمٍ نَحْنُ
 سَنُفِرُ ﴾ [القمر : ١٩] وهي أيام نحسات : ﴿ فَأَوْسَعْنَا غِيَابَهُم بِرِيحٍ صَرْصَرٍ فِي أَيَّامٍ
 نَحْنُ بِهَا مُفِرُونَ ﴾ [فصلت : ١٦] .

* * *

الفصل الرابع

إشكالات حول قصة صالح عليه السلام

تحليل وتوجيه

الفصل الرابع

إشكالات حول قصة صالح عليه السلام

تحليل وتوجيه

١- ثمود والحجر:

(ثمود) بعدة (عدد)، بدليل ورود قصتهم بعد قصة عاد في القرآن، وذلك في سور. الأعراف، وهود، والشعراء، والقمر، وعصت، والذاريات، والحج، والحاقة، والفجر.

وهذا الترتيب في الذكر يوحى بالترتيب التاريخي

وقد بعث الله إلى ثمود أخاهم صالحاً نبياً ورسولاً عليه السلام، ودكرهم صالح بعمرة الله عليهم في جميعهم حلماً من بعد عاد، وهذا دليل آخر على أنهم وجدوا بعد عاد. قال تعالى: ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَوَوَّعَكُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ [الأعراف: ٧٤].

(ثمود) مثل (عاد) من العرب لغارية المصيبة، كانوا يتكلمون اللغة العربية، وهم من العرب المائدة، الذين أبادهم الله، ولم يبق منهم أحداً! قال ابن فارس: «الثمد: هو القليل من الشيء، والثمد هو الماء القليل، يقال: أتمدت لساء فلاناً: إذا قطعت ماءه من كثرة جماع، والإتمد: الطيب المعروف، سمي بذلك لأن الذي يستعمل منه قليل يسير»^(١).

ويعنيهم سُموا بهذا الاسم (ثمود) لأنهم سكنوا في منطقة ماؤها ثمد قليل وإذا كان قوم عاد يسكنون في منطقة (الأحقاد) جنوب شرقي الجزيرة العربية، فإن (ثمود) كانوا يسكنون في شمال غرب الجزيرة العربية، في منطقة (الحجر) أو مدائن صالح أو العُلا.

(١) مقاييس اللغة، ص ١٨٧.

وهو ثمود هم أصحاب الحجر، المذكورون في القرآن، وهذه سورة في
المرن تسمى (سورة الحجر) لأنه أشبه فيها إلى أصحاب الحجر، قال تعالى
﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْحَجَرِ الْمُرْسَلِينَ ﴿٨٠﴾ وَاتَّخَذُوا آلِهَتَهُمْ مَلَائِكَةً فَمَكَرُوا عَلَى مُرْسِلِينَ ﴿٨١﴾ وَكَانُوا
سَاجِدِينَ لِلْإِلَهِ يُؤْتِيهِمْ مِنْ رِزْقِهِمْ ﴿٨٢﴾﴾ [الحجر : ٨٠-٨٢].

وكانوا يسجدون بيوتهم في الجبال، كما قال الله عنهم ﴿وَتَمُودَ الَّذِي جَاءُوا
الصَّخْرَ بِالْأَوَادِ ﴿١٩﴾﴾ [الفجر : ١٩]

ومعنى (جاءوا) في الآية قصصهم ومعنى الآية أن ثمود قطعوا لصخر
بسوادي في منطقة الحجر، وسجدوا بيوتهم في الجبال، وقد كانوا ماهرين في سحت
البيوت في لصخر، وذكرهم الله صريح عليه سلام بمهارتهم في سحت الجبال
قال تعالى ﴿وَتَمُودَ الَّذِي جَاءَ بِرُءُوسِهِمْ﴾ [الشعر : ١٤٩]

ومعنى (فأرسل) حادقين ماهرين وهذه شهادة لهم بأنهم كانوا ماهرين
في سحت البيوت في الجبال، يفعلون ذلك في عتبة الإنقاذ

ومطقة (الحجر) التي أقدم فيها قوم ثمود تقع في شاطئ غرب لحجر،
على الطريق القديم الذي يربط المدينة بتبوك.

وتسمى منطقة لآ (الغلا)، وفيها أودية صخرية جميلة، بيوتها منحوتة
في الصخر، وهي تشبه (النراء) المدينة لأثرية في حوض الأردن، إن لم تكن
أجمل منها!.

٢- الفاقة تشرب ماء العين في يوم!!!

جعل الله لصالح عليه السلام آية بيته، دنة على سوته، وهي ساقه، وكانت
دنة حصة في خلقها وصفاتها، ولست كذا في (الباق) لتي عند ثمود

لم يحترق الله في القرآن عن كيفية خلق ساقه، ولا نوحاً أحدثت صحبة
تفضل ذلك، فلا يجوز من، علماً أن الأسر نساب قد فصلت الحديث عن
خلقها من لصخرة! ولكن هذا الكلام لا دليل عليه عندنا

وقد أخبرنا الله عن كلام صالح عليه سلام مع قومه عن الساق، وبههم عن
منها سوء، لثلاث برفع الله بهم أعداداً من على ﴿قَالَ يَنْفَعُكُمْ اللَّهُ مَا
لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَ تَعْلَمُكُمْ سَيِّئَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ

قَدَرُهَا تَأْكُلُ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَسْؤَهَا يَسْؤُوا فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ اللَّهِ ﴿٧٣﴾ [الاعراف ٧٣]

وصفة الافة ابنى الله بصفة تشريف وتكريم بها ، لآنها باقة حصة ، مثل
بصفة البيت إلى الله - الكعبة - حيث يُقدَّر هذه الكعبة بيت الله

وبيت بصفة اسميك ، بمعنى أن الله بمنك باقة ، كما بمنك أحدكم
باقة ، فهذا معنى مرفوض ، لأن الكون وما فيه كله من الله وحده

و بحرقه في الباقه هي في شربها للماء ، فلم يكن شربها لماء شرباً عادياً ،
إنما كان شرباً خاصاً خارقاً

قال تعالى ﴿ قَالَ هَيِّؤْ لَنَا مِنْهُ مَاءً نَشْرِبُ وَلَكِنَّهُمْ يَوْمَ ثَمُودَ يُسْؤُوا
فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمِ عِيبَرٍ ﴾ [الشعراء ١٥٥-١٥٦]

وقد تعسى ﴿ يَا مُرْسَلُوا لَأَفْهَ فَنَبِّهُ لَهُمْ فَارْتَبِسْهُمْ وَأَصْطَفِرْ ﴾ وَيَتَّبِعُهُمُ الْغَايَةُ قَسَمَةً
يَتَّبِعُهُمْ كُلُّ شَيْءٍ مُخْتَصِرٌ ﴿ [نجم ٢٧ ٢٨]

لقد كان ماء العبر غذ ثمود قسمة بينهم وبين سادة البحر يشربون هم ماء
عين يوم ، يكون ماء العبر في هذا اليوم لهم وندواهم ، بينما شرب سادة
وحدها ماء العبر كله في اليوم التالي ، وهكذا يكون شرب ماء العبر بأسلوب
سهم وس باقة ، كما صرححت الآيات وهي يوم شرب سادة بحث على قوم
ثمود أن تحلوا بينها وبين شرب العبر ، فلا يمنعوها منه ، ولا يمنعوها سوء

الحرقه في الباقه أنها تشرب ماء العبر كله في يومها ، وهذا عبر معهود
للبشر ، أما كيف كانت باقة تشرب ماء العبر وحدها ، وأير كانت تصعه ؟ فهذا لا
نعرفه لجواب عيبه ، لكننا لا نعربه ، لأن هذه الباقه معجزة ، وشربها لماء العبر
كنه في يوم معجزة أيضاً ، وهذا من فعل الله ، المعال بما يريد ، وبما أنه أحبر عن
ذلك في القرآن فحسب يؤمن به

٣- توجيه كون صالح عليه السلام من (المسخرين):

من حصة لانها مات التي انهمها قوم ثمود سبهم عيبه لسلام أنه (مر
المسخرين) ، وأخبرنا الله عن هذا الابه في قوله تعالى ﴿ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ
الْمُسْخَرِينَ ﴾ مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُ بَنِي آدَمَ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿ [الشعراء

[١٥٤-١٥٣]

و (مسحّرين) جمع، مفردّه (مسحّر) وهو اسمٌ مفعولٌ من فعلٍ اسحّص
لزياعى: (سحّر)، تقول: سحّره سحّرة، فهو مسحّر ومسحّراً.

ويصل الأتهام وحده قومٌ مبدى نُسبهم شعيب عليه سلام هان تعالى
﴿ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ رَايَ وَمَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَإِنْ نَطُفُّكَ لَيْسَ الْكَافِرِينَ ﴾
[الشعراء: ١٨٥-١٨٦].

ما معنى (المسحّرين)؟

بها مرتبطة مع الجذر الثلاثي لها. (سحّر).

قال ابن فارس. «السحّر يُطلق على أصوب ثلاثة متباينة

أول- السحّر: وهو ما لصق بالعلقوم والمريء من أعين السحرة

الثاني- السحّر وهو حرج - حصل في صورة الحق، سجدع

ثالث- لسحّر وهو لزم أن يدي بكون قبيل الصبح»^(١)

وبما اتهم قومٌ نمود أحدهم صدحاً عليه سلام بأنه من مسحّرين، لعنهم
أرادوا المعنى الأول والثاني من معاني السحّر.

قال الإمام رابع «قوله تعالى ﴿ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ ﴾

قيل أنت من حُمل به (سحّر) نسباً إلى أنه محتجٌ بى العداء، وهذا
كقوله تعالى ﴿ وَقَالُوا مَا هَذَا الرَّسُولُ يَأْكُلُ لَحْمَنَا وَيَتَّبِعُ فِي الْأَسْرَاقِ ﴾
[الفرقان، ٧]، وشهو إلى أنه بشرٌ في قلوبهم به ﴿ مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا ﴾
[الشعراء: ١٥٤]

وقيل معناه أنت من جعل به (سحّر) يتوصل بطريقه ودقته بى ما يأتي به
ويُدّعيه^(٢)

أي لمعنى أرحح^٣ هل كونه من المسحّرين لأنه يمتك شخز ويحتجُ إلى
عداء، أم كونه من مسحّرين بسبب أو تواسحّر حد عاً بساس؟

لأرحح هو لمعنى لأول لأن الأتهام (بما أنت من المسحّرين) ورد في

(١) مقاييس اللغة، ص ٥٠٧

(٢) المعرّفات، ص ٤٠٠

- في يكرهه يومه صبح عليه سلام. لانه شر مشيم ﴿ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَخَّرِينَ ﴾ مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ ﴿

أي أنت بشر، مث سخر وسحر، وحسرة ومرى، وحنح بي، الطعم شر، أنت مث تدم فكيف يكون أساء

٤ - إهلاك ثمود بالرجفة والصيحة والصاعقة

أمر قوم ثمود على كفرهم، وكذب صبحا عليه سلام، وحبسهم عن رسالة حمورة وأقدمو على عثر لاهة عددت ستحقو عذاب الله، دمههم صبح عليه السلام ثلاثة أمم، بقع بهم بعدت حذر بعدد

وأمر الله صبحا بأن تعد قومهم لكافرين هو وتدين موامعه، وفي صبح اليوم الرابع أوقع الله بهم عذاب

قال تعالى ﴿ فَمَمْرُوفٌ فَقَدْ لَمَّسُوا فِي ذِكْرِكُمْ ثَلَاثَةَ آيَاتٍ دَلِيلٌ وَعَدٌ عِزٌّ مَكْدُوبٌ ﴾ فَلَمَّ حَكَاةُ أَمْرٍ غَبَسَا صَبْحَهُ وَتَدِيرُكَ أَمْوَامُهُمْ بِرَحْمَةٍ يَسْكَارٍ مِنْ جَرِي نَوْمِهِ إِذْ رَمَلَتْهُ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ ﴿ وَحَدَّ لَيْلِيكَ طَسْرًا نَصِيحَةً فَأَصْبَحُوا فِي دَسْرِهِمْ حَبِيبٌ ﴾ [هود: ٦٥-٦٧].

وقد أرسل الله عليهم صيحة في الصباح قال نعي ﴿ فَأَحَدَتْهُمْ الصَّيْحَةُ مُمْبِجِينَ ﴾ فَمَاتُوا عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴿ [سحر: ٨٣-٨٤]

وأبادهم الله بنسك، صيحة قال نعي ﴿ إِنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَجْدَةً فَكَانُوا كَهَشِيمٍ الْحَظِيرِ ﴾ [القمر: ٢١]

و(المحظير) هو صاحب الحظيرة، الذي يبنى حصرة لماعده من المواشي، ويقدم لمواشيه العلف والطعام داخل الحظيرة.

و(هشيم) هو نبات ياس، الذي تقدم بهاشية شأكه

ومعنى قومه ﴿ فَكَانُوا كَهَشِيمٍ الْحَظِيرِ ﴾ أرسل الله على قوم ثمود صيحة، فأبادهم وقصت عليهم، وصاروا هلكى، كدروع ياس الذي يحرقه صاحب الحظيرة، فيطحنه ويجعله (تبا) مطحونا لحيوانه

وقد طلق قرآن على عذاب ندي وقع على قوم ثمود ثلاثة أسماء الصيحة، والرجفة، والصاعقة.

وقد مضى بعضهم أن هذه لأسماء الثلاثة منعرصة، ويذهب غيرنا إلى أنها
في حديثه عن ذلك العذاب، وسورته بعد عذبه الله أن يصحده أم بالرحمة أم
بالعاقبة^٩

وعند معان النصير يحذره لا تعارض بين الأسماء الثلاثة، وأنها كتبت
مرادة، وأن الجمع بينها سهل.

كل اسم من هذه الأسماء تُلحظ فيه مرحلة من مراحل ذلك العذاب،
ودرجة من درجاته.

اشتمت بهم لأرض وزلزال، فسمعوا لاشتداد صوت عذاب وصيحة
مدمرة، وعلى هذا قوله تعالى ﴿ فَأَذْنَتْهُمُ النَّارُ فِي صُغُرٍ خُصِيصٍ ﴾ [حجر ٨٣]

ثم نزع عن تلك الصيحة رجة قوية، والرجفة هي الحركة والاضطراب
شديد، وهذه الرجفة وقعت بعد الصيحة، لأنه لما انشقت الأرض وسمعوا لها
صوتاً عالياً، تحركت بهم لأرض حركة شديدة، وارتوت ربر لا كبير قال
تعالى ﴿ فَأَذْنَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ خَائِبِينَ ﴾ [أعراف ٧٨]

وبعد صيحة ورجفة ضاعق قوة ثم دنا صاعقة، والصاعقة هي الصوت
شديد في جحيم، يكون مهاباً أو عذاباً أو موتاً كبيراً ينفرون وهم مصعقون،
عاجزون عن الحركة أو الهرب، غير قادرين على دفع العذاب عنهم وعلى هذا
قوله تعالى ﴿ وَفِي ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَسْبَحُوا حَتَّى بَرَأْتُمْ مِنْ بُرُوجِكُمْ فَأَبَدْنَاهُمْ فِيهَا
وَهُمْ يَنْظُرُونَ ﴾ [سجدة ١٧] فاستظفروا من فروعهم كما كانوا منصبيين ﴿ [مدثر ٤٣-٤٥]

وبعد عرف أنهم عذبوا بالعذاب، حدد، هو صيحة، أعنفها رجة، نزع عذاب
صاعقة

وبذلك دمرهم الله ودمدم عليهم وأبادهم قال تعالى ﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ
بِطْعُونَهَا ﴾ [إد ١٦] أشقها ﴿ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةُ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا ﴾ فكذبوا
فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ يَذِيقُهُمْ فَسُوْنَهَا ﴿ وَلَا تَحْطَأْ عِيقُهَا ﴾ [شمس
١١-١٥].

وبذلك دمر قوم ثمود، وذهبوا من بوحود، قال تعالى ﴿ وَاحْدًا لَيْسَ
ظَنُّوا النَّصِيْبَةَ فَأَصْحَوْا فِي دَارِهِمْ خَائِبِينَ ﴾ كأنهم بقوا بها إلا أن ثمودا كثرُوا
رَبَّهُمْ لَا يَبْدَأُ ثَمُودَ [هود ٦٧-٦٨]

٥- ديار ثمود والمرور بآثار المعذبين

كَانَ قَوْمُ ثُمُودَ يُقِيمُونَ فِي (الْحِجْر) بَيْنَ الْمَدِينَةِ وَبَنِي سُلَيْمٍ. وَلَمَّا دَعَاهُمُ اللَّهُ أَبْقَى آثَارَهُمْ عِبْرَةً لِّعِوَاذِ النَّاسِ وَنَجِيَّةً لِّمَنْ يَهْتَدِي.

وقد مرَّ رسولُ اللَّهِ ﷺ مع أصحابه على ديارهم، وذلك أثناء توجُّهه إلى عروة ثوك، وسبب سببه دأبه، فمرَّ بها عند مرورهم بديار لأقوام المعذبين

روى البخاري [رقمه ٣٣٧٨] ومسلم [رقمه ٢٩٨١] عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: لما مرَّ رسولُ اللَّهِ ﷺ ببساتين بني ثوك، برن بهم بحجر، عند بيوت ثمود، فعجزوا عنها، وبصروا القُدُورَ، فمرَّهم رسولُ اللَّهِ ﷺ فأهراقوا القُدُورَ، وعجزوا لعجز الإبل، ثم رجعوا بهم، حتى برن على الشرا التي كانت تشرب منها ساقية، وبها هم أن يدخلوا على القوم الذين عُذبوا، وقد بقي أحشى أن يصيبكم مثل ما أصابهم: فلا تدخلوا عليهم. ١٩

لقد بهى رسولُ اللَّهِ ﷺ المسلمين عن استعمار بلاد بني ديار ثمود، لأنه ماء قوم معذبين، وأمرهم بإراقه، القُدُورَ التي طمحوها فيها بذلك الماء، وإطعموا العجيين الذي عجزوا بذلك الماء لدوابهم ٢٠

وهذا النهي من رسولِ اللَّهِ ﷺ لتبزيه وليس لتحريره، فهو يرشدكم بذلك إلى ما هو أولى!

إن الرسولَ ﷺ يريد من المسلمين أن تنقى قلوبهم بكرة من المعاصي، وأن لا يرسوا نصباً للقوم المعذبين، ولذلك نهاهم عن الإقامة في ديار قوم ثمود، وعن مدحول عبيهم، حتى لا تنعثر أو تتأثر بظروهم للعصاة والمعاصي

على المسلمين إذ مرُّوا بديار القوم المعذبين - في أي مكان - أن يمشوا مسرعين، وأن لا يُعجزوا بآثارهم، ولا يصحروا بهم، ولا يقتدوا بهم في معاصيهم وفجورهم، ولا يجوز أن يجعلوا آثارهم مواضع للفتن، وأن يمدحوا عبيهم المنكرات، ويقيموا عليها المهرجانات. ٢١

لا يجوز الإعجاب بآثار القوم المعذبين، لأنَّ هذا لإعجاب قد يُضعف نفوس من معاصي، وقد يعجز البصرة الإسلامية عندهم إلى الكفر، ولإسلام حريص على أن يبقى لحاحر نفسي عافية بين المسلمين وبين الكفار، وأن تنقى براءة المسلمين من الكافرين قوية.

ويذكر أنوا أثرة من آثارهم شير لا عجايب فعينهم يذكر ما هو لأفصل
والأعجب، وهو إيمان الله عندهم بسمعه لإسماء و لإسلام الهد ما عنده رسول الله
ﷺ للمسلمين عند مرورهم بديار ثمود.

روى الإمام أحمد في المسند [٤ - ٢٣١] عن عمر بن سعد رضي الله عنه
قال: «لما كان رسول الله ﷺ في عروة ثوث، سارح لاس، من أهل بحجر،
مدخلون عندهم، فسمع ذلك رسول الله ﷺ، فمدى يده في لاس لصلاة
جامعة».

قال عمر بن سعد: «كنت رسول الله ﷺ وهو معك بعيره، وهو يقول
ما تدحسون على قوم قد عصب الله عليهم»

فقال له رجل: «نعجب منهم يا رسول الله».

فقال ﷺ: «أفلا أنتم تلعجب من ذلك؟» راح من ألسكم، يسكنكم بما كان
فلكم، وما هو كن بعدكم، فاستقيموا وسددوا، فإن الله لا يعا بعدكم شيئا،
وسياتي قوم لا يدفعون عن أنفسهم شيئا».

ورد كان مرور بديار القوم المعديين لنعرة و نعته فإن هذا ما، بل هو
مطوب، حيث عبه القراء، كما في قوله تعالى ﴿قُلْ يَسِّرُوا لِي آتَاَرْضِ ثُمَّ أَطُرُوا
كَتَيْفَ كَاتَ عَنَقَةُ الْمُكَبِّينَ﴾ (الأنعام ١١)

• • •

الفصل الخامس

اشكال است حول قصة ابراهيم عليه السلام

تحليل وتوجيه

خُصْلُ الْخَامِسُ

إشكالات حول قصة إبراهيم عليه السلام

تَحْلِيلُ وَتَوْحِيدُ

١ - كُفْرُ وَالِدِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ:

إبراهيمُ حليلُ الله، جعلهُ اللهُ نبياً رسولاً، عبده الصلاة والسلام، وهذا
سُـمُّ بُكْرِيْمُ (إبراهيم) سُمُّ عِلْمٍ أَعْجَمِيٍّ، وهو مَمْسُوعٌ من الصرف للعلمية
محمة، ولا سَحَتْ له عن معنى في اللغة العربية لأنه ليس سماً عربياً مشتقاً
وقد أحرَسَ القرآن عن اسم أبيه، وهو (آزر)، وأن أمه كانَ كاهناً بالله،
يُكْرِمُ عَلَيْهِ اللهُ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ كُفْرَهُ، ودَعَاهُ إِلَى الْإِيمَانِ بالله.

قُلْ تَعَالَى ﴿وَرَأَى قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ إِذْ أَمَّنَّهُ بِاللهِ إِنِّي أَرَى أَنَّكَ
مِنَ السَّاجِدِينَ﴾ [الأنعام: ٧٤].

تَصْرُحُ الْآيَةُ بِاسْمِ أَبِيهِ، وَأَنَّهُ (آزر) وهو مَمْسُوعٌ من الصرف للعلمية
محمة، وهو في الآية مَجْرُورٌ بِمَنْفَعَةِ بَدَلِ الْكُسْرَةِ، لأنه بَدَلٌ من (أبيه)
مَجْرُورٌ قَبْلَهُ.

وَتَقَرَّرُ الْآيَةُ أَنَّ (آزر) هو أبو إبراهيم عليه السلام، وتَحَرُّهُ أَنَّهُ كَانَ كَاهِناً بالله،
بِجَعْلِهِ الْأَصْنَمَ إِلَهاً، وَأَنَّ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنْكَرَ عَلَى أَبِيهِ كُفْرَهُ، وَقَالَ لَهُ
﴿يَا آدَمُ أَتَدْعُكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾

وبَعْضُ الْمُؤَرِّحِينَ وَالْمُعْتَمِرِينَ لَا يَذْهَبُونَ إِلَى أَنَّ (آزر) الْمَذْكُورَ هُوَ وَالِدُ
إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَيُرَوِّى أَنَّ وَالِدَهُ كَانَ إِنْسَاناً مُؤْمِناً بالله! وَيَقُولُونَ لَا يُمْكِنُ
بِإِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ كُفْرَ وَالِدِهِ إِبْرَاهِيمَ كَافِراً أَلْسِينِ:

لأولَ لَوْ كَانَ أَبُوهُ كَاهِناً فَإِنَّ هَذَا، يَعْنِيهِ، بِدَكْفٍ يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ إِبْرَاهِيمُ
رَسُولاً، وَوَالِدُهُ كَاهِناً بالله عَابِداً لِلْأَصْنَامِ!

وَلَا يَرَى فِي هَذَا مَا يَضُرُّ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَوْ يُعْيِيهِ، لِأَنَّ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ
السَّلَامَ لَمْ يَرْضَ بِكُفْرِ أَبِيهِ، وَلَمْ يَقْرَأْ عَلَيْهِ، وَإِنَّمَا أَنْكَرَ عَلَيْهِ، ودَعَا إِلَى اللهِ!

الثاني وندبر هيمه هو أحد أجداد رسول محمد ﷺ. ولو كانت كاهراً فإن
هد يسأفص مع ما يعرفه الناس من أن كل أحد در رسول الله ﷺ كنو مؤمن بالله،
مؤخدين له، وأنه كان شفت في أصلاب هؤلاء الأرحاب لمؤمنين بساحدين

وهذا كلام غير صحيح، ولا دليل عليه، بل إن دعوى يمان كن أجداد
رسول الله ﷺ دعوى مردودة، فقد ثبت أن بعض أحد دد به يكن مؤخداً لله، بل
كان عند الأصنام، وفي مقدمة هؤلاء جد ناسر (عبد المطلب)، فلم يكن
مؤخداً لله، وبما كان على دين قومه من عبادة الأصنام

وهو (زر) أحد أجداد رسول الله ﷺ، كان يتخذ لأصنام آلهة

و يدين دهمو بي شائد إبراهيم عليه السلام كان مؤمناً بالله، فدوا بم
يكن سة والده زر!! والآية تقول ﴿وَرَدَّ قَالَ نَرْجِعُهُ بِأَيْسَرٍ زَرًا﴾

وقالو كان (زر) عم إبراهيم عليه السلام، وأخو عيه أنه (أبوه) من باب
المحار وليس لحقيقة، فقد يهتق على لغة و يحد أب من باب الاستعصان
بمحاري كما فعل أبو صائب عم رسول الله ﷺ، فلما سأله لرهت (نخري) عن
(أب) يفتي (محمد) قال له أن أبوه فقار به (نخري) لا يمكن أن يكون
أبوه حياً فقال نعم، مات أبوه وهو في بطن أمه، فكفته أب، وأن عته!!

وهذا كلام عيه مأخذ كثيرة، ثم إن قصة (نخري) لم تثبت ولم
تصح

والأصل هو إطلاق كلمة (الأب) على الولد حقيقة، وعلى لعم أو جد
محار، ولا يهتق إلى المعنى المحاري إلا عند تعذر حمله على حقيقة

وحتن (الأب) على الولد في الآلة يس متعدياً ولا مجموعاً، والأصل
حمته على حقيقة فتقول (زر) هو أبو إبراهيم علي الحقيقة، والده على
لحقيقة، وكان نوه عند الأصنام، كما قال الله!!

وهذا لا يعت برهم عليه السلام، لأنه لم يرض بكفره، بل أنكر عنه،
ودعه إلى الإيمان بالله، وواحد على إبراهيم عليه السلام دعوة أبيه إلى الإيمان،
ولمن وحن عليه هدف الإيمان في قلبه، فإن أصرت على كفره فلا كلام برهم عنه
السلام على ذلك

ومما يدل على ذلك إبراهيم كان كقراة آيات أخرى من القرآن

قال تعالى ﴿ وَذَكَرْ فِي تِلْكَ نَارِهمْ إِذْ هُمْ يُسَبِّحُونَ ﴾ (إذ قال لأبيه يا أيها
نبي الله ما لا يسمع ولا يشهد ولا يعي عنك شيء) ﴿ يَأْتِيهِمْ فِي قَدْرِهِمْ مِنْ كَلِمَةٍ مَبْرُورَةٍ يُؤْتُونَ
فَأَتَتْهُمْ قَدْ جَاءَتْهُمْ مِنْ رَبِّهِمْ الْفِتْنَةُ الْكَلْبُورُ ﴾ (يا أيها النبي لا تقلد الكفيلين من
الذين يأتونك عدو من بني نوح من قومك) ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ أَتُؤْتُونَ
الْهَبْلَ بِأَنفُسِهِمْ لَوْ أَنَّهُمْ لَأَرَضَوْا بِهِمْ فِي مَوَاقِفَهمْ ﴾ [مریم. ٤١-٤٦]

والخلاصة في هذه المسألة أن إبراهيم هو أبو إبراهيم، ورواه في أبيه،
وكان أبوه كافر بالله، بعد لأبيه وتحدث به، وقد ذكر عنه إبراهيم عليه
السلام ذلك، ودعا إلى الإسلام، واستجلى عن عبادة لأبيه، وكان له
رفق دعوة، وأصر على كفره، وكفره لأبيه إبراهيم عليه السلام ولا تنقصه،
ولا يصبه اليوم، لأنه لم يرضه به، ودعا إلى استجلى عنه

٢- توجيه استغفار إبراهيم لأبيه:

ثم أصر ولد إبراهيم عليه السلام على كفره، ورد عليه دعوته بمصداق
وطاعة، رد عليه إبراهيم بحلم وهدوء، ووعد أن يستعير الله له

قال تعالى ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ أَتُؤْتُونَ لَوْ أَنَّهُمْ لَأَرَضَوْا بِهِمْ فِي مَوَاقِفَهمْ ﴾ [مریم. ٤٦-٤٧]

وقد إبراهيم وعده لأنه بالاستعذار، واستعير الله له، وطب من الله أن
يعصره

و استعذره لأنه عصى بعبادة الله، أي أن أبوه طوب من الله أن
يعصره، أم أن لم يؤمن، وأصر على كفره، فلم يعصر الله له، لأن إبراهيم عليه
السلام يعلم أن الله لا يعصر لأبيه كافر بالله، مما عصى كفره وشركه، فهذه
(مسألة عقيدة) جاء بها جميع الرسل، ويعلمها جميع الرسل

إذن لا لبس إبراهيم عصى استعذره لأنه، لأن استعذره به مشروط
بالإيمان، كآية باستغفاره يقول: اللَّهُمَّ إِنْ مِنْ أَبِي قَاعِظْ لَهُ!

وقد حذر الله عن استعذاره لأنه. في قوله تعالى ﴿ وَأَعِظْ لَأَنفُسِهِمْ كَانِ مِنْ
الصَّالِينَ ﴾ [الشعراء. ٨٦].

وَلَكِنْ أَتَاهُ لَمْ يُؤْمَرْ، وَأَصْرٌ عَلَى كَفَرِهِ، عَدِ دَنْتَ لَمْ يَسْمَرْ بِرِ هِمُّ عَلَيْهِ
سَلَامٌ فِي اسْتَعْدَاهُ لَهُ، وَإِن تَرَأَاهُ، وَفَضَّ صِنْتَهُ

وَيَا قُرْآنُ فِي هَذَا صَرْيَحَةٍ، قَالَ تَعَالَى ﴿مَا كَانِ بِشَيْءٍ وَالَّذِينَ مَا مَوَّالٍ
تَسْتَغْفِرُوا لِلْمُتَكِبِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولَى قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ
الْجَحِيمِ ۝ وَمَا كَانِ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ
لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ يُلَاقِيهِ تَرَأَاهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ﴾ [التوبة ١١٣ - ١١٤]

تَهَيَّ لَأَنَّهُ لِمُؤْمِنٍ عَنِ الِاسْتِعْدَادِ لِكُفَرِيٍّ شَرِكِيٍّ، وَكَانِ كُفَرُؤُنَا
أَوْ بِنَا مَسْمُومٍ، وَذَلِكَ بَعْدَ أَنْ يَدْعُوَ لِمُسَدِّ قُرْبَى كُفَرِيٍّ إِلَى اللَّهِ، فَيَرْفُضُ الْكَافِرُ
دَعْوَهُ، وَيَحَارُ الْكُفَرُ، عَدِ دَنْتَ يَنْشُرُ لِمُؤْمِنٍ أَبَ قُرْبَى كُفَرٍ مِنْ أَصْحَابِ
الْجَحِيمِ!

وَحَتَّى لَا يَنْشَاهِدَ أَحَدُهُمْ تَعَالَى إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ سَلَامٌ، وَحَتَّى لَا يَسْتَعِيرَ
لِقُرْبَى الْكَافِرِ مَقْتَدِيًّا بِإِبْرَاهِيمَ فِي اسْتَعْدَاهُ لَأَبِيهِ، فَقَدْ وَصَّحَتْ لَأَبِيَّةٌ مَلَائِكَةُ
دَنْتَ ﴿وَمَا كَانِ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ﴾.

وَالْمَعْنَى اسْتَعِيرَ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَأَبِيهِ سَبَبَ الْوَعْدِ الَّذِي وَعَدَهُ بِبَيَّاهُ،
حَيْثُ وَعَدَ أَنَّهُ أَنْ يَسْتَعِيرَهُ، وَذَلِكَ فِي قَوْلِهِ ﴿سَمِعَ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَجُلًا إِنَّهُمْ
كَانَ بِأَخِيحٍ﴾ [مريم: ٤٧]

وَعَدَ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّهُ أَنْ يَسْتَعِيرَهُ لَأَبِيهِ صَمْعٌ فِي إِيمَانِهِ، وَجَعَلَ
اسْتَعْدَاهُ لَهُ مَشْرُوحًا لِإِيمَانٍ، أَيْ حَنْبٌ مِنْ اللَّهِ أَنْ يَغْفِرَ لَهُ مِنْ، وَسَاءَ لَهُ وَعَدَهُ
بَذَلِكَ، وَمِنْ إِنْ طَمَعًا فِي إِيمَانِهِ، فَلَا يَمْنُتُ إِلَّا أَنْ يُغَدَّ وَعَدَهُ!

لَكِنْ مَا حَصَلَ بَعْدَ اسْتَعْدَاهُ لَأَبِيهِ؟ أَصْرٌ لَأَبِيهِ كَفَرِهِ، وَنَيْشٌ لِإِبْرَاهِيمَ
عَلَيْهِ السَّلَامُ عَنَادَ أَبِيهِ، وَاتِّبَاعُهُ لِلشَّيْطَانِ، وَعَدَاوَتُهُ لِلَّهِ!!

هَذَا هُوَ الْمَهْمُ! فَمَاذَا كَانَ مَوْفَقُ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ أَبِيهِ، بَعْدَ مَا بَيَّنَّ لَهُ
كُفْرَهُ وَعَدَاوَتُهُ لِلَّهِ؟ هَلْ اسْتَغْفَرَ لَهُ بَعْدَ ذَلِكَ؟ وَهَلْ سَمِعَ فِي مَوَاقِفِهِ؟ بِهِ مَوْفَقٌ
بَذَلِكَ - وَحَاشَاهُ - لَكَانَ مُحْطًا مُوَاخِذًا!

بَعْدَ مَا بَيَّنَّ لَهُ حَقِيقَةُ مَوْفَقِ أَبِيهِ نَزَّاهُ ﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَرَأَاهُ إِنَّ
إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ﴾

قد تراءى إبراهيم من أبيه في الهائلة، وأظهر عداوته له ولقومه، وقد عاش أبوه (آزر) في الدنيا كافراً، ومات كافراً!

بقيت في مسألة الصلوة بين إبراهيم عليه السلام وأبيه الكافر آزر نقطة، وهي ما سيجري بينهما يوم القيامة، ومصير أبيه في ذلك اليوم.

روى البخاري [برقم: ٢٢٥٠] عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «يقضى إبراهيم أباه يوم القيامة، وعلى وجهه زرقته وعمره»

فيقول له إبراهيم: ألم أقل لك لا تعصني؟

فيقول له أبوه: اليوم لا أعصيك!.

فيقول إبراهيم: يا ربك وعدتني أن لا تحربي يوم يُعشون، وأي حربي تحربي من أبي الأبعد؟.

فيقول الله: إني حرمت الجنة على الكافرين

يقال يا إبراهيم انظر ما بس رحلتك، فسخر فود هو يدعي منصف، من حدقوا نعمة، فينتفى في البار!.

نصرتُ أحدث على أن إبراهيم عليه السلام ينفي أنه يوم القيامة، وتعتبر حجة رعية وفسرة لأنه كفر، وعندما يُذكر إبراهيم أنه نَحْدِرُهُ له من هذا الموقف بما كان في يد، يُصهر أبوه استعداداً لطاعته واندحور في دية الكس حتى؟ بعد فوات الأوان.

ويسأل إبراهيم عليه السلام ربه عن نهية أبيه: يا رب لقد وعدتني أن لا تحربي يوم القيامة، وأي خزي أخزي من أبي الأبعد؟

أي كيف سيكون نهية أبي؟ وكيف ستتقو هذه نهية مع عدم جري، لأنه أبي؟

وسن هذا لقول من إبراهيم عليه السلام شدة لأبيه، وسن نصت بهذا كلام من الله أن مدخله الجنة، لأنه يعلم أن أباه مات كافراً، وقد تراءى معه في يد، فس يشفع له مدحور حبه في الآخرة، لأنه يعلم أن الله حرّم الجنة على كافرين!

وَيُطْمِئِنُّ إِلَهُ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِأَنَّهُ نَصَبَ بِالْحَرِيِّ سَبَّ كَمَرِ أَنَّهُ،
لأنه لم يدخل النار على صورته الأدمية البشرية، حتى لا يقال انطروا، هـ هو ارر
والد إبراهيم، يُوَخِّدُ لِيُلْقَى بِهِ فِي النَّارِ!!

سَمِعَ اللَّهُ (أَرْزَى) وَيُحَوِّثُهُ إِلَى (دِيح) ١ وَلَدِيحٌ هُوَ دَكْرُ الصَّعْصَعِ، كَثِيفُ
الشَّعْرِ، هَذَا الدِّيْحُ يَكُونُ مَتَطَحّاً رَحِيماً وَدَوْرَةً، وَهِيَ صُورَةٌ مَمْرُةٌ مَقْرَرَةٌ

يُوَخِّدُ بِقَوَانِمِ هَذِهِ الصَّعْصَعِ، وَيُلْقَى فِي النَّارِ عَلَى هَذِهِ الصُّورَةِ، وَيَدُو أَنَّهُ
عِنْدَمَا يَسْتَقِرُّ فِي النَّارِ يَعْبُدُهُ اللَّهُ بِصُورَتِهِ الْأَدَمِيَّةِ، عَلَى نَهْ (رَرْ) كَمَا

وَيَكُونُ مَحْجَةً (دِيحاً) حَيَوَاناً بِكَرَامَةِ إِبْرَاهِيمَ، حَتَّى لَا يُوَدِّي يَوْمَ نَقِيصَةٍ،
وَلَا تَأْثُرُ مَشَاعِرُهُ، عِنْدَمَا يَرَى النَّاسُ أَنَّهُ مَا حُودَنَهُ إِلَى حَيْمِهِ ١

هَذِهِ هِيَ صِلَةُ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِأَبِيهِ فِي سَبَبٍ، تَهْتَبُ سِرَّاتُهُ مِنْهُ بِكَفَرِهِ،
وَهَذِهِ هِيَ نِهَائَةُ نَبِيٍّ يَوْمَ النِّعَامَةِ، مُحْتَدّاً فِي سَبَبِ حَيْمِهِ ١

٣- تَوَجِيهِ قَوْلِ إِبْرَاهِيمَ عَنِ الْكُوكَبِ (هَذَا رَبِّي)

دَعَا إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَوْمَهُ إِلَى الْإِسْلَامِ لِلَّهِ، وَأَطْلَعَ كُوكَبَ الْكُوكَبِ الَّتِي
عَبَدُواهَا أَلْهَةً.

وَقَدْ أَحْرَبَ اللَّهُ عَمَّا كَانَ يَقُومُهُ، قَالَ تَعَالَى ﴿وَكَذَلِكَ رَأَى إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَكُنْ مِنَ الْكَافِرِينَ ۚ إِنَّ مَلَأَ حَرَّ عَيْنَيْهِ لَيُنَازِلُهُ كُوكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا
أَقْبَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ إِلَّا إِلَهِي ۖ فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَارِعًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَقْبَلَ قَالَ لَيْسَ لَمْ يَهْدِي
رَبِّي لِأَكْثَرِكُمْ مِنْ تَقْوَى اللَّهِ لَيْسَ ۖ فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَارِعَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْثَرُ
مَلَأَ أَفْئَتَهُ قَالَ يَقُومُ إِنْ رَأَى ۖ مِمَّا ضَرُكُونَ ۚ ۚ فِي وَجْهَتِ وَجْهِي لَيْلَى فَطَرْتُ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضَ حَيِّفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام ٧٥-٧٩]

إِنَّ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ عَنْ كُلِّ مِنْ كُوكَبٍ وَتَقَرَّرَ وَالشَّمْسُ (هَذَا
رَبِّي)، وَفِي هَذَا يَقُولُ بِشَكْلِ ١ إِنْ كَيْفَ يَقُولُ عَنْ كُوكَبٍ هَذَا رَبِّي وَهُوَ أَسِي؟
هَلْ قَالَ هَذَا صَاحِبًا أَنَّهُ يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ إِلَهُ؟ وَهَلْ يَتَقَنَّ هَذَا مَعَ سَوْتِهِ؟ وَهَلْ كَانَ فِي
قَوْلِهِ يَبْحَثُ عَنِ إِلَهٍ؟ وَهَلْ كَانَ هَذَا الْقَوْلُ قَبْلَ سَوْتِهِ أَمْ بَعْدَهُ؟

دَعَا بَعْضُ الْمُتَشَكِّكِينَ وَالْمُؤَرِّحِينَ إِلَى أَنَّ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ هَذَا مِنْ

للبوه، وأنه كان يبحث عن شيء لأنه شاهد قومه بعدون لأصنام. وفطرته
رفعت أعين الأصنام الهية، لأنها حمادات محبوسه!

ويذكر الأصنام لي بعدد قومه لئلا يفهم هو الإله ادن؟ فكّر إبراهيم
مبتأ، وما دخل النيل ونشر الظلام رأى كوكباً مصيباً في السماء، فصل أنه من
ممكن أن يكون إلهاً، ولكن هذا كوكب عاد، برقت فطرته أن يكون إلهاً
لأنه عاد! ولإله لا يحول أن يعيب! وفي السنة السابعة رأى القمر طلوعاً رعداً
كبيراً مصيباً، فصل أن من ممكن أن يكون إلهاً، ولكنه عاد فهو ليس إلهاً!
وفي شهر رأى شمس مشرقة، فطرته أنه يمكن أن تكون إلهاً، وقد عها
﴿ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْثَرُ ﴾، ولكنه عاد، قد تصلح أن يكون إلهاً

عدد ذلك أسعفه الله، وده عليه، فعد أن لإله هو الله ربنا حاسين!
وقد ﴿ يَوْمَ وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ حَبِيبًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾

وهذا كلام مردود عند، وفيهم بلايات غير شديد، لأنه يعارض مع عصمة
الأنبياء، فمن المعروف أن لأب، معصوم عن إشرارك الله من سوء رعبه،
فكيف يكون إبراهيم عليه سلام يبحث عن إله قبل سوء، ويتوقع أن يكون هذا
كوكب أو القمر أو الشمس، ثم يهتدي إلى حلقه في النهاية؟

ثم يكن، برهم عليه سلام في مقام نظير والبحث عن الله عدم من ما قبل،
إما كان في مقام ماصد وحده مع قومه، الذين كانوا بعدون كوكب ويتحدوهم
كلمة، وأراد إبراهيم عليه سلام يصل كوكب إلهة، ويقمة بحجة على قومه، فقد
ما قبل، وكان هذا المشهد بعد نبوته وليس قبلها!

ذهب إبراهيم لشيء عليه الصلاة والسلام إلى قومه الذين كانوا يعشرون
كوكب آلهة، بهدف إقامة العدل على إبطال الوهيتهم، وإثبات ألوهية الله
وحده، عن طريق (المنطق الجدلي البرهاني).

فعد مع قومه في النيل، فرأى كوكباً سيراً، وكان قومه يعشرونه رباً، فقال
لهم: (هذا ربي)!

أي. هذا ربي كما تقولون أنتم! فأتم بعدون أنه ربهم وتعبدونه، تعالوا
نظر: هل يصلح أن يكون رباً معبوداً؟

بعد فترة عات الكوكب، فقال لهم ﴿لَا أُجِيبُ الْآفِيِينَ﴾ أي لا أومن
برث يعيب، لأن الثرت لا يعيب عن الكون، وبما أن الكوكب عات فقد بطل كونه
رباً!

وفي ليلة أخرى قعد مع قومه، فرأى القمر طالعاً مبيراً، بدر كبيراً، فقال
هم (هد ربي) أي هد ربي كما تعتقدون، تعادوا سحر هل يصح أن يكون
هذا القمر رباً معبوداً.

ولما غاب القمر بطل احتمال كونه رباً، لأن برث لا يعيب، ولذلك قال لهم
﴿لَيْسَ تَهْ يَهْدِي رَبِّي لِأَكْثَرِ مِنَ ثَوِي الضَّالِّينَ﴾ أي أنتم صالون في عتاركم القمر
لعاب ربها، وعبيكم أن تتحنوا عن هد بصلار، أم أن فست صلاً مثلكم،
لأنني أومن بالله رب العالمين!

وفي يوم آخر قعد مع قومه في السهار، فرأى الشمس بدعة مشرقة، فقال
﴿هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ﴾!

أي أنه تعتقدون الشمس رباً، لأنها كثر من القمر ومن كوكب تعالوا
ننظر: هل تصلح الشمس أن تكون رباً معبوداً.

وبما عات الشمس، بطل احتمال كونه رباً، وبدت أدم عيهم لحجة
اعتقية، باستخدام (المطلق الحدلي، البرهني النقيع)!

لقد تدارك إلى مستوى تفكيرهم اسداح يقنعهم سنمث لكم - حدلاً - أن
كوكب ربي! لكنه عات، والبر لا يعيب! ثم سنمث لكم حدلاً أن الشمس ربي!
لكنه عات، والبر لا يعيب! ثم سنمث لكم حدلاً أن شمس ربي كنها عات،
والبر لا يعيب! كلام مع مع يلمس القلب وعقل وانصره.

وبعد انقضى كون هذه الثلاثة رباً أنه صار خهم شركهم، وبره من
شركهم، وإيمانه بالله رب العالمين وحده لا شريك له، فقال لهم: ﴿يَنْقُورِي
رَبِّي وَمَا تُشْرِكُونَ﴾ إِي وَحْهَتْ وَحْهِي يَلْدِي مَطَرُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ حَبِيهَا وَمَا أَنَا
بِالسَّارِكِينَ

إذن فو إبراهيم عليه السلام عن كوكب (هد ربي) في مقدم مظهره
لقومه، الذين كانوا يعبرونه رباً، بهدي بطل كونه رباً، وشك ربوبية الله وحده،

وقد نصح إبراهيم عليه السلام في ماضيه و حديثه و ماضيه و أنشئ الله عليه في
مسطحة و كلامه، فقال تعالى: ﴿وَبَلَّغْ حُجَّتَآ نَبِيِّہَاۤ اِبْرٰہِیْمَ عَلٰی قَوْمِہٖۤ اَنۡ یَّرْفَعَ دَرَجٰتِہٖۤ
مِّنۡ نَّسَبِہٖۤ اِنَّ رَّبَّکَ سَبَّحٌ عَظِیْمٌ﴾ [الأنعام: ٨٣]

أي أن الله هو الذي علمه أن يقرّر هذا القول، وأن يقدّم بقومه هذه حجة
وكان إبراهيم عليه السلام مؤمناً بالله، ورسولاً داعية، عليم بأن ما
هو قال تعالى ﴿وَكَذٰلِكَ نَرٰی اِبْرٰہِیْمَ مَسْكُوٰتًا السَّمٰوٰتِ وَالتَّارِیْہِیۡنَ وَیَسْكُوۡنَ مِنۡ
اَلْمُؤَقِقِیۡنَ﴾ [الأنعام: ٧٥]

٤ - نصح إبراهيم عليه السلام في حوار مع الملك

دعا إبراهيم عليه سلام من قوم بهي الله، وكان ذلك من حيث كبراً ظاهراً
طاعية، يدعي الألوهية، وقد أقامه وأقامه عليه الحجة، وسجل القرآن بعض ما
حري بينهما قال تعالى ﴿اَلَمْ تَرَ اِۤنۡنِیۡ اَنْزَلْتُ اِبْرٰہِیْمَ فِی زَبَدٍ اَنۡ اَنۡتَهَ اَللّٰهُ
اَلْمَلٰٓئِكَةُ اِذۡ قَالَ اِبْرٰہِیْمُ رَبِّیُّ اَلَّذِیۡ یُنۡحٰی وُجُوۡہُہٗٓ اَیُّہٗٓ اَنۡ اُتٰی وُجُوۡہُہٗٓ فَاِذۡ
اَللّٰهُ یَاۡتِیۡ بِالسَّمٰوٰتِ مِنۡ اَشْرَاقٍ فَاَتٰیہٗٓ مِّنۡ اَلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِیۡ کَفَرَ وَاَللّٰهُ لَا یَهْدِیۡ الْقَوْمَ
اَلظٰلِمِیۡنَ﴾ [البقرة: ٢٥٨].

بعض منظرين ومؤرخين ذهبوا إلى الأمر ثبت لأحد تفاصيل
منها عن ملك ومصدر قوته وعاصمته ودوره وطعانه، ثم كيف كان دعواه
الألوهية، وكيف كانت بهيته فذكروا أن اسمه (مرود)، وأنه كان ملكاً على
(بل)، وأن الله أدته في نهاية بالعوض، التي دحبت دماغه - عن طريق أفعه -
وأنها كانت (تضرب) في رأسه، فبطلت صوته بالمراد، لصحف لآله

ولا نقول بهذا، ونوقف في بيان (مهمات) قصة هذا الملك، ولا توجد
أحاديث صحيحة عن رسول الله ﷺ، تصف شيئاً من مذكره بقرآن، وسقى نحن
مع القرآن، ففكر كان الملك كافر، وكان يدعي الألوهية، وبطلت من أساس
أن يؤلّوه ويعبدوه، فتوخته إليه إبراهيم عليه السلام، وحاشه وحاشه،
وأقام عليه الحجة، ونصح في إحقاقه ونقص دعواه، ويثبت وحديثه، في
الوحيته وربوبيته، وتقرّده في الأمر والتفكير.

اعترض منك بالملك متى أتاه الله يراه، وسبي أنه منحة وسلا من الله،

وَأَنى نَسِهَ بَعْدَ الْمَلِكِ الْكَسْبِ إِسْمَاءُ ﴿ أَلَيْسَ حَاجَّ إِرْهَاتِهِمْ فِي رَيْبِهِ أَنْ تَقُلَّ اللَّهُ الْمَلِكُ ﴾

وبما نَرَدُ بِإِرْهَاتِهِ عَنْهُ أَسْلَامَ بَصَالِ كَوْنِهِ بِهَذَا ذِكْرُ مَوْتٍ وَحَدَثٍ
وَأَيْهَابِ بَدَنِهِ وَحَدَثٍ، فَمَنْ نَسِيَكَ ﴿ رَبِّيَ أَلَيْسَ مُتَعَيِّبًا وَتُسَيْبًا ﴾

يُنِي اللَّهُ حَدَثًا، الَّذِي يَحْمِلُ سَائِرَ، فَيَحْمِلُهُمْ بِوَدُونَ، وَحَيَوْنَ وَمَعِشَوْنَ،
وَيَسْخَرُهُمْ حَدَثَهُ وَنَصَحَتَهُ وَمَعِيَّتَهُ، وَحَدَثُكَ هُوَ لَدَيْهِمْ عَدَدُ نَوَاحِيهِمْ،
فَيَقْصُرُ أَرْوَاحَهُمْ، لَا يَشْرِكُهُ أَحَدٌ سَعْدَهُ فِي حَيَاتِهِ سَائِرَ، وَلَا فِي إِمَاتَتِهِمْ
فَهُوَ الْمُحْيِي وَالْمَمِيتُ!.

وَمَقْصُودُ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ هَذَا إِثْبَاتُ وَحِدِيَّةِ اللَّهِ، وَنَعْيُ الشَّرِكِ
عَنْهُ، فَبِمَا أَنَّهُ لَا يَشَارِكُ إِيَّاهُ سُبْحَانَهُ أَحَدٌ فِي الْإِحْيَاءِ وَالْإِمَاتَةِ، فَكَذَلِكَ لَا يَشَارِكُهُ
أَحَدٌ فِي الْأُلُوهِيَّةِ وَالرَّبُوبَةِ وَالْعِلَاقَةِ!

لَكِنْ حَسْبُ الْمَعْرُورِ لَمْ يَسْأَلْ بَارَكَ وَحَدَثَهُ هُوَ لَدَيْهِ يُحْيِي وَيُمِيتُ، وَدَعَى
أَنَّهُ أَيْضًا يُحْيِي وَيُمِيتُ! يَنْدَعِي أَنَّهُ بِسَبَبِ شَرِيكَ مَعَ اللَّهِ فِي الْإِحْيَاءِ وَالْإِمَاتَةِ،
فَقَالَ: ﴿ أَنَا أَنْتِي وَأُمِيتُ ﴾!

بِالْمَعْرُورِ لَمْ تَنْزُكْ بَيْنَ الْأَسَابِ وَالْحَسَنَاتِ فِي عَدَمِ الْإِحْيَاءِ وَالْإِمَاتَةِ
هُوَ قَدْ يَكُونُ سَبَبًا فِي الْإِحْيَاءِ وَالْإِمَاتَةِ، لِأَنَّهُ بِأَمْرٍ وَيَنْهَى، فَقَدْ يَأْمُرُ بِإِعْدَامِ شَخْصٍ،
وَبِذَلِكَ يَكُونُ سَبَبًا مُبَاشِرًا فِي مَوْتِهِ، وَبِإِثْبَاتِ تَفْظِيلِ أَمْرِهِ بِالْإِعْدَامِ قَدْ يَعْمَلُ عَنْهُ،
فَيَكُونُ سَبَبًا فِي حَيَاتِهِ!.

هَذَا صَحِيحٌ، لَكِنْ مَنْ هُوَ الْمُسَبَّبُ وَالْمَعْدُورُ؟ إِنَّهُ اللَّهُ وَلَيْسَ هُوَ اللَّهُ
هُوَ لَدَيْهِ لَيْسَ الشَّخْصُ الَّذِي أَمَرَ حَسْبُ بَقِيَّتِهِ، وَاللَّهُ الَّذِي يَرِيدُ حَيَاتَهُ وَبُلْغَهُ
الْمَلِكُ بِالْمَعْرُورِ!.

وَاللَّهُ هُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ! وَالْمَلِكُ سَبَبٌ مُبَاشِرٌ مَدِينِيٌّ شَرِيٌّ فِي مَوْتٍ
وَالْحَيَاةِ، وَلَيْسَ شَرِيكًا لِلَّهِ فِي ذَلِكَ!.

هَذِهِ الصَّلَةُ بَيْنَ السَّبَبِ وَالْمُسَبَّبِ فِي الْمَوْتِ وَالْحَيَاةِ لَمْ يَعْرِفْهَا الْمَلِكُ
الْمَعْرُورُ، فَطَرَفَ نَفْسَهُ شَرِيكًا مَعَ اللَّهِ فِي الْمَوْتِ وَالْحَيَاةِ.

وَأَمَّا جَهْلُ الْمَلِكِ وَالْمَعْرُورِ لَمْ يَسْأَلْ بِهَمْ عَنْهُ أَسْلَامَ لَا سَتَرَسَالٍ فِي

مناقشته وحده، ونعني به عروق من السبب والحسب في لإحياء والإمارة، وبما
أرد لا يذهب إلى مثله حر و صبح مكشوف. يد دلالة بنية على وحدانية الله،
وعلى عجز حجت عن حكمه، فله حركة شمس أو دلالت وانه ﴿فَلْيَكْفُرْ﴾
يَأْتِي بِشَّمْسٍ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأَبْهَتَ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَهِيَ الْوَيْ كَفَرُ ۝ ١١

بدل من يكون بقاء برهمن من إحياء وإمارة في تحكّم في حركة
شمس هريمة من تمام حجت، وعجز عن إدراكه، كما قد ينهم بعضهم،
ويعتبرون عدم حده ونقطة مع الحسب حول سبب و حسب شأن الحجة
والموت عجز منه عن حوا حجت ونقطة وبقائه به لم يعجز به من ينهم
نفاذه، ولكنه أرد حجة لأمر بتقدمه من صبح، لا يحصل لأحد والرد،
ولقدش والتزاع، بهدف إفحام الملك وهزئت (الضرورة بالصبغة). كما يقال
بدلت قال له الله وحده يأتي الشمس من المشرق من المغرب، فإن كنت بهذا
قادراً على التحكّم في الكون، فتفصل وتغير حركة شمس، وأن أنت به من
المغرب إلى المشرق ۝ ۱۱

ولا يمكن محقق أن يدعي بغيره على ذلك. ولدت ما كان من الحسب
المعروف لا لاستلام ولا عترف بهريمة، ولا قور بمعجزه عن فعل ذلك
﴿فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الضَّالِّينَ﴾

وهذا معناه لا عترف بمشي من عدم حريته ورويته، لكنه بقي يدعي
ذلك عبداً وسكراً، رعه هريمة أمام مطلق برهمن عبه السلام

٥ - لماذا طلب إبراهيم رؤية كيفية إحياء الموتى؟

أخبرنا الله في القرون أن برهمن عبه السلام طلب من ربه أن يريه كيف
يحيي الموتى، قال تعالى ﴿وَيَذَّاقَ أَثَرَهُمْ رَبِّي أَرِي حَكِيمٌ تَعَالَى الْمَوْتُ قَالَ أُولَئِمُ
تُؤْمِنُ قَالَ بَلْ وَلَكِنْ لَتَطْمَئِنَّ قُلُوبِي قَالَ فخذ أربعة من الطير فصرهن إليك ثم اجعل على
كل جبل منهن جزءاً ثم ادعهن يأتينك سعيًا وَاَعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [سورة ٢٦٠].

يريد إبراهيم من ربه أن يريه كيف يحيي الموتى ﴿رَبِّي أَرِي حَكِيمٌ تَعَالَى
الْمَوْتُ﴾ أي يريد إبراهيم أن يرى مثلاً عملياً، وسدحاً، فعلاً لإحياء الموتى

لم يكن برهمن عبه سلام شاك في قدرة الله على إحياء الموتى، فأراد

رؤيه ذلك يربو شگه، وحاشه أن يشك في قدره الله على ذلك، وهو سبي
الرؤسول عليه الصلاة والسلام

ولو كان شاكاً في قدره الله على ذلك لقال: رب هل تقدر على إحياء
الموتى؟ أو: هل تستطيع إحياء الموتى؟

إن فوه ﴿ رَبِّ أَرَى حِكْمًا مِّنْ عِندِكَ ﴾ سـ سـ لا عن مكايه حياء
سموي، ولكنه كرامة عن كمنه إحياء سموي، وعن ذيه يهدد بكففة رب قدره
الله على إحياء سموي أمر مستم به عند ربه هيم عليه السلام، يؤمن به بعداً حارماً
قاطعاً، وكل ما يريد هو أن يرى بعينه كمنه حياء به سموي

وأراد الله الحكيم أن يتره إبراهيم عن شك في قدرته على ذلك، وأن يربو
ما قد يعلق في أذهاننا من لبس حول صلب ربه هيم الغريب عليه السلام، ذلك
أحس عن سوره، وعن جواب إبراهيم ﴿ قَالَ أُولَئِم تَزْمُونَ قُلُوبِي وَلَكِنِّي ظَنَمِيَنَ
قُلُوبِي ﴾

يسأله الله: لماذا ظلمت يا إبراهيم ذلك؟ هل أنت شك في قدرتي على إحياء
سموي حتى ظلمت ذلك؟ أو سم تؤمن أني قادر على إحياء لموتى؟

سأله الله وهو يعلم أنه يعلم أن الله قادر، لأن الله بكل شيء عليم،
ولسوف لهم نحن حقيقة طلب إبراهيم عليه السلام، وسره عن شك في قدره
الله!

ولذلك جاء بحواث وأصح صريحاً من إبراهيم عليه السلام ﴿ قَالَ نَعْنِي
وَلَكِنِّي ظَنَمِيَنَ قُلُوبِي ﴾!

أي سـ، أنا مؤمن يا رب بقدرتك على إحياء سموي، ولا أشك في ذلك،
ولكنني أريد أن أعظم نفسي ويردد إيماني بقدرتك يا رب على ذلك!

إن مشهده إبراهيم عليه السلام لتجربة عملية حول إحياء الموتى لا توجد
ولا سنن الإيمان بذلك في قلبه، ولكنه يريد ذلك الإيمان وتقويه، وريادة
الإيمان تؤدي إلى زيادة الطمأنينة في قلبه!

ومن معوم بذاهة أو مشاهده حادثة ناعين، أو نفيه سحرية عملية
بالعمل، تؤدي إلى زيادة الإيمان والتصديق والتسليم، وترسيخ وتثبيت بحقيقة
النظرية

ويهدى بحر من أصحاب المذاهب يدور على هام مدرسين تجارب
ميدانية عملية، يطبقون فيها عملياً ما أخذوه نظرياً

من مطلب مثلاً لن يكون طيباً مهما درس في الكتب عن الطيب، ولن
تتعرف حقاً على جسم الإنسان مهما قرأ عن علم التشريح، لن يكون طيباً إلا إذا
ذهب إلى (المحتر)، وهام هناك بالتشريح نفسه! يندرب حملي الميداني في
معامل والمحترات هو الذي رشح المعينات المنظمة نظرية في نفس نصب

وعند تدرك هذا المودج الضيق حدوث أن منهم لباعث لدي حصل
برهيم عليه سلام - يطلب من أنه أن يره كفيه حباته لتسوتي، ويعينه ذلك
بأنه ليطمئن قلته!

ن برهيم عليه سلام يريد أن يصنع شجرة معينه إلى (اليد) نظري،
يريد أن يرى بعينه كيفية إحياء الله للموتى، ليزداد يقيناً بصدق

ومن مربي شخصية برهيم عليه السلام به كذا يكثر من استخدام (وسائل
لإبصار) تأكيد لحقائق نصريه، ويغزو لتحارب معيه ترويح بقعة
لنصريه، هدام فعلة عدم أصل كوكب وشمس آلهة، وعدم
طلب من سميت لكفر تعبير حركة شمس، وعدم حفظ أصم قومه وترت
الصنم الكبير ليحمهم!

وقد كان رسول الله ﷺ حريصاً على تربية إبراهيم عليه السلام من شبهة
الشك بقدره الله، عندما طلب ما طلب!

روى البخاري [رقم ٣٣٧٢] ومسلم [رقم ١٥١] عن أبي هريرة رضي
الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «الحق أحق بالشك من برهيم، وبرحمته لله
لو طأ، لقد كان أبوي إلى ركن شديد، ولو شك في الحق ما كنت يوسف لأحس
الداخي!»

ن لرسول ﷺ موضح حقيقة ثلاثة مواضع ثلاثاً من الأساء

حقيقة موقف برهيم عليه السلام، عندما قال ﴿رَبِّ أَوْيْ كَيْفَ نَحْيِ
الْمَوْتِ﴾ وحقيقة موقف وط عليه السلام عندما قال يقومه لكفر من لشادن
﴿لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةٌ أَوْ إِيَّايَ إِلَى رَبِّي سُدِّي﴾ [هود ٨٠] وحقيقة موقف يوسف عنه

لِاسْلَامٍ عِنْدَمَا فِي الْمَدِينَةِ الْخَالِدِ ﴿أَرْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَتَقَعَنَّ مَا بَأْسُ كَيْتَوَهُ كُنِّي
فَقَطَّعَ آيَاتِهِمْ﴾ [يوسف - ٥٠]

وَمُسْتَحْدَثٌ عَنْ مَوْقِفِ سُوَيْدٍ وَيُوسُفَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ عَنِ ابْنِ بَرَكَةَ عَنْ
إِبْنِ كَلَّابٍ عَنْ حُورٍ قُصَّتِيهِمَا، وَكَلَامُ لَأَنْ عَنِ كَلَامِهِ عَنْ بَرَكَةَ عَلَيْهِ السَّلَامُ
إِنَّ الرُّسُولَ ﷺ يَقُولُ «مَنْ تَوَلَّى شَيْئًا مِنْ بَرَكَةِ اللَّهِ وَهُوَ يَهْدِي بِمَنْ
شَهَادَةً لِأَبِي هَيْمٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَيُثْبِتُ عَلَيْهِ، وَبِحُجْرَةٍ لَهُ لَمْ يَشْكُ بِقُدْرَةِ اللَّهِ عَلَى إِحْيَاءِ
الْمَوْتَى!».

وَمَعْنَى كَلَامِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ «وَحَارَ شَيْءٌ عَلَى بَرَكَةِ عَلَيْهِ السَّلَامُ كُنْتُ
أَبَا أُولَى بِالشَّكِّ مِنْهُ!»

وَهَذَا تَعْلِيلٌ هُوَ شَيْءٌ رَسُولُ مُحَمَّدٍ ﷺ فِي قُدْرَةِ اللَّهِ «بِحُجْرَةٍ دَسِيقِي،
فَهُوَ بِشَيْءٍ فِي قُدْرَةِ اللَّهِ حَصَّةٌ وَحْدَةً»
وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ «وَمَا تَبَيَّنَ شَيْءٌ، فَبَرَكَةُ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمْ يَشْكُ
مِنْ بَابِ أُولَى!».

وَمَعْنَى بَرَكَةِ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِشَيْءٍ مِنْ بَابِ أُولَى
لأنه شاهد بعينه شَيْئًا وَمَدَّحَ عَمَلَهُ عَمْرَةً لَهُ، وَمَدَّحَ لَأَحَدٍ مِنْهُ وَقَعَتْ لَهُ
هُوَ، مِثْلُ إِجَاءِ اللَّهِ مِنْ النَّارِ عِنْدَمَا أَلْقَاهُ الْكَفَّارُ فِيهَا!».

وَلَا يَعْنِي هَذَا أَنَّ بَرَكَةَ أَعْظَمُ إِيْمَانًا مِنْ رَسُولِ مُحَمَّدٍ، عَلَيْهِمَا السَّلَامُ،
فَمَعْنَاهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ هُوَ أَفْضَلُ مِنْ بَرَكَةِ وَأَعْظَمُهُمْ إِيْمَانًا»

وَقَدْ كَرَّمَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَاسْتَجَابَ لِقَدَمِهِ، وَأَشَدَّهُ إِلَى طَرَفَيْهِ
عَمِيَّةً. يَرَى فِيهَا كَيْفِيَّةَ إِحْيَاءِ الْمَوْتَى، قَالَ تَعَالَى ﴿قَالَ فَحَدَّثَ أَرْزَمَهُ مِنَ الظُّلُمِ
فَصُرَّتْ لَهُ إِيَّاهُ ثُمَّ أَحْمَلَتْ عَلَى كُلِّ حِلٍّ مِنْهُمْ حَزْءًا ثُمَّ دَعَوْهُمْ فَأَتَيْكَ سَعِيدًا﴾ [الأنعام - ٢٦٦]

مَعْنَى (حَزْءًا) أَيْمُنُ

فَمَعْنَى بَرَكَةِ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنْ يَأْخُذَ أَرْبَعَةَ طُورٍ، ثُمَّ يَدْعُوهُمْ، وَيَحْتَضِلُّهُمْ،
بِحَيْثُ يَتَدَاخَلُ بَعْضُهُمْ فِي بَعْضٍ، وَيَحْتَارُ بَعْدَ ذَلِكَ مَجْمُوعَةً مِنْ حَبَابٍ، وَيَصْبَحُ

على كل حين مهيئاً حرّاً، بحيث يكون على كل حين حرّاً من لحم كل طير من الطيور الأربعة ثم تقف بين بحال، وتدعو أحرار الطيور مستغفرة عليها عند ذلك فيرى أن الله قد جمع لحم كل طير من الطيور الأربعة، وفتح فيه روح، فثبت فيه روح، وصار طيراً حرّاً، ومنه في كل طير من الطيور الأربعة سبعاً، وستة الطيور الأربعة عنه، وكأنها لم تدع، ولم تحط بحومها، ولم تورع على الجبال!!

وفاء إبراهيم عليه السلام بتحرره، كما أمره الله، وأحب الله به طيور الأربعة، وحدثني كيف يحيي الله الموتى، فأرداد يمد به، وأطمان فيه، وأيقن أن الله عزيز حكيم، وعلى كل شيء قدير.

٦- قول إبراهيم: (إني سقيم)

بعدما دعا برهية عليه السلام قومه إلى الإيمان، ورفضوا دعوته، عندئذ الأصنام والتماثيل التي يعبدونها هي الدرع الذي يمسهم من الإيمان، وحدث عزم على إزالة هذا المانع بتعطيم الأصنام، وأخبرهم أنه سيكيد أصنامهم، ورسمه في شبه حطة تعطيمها، على حين غصه بهم، عندما يكونون عاتين عن لمدينة!

وقل تبعده لحطة دعوته يكون معهم، ولكنه اعتد على ذلك بأنه (سقيم) قال تعالى ﴿وَلَمَّا بَلَغَ مِنْ شِقَايَهٗ الْإِسْمَ ۖ قَالَ إِنِّي فَتًى ضَلُّتُ سَبِيلَ ۚ﴾ [إذ قال لإبيه وقومه: مَا تَقُولُونَ ۚ] ﴿يَقُولُ لَهُ دُونَ اللَّهِ يُرِيدُونَ ۚ﴾ ﴿مَا تَشْكُرُ رَبَّ الْعَالَمِينَ ۚ﴾ ﴿فَطَرَتْ نُطْرَةً ۚ﴾ [وَأَسْمُومٌ ۚ] ﴿فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ ۚ﴾ [اصدود ٨٣، ٩٠]

وذهب بعضهم إلى أن إبراهيم عليه السلام كان يظن في السحوم، ويعرف منها الحط، وخصب، وما يحدث له في المستقن، وقد صر في سحوم في ذلك اليوم، فأحرته السحوم أنه سمر ص، فيقع بذلك، وفاء إبراهيم سقيم! وذهب آخرون إلى أن إبراهيم كان صحيحاً، ولم يكن سقيماً مريضاً، ولذلك لم يكن صادقاً في قوله: (إني سقيم)!

وعندما في ذلك على حديث صحيح رسول الله ﷺ، يست فيه يكذب إلى إبراهيم عليه السلام

روى المحمدي [برقم ٢٢١٧] ومسلم [برقم ٢٣٦١] عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ قال: «م يكذب إبراهيم؟ لا ثلاث كذبات نسا مهوراً في دة الله فوله ﴿إِي سَفِيمٌ﴾، وقوله ﴿يَلْعَلْكُمْ كِبِيرُهُمْ هَذَا﴾»

وسمى هو دة يوم وفاة، يدنى على حمار من الحذرة، فقبل له رهاه رجلاً، معه امرأة من أحسن النسا فارس ربه، فسأله عنها، فقال من هذه؟ قال نحبي

فأتى ساره، فقال يا ساره، نس على وجه لأرض مؤمن عيري وعيرك، وإن هذا سألني فأخبرته أنت حتي، فلا تكذبني

فأرسل إليها، فلما دخلت عليه ذهب يتناولها بيده، فأحداً فقال دعي الله بي، ولا أضرك. فدعت الله، فأسلق ثم ناولها ثيبه، فأحد مثلها أو أشداً فقال ادعي الله لي، ولا أضرك، فدعت، فأطلقا

فدعى بعض حخته، فقال يثك به تأتي بوسا، إسا تيسي شيطسا

وأخدمها ححر. فأنته وهو منه يصلي، فزوما يده مهم

قالت: رة الله كيد الفاجر في نحره، وأخدم هاجر

عد حديث لصحيح نسب إلى إبراهيم عليه سلام ثلاث كذبات فكيف حار أن يصدر عنه وهو سي؟ والانباء معصومون من كذابا
بوخه ما فوله الأول ﴿إِي سَفِيمٌ﴾. ونقولان لأحران بوخهم بعد قبل إن شاء الله.

ما معنى قوله تعالى: ﴿فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ فَقَالَ إِي سَفِيمٌ﴾؟

يس سمر دة إبراهيم عليه السلام كان يستقرئ مسمن عند يطر في النجوم، ويعرف ما سيحدث له، ويحعل بحوم درة وتأشراً في لأحد ثا فون هد لا محور أن يصدر عن مسمن عادي - لأنه محتره في الدين، وينعرض مع عقيدة فكيف يمكن أن يصدر عن سي كريم كإبراهيم عليه سلام؟

بر حن أن إبراهيم عليه السلام نظر نظرة في النجوم ليعرف التوقيت والتاريخ

و حساب، يعرف من حلال نظره في السجود قرب حبوب عيد لقومه تكافير،
يحتسبون فيه على صريقتهم الخاصة، وما ركبوا فيه السكركم و الخجور، و يفتدّمون
فيه الطعام و القرايين لأصحابهم

هذا معنى نظره في النجوم، وهذا سبب بصره في الجوم !

نستقل الآن إلى توجيه قوله ﴿يَا سَيِّمُ﴾

لقد كان صادقاً في قوله: ﴿يَا سَيِّمُ﴾ ! لكن أي مقم أراد؟ ولماذا وكيف
كان مقمياً؟

هذا من أراهم عليه السلام - من حلال بصره في سجود - قرب حبوب
عيد قومه، تذكر ما سيجعلونه فيه من السكركم و الكمر، فأصيب بهم و لعن
و شعر بصبين و الحرب، وهذا هو السقم الذي شعر به، و خبر عنه !

سقمه به يكن سقماً عصباً حسياً مادياً، في يديه أو رجليه، أو بعض
أخر، حسمه، إنما كان سقمه سقماً كسباً معنوياً، لما سيقعنه قومه من حرم في
عيدهم

ومعبراً أن سقم من صادق يتألم من ارتكاب قومه بمعاصي، و يحزن
ويشتد من ذلك، و يصاب بهم و باللعن و الصيق، وهذه أمراض و ألقام حسية،
ولذلك يكون هذا المؤمن سقيماً

و إذ كان المؤمن (سقيماً) سقماً نفسياً من سكركم و بمعاصي، فكون
برهيم عليه السلام سقيماً سقماً نفساً من مخالفت قومه من باب أولى !

إذن كان إبراهيم عليه السلام صادقاً في قوله لهم ﴿يَا سَيِّمُ﴾ أي يا
سقيم منكم، حزين متألم معوم مما ستفعلون !

وسدوا قوله لهم ﴿يَا سَيِّمُ﴾ جاء رداً على دعوتهم له ليجروح معهم
لاحتفال بالسعد، و سدت تركوه، و خرجوا للاحتفال بالعيد، بدليل قوله تعالى:
﴿فَقَالَ يَا سَيِّمُ إِنَّهُ قَالَ لَأَعْتَهُ مَذِيْبٌ﴾ أي لم عرفوا أنه سقيم، جميعاً ذلك على
اسم سعادى و لم يصح نحسي، و هووا لعن سقمه يسمعه من جروح مع
و مشاركت، سدت بربو عنه، و تركوه في السعد، و أعرضوا عنه، و خرجوا
لاحتفال بعيدهم !

وبما أنه كان صادقاً في قوله: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾ فلماذا اعتبر الحديث الصحيح السابق هذا القول كذباً من إبراهيم عليه السلام؟.

لأنه نشأ كذب في صدره. بينما يحدث عنه في الحقيقة، فعدم سماع يقوم من إبراهيم عليه السلام أنه سقيم، فهو منه سقيم ومرض سمعي، بينما أراد هو السقم النفسي، المتعطل في الهم والحزن.

أي أن إبراهيم عليه السلام استخدم طريقة (المعارضة)، وهي مأخوذة من التعريض، وهو أن تتكلم أنت بكلام، تريد به شيئاً، بينما يفهم المحاطب منه شيئاً آخر!.

والمعارض نشأ كذب في صدره، كذب يست منه، وربما هي صدق في الحقيقة، وإن في المعارض صدوحة من كذب، فهي تعي عن الكذب، فمن اضطر إليها يستخدمها وهو صادق!

لهذا سبب اعتبر الحديث من إبراهيم عليه السلام ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾ كذباً، فقله من باب المعارضة وليس كذباً حقيقة!

٧- إبراهيم يحطم الأصنام باليمين:

ما قال إبراهيم عليه السلام يقوم ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾ تركوه، ودهو ليحتضرو بعيدهم، وتركوا طعامهم عند أصنامهم تركه بهم!

وكان إبراهيم عليه السلام قد عرف على خصم أصنامهم، وسبق أن هددهم بذلك، حيث قال لهم: ﴿وَنَقُولُ لَا تَحْبِبُونَهُمْ أَفَمَنْ لَّا تُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ [الأنبياء: ٥٧].

أي انظروا سي عملاً ما، أعمنه أصحابكم تشاء عبدكم وإداركم عنها ولما تركوه ودهو، حان وقت تنفيذ خطته لتحطيم الأصنام!

ويدعوهم ليجمع بين قوله تعالى في سورة الأنعام: ﴿وَنَقُولُ لَا تَحْبِبُونَهُمْ أَفَمَنْ لَّا تُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ [الأنعام: ٥٧]، وقوله تعالى في سورة الصافات: ﴿فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ﴾ [الصافات: ٩٠].

فإبراهيم عليه السلام سبق أن أخبرهم أنه سكب أصنامهم عند يولول

مُدينين، وهم تركوه مع أصنامهم وتولّوا عنه مدينين!!

وهنا قد تساءل بعضهم لماذا حصّيه إبراهيم عليه السلام؟ لم يحقق في هذا تصرف؟ إنه تحصّيه لأصنامهم سبحانه برؤوسه عليه بعض، لأنهم لم يكتفوا على ذلك، وهذا ما حصل بعد ذلك!.

وقد اعتبر بعضهم هذا العمل من إبراهيم عليه السلام معارضة مع أسلوبه السابق في الدعوة حيث كان يتحدّث أسلوباً جواراً وحديثاً وعاشقاً، وقد مرّنا نحوه عن طريق الخطأ (المراد بالمتبع، كما حصل في حديثه مع نبيه ومع قومه ومع من كان معه من أتباعه) فقد عدّ هذا الأسلوب لمقتضى وذهب إلى الأسلوب العنيف في تحطيم الأصنام؟.

نأبره عليه السلام به يتحقّق عن أسلوبه المتبع في الدعوة، وبما يحطّيه بالأصنام يتأسّس ويتكامل مع هذا الأسلوب، فقد دعاهم إلى الإيمان، وحاد بهم ورافقهم وأهداهم عليهم بحجة. ولكنهم أضلّوا على الكفر والكذب وبغده ففكر في الأمر ما لذي يمتنعهم من الإيمان؟ فأجاب إبراهيم عليه السلام لتي يعتبرونها نهيّة تصرّف وتنفذ!.

حدث عزم على تحطيم الأصنام، لإزالة الحاجر القادي الذي يمتنعهم من الإيمان، وبما عجزت عنهم عن الدفع عن مصيبتهم، فكيف تقدّر على حسب ما هم، أو دفع صرّعهم!.

تحصّيه لأصنامهم من أنساب دعوته، وحطّوه من حجة متدريّة لأنّها لا يخطوها، بعد أن سارّ معهم الخطوات السابقة!.

ويهد يعرف أنه لم يحقق في هذا العمل، لأنه أراد منه تحقيق أهداف دعوية، وحقّق في ذلك!.

وهو فعلاً عيّف فعلاً، كنه عيّف مقصوداً مدروساً، وهو وسيلة إلى غاية دعوية سامية، ويريه عليه السلام حكمة في خطوته وناسه وأعداه في دعوه، لا يقوم بأي عمل إلا بعد علمه وبحصّيه ودرسه، ومنه تحصّيه بالأصنام!

ذهب إبراهيم عليه السلام، ووجد طاعة القوم عبده، فكثرت ساجداً منها، ثم حطّوها، قال تعالى ﴿فَرَأَى إِلَهُ الْإِنسَانِ فَقَالَ لَوْلَا إِلَهُ الْإِنسَانِ لَآتَى الْقَوْمَ مَنَافِعَ وَمَضَىٰ﴾ [الصافات ٩١-٩٣].

لما د عبّر انقار عن دهره تحطيم الأصنام يعني (ع)؟ وما معنى هذا الفعل؟.

(واغ) فعل ماضي مشتق من (الزوغ).

قال ابن فارس في معناه «الزوغ: يدن على ميل وقلّة استقرار. يقال: واغ الثعلب، يروغ، وطريق رنع مائل، وراغ فلان إلى كذا: إذا مال سرّاً إليه»^(١)
ولما قالت الآية ﴿فَرَعَ ابْنُ النَّهْمِ﴾: أرادت تقرير ذهابه إليهم بسرية، دون أن يراه أحد.

وبما دحى برهيم عليه سلام بيت الأصنام وحد صدام يقوم عدها، وأراد أن يسخر منها ومن عابديها، وبذلك أن يسخر منها.

به يعني: أنها حادثة لا سمع ولا بصيرة ولا تنكح ولا ترى، ولا تدري ما تدعى بحري أمها، ومع ذلك قال ﴿أَلَا تَأْكُلُونَ؟﴾ وهو ما أريد حقيقة دعوتها إلى الأكل، لأنه يعني: أنها حادثة أو ما أريد سحره منها، ولذلك لما سمع ذلك دعوتها قال لها ﴿مَالَكُمْ لَا تَنْطِقُونَ؟﴾ أي لماذا لم تردّروا عني؟

ولحوق الصريف من ابراهيم عليه سلام وبين الأصنام حور من طرف واحد، فهو سكتة وسنن، وهي حادثة لا سمع ولا بصيرة ولا تنكح، وهو يعلم ذلك منها، ولكنه يريد أن يهرّبها من أن يحطمها أو يهدم تصرفه يدعى على هدوء نفسه وإشراق وجهه، يريد تحطيم الأصنام دون تسرع أو قس أو شج أو خوف.

أخبر الله عن تحطيم الأصنام بقوله: ﴿فَرَعَ عَلَيْهِمْ صَرَياً بَيْتِي﴾

فما المراد باليمين المذكورة في الآية؟

ذهب بعض المفسرين إلى أنها تعني (اليمين) الذي حلفه إبراهيم عليه سلام بقومه، وهو قوله ﴿وَأَنَا لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُولُوْا مُدْبِرِينَ﴾ أي أن إبراهيم عليه سلام أمضى يمينه، وبعد قسمته، وهد ثأره عليه، فقد حلف يميناً بقومه بتحطيم الأصنام، ويمينه بئس محرقة كلامي، لكنه رجل عده قدرة على البر بيمينه.

ودهب أجروا، أي أنها تعني (نفسه) أي يده يسمي، فإبراهيم عليه السلام كان يحمل دقة في يده يسمي، أي أنها على الأصابع المحطمة، وفي هذا إشارة إلى قوته في تحطيم الأصنام.

ومن المعلوم أن معظم الناس يستخدمون واحد منهم يده يسمي في أفعاله، لأنها أقوى من يده اليسرى، ومن الأولى لمسه أن يستخدم يده اليمنى في أفعاله.

ومع أن كلا تقويم محتمل في تفسير "نفس" في الآية، فإن لغو شامي أرجح وأولى دقة، فتكون ثمرة حطه الأصابع يسمي، إشارة إلى قوته وعزمه في فعله، وتكون المعنى في الجملة ﴿تَرَىٰ يَاسِيَّةُ السَّيِّئَةِ وَبَدَّةَ الْأَمْنَةِ﴾.

٨ - توجيه قول إبراهيم (فعله كبير هم هذا).

حطم إبراهيم عليه السلام الأصابع يده يسمي، وثبت نصم الكبير دون تحطيم من تعالى ﴿فَحَطَّمْتَهُنَّ خُذُّهُنَّ الْكَبِيرَ فَمَنْ تَعْتَهُنَّ يَدَهُ يَرْجِعُوهَا﴾

والجداؤ: هي المكشورة المحطمة

ن. إبراهيم عليه السلام يعرف ماذا يفعل، ويحطه بما بعد فعله، ولكن تصرف منه مدروس هادف، يريد منه تحقيق أهداف محددة.

نصم حطم لأصابع أغنى كبر الأصابع دون تحطيم المدد ﴿لَعَنَهُنَّ يَدَهُ يَرْجِعُوهَا﴾

أي أنه أغنى نصم الكبير بل القوة يرجعون إلى ذلك نصم، عدم يحدون لأصابع مكشورة محطمة لأنهم لا يعرفون من حطهم، وبما أن نصم الكبير سليم، فلا بد أن يرجعوا إليه، ولا بد أن سألوه من حطهم؟ لأن نصم الكبير موجود، ثم أليس هو إله معبود؟ إذن لابد أن تشهد تحطيم الأصابع وأن يعرف من الذي فعل ذلك!!

ألم تعلم أن حطوا إبراهيم عليه السلام مدروسه عبادة؟ وإيه كان يعرف مدد فعل؟ ذلك ترك الصفة الكبير دون تحطيم

وعاد لغو من حطهم بعيدهم، وتوجهوا إلى أصابعهم فوراً، فوجدوا محطمة، ففوجئوا واستعربوا وذهشوا!!

عند ذلك تذكروا التهديد السابق من إبراهيم عليه السلام صديها، فلا بد أن يكون هو الذي حطمها، ولا بد أن محاكمته على فعله أمام الناس، ولا بد أن تعرف على ذلك

وقد أثبت آيات القرآن بنى محاكمته إبراهيم، قد تعالى ﴿قَالُوا مَرْفَعٌ هَذَا بُرْهَانٌ لِّمَن لَّغِيصٌ﴾ قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ ﴿قَالُوا قَاتِلُوا يُدْعِي إِلَى تَارِكٍ لِّتَعْبُوهُمْ تَشْهَدُونَ﴾ قَالُوا أَتَعْتَبِرُونَ هَذَا بِإِبْرَاهِيمَ ﴿قَالَ تِلْكَ أَعْيُنُكُمْ كَبَرْتُمْ هَذَا فَتَنَّاوْتُمْ بِهِ كَوْنًا نَّظْفِقُونَ ﴿فَرَحَقُّوا إِيَّاهُ فَاصْبِرْهُ فَذَلُوا إِنَّكُمْ أَنتُمُ الْظَالِمُونَ﴾ ثُمَّ لَکُمْ عَلَى رؤسِهِمْ لَقَدْ عَهِتَ مَا هَؤُلَاءُ يَنْطَفِقُونَ ﴿فَكَانَ أَعْتَبُورًا مِّنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا تَفْعَلُونَ شَيْئًا وَلَا تَصْرِكُونَ﴾ أَوْ لَکُمْ وَصَايَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ [الأنبياء: ٥٩-٦٧]

تساءل من حطم آية من آيات الله؟ ومن أتت صديها هذه الجريمة؟ إنه يسأل طام

عند ذلك تذكروا تهديد إبراهيم السابق عليه السلام لأتباعهم، فقدوا صفتنا فتى يذكركم يقال له إبراهيم أ.

وهم في كلامهم هذا أرادوا تنبيه إبراهيم عليه السلام، واحط من شأنه، حيث وصوه بأنه (فتى)، أي طائن منتهور، فمعه في تحطيم آية لا يقدم عليها إنسان عاقل، وهذا الفتى الطائن سمعه يذكركم ويهددهم، يقال لهد الفتى: إبراهيم!!

وأصدر الملأ من القوم بحكم يودونه إبراهيم، وأمروا بحصره ليحاكم أمم الناس ﴿قَالُوا قَاتِلُوا يُدْعِي إِلَى تَارِكٍ لِّتَعْبُوهُمْ تَشْهَدُونَ﴾

وتحتمل، سائل لحضور محاكمة إبراهيم عليه السلام، سدي وصوه بأنه فتى مهور، وأنه عالم معند، وبدأت محاكمة إبراهيم عليه السلام

سألوه وتنبى ﴿أَأَنْتَ مَعْتَدٌ هَذَا بِإِبْرَاهِيمَ﴾؟ أي هل أنت حطمت آية إبراهيم؟

وهم ما أرادوا سؤالهم الاستعلام والاستحار، ومن ثم لم يكونوا حاذين في طرح السؤال لقد كانوا يعمدون ويوفون أنه هو الذي فعل ذلك، فقد سبق أن

أَعْنَهُمْ بَدِثَ وَتَلَا ﴿وَنَقُولُ لَا صَبْرَ لَكُمْ بِعَدُوِّ قَوْمِكُمْ﴾ وصرحوا هم
بأنه هو الذي حصَّه ﴿فَأَنذَرْتَهُمْ فَنَزَعْتَهُمْ يَدَهُمْ يَدَهُمْ﴾

ورغم عظمهم بحرام بأن إبراهيم هو الذي حصَّه، إلا أنهم سأله، إن
كان هو الذي فعل ذلك، وهم فهم من سؤن هو أحد عرف صريح من إبراهيم
عنه السلام بأنه هو الذي فعله، وإسماعيل السام لمحتشدين لمشاهدين عتراه
بأنه، ليجعلوا هذا مادة إنداء ضده!

وإبراهيم عليه السلام ذكي، وقد فطن إلى مقصدهم بحيث من سؤانهم،
وبدث قوت عيهم لفرصة، وكان أكثر فرصة منهم، فرد على سؤانهم ذلاً ﴿يَلَّ
فَعَلَكُمْ كَيْدُهُمْ هَذَا فَفَتَوْهُمْ بِكَتُورٍ مَّقْبُولٍ﴾

به في جوابه على سؤانهم لم يتهرب مث فعل، ولم يكر ديث، ولم يكذب
في جوابه ولكن لم يُجهم على سؤانهم، لأنه يعرف أنهم ليسوا حذرين فيه،
وأنهم يعرفون أنه هو الذي حصَّه لأصنام، فلماذا يسأونه هذا لسؤن؟

لقد أصرت إبراهيم عليه السلام عن أجواب بحرف (ن) وقد ﴿يَلَّ
فَعَلَكُمْ كَيْدُهُمْ هَذَا﴾.

ومعروف أن (ن) في اللغة حرف للإصرار ولا تقدر أي، صرَّت عن
كلام سابق، وانتقل إلى معنى جديد.

نقد أهمهم إبراهيم عليه السلام، وأعمل سؤانهم، ولم يحقق بهم هدفهم
من سؤان، ولم يسأل على نفسه إنداء، وبك حزمهم إليه، وأوقعهم في حطته
قال لهم: ﴿يَلَّ فَعَلَكُمْ كَيْدُهُمْ هَذَا﴾ أي حطمت لأصنام صغيرة هذا
الصم الكبير! أسيم! وما عيكم إلا أن تسأوه بأن كان يطقوا وقولوا به من
أنك حطمت الأصنام الصغيرة؟ وأسأوا الأصنام المحطمة إن كانت تنطق من
الذي حطمتكم؟

فليرجعوا إلى صم لكسر وليسأوه، وقد هو يسألهم عليه السلام
يتخذهم أن يسأوه لماذا لا يسأوه؟ أين هو بها يسأوه؟ وإليه ألا يعلم
كل شيء؟

إن إبراهيم عليه السلام لم يكر تحطيمه للأصنام، ولم ينف فيم بدت.

وعندهم بصيرة لإيمانهم، وحيته القوية. واستصر بالحق الذي مثله، ويهدي
بذي يحمله

في هد حو و اهدف بضم حواه على سؤ بهم بقوه ﴿لَقَدْ فَعَلْنَا كِبْرَهُمْ
هَذَا فَنَلَّوْهُمْ إِن كَانُوا يَلْقَوْنَ﴾

٩- نجات إبراهيم وهم الآخسرون الأسفلون:

بعد ما هزم محلاً من قومه أمام منطته وحيته. حذو يس بعف وإليه،
فأصدر عليه حكمهم بحرقه. وعدو حكمهم، وأتوه فيه، كمن لله أمر
سار أن تكون برداً وسلاماً عليه. فأجابه من البر. وحسب بكفرون حولة أخرى
من جولات معركتهم مع إبراهيم عليه سلام

قال تعالى ﴿قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ﴾ ﴿فَتَسَاءَلُوا كُوفٍ
نَزْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ﴾ ﴿وَرَدُّوْهُ، كَيْدًا فَحَقَّقْنَاهُمْ لِأَخْسَرِك﴾ [الأنبياء: ٦٨-٧٠]
وقد تعالى ﴿قَالُوا اتَّخَذَ آلُ إِبْرَاهِيمَ آلِهَةً فِي تَحِيٍّ﴾ ﴿وَرَدُّوْهُ، كَيْدًا فَحَقَّقْنَاهُمْ
الْأَسْفَلِينَ﴾ [الصافات: ٩٧-٩٨].

بصر لله بشه وحببه إبراهيم عليه سلام بما أنفي في البر، وأخرى به
معجزة هرة، حيث أمر الله أن تكون البر برداً وسلاماً عليه ﴿فَتَسَاءَلُوا كُوفٍ نَزْدًا
وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ﴾

أمر الله البر بأمرين طيبين ملازمين البرد وسلامه، وهو سم يفل الله به
«كوفي سلاماً عليه» فكانت برداً عليه فقط، وعنده يحس أن يوديه برده، وأنه لا
يريد أن يوديه حرها، ولا أن يوديه بردها، ولدت امره الله أن تجمع بين البرد
والسلام عليه، وأن يكون حوّه (لطفاً معاً)، وأن يستمتع إبراهيم عليه سلام
بهذا الجو الطيف، وسط النار الحارقة الملهبة!

وهكذا بصر إبراهيم عليه السلام انتصار آخر، وأبد الله بهده معجزة
ساهرة، يساهم بقوه بكفرون هرة أخرى في معركتهم صده

ووقع تدوت في إحار حرب عن قتل الكفار وهرمتهم وحاربهم
قال تعالى في سورة الأنبياء ﴿وَرَدُّوْهُ، كَيْدًا فَحَقَّقْنَاهُمْ لِأَخْسَرِك﴾،

وفي تعدي في سورة الصادق ﴿وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ﴾

بما أنَّ الموضوع في الأسير واحد، وهو هزيمة الكفار أمام إبراهيم عليه السلام، فلماذا اختلف التعبير في الأسير؟

قد يظن بعض الناس أن حرف متعدي من مصادف في حديث عن حسنة الكعير، فيه دالٌّ مُحمِّلٌ عن ذلك معناه حده في سورس لأسبيء وبصافات؟
الحوت أن حلاله يعبر عن موضوع له حد في سورس مظهر من مظهر بغير بقرن ودفعه المعجزة في حصار كعبه، فهو بحدار لكعبه معناه سابق، بحيث يكون من لغة معه لفظ ومعنى، ولا يؤذي دورها أبداً كلمة أخرى مهم كدب فصيحاً ربعة

(الأسفلين) تاسبت سابق نفسه في سورة بصافات، ولو وضع مكانها كلمة (لأحسرس) كانت تاء (لأحسرس) تاسبت سابق سورة لأسبيء، وبو وضع مكانها كلمة (الأسفلين) لكانت تاء (لأحسرس) كيف توجبه ذلك؟

كلمة (لأحسرس) في سورة لأسبيء تاسبت ما قبلها، وهو قوله تعالى ﴿قَالُوا خَرُّوا وَنُصْرًا يُهْزِكُمْ كُنْتُمْ قَبِيلٌ﴾ ﴿فَتَنَارٌ كَأَنَّهُ تَرْدٌ وَسَلَتْ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾ ﴿وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ﴾

أرد لقوله نصر يهزم بغير إبراهيم عنه لئلا، ولكن لله نصرته، وغذل أعداءه

ما الذي يقابل نصر؟ إنه الهزيمة والنجدة! أراد نصر يهزمهم فهزمهم الله، وأردو العير ونوح فوقع لله بهم نجدة

جملة (نصروا أهلكم) تاسبت جملة (وجعلناهم لأحسرس)

وكلمة (الأسفلين) في سورة بصافات تاسبت ما قبلها، وهو قوله تعالى ﴿قَالُوا أَبَوَاؤُنَا يَنْصُرُونَ الْفٰجِرِينَ﴾ ﴿فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ﴾

تحدثت أبداً سورة الصادق عن سوء الذي تنوء، والذي أشعلوا النار المبهنة فيه، ثم تنوء فيه إنشاء، وقدموه قدي، من أعنى إلى أسفل، وكُنُوهم

عنى شفا السبب، يفرحون على برهيم عليه سلام، سيما كان هو أسفل منهم
من حيث المكان - ومن ناحية المادية كانوا هم (أعلى) يفرحون، سيما كان
إبراهيم عليه السلام (أسفل) منهم في الثيانا.

حسنة ﴿أَنْتُمْ لَمْ تَبْكُوا فَأَلْقَوْهُ فِي الْجُبِّ﴾، تُدسها حملة ﴿فَارَادُوا بِهِ كَيْدًا
فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ﴾.

هم الأسفلون في مصره، وإن كانوا الأعلى في المكان وإبراهيم عليه
السلام هو الأعلى مكانة، وإن كان أسفل منهم في المكان.

١٠ - توجيه قوله عن سارة (أختي):

أوردنا فيما مضى بحديث صحيح - ندى رواة البخاري ومسلم - عن
ثلاث كذبات تُسبب لإبراهيم عليه السلام.

وقد وحَّها اثنتين منها: قوله (إني سقيم) وقوله (بن فعله كبير هم هـ)،
وبتأني لعدوتين بيت كدأ في حفصة، وأنه كان صدفاً عذم نصف بهما
والوقفة الآن في توجيه قوله عن امرأته. هذه أختي.

بعدما توجه برهيم ومراثة سارة إلى مصر، عذب بهما رجال الملك،
وكان صامماً كدراً، كما كان فسقاً ردياً، كما رأى امرأة جميلة فجربها! وكانت
سارة - رضي الله عنها - امرأة جميلة، مرَّها رجال الملك، فأحبَّوه بحملها،
فأمر بحصر برهيم عليه سلام، ومأته عنها، فقبل له هذه أختي.

أحد رجال الملك سارة، وأدخنها عنده، ولما مدَّ يده إليها ليفجر بها
أمسك الله يده، فتوقفت ويبست، فتمخَّطت من ذلك، وقال لها ادع الله لي
أو يطلق يدي ولا أصرت! فدعت الله وأطلق الله يده، وحاول مدَّ يده إليها مرة ثانية
فتوقفت يده ويبست، وعلم أنه لا سبيل له إلى سارة، وأن الله يحميها، وطلت
منها أن تدعو الله به، فأطلق يده! فأكرمه وأعظمه (هجر)، وخرجت من عنده
س. برهيم عليه السلام معززة مكرَّمة، لم يمشها أدى.

لإشكالك هامي قومه عن مرآته هذه أختي! فكيف وصف بروجته لأخت؟

إنه لم يكذب في وصفها بأنها أخته، لأنه ما أراد لأخوة في نسب، فابن

لأحب المحرمة من تزوجة الصاحبة^(١) إنه أراد لأخوة هي بنين^١

عما في مصر، وليس فيها مؤمن ومؤمنة غيرهما، ولهد قد لها «بمسرة
ليس على وجو الأرض مؤمن غيري وعيرك»

إنه في قوله (هذه أختي) مسحة تسلط (لمعربص)، أراد هو أنها
أخته في الدين، وفهموا هم أنها أخته في النسب^(١١)
وبذلك نعرف أنه كان صادقاً في إخباره أنها أخته.

وهذا إشكال آخر كيف رصي أن يسكنه مرثته إلى رجل سمك ليأخذه
إليه مع عمة بما سيفعله السمك من محو^١ ولما دسم يقتل دونها ولو قتل لكان
شهيداً، لأنه قتل دون عرسه^١

الزحج أنه سلمها لرجل السمك بذهب ووحى من الله، لأنه سبي كريم عليه
الصلاة والسلام، والله هو الذي يبرئه ويبرئها، والله عز وجل طمأنه، بأنه سيحمي
أمراته عند إدخالها على الملك، ولذلك سلمها إبراهيم وهو مقبض، ويبس
كأن هي عند السمك، كد هو بصني لله، وقد حمده الله عند السمك، وبم يسته
سوء، وخرجت من عده معززة مكززة

فالامر أمر الله، أوحى به لإبراهيم عليه السلام.

١١- من هو الذبيح؟

أحضر الله عن رؤيا رآها إبراهيم عليه السلام في المنام أنه يدبح به، وشا
أراد إيماناً رؤياه فعلاً فدى الله أبته بذبيح عظيم.

قال تعالى ﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّ سَتَدْبِرُ﴾ ﴿وَرَبُّ هَبْ لِي مِنْ أَنْثَلِيمٍ﴾ ﴿فَدَسَّرَهُ بِعُثْرِ خَيْمٍ﴾ ﴿فَلَمَّا نَلِمَ مَعَهُ الْشَّعَى فَكَانَ يَشَى فِي آرَى فِي الْمَاءِ أَنِّي أَدْنِيكَ فَأَطْرَ
مَاذَا ذَرَعْتُ قَالَ بَنَاتِي أَفَعَلَ مَا تَوَمَّرُ سَتَجِدُنِي مِنْ سَكَنَةِ اللَّهِ مِنَ الْغَبَرِ﴾ ﴿فَلَمَّا أَتَمَلَّكَ وَتَلَمَّ
لِلْحَبِيبِ﴾ ﴿وَمَدَنَتْهُ أَنْ يَتَأْتِيَهُ﴾ ﴿فَدَسَّرَتْهُ الرُّؤْيَا﴾ ﴿كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَى الْمُحْسِنِينَ﴾ ﴿لَكَ هَذَا
هُوَ الْبَلَاءُ الْكَبِيرُ﴾ ﴿وَقَدَرْتَهُ بِذَبِيحٍ عَظِيمٍ﴾ ﴿وَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ﴾ ﴿مَنْ عَلَى إِبْرَاهِيمَ﴾ ﴿

(١) جاء في كتاب (مناظر مصرية) المذكور عند بعضه أبو بكر (مصحف) بحضرة لمصرية
القديمة أن الفراعنة كانوا يستوفون الزوجه حياً

كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُتَعَبِينَ ﴿٩٩﴾ إِنَّهُمْ مِنْ عِبَادِنَا الْغَائِبِينَ ﴿١٠٠﴾ وَكَفَرْتُمْ بِإِسْحَاقَ يَبْنَؤُا مِنْ
 الْغَلَامِ ﴿١٠١﴾ وَكَفَرْتُمْ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ إِسْحَاقَ وَمِنْ دَرَجَاتِهِمَا تُخَيَّرُ وَقَالُوا لَيْسَ لَهُ مِيرَاثٌ ﴿١٠٢﴾
 [الصافات: ٩٩-١١٣]

تحدثت الآيات عن ابن لابر هيم عليه السلام، لابر الأول سم نذكر
 اسمه، وتصفه بأنه غلامٌ حلِيم، وهو الذي رأى إبراهيم في المنام أنه يذبحه،
 ولابر الثاني ولد لابر هيم فيما بعد، وهو إسحاق عليه السلام، وهذا يدش على
 أن لابر المذبح هو إسماعيل عليه السلام!

طلب إبراهيم من الله أن يرزقه غلاماً صالحاً، فاستجاب الله له، ووهبه
 غلاماً صالحاً وحليماً، وكثر العلم، وصار شاعراً شيطاً، وسع مع أبيه السعي،
 يسمى في مصالجه، وينحزك في قضاء حاجاته، ويؤمن له صلواته، يرجى نفعه،
 ويؤمل أبوه عليه كثيراً، في مساعدته وإعانه!

عند ذلك رأى إبراهيم عليه السلام في المنام أنه يدبح هذا الغلام الذي صار
 شاباً وبلغ مع أبيه السعي!

ومهم إبراهيم عليه سلام حقيقة الرؤيا، إن الله هو الذي يأمره بديح ابنه،
 لأن رؤيا لأبياء حق، وأنشيط لا يتعل لهم في المراء! وسارع إبراهيم عليه
 لسلام تنعيل أمر الله، وهو مستسلم له، واضح به!

وأراد أن يشركه معه بذكر الاستسلام لأمر الله، ولذلك لم يعاينه بذبحه،
 ولم يهجم عليه، وإنما أحمره بالأمر، وقال له يا بني يبي أرى في المنام أنني
 أدبحك، فأنظر ماذا ترى؟

وهو يعلم جواب أبيه، لأنه أشاء على البر والحلم والاستسلام لله والرضا
 بقضائه، والمسارة بتعبد أمره! لذلك جاء جواب لابر صريحاً، قال ﴿يَتَأْتِيَ
 أَفْعَلُ مَا تُؤْمَرُ سَاجِدٌ إِنَّ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الْعَبِيدِ﴾

واستسلم سيد الصالحين. الأت الشيخ ولابن الشب - لأمر الله، وبدأ
 لسميد، وبل لأن ابنه، وألقاه على الأرض، ووقف يحمل لسكر بذبحه، ومن
 ينق إلا جز عني الابن بالسكين!

عند ذلك نادى الله إبراهيم عليه السلام، وأمره بالوقوف عن ذبحه، لأن

المقصود فذتحق، وصدق الرؤيا في الواقع، وضح الأثر والابن في لامتحان
وقد ي الله الابن الشاب بديع عظيم، قدّمه لإبراهيم عليه سلام، وأمره
بذبحه!

وبعد أن هتت الايات حديتها عن مشهد الذبح والامسلاام والعداء، والشاء
عنى إبراهيم وبه الشاب، انضمت الحديث عن إسحاق الابن لثاني إبراهيم
عليهما السلام!

وذكرُ إشارة بإسحاق بعد الكلام على البديع، دليل على أن البديع هو
إسماعيل وليس إسحاق، وأن إشارة بإسحاق وولاده كذب بعد مشهد الذبح
واعداً لإسماعيل، عليهما السلام! فهذا تزييف في الآيات في سورة الصافات
مقصود، للانتباه إلى هذه الدلالة!

وهذه بعضُ شتمين والمؤرخين على أن البديع هو إسحاق، وعتمدوا
في رأيهم هذا على الإسرائيليات، فقد نص يهود في العهد القديم - التوراة
المحرقة - على أن البديع هو إسحاق! وبنوا هذا كذباً وفتراً، وحداً
بمصلين، إذ كيف يكون جد المسلمين (إسماعيل) عبداً للسلام هو البديع! لأن
أن يكذب اليهود ويحرفوا الحقائق، ويقولوا إن جدّهم (إسحاق) عبداً للسلام
هو البديع!

ولن نتوقف طويلاً في نقاش الأخرى في هذه المسألة، ويكتفي بتفقد
الدلالة المقررة من سورة الصافات، واعتماد أن البديع هو إسماعيل عليه السلام
نقطاً بقدّم هذه لعظمة من كلام الإمام الجواد (عليه السلام) من كتابه (قصص
الأنبياء) "يبيّن أن البديع هو إسماعيل، ويردّ على من قالوا هو إسحاق،
عليهما السلام!"

قال «وهذا هو الظاهر من القرآن، بل كأنه نصّ على أن البديع هو
إسماعيل، لأنّه ذكر قصة البديع، ثم قال بعده ﴿وَنَبَرْتَهُ إِسْحَاقَ يَبْنَ
الْبَدِيحِ﴾»

وَمَنْ جَعَلَهُ حَلًا فَقَدْ تَكَلَّفَ، وَمَسَدُهُ أَنَّهُ إِسْحَاقُ، إِنَّمَا هُوَ إِسْرَائِيلُ،
وَكَتَابُهُمْ فِيهِ تَحْرِيفٌ، وَلَا سَمِيًّا هَاهَا، فَطَعًا لَا مَحِيدَ عَنْهُ، فَإِنْ عَذَّبَهُمْ أَنَّ اللَّهَ أَمَرَ
إِسْرَافِيلَ أَنْ يَدْبَحَ أَبَاهُ وَوَحِيدَهُ، وَفِي سَخَفٍ مِنَ التَّوْرَةِ لِمَعْرِفَةِ بَنِي إِسْحَاقَ
وَلَعَلَّةُ إِسْحَاقَ هَاهَا مَكْدُونَةٌ مَعْتَرَاةٌ، لِأَنَّهُ يَسُوعُ هُوَ الْوَحِيدُ وَلَا الْبَكْرُ، وَإِنَّمَا ذَلِكَ
إِسْمَاعِيلُ !.

وَإِنَّمَا حَمَلْنَاهُمْ عَلَى هَذَا الْغَرَبِ، فَإِنَّ إِسْمَاعِيلَ هُوَ أَبُو الْعَرَبِ
وَقَدْ قَرَأْنَا أَنَّهُ إِسْحَاقُ ضَائِعَةٌ كَثِيرَةٌ مِنَ السَّلَفِ وَغَيْرِهِمْ، وَإِنَّمَا أَحَدُهُ - وَاللَّهُ
أَعْلَمُ - مِنْ كِتَابِ الْأَحَادِ، أَوْ مِنْ صُحُفِ أَهْلِ الْكُتُبِ !
وَلَيْسَ فِي ذَلِكَ حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَنِ الْمَعْصُومِ، حَتَّى يَشْرِكَ لِأَجْلِهِ طَاهِرُ
الْكِتَابِ الْعَرَبِيِّ، وَلَا يُفْهَمُ هَذَا مِنَ الْقُرْآنِ، بَلِ الْمَعْهُومُ، بَلَى لِمُسْطَوِّقٍ، مِنَ النَّصِّ
- عِنْدَ التَّأَمُّلِ - عَلَى أَنَّهُ إِسْمَاعِيلُ.

وَمَا أَحْسَنَ مَا سَتَدَلَّ بِهِ مُحَمَّدٌ مِنَ كِتَابِ الْقُرْطُبِيِّ عَلَى أَنَّهُ إِسْمَاعِيلُ وَبِسَبِّ
إِسْحَاقَ، مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَأَمْرًا لَهُ قَالِمَةٌ فَفَصَحَكْتُ فَفَتَرَنَهَا بِإِسْحَاقَ وَبَنِي وَزَلَّوْا إِسْحَاقَ
تَعْقُوبَ﴾ [هُود: ٧١]، فَكَيْفَ يَقَعُ الْبَشَرَةُ بِإِسْحَاقَ، وَأَنَّهُ سَيُولَدُ لَهُ بَعْقُوبُ، ثُمَّ
يُؤْمَرُ يَدْبَحُ إِسْحَاقَ وَهُوَ صَغِيرٌ، فَإِنْ أَنْ يُولَدَ لَهُ؟ هَذَا لَا يَكُونُ، لِأَنَّهُ يَفْقَسُ الْبَشَرَةُ
الْمُعْتَمَدَةُ وَاللَّهُ أَعْلَمُ !

وَلَقَدْ ذَكَرْتُ مِنْ كِتَابِ الْقُرْطُبِيِّ هَذَا الدَّلِيلَ لِمَحَبَّةِ عَمْرِو بْنِ عَبْدِ الْعَرَبِيِّ، فَإِنَّ لَهُ
عَمْرًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ مَا كُنْتُ أَنْظُرُ فِيهِ، وَإِنِّي لَأَرَاهُ كَمَا قُتِلَ !

ثُمَّ أَرْسَلَ عَمْرُو بْنُ رَاحِلٍ كَانَ عِنْدَهُ بَالِشٌ، كَانَ يَهُودِيًّا فَأَسْلَمَ وَحُسِّنَ
إِسْلَامُهُ، وَكَانَ يُرَى أَنَّهُ مِنْ عُلَمَائِهِمْ. فَسَأَلَهُ عَمْرُو بْنُ عَبْدِ الْعَرَبِيِّ أَيُّ بَنِي إِسْرَافِيلَ
أُمِرَ يَدْبَحُهُ؟

فَقَالَ: وَاللَّهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّهُ إِسْمَاعِيلُ، وَإِنَّ الْيَهُودَ تَتَعَمَّقُ بِذَلِكَ، وَبَنِيهِمْ
يَحْسَبُونَ بِكُمْ مَعْتَرِجًا عَرَبًا عَلَى أَنْ يَكُونَ أَبُوكُمْ إِسْمَاعِيلُ، فَهُمْ يَجْحَدُونَ ذَلِكَ،
وَيَزْعُمُونَ أَنَّهُ إِسْحَاقُ، لِأَنَّهُ أَبُوهُمْ !^(١).

(١) تفصيص الأنبياء لابن كثير، ص ١٤٤ - ١٤٧، طبعة دار الخير.

١٢- معنى رفع إبراهيم قواعد البيت الحرام

تحدثت آيات القرآن عن ساء إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام بالكعبة،
 منها قوله تعالى ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا﴾
 [القرة: ١٢٧]

لكن هل كانت الكعبة مسةً قبل إبراهيم وإسماعيل عليهما سلام؟ أم هم
 اللذان بنياها أول مرة؟

ذهب بعض العلماء إلى أنَّ الكعبة بُنيت قبل إبراهيم عليه السلام بفترة
 طويلة، وقام هو وابنه إسماعيل بتجديدها بنائها، لأنها خُدعت وتغيبت أساساتها،
 فرفعوا قواعدَها على تلك الأساسات^(١)

ودعت عمدة الحروف إلى أنَّ الكعبة نه تُس قديماً، وما كان أحدٌ منهم
 يعلم أنَّ في هذا المكان كعبة، فهما أول من سبها لكعبة

ولا نؤخذ أحاديثٌ صحيحةٌ صريحةٌ عن رسول الله ﷺ تصحُّ على ساء
 كعبة قبل إبراهيم عليه السلام، وكثير ما عتمد عليه أنصارُ القول السابق هو
 رواياتٌ وقولٌ عن بعض المزيحين والمنسزين، لكنهم لم تصح حديثياً، وعن
 بعضهم أخذها عن الكتب القديمة.

إنهم قد احتجوا إلى حديث صحيح مروي عن النبي ﷺ، صريح في دلالة
 على ذلك، وهذا غير موجود.

وقد اعتمد أنصار القول الأول على ظاهر آيتين من القرآن

الأولى: قوله تعالى: ﴿وَإِذْ نَوَّاسُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ مَكَاتَ السَّبِّ أَنْ لَا تَشْرِفَ فِي
 قَتِيلًا﴾ [الحج: ٢٦].

معنى الآية - عندهم - إنَّ مكان السبِّ كان موجوداً، وإنَّ أساسات لواء
 كانت محصنة مطمونة تحت الراب، لأنَّ السبِّ قد هُدم، فزأ الله لإبراهيم مكاناً

(١) ودليل هؤلاء العلماء ظاهر قوله تعالى ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا﴾ [إبراهيم: ٣٧] وهذا كان قبل إبراهيم وإسماعيل برفع بقوعد
 من ساء

البيت، ودلّه عليه، وأرشدته إلهه، وهنّاه له، فقامت تجدديته ته!

الله قوله تعالى ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَيَسْمَعِيلُ رَأً نَقَرٌ
مِمَّا بَيْنَكَ أَتِ السَّبْعُ الْقِيلِمْ﴾ [اسراء: ١٢٧]

معنى الآية - عندهم - أنّ أساسات البيت الحرام كانت موجودة تحت
الأرض، فقام ذلك الله إبراهيم عليه، وبناؤه مكانها، فقام هو ويسماعيل يرفع
القواعد على تلك الأساسات، حيث شاء، فقاما جدد البناء تحسباً

وحتى مع الفرس كشي من العلماء، ويرى أنّ الكعبة لم تكن قبل إبراهيم
عليه السلام ولم تكن معروفة للناس!

ولآيتان مذكورتان لا تدلّان على ما قاله فريق لأول

بأنّ قوله تعالى ﴿وَإِذْ تَوْأَنُكَاءُ الْبَنَاتِ﴾ يدلّ على أنّ الله ذلك
إبراهيم على هذه القعدة، التي مبني عليها البيت، وهنّاه له، وأمره ببناء البيت
في ذلك المكان، يدي جده وبناؤه له، والذي بعده سبحانه من الأول أنه سيكون
فيه بيت المحرم.

ولما تواءم الله لإبراهيم مكان البيت، ودعه عليه، وأمره ببناء بيت فيه، فقد
أمر الله، وبني بيت هو دانه بإسماعيل عليهما سلام!

أم قوله تعالى ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَيَسْمَعِيلُ﴾ فإنه يتحدث
عن المرحلة الثانية من مراحل بناء الكعبة، وهي مرحلة بناء القواعد، ولا يتحدث
عن المرحلة الأولى، وهي مرحلة إرساء الأساسات.

ولا يدلّ الآية على أنّ إرساء الأساسات كان قبل إبراهيم وإسماعيل عليهما
السلام، ولما هزّتهما هما بلدان فقاما بمرحلتين معاً، مرحلة حفر الأساسات
وبنائها، ومرحلة رفع القواعد والحداد عليها، لأنّ هذه ما تدلّ عليه الآية
سابقه ﴿وَإِذْ تَوْأَنُكَاءُ الْبَنَاتِ﴾!

الرجح أنّ إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام هما اللذان بنيا البيت الحرام
بمرحلته. مرحلة إرساء الأساسات، ومرحلة رفع القواعد، بعدم وجود أحاديث
صحيحة صريحة تجعل البيت مبني بينهما!

حول هذا المعنى يقول الإمام الحافظ ابن كثير ﴿أمر الله إبراهيم عليه

السلام أن يبي له بيت، يكون لأهل الأرض، كتبت لعماد لملائكة السماء وأرسلته الله إلى مكان البيت المنشأ له، المعين بسك، منذ خلق السموات والأرض، كتب ثنت في (لصحيحين) «إن هذا بلد حرمة الله، يوم خلق السموات والأرض، وهو حرمة الله إلى يوم القيامة»

ولم يجر في حر صحيح عن معصوم أن السك كان مسبقاً قبل الحين عليه السلام ومن يملك في هذا بقوه (مكرست) ليس بهض ولا ظهر، لأن مراد مكانه لمقدر في علم الله. المعز في قدره، معظم عبد الأبياء موصفه، من يدده إلى رب إبراهيم، عبيد السلام^(١)

إذن إبراهيم وإسماعيل هما المدن بككة، بأن وصف أساتيد، ورفع قواعدها، ولم تكن مبنية قبل ذلك!

وبعد ذلك بشره قصيرة قام إبراهيم عليه السلام به مسجد الشبي المدرك المقدس، وهو المسجد الأقصى في القدس، إبراهيم هو أول من بنى بككة، وهو أول من بنى الأقصى!

روى البخاري [برقم ٢٣٦٦] ومسلم [برقم ٥٢٠] عن أبي ذر العناري رضي الله عنه قال قلت يا رسول الله أي مسجد وضع في الأرض أولاً؟

قال: «المسجد الحرام»!

قلت: ثم أي؟

قال: «المسجد الأقصى»!

قلت: كم كان بينهما؟

قال: أربعون سنة!

ورد كتاب إبراهيم عليه السلام هو ثاني المسجد الحرام بمصر يات القرآن، ورد كتاب المسجد الأقصى في بعد ذلك بأربعين سنة، فإن هذا يدل على أن إبراهيم عليه السلام هو الذي بنى المسجد الأقصى بعد سنة ككة بأربعين سنة!

(١) قصص الأنبياء لابن كثير، ص ١٥٢-١٥٣

١٣ - توجيه ما جرى بين إبراهيم والملائكة:

يما كان إبراهيم عليه السلام مرسماً في الأرض المقدسة أرسل الله له ملائكة في صورة بشر، أنباء توجيههم لإهلاك وتدمير قوم لوط الشادين الكافرين، وقد جرى بينه وبينهم مواقف مشيرة

قال تعالى ﴿وَلَقَدْ سَاءَتْ رُسُلًا إِبْرَاهِيمَ﴾ الْفَرَكَنَ قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَمَا كَيْتَ
أَنْ جَاءَ بِعِصْلٍ حَبِيبٍ ﴿فَسَارَىٰ أَبْصَرَهُمْ لَا تَحِلُّ إِلَيْهِ مَكْرَهُمْ وَأَوْحَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَحْقِرْنَا إِنَّا فُورٌ لُّوطٍ ﴿وَأَمْرَانِ قَالَهُمَا فَصَحَّكَتَ فَشَرَّتْهُمَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَافُو
إِسْحَاقَ بِعَقُوبَ ﴿قَالَتْ يَتْلُونَ ءَالَءَ وَالَّا عَمُودَ وَهَذَا تَمَلُّ شَيْءًا إِنَّا هَذَا نَشْفِي
عَجِبْتَ ﴿قَالُوا أَتَتَّخِذُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحْمَةً اللَّهُ وَرَكْنُكُمْ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّمَا حَيِّدُ
يَحْيَىٰ ﴿فَسَا دَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعَ وَجَاءَهُ نَارُ النَّارِ يُخْبِرُهُ فِي فُورٍ لُّوطٍ ﴿إِنَّا إِبْرَاهِيمَ لَكَلِيمٍ
أَوَّاهٌ مُنِيبٌ ﴿يَا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَإِنَّهُمْ ءَانِيتُهُمْ عَذَابَ عَظِيمٍ دُورٍ﴾
[هود: ٦٩-٧٦]

من المواقف التي تحتاج إلى توجيه:

١ - عدم معرفة إبراهيم أن الرجال العرب الذين أمامه ليسوا صيوقاً من البشر، إنما هم ملائكة في صورة بشر.

وعندما شتم صيوقاً عرباً سارع إلى إكرامهم، وهاهنا هم يطعم بدون أن يسألهم، مبالغاً في كرمه، وقدم لهم عجللاً كاملاً حيداً مشوية، مع أنه يكفيهم القليل منه، لكنه قدمه كاملاً لأنه كريم.

لم يعرف أنهم ملائكة في صورة بشر، لأن الله لم يحيزه بدس، ولأنه لا يعلمون من أنباء العيب إلا ما أعينهم الله بيا، فلا يعيت إبراهيم عليه السلام عدم معرفته بحقيقة الرجال الذين أمامه.

٢ - لما قدّم لهم الطعام والمحلّ المشوي لم يمدو أيديهم إليه ﴿فَلَمَّ رَأَىٰ
أَبْدِيَهُمْ لَا تَحِلُّ إِلَيْهِ مَكْرَهُمْ وَأَوْحَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً﴾

هم لم يأكلوا من طعام لأنهم ملائكة، والملائكة لا يأكلون ولا يشربون، ولا يبولون ولا يبرصون ولا يتجوعون ولا يعطشون!

ولما لم يأكلوا من طعام إبراهيم عليه السلام نكروهم وأوجس منهم خيفة،

فطمأنوه وقالو له : لا تخف .

ولا يؤخذ على خوفه منهم ، لأن هذا خوف قصري ، فهو هذا أكرم صوفيه ،
وقدّم لهم عجلاً مشويّاً ، وهم مافرون قدّمون من مكاب بعيد ، وهذا معناه أنهم
حائزون ، فعدّم أكنهم من طعامه معناه أنهم يريدون به سوءاً أو تملكون عليه

إن بحوف قطري من يحظر أمر جعله الله في بقطرة الإنسية ، لمقوم
الإنسان بالحد والحد لأمداد ، وتحتبط بحظر ، وهذا عدم شمل لأسياء
وغيرهم ! وهذا حصل من إبراهيم عليه السلام ، وهو من بوارم طبيعته بشرية !

٣ - صام ملائكة إبراهيم عليه السلام ، وأخبروه أنهم ذهبون لتدمير قوم
لوط ، كما بشره بأن الله سيرزقه بعلاما .

وحي بهذه الشرى ، فكيف يأتيه بعلام وقد بدع من بكر عتياً ، قال
تعالى ﴿ قَالُوا لَا تَوْحِشْ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ مُشْرِكٌ بِمِثْلِ عِيسَى ﴾ قَالُوا نَحْنُ نَحْمَدُ اللَّهَ الَّذِي كَفَرْتُمْ
تُبَشِّرُونَ ﴿١١١﴾ قَالُوا بَشِّرْكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُ مِنَ الْغَاطِلِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا وَمَنْ يَفْضُلُ مِنْ رَحْمَتِهِ
رَبُّهُ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ ﴿١١٣﴾ [سجدة : ٥٣ - ٥٦] .

ومدجائه من هذه شرى ، واستعرائه ودهشته منها ، لا تتعرض مع سؤته ،
وبين فيه مأخذ عليه ، لأن هذا مستحيل في المقيس الشري ، فهو شيخ كبير
طاعن في السن ، وامرأته عجوز عقيم ، فكيف سيجسد ولداً بعد هذا العمر ؟

لكن دهشته رث بعد طمانه ملائكة ، فعرف أن لأمر أمر الله ، وهو
رسول كريم عليه السلام ، يُصَدِّق بحبر الله ، ويرضى بقدره

٤ - حتى امرأة إبراهيم عليه السلام - المرأة الصالحة سرور رضي الله عنها -
ستعربت من هذه البشرية العرية ، بعدما ضحككت من الشرى بإهلاك قوم لوط ! .

قال تعالى ﴿ وَأَمْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَصَحَّكَتُ فَتَنَّتْنَهَا بِإِسْحَاقَ وَهِيَ قَوْلًا وَإِسْحَاقَ
يَعْقُوبَ ﴾ قَالَتْ يَتُوبَلَى أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ ﴿١١٤﴾ قَالُوا
أَتَعْجِبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ

تخبر لأن أن امرأة إبراهيم كانت وفعاً أمم ، الملائكة ، فسمعت الحبر عن
توحيهم بدمير قوم بوط الشادس الكافرين ، ففرحت بسك ، وصحكت سروراً ،
لأنها كانت تكره أولئك القوم ، وسرت بوقوع العذاب بهم

ولقد ضحكك وهرجت بشرتها الملائكة أنها مسحت إسحاق، وسرى
حفيده يعقوب أيضاً

ودهب بعض نفي الإسرائيليات وأنساب العربية غير الصحيحة إلى أن
معنى (ضحكت) حاصت فقد كانت عصباً لا تُحب، ثم هي لعب سن لباس،
حيث يقطع دورتها الشهرية ولا تحيض، ويستحل في المعنى الشرعي أن تد
المرأة بعد سوغها سن لباس لأن هذا معناه أنها لا تمر (السويصة) التي يلقونها
بحيوان لموي قبيل الحمل بعد ذلك

قال دعة الإسرائيليات إن سارة العجوز لعقيم كانت فائمة وقعه، وبسما
كسب وقعة ضحكك وحاصت، وحدها الدورة شهرية وبعد فوجئت بذلك،
بشرتها الملائكة بأن عوده دورتها الشهرية تمهيداً لعملها وولادتها، حيث سيئد
إسحاق!

هد كلام باطل ومردود، ولا يجوز أن يُعثر به كلام الله الصادق!

بمعنى ضحكها هو ما قبله، وهو الضحك المعروف عند الناس،
وضحكها كان هرجاً وسروراً قرب هلاك القوم الكافرين!

وما سمعت البشارة بأنها ستلد، تحركت حركة لا بدية، حيث ضكت
وجهها بالصرخة - وهي لطم جدها بكتفها - قال تعالى ﴿فَأَقْصِبْ أَعْيُنُنَا عَنْ سَرِّهَا
وَجْهَهَا وَهَاتْ غُورَ غَيْمٍ﴾ قلوا كذلك قال ربك إنما هو الحكيم العليم ﴿[بدریات
٢٩-٣٠]

رذت الملائكة على استعجاب ودعشه مباردة رضي الله عنه تذكيره بأن هد
أمر الله، وأمر الله بعد ﴿قَالُوا أَسْمِعْ يَنْبَغِي مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحِمَ اللَّهُ وَبَرَكَتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ
الْبَيْتِ﴾ بل استعجابها، وأيقنت بأمر الله

٥ - ثم علم إبراهيم عليه السلام سوءه الملائكة لتدمير قوم سوط صار
يجادلهم.

قال تعالى ﴿فَلَمَّا دَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَهُ نُوْحٌ يُخْبِرُ فِي قَوْمِهِ لُوطُ
إِسْمَ إِبْرَاهِيمَ لَعَلَّهُمْ أُوْثٌ شِدِيدٌ﴾ يكثرهم أعرض عن هذا إنه قد جلة أمر ربك وإنيهم ما يسهم عذاب
عمر مؤدور

خدا نه في قوم لوط يذبح بعدات عنهم، ورحمة مه بهم، والذى دفعه إلى
هد فرط حننه ورحمه، وكأنه كان يطلب إعطاءهم فرصة أخرى، بعدهم يؤمنون
ويصلحون

ولا يؤخذ على دونه عن قوم لوط - الشاذين الكافرين - ولا يلام على
جدا نه بملائكة بشأنهم! لأن ندي حمله على ديت حمله ورحمه، وهو يريد منهم
أن يؤمنوا، ويريد لهم الخير ﴿وَلَا تُزَيِّمُوا لَهُمْ آيَاتِهِمْ﴾

وقد أهمته بملائكة أن الله أمر بتعذيب بقوم، وأن خدا نه ورحمه لا يجمع
ذلك ولا يؤخده، وعنه أن يتوقف عه ﴿بِأَنزِهِمْ أَغْرَضَ عَنْ هَٰذَا﴾
عند ديت توقف عن جدال بشأن بقوم، واستسلم لأمر الله!

ولهذا التحليل والتوجيه يعرف أن إبراهيم سم يحظى في ما حصل به وبين
صيوه من بملائكة من معجزة وأعدا وحدا، وأنه كان على صواب في ديت!

١٤ - كيف كان إبراهيم خليل الله؟

أحسب الله أنه اتحد إبراهيم عليه سلام حبلاً ولهد يقول إبراهيم
لحبيب، عليه الصلاة والسلام قال تعالى ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ
وَهُوَ مُخْمِسٌ وَأَتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾ [سورة ١٢٥]

تقرر الآية أنه ليس هناك أحد أحسن دينا عند الله من المؤمن الصالح، ندي
أسلم وجهه لله، وأحسن بعمل لله، وأتبع ملة إبراهيم عليه السلام، وقد كان
إبراهيم حنيفاً، واتخذ الله خليلاً

ما معنى الخليل؟

الخليل مشتق من (الحلة).

للإمام الرابع لأصفهسي كلام رائع عن حلة قال «الحل فُرْجَةٌ مِنَ
الشَّيْءِ»

والحلة بمرودة إما لأنها تحلّل النفس، أي تنوشتها، وإما لأنها تحلّل
النفس، فتؤثر فيها تأثير سبهم في الرمة، وإما لمرط الحاجة إليها

يُقَالُ مِنْهُ: خَالَتَهُ مُخَالَةٌ وَخِلَالًا، فَهُوَ خَلِيلٌ.

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾

فِيهِ سَمْعُهُ بَدِثُ لَافْتِقَارِهِ إِلَيْهِ سَبْحَانَهُ فِي كُلِّ حَالٍ، وَهُوَ الْاِفْتِقَارُ الْمَعْنَى
بِقَوْلِهِ تَعَالَى ﴿فَقَالَ رَبِّ إِنِّي بَدِثْتُ آلَئِيَّ مِنْ حَيْثُ قَرَّبْتُ﴾ [القصص: ٢٤] وَعَلَى
هَذَا الرَّوْحَةِ قِيلَ اللَّهُمَّ اغْنِيْنِي بِالْاِفْتِقَارِ بَدِثْ، وَلَا تُغْنِيْنِي بِالْاِسْتِعَاةِ عَثْ

وَقِيلَ حَبِيبٌ مِنَ الْخُتَّةِ، وَاسْتَعْمَلَهَا فِيهِ كَاسْتَعْمَلَ الْمَحَبَّةَ فِيهِ

قَالَ أَبُو الْقَاسِمِ السَّخِّيُّ هُوَ مِنَ الْخُتَّةِ، لَا مِنَ الْخُتَّةِ وَمِنْ هُنَا سَبْحِيبٌ
فَقَدْ أَهْطَأَ لِأَنَّ اللَّهَ يَحْجُورُ أَنْ يَحْكُ عِبْدَهُ، فَإِنَّ سَبْحَةَ مَعْنَى أَثَاءٍ، وَلَا يَحْجُورُ أَنْ
يُخَالَه (١).

وَهَذَا مِمَّا اسْتَشْهَرَ فَإِنَّ الْخُتَّةَ مِنْ تَخَلُّلِ نَفْسِهِ وَمَحَاطَتِهِ قَالَ شَاعِرٌ.

فَدُ تَخَلَّلْتُ فَسَنَيْتُ رُوحَ مَنِيٍّ وَبِهِ سُمِّيَ الْخَلِيلُ خَلِيلًا

وَلِهَذَا يُقَالُ: تَعَارَجَ رُوحَانِ

وَسَمِعِيَّةُ الْمَلُوحُ بِالْوَدِّ إِلَى حَبَّةٍ يَقْبِ مِنْ قَوْلِهِمْ حَسَنَةُ إِذَا أَصْبَحَتْ حَبَّةٌ
قَلْبُهُ

لَكِنْ إِذَا اسْتَعْمِلْتَ الْمَحَبَّةَ فِي اللَّهِ، فَاسْمُهَا مُحَرِّدُ الْإِحْسَانِ وَكَلِمَةُ الْخُتَّةِ
فَإِنْ جَازَى فِي أَحَدِ الْمَقْطُوعَيْنِ جَازَى فِي الْآخَرِ.

فَأَمَّا أَنْ يُرَادَ بِالْحُبِّ حَبَّةُ الْقَلْبِ، وَالْخُتَّةُ سَخْلٌ، فَحَاشَا لَهُ سَبْحَانَهُ أَنْ يُرَادَ
فِيهِ ذَلِكَ. (١)

أَبُو الْقَاسِمِ الْبَلْخِيُّ الَّذِي أَوْرَدَ الرَّاغِبُ كَلَامَهُ هُوَ: عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَحْمَدَ الْبَلْخِيُّ
الْكُفَيْيُّ، أَحَدُ رُؤُوسِ الْمَعْتَزَلَةِ، وَقَدْ فَرَّقَ بَيْنَ حَبَّةٍ - بِالْفَتْحِ - وَهِيَ بِمَعْنَى
الْحَاجَةِ، وَالْخُتَّةِ - بِالضَّمِّ - وَهِيَ بِمَعْنَى الْمَحَبَّةِ.

واعتبر البلخي أن إبراهيم خليل الله لحاجته إليه.

(١) المعجمات، ص ٢٩٠-٢٩١

ورَدَّ عليه الرُّعْبُ أَنَّهُ لَا مَانِعَ أَنْ يَكُونَ مِنَ (الْحُلَّةِ) بِالصِّمِّ - بِمَعْنَى نَحْوِهِ،
وَمَحَلُّهُ لِهَاجِزٍ يَقُودُ إِلَى إِحْسَانِهِ إِلَيْهِ، وَإِعْدَابِهِ عَلَيْهِ

الْحَبِيلُ إِذْ مِنَ الْحُلَّةِ، وَهِيَ بِمَعْنَى الْمَوَدَّةِ وَالْمَحَبَّةِ، وَحُجَّةُ اللَّهِ لِلْعَدْلِ
وَمَحَبَّتِهِ لَهُ يَتَّبِعُ عَنْهَا إِحْسَانَهُ إِلَيْهِ!

وَعَلَى صَوْنِ هَذَا بَيَانِ بِمَعْنَى الْحَبِيلِ وَالْحُجَّةِ فِي بَعْدِهِ، يَكُونُ بِمَعْنَى قُوَّةِ
تَعَدُّسِ ﴿وَأَتَّخِذَ اللَّهُ ابْنَ إِبْرَاهِيمَ حَبِيلًا﴾ أَحَبُّ إِلَهٍ بِرُحْمٍ لِإِيمَانِهِ وَصِدْقِهِ، وَجُودِهِ
إِلَيْهِ، وَتَفَضُّلِهِ وَحَاجَتِهِ لَهُ، وَبَعْدَ مَا أَحْتَمَلَ أَمْعَهُ عَلَيْهِ بِعَدَمِ جَرِيلًا، وَأَحْسَنَ بِهِ
حَسَبَ عَمْرٍ، وَصُطْفَاةً إِلَيْهِ، وَجَعَلَهُ بِمَدَامٍ وَفِدْوَةً، وَجَعَلَ فِي ذُرِّيَّتِهِ سُنَّةَ
وَالْكِتَابِ!

وَلَا أَنْ لِهَاجِزٍ إِبْرَاهِيمَ حَبِيلًا، فَقَدْ مُطِيقٌ عَلَيْهِ بِمَعْنَى (حَبِيلُ اللَّهِ)، وَهَذَا
سُمِّيَتْ مَدِينَةُ (الْحَبِيلِ) فِي فَلَسْطِينَ بِهَذَا الْأَسْمِ، لِأَنَّهُ عَاشَ فِيهَا، وَمَاتَ فِيهَا،
رَقِيَ بِهَا مَدْفُونٌ فِيهَا، وَلِهَذَا سُمِّيَتْ إِلَيْهِ^{١٠}

وَبَدَا كَانَ اللَّهُ قَدْ أَكْرَمَ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامَ بِتَحَادُّهِ حَبِيلًا، فَإِنَّ هَذَا لَمِنْ
حَاصِّنَاتِهِ، فَقَدْ شَرَكَهُ فِي هَذَا الْفَصْلِ نَبِيُّ مُحَمَّدٍ ﷺ، حَيْثُ اتَّخَذَهُ اللَّهُ أَيْضًا حَبِيلًا

رَوَى بِيْهَارِيُّ [بَرْقَم ١٩٠٤] وَمُسْلِمٌ [بَرْقَم ٥٣٢] عَنْ جَدِّ رَضِيِّ اللَّهِ
عَنْ قَبْلِ سَمِعْتُ أَبِي ﷺ قَالَ أَنَّ نَبِيَّ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَهُوَ يَقُولُ: «إِنِّي أُرَى إِلَى اللَّهِ أَنْ
يَكُونَ لِي مِنْكُمْ حَبِيلٌ، فَإِنَّ اللَّهَ أَتَّخِذَنِي حَبِيلًا كَمَا أَتَّخَذَ إِبْرَاهِيمَ حَبِيلًا، وَلَوْ كُنْتُ
مُتَّخِذًا مِنْ أُمَّتِي خَلِيلًا، لَأَتَّخِذْتُ أَبَا مَكْرٍ خَلِيلًا.»

إِبْرَاهِيمُ خَلِيلُ اللَّهِ، وَنَبِيُّ مُحَمَّدٌ أَيْضًا حَبِيلُ اللَّهِ، عَلَيْهِمَا الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ!

١٥ - تَوْجِيهِ سَوْالِ إِبْرَاهِيمَ عَنِ الْإِمَامَةِ فِي ذُرِّيَّتِهِ:

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ أَتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُئُوسَ مَكَلَّتْ فَأَتَيْنَهُنَّ فَذَرَيْنَا جَاهِلَاتٍ لِنُفَسِّسَ إِمَامَاتَهُنَّ
فَوَنُورِيَّتِي قَالَ لَا يَتَّالِ عَهْدِي الْفُلَيْيْنَ﴾ [سُورَةُ ١٢٤]

يَحْبُرُ اللَّهُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ أَنَّهُ أَتَى إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَنَحْوَهُ، بِأَنَّهُ عَهْدٌ بِهِ
بِكَسْبَاتٍ يَفُومُ بِهِ، فَصَحَّحَ فِي الْإِتْلَاءِ وَالْإِمْنَحِ، وَأَدَّى الْكَلِمَاتِ لِمُطْلُوهِهِ.
وَأَتَمَّ هَذَا الْأَدَاءَ، فَأَكْرَمَهُ اللَّهُ بِأَنَّهُ جَعَلَهُ إِمَامًا!

(إبراهيمية) هي الحملة ﴿أَتَتَىٰ إِبْرَاهِيمَ إِذْ يَمُوتُ﴾ معبراً به منصوب مقدم
و(رثه) فاعل مرفوع مؤخر.

وكمثال على نسي الله إبراهيم بعد مبعثه في الآية، ثم شئ وسم نخد،
كما لم ينس رسول الله ﷺ ثلاث كمبات، وحق نسيها على يدها كل ما شئ
عنها، هي كمبات لشرعة النبي كلفه الله بها، بما تضمنه من أوامر ونواه
وتوجيهات.

وقد أنسى الله على إبراهيم عليه السلام، حيث أحرز له نجاح في الانتلاء،
وأنما أدت ثلاث كمبات، وحسن الفهم بكل ما أمره الله به، وصدقه منه!
وحسن أداء، وسجود في الانتلاء، سجد عنه إكرام الله لإبراهيم بأن جعله
إماماً. ﴿قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾.

والإمام هو الذي يأتيه س، ويفتدون به في محير، ويهدون بهديه
والله جعل إبراهيم عليه سلام إمام هدى بناس، على اختلاف لرمز
والمكان، فهو إمام مؤمن بني إسرائيل، وإمام لمؤمني بصري، وهو إمام
لمسلمين نفع محمد ﷺ هو إمام دعوة، ومار هدى، ومعتم عقده
ولما أحرز الله إبراهيم عليه سلام أنه جعله إماماً بناس، سأل عن الإمامة
في دريته ﴿قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَأْتِلُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾

وقد لا يحسن بعضهم توجيه سؤله عن الأئمة في دريته، فيعتبر ذلك شناعة
منه بدريته، وطعناً منه في امتداد الإمامة في دريته، واهتماماً خاصاً به بدريته
والأمر بس على هذه الصورة، فزأله عن الأئمة في دريته مظهر من مظاهر
شخصيته حميمة لمسة. ﴿إِنِّي أَتْرِكُهُمْ لَعَلَّيْكُمْ أَوْفَىٰ نَيْبٍ﴾

وكأنه سؤبه يريد أن يعرف الماعدة العامة المطردة في الإمامة، فهو يعلم أن
دريته ليسو جميعاً على مستوى واحد، وسيكون منهم أسس صالحون، وسيكون
منهم أسس غير صالحين، فمن أي صنف منهم يكون الإمامة؟

وقد أجابه الله على سؤله، بتقرير سنة ربانية مطردة، فقال ﴿لَا يَأْتِلُ عَهْدِي
الظَّالِمِينَ﴾

أي عهد به لإبراهيم عليه سلام جعله إماماً حسنة، بدل وبصير وبصل

إلى المؤمنين الصالحين من ذريته، لأنهم يقتدون بآبائهم عليه السلام، لكن
طالعين من ذريته محرومون من العهد والإمامة والاستحلاف، بسبب ظلمهم
وكفرهم وعدوانهم، محرومون من الإمامة، رغم أنهم من ذرية إبراهيم عليه
السلام، سواء كانوا من اليهود أو نصارى أو عرباً مشركين!

وصياغة حكمة لطيفة مقصودة ﴿فَأَلَّا تَأْتِيَ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ (عهدي)
في الآية هو عامل (الصالحين) هو المفعول به والمعنى لا يصل عهدي
الظالمين الكافرين.

ليس معنى (تأت) تأخذ فليس معنى لجملة لا يأخذ أحد انظروا
عهدي.

إن معنى (يسار) يصل فاسمعى لا يصل عهدي صديق، لأنهم
محرومون منه.

وكأن العهد هو الذي يتحرك ويتقل، ويسر من مجموعة إلى مجموعة،
ومن حين إلى حين، وكأنه هو الذي يختار الناس بدين بدهت إبيهم، ويتقي
منهم بسبب به، به يختار المؤمنين الصالحين، ويدعت بهم، أنا نصرون
دعوة لا يصنعهم ولا يبالهم ﴿لَا تَأْتِيَ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾

من طالعين بدين سم يصنعهم عهد الله من ذرية إبراهيم عليه السلام
اليهود والنصارى والعرب المشركون.

وهذا بعبارة النظرية اليهودية لوراثة، هي يحملونها قديمة على الوراثة
النسبية، ولذرية وراثته لإبراهيم عليه السلام لأنهم ذريته، سواء كانوا يهوداً أم
نصارى أم مسلمين أم مشركين!

إن هذه الجملة تقر النظرية الإسلامية للوراثة، التي تقوم على لوراثة
الإيمانية، وليس النسبية

الطالعون الكافرون من ذرية إبراهيم عليه السلام - مثل يهود والنصارى
والمشركين لا يصلحون للإمامة، ولا يبالهم عهد الله، ولا يكرههم الله. وإن
شرط لإمامة هو الإيمان والصلاح والتقوى هذه هي السمة الرابعة في الاستحلاف
والإمامة والكرامة!

ومنها هذه المجموعة من آيات سورة آل عمران . قال تعالى : ﴿ يٰٓأَهْلَ
 الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي دِينِكُمْ وَمَا تُرْبِئُونَ وَلَا يُبْغِضُ إِلَا بِنَ عَدُوَّةٍ أَمَلَا
 تَفْقَهُونَ ﴾ هَكَذَا هُوَ لَا وَحَيْثُكُمْ وَمِمَّا لَكُمْ بِهِ عَلَيَّ فِيمَ تُحَاجُّونَ بِنَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ
 وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا
 كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ إِنَّكَ أَوَّلُ النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَدَيْنَ اسْمُهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَاللَّهُ
 وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ ﴿ [آل عمران : ٦٥-٦٨]

ندعو إلى إمعان النظر في هاتين المجموعتين ، وفق معناهما ، واستخراج
 دلالاتهما بعدده ، في حلال اليهود ، نصارى ، ومشركين ، وعبريهم من
 لاتب لإبراهيم عليه السلام ، لا فرق صريحتهم عن طريقه ، بد لا يتسع المجال
 للحديث عنها في هذا الموطن !! .

إِنَّ آيَاتِ سُورَةِ آلِ عِمْرَانَ تُكْرِعُ عَلَى أَهْلِ كِتَابٍ مِنْ يَهُودٍ وَنَصْرَى
 حُدُوثِهِمْ فِي بَرِيَّةٍ عَلَيْهِ سَلَامٌ ، وَنُظِّلَ اتِّسَابُهُ إِيَّاهُ ، وَتَكْدُّهُمْ فِي هَذِهِ الرَّعْمِ
 نُورُهُ تُرْسُ عَلَى مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَمُوسَى عَلَيْهِ سَلَامٌ جَاءَ بَعْدَ
 إِبْرَاهِيمَ بِمَثَلِ الْمَسِيحِ فَكَيْفَ يَرَعُمُ لِيَهُودُ أَنْ إِبْرَاهِيمَ كَانَ يَهُودِيًّا ؟ وَلْتَوَارُثُ
 نُورُهُ لَأَمِنْ بَعْدَهُ .

وَالْإِنْجِيلُ أُتِيَ عَلَى عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَعِيسَى حَادٍ بَعْدَ إِبْرَاهِيمَ وَبَعْدَ
 مُوسَى بِمَثَلِ الْمَسِيحِ ، فَكَيْفَ يَرَعُمُ النَّصَارَى أَنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ نَصْرَانِيًّا ؟ وَالْإِنْجِيلُ
 لَمْ يَنْزِلْ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ .

وَتَنْفِي الْآيَاتِ انْتِسَابِ الطَّوَائِفِ الثَّلَاثَةِ لِإِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : الْيَهُودِ
 وَالنَّصَارَى وَالْعَرَبِ الْمُشْرِكِينَ . ﴿ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا
 مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ .

وَبِذَاكَ هُوَ لَا جَمْعًا لِمَا مِنْ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، لَا فَرْقَ طَرِيقَهُمْ عَنْ
 طَرِيقِهِ ، فَهَمَّ يَهُودٌ أَوْ نَصَارَى أَوْ مُشْرِكُونَ ، وَهُوَ حَنِيفٌ مُسْلِمٌ ، فَهَمَّ أَرْزَى
 النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ ؟ وَمَنْ هُمْ أَتْبَاعُهُ الْحَقِيقِيُّونَ ؟

حَدَّثَتِ الْآيَةُ هُؤَلَاءَ تَحْلِيداً صَرِيحاً لَا لَيْسَ بِهِ ﴿ إِنَّكَ أَوَّلُ النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ
 لَدَيْنَ اسْمِهِ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ ﴾

إنهم أصناف ثلاثة

الأول: (للدّين انبعوه): أي الذين اصوابه ودخلوا في دينه واتبعوا دعوتَه، من المحاصرين له، الذين عاشوا معه حياتهم، وكانوا مؤمنين صالحين.

ثاني (وهذا لبي) هو النبي محمد ﷺ، لأنه حاتم الأنبياء وأمرسبين، والوارث لدعوة إبراهيم عليه السلام ورسالته

ثالث (وأيديهم) هم المؤمنون أتباع محمد ﷺ، ولداحيون في دينه، وهم أمة الشهاده ورسالته والحلافه والدعوه إلى يوم القيمة، وهم المتسبون نسباً إيماناً لإبراهيم عليه السلام، والورثة الحقيقيون به!

وهؤلاء المسمون - أتباع محمد ﷺ - هم وحدهم على ملة إبراهيم عليه السلام، أم يهود و نصارى فليسوا على ملته، ونسبو على دينه، وليسوا ورثته، لأنهم يهود أو نصارى، وإبراهيم عليه السلام ما كان يهودياً ولا نصرباً، وإنما كان حنيفاً مسلماً.

وتجربذ اليهود و نصارى من الانتساب لإبراهيم عليه السلام، يُرذمه يعني الانتساب الإيماني عقدي، القائم على الأنح في دين ورسالة، وهذا هو الانتساب لجدير بالمول، وهو ندي بعلمه الإسلام، وهذا لا يمنع وجود صفة نبوية لبعض اليهود والنصارى ومن إبراهيم عليه السلام، أي أن بعض هؤلاء قد يكونون من سله ومن دينه ومن آياته وأحفاده، وبعضهم قد ينتهي نسبهم بإبراهيم عليه السلام، رغم وجود فترة زمنية تفصلهم عن عتبات السنين!

إن كون بعض اليهود والنصارى من ذرية إبراهيم عليه سلام سناً، لا يعني أنهم ورثة حقيقيون له، لأنهم كفروا وظلموا، وكفروا به قطع صلتهم بحقيقة الإيمانية بإبراهيم، وقد انقطعت هذه الصلة الإيمانية لم تمنع بعد ذلك صلتهم النسبية!.

١٧ - كيف إبراهيم أب لهذه الأمة؟

وإذا كان اليهود والنصارى ليسوا على صفة إيمان إبراهيم عليه السلام - بالمفهوم ندي وضحاه - فإن أمنا المسماة هي بعصنة إيمان إبراهيم عليه السلام!.

اليهود ليسوا أبناء إبراهيم، لأنهم كفار، وإبراهيم لا يعترف بهم، ويعتبرهم
ككفرهم، وهو بريء منهم، ويكذبهم في رعم (شؤيهم) له!

وبصري ليسوا أبناء إبراهيم عليه سلام، لأنهم كفار، وإبراهيم لا
يعترف بهذه (البُرة) التي يزعمونها.

أما نحن المسمون نحن الأبناء الحقيقيون لإبراهيم عليه سلام، نعترف
بهذه (البُرة) وشكر الله عليها، وهو (أبونا) عليه سلام، احتار لما هد الاسم
المبارك (المسمون).

ونحن مأمورون بصلّيات نقرن بقرن ملّة إبراهيم لحبيب المسمي عليه
السلام:

قال تعالى: ﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ نِلَ إِلَهِهُنَّ حَيْثُ وَمَا
كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [البقرة: ١٣٥].

وقال تعالى: ﴿قُلْ صَدَقَ اللَّهُ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَيْثُ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾
[آل عمران: ٩٥].

ونبينا محمد ﷺ مأمورٌ باتباع ملّة إبراهيم أيضاً قال تعالى ﴿قُلْ إِنِّي هُنَالِكَ
نَذَرْتُكَ مُسْلِمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَيْثُ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ١٦١]
وقال تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَيْثُ وَمَا كَانَ مِنَ
الْمُشْرِكِينَ﴾ [النحل: ١٢٣].

إبراهيم عليه سلام أبونا، سماء المسمين، قل أن يوجد الله في عالم
الواقع، قال تعالى ﴿يَتْلُوهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَرْكَعُوا وَأَسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ
وَأَقْعَبُوا الْحَيْرَ لَعَنَكُمْ تَقْلِحُونَ﴾ ﴿١٦١﴾ وَجْهَدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ
أَجْتَنَبَكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي دِينٍ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّكُمْ الْمُسْلِمِينَ
قُلْ وَفِي هَذَا يَكُونُ أَرْسُولٌ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شَهِدَةً عَلَى الَّذِينَ قَاتَلُوا الْقِسْوَةَ وَهَاتُوا
أَرْكَوَةً وَأَقْعَبُوا لِلَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَعَمَّ الْمَوْلَى وَبَعْدَ نَصِيرٍ﴾ [الحج: ٧٧-٧٨].

تصرّح لآبَةُ أَنَّ مُسْلِمِينَ أَتَاعَ مُحَمَّدٍ ﷺ هُمْ وَخَدَمَهُ عَلَى مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ
عَلَيْهِ السَّلَامُ كَمَا تَصْرَحُ أَنَّ إِبْرَاهِيمَ هُوَ أَبُوهُمْ، وَهُمْ أَبَاؤُهُ ١١

وليس المراد بالأبوة هنا الأبوة النسبية، مع أن بعض المسلمين
يتنهي نسبه إلى إبراهيم عليه السلام.

المراد بالأبوة هنا الأبوة المعنوية الإيعانية، فكيف المسلمين يقتدون بإبراهيم
عليه السلام ويتبعونه، ويسيروا على طريقه ﴿قُلْ أَتُكْفَرُ بِإِبْرَاهِيمَ﴾

ومن محبة إبراهيم عليه السلام لهذه الأمة واهتمامه بها أنه احتار لها اسماً
قل مدت السنين من وجودها ﴿هُوَ سَمَّكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ﴾

وهذا الاسم (المسلمون) أصل عربي، ممدد في تاريخ، وهو ليس سماً
عارضاً حادثاً، هم مسلمون، والأشياء قبلهم كلهم مسلمون، وأنشأ الأباء قبلهم
كلهم مسلمون.

ورضى الله لهم هذا الاسم الذي سماهم به أبوه إبراهيم من قبله ﴿أَلْيَوْمَ
أَكْتَفَتْ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَّتْ عَلَيْكُمْ بِعَاقِبَتِي وَرَحِمْتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِيناً﴾ [المائدة: ٣٠]

ومن مظاهر الصلوة والمحبة بين إبراهيم عليه السلام وبين هذه الأمة أن
المسلم يصلي على محمد وعلى إبراهيم عليهما الصلاة والسلام في الحفوس
الأخيرة من كل صلاة، وهي المسماة بالصلاة الإبراهيمية.

يقول المسلم في صلاته «اللهم صل على محمد، وعلى آل محمد، كما
صليت على إبراهيم، وعلى آل إبراهيم، وبارك على محمد، وعلى آل محمد،
كما باركت على إبراهيم، وعلى آل إبراهيم، في العالَمين إنك حميد مجيد»



الفصل السادس

إشكالات حول قصة لوط عليه السلام

تحليل وتوجيه

الفصل السادس

إشكالات حول قصة لوط عليه السلام

تحليل وتوجيه

١- الفرق بين اسم لوط واللواط:

(لوط) اسم النبي الكريم عليه الصلاة والسلام، الذي أتى إبراهيم عليه السلام، وقدم معه من بلاد العراق، إلى الأرض المقدسة وبعثه الله نبياً رسولاً إلى قوم كانوا يسكنون شرق الأرض المقدسة، كانوا كفراً، وانتشرت فيهم فاحشة (اللواط) ١.

وقد يقرن بعض الناس بين (لوط) واللواط، ويجعل هذا الاسم لصاحبه إنياناً للذكور من العالمين مشتقاً من اسم النبي الكريم لوط عليه السلام! وهذا ربط مروض بين الكلمتين، لأن بينهما فرق كبير.

(لوط) اسم علم أعجمي غير عربي، سُخِّيَ به هذا النبي الكريم عليه الصلاة والسلام، وهو ليس اسماً عربياً مشتقاً، فلا نبحت عن مادة اشتقاقه، ولا عن معناه في العربية.

ورغم أنه اسم علم أعجمي إلا أنه مصروف، لأنه ثلاثي ساكن الوسط، مثل (نوح).

أما اللواط فإنه كلمة عربية مشتقة، تقول - لاط، يَلُوطُ، لوطاً، ولواطاً قال ابن فارس في معنى الكلمة «الَلُوطُ: كلمة تدلُّ على اللصوق، تقول: لاط الشيء بقلبي إذا لصق به، وفي الحديث «الولد أَلُوطٌ بالقلب» أي: ألصق بالقلب وتقول: لعت الحوص لوطاً إذا طينته بالطين» (١) اللُوط هو اللصوق. واللواط هو الالتصاق

(١) مقاييس اللغة، ص ٩٤٣.

وسُعي إتيان أكثر مدّكر لوطاً لأنهم ينتصرون معاً عند ركبهم تلك القاحشة الشاقة.

دُنْ لا صه بين (نوح) وبين اسم السيِّ بكريم (لوط) عليه السلام، رعة أن الله بعثه رسولا إلى قوم قَسَتْ فيهم قاحشة اللواط.

وبدليل على أن اللواط بدأ فيهم قوله تعالى: **إِذْ رَأَى مِنْهُمُ لُوطُ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِقَوْمِهِ ﴿۱﴾ أَنْتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿۲﴾ وَتَقْتُلُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ الْوَسْكِ ۚ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُتْسِفُونَ ﴿۳﴾﴾ [الأعراف ٨٠-٨١]**

٢- لماذا ضاق لوط بضيقه؟

كما أراد الله تدمير قوم لوط أرسل مجموعة من ملائكة، متحوّلين في صورة رحى، إلى نوح عليه السلام، ولما رآهم نوح قادمين إليه لم يعرف أنهم ملائكة، وطنهم رحلاً حقيقين يريدون النزول ضيوفاً عنده!

ولا يؤخذ على عدم معرفته بأنهم ملائكة، مع أنه نبي رسول، لأن صاهره أبهم بشر، وبه تحبزه لله أنهم ملائكة في صورة بشر، وعلم سيِّ محدود غير مصق، ولا يعمه من عيب إلا ما أعدمه الله به. وقد سبق أن مرّ هؤلاء ملائكة بسمي الله إبراهيم عليه السلام، ولم يعلم أنهم ملائكة إلا بعد أن أحروه هم، وهذا يدلّ على بشرية الرسل، ومحدودية علمهم!

ولما وصل نصيوق نوحاً عليه السلام سيّ بهم وصاق بهم درعاً، ونمى نوح بأنوه قد تعدى ﴿وَلَمَّا سَاءَتْ رُسُلًا لُوْطًا سَيَّ بِهِمْ وَصَاقَ بِهِمْ دَرْعًا وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ﴾ [هود: ٧٧].

واسمى أنه أصابه بهم رحى وسوء عندما حنوا في بيته، وصاق بهم درعاً، ولم يعرف ما مد فعل، ولا كيف يتصرف! واعتبر هذا اليوم الذي قبموا فيه يوماً عصيباً شافقاً سيّ، له شأن خطيرة، قد تؤديه هو كثيراً!

لماذا صاق لوطاً عنه سلام درعاً نصيوقه؟ أليس بكرام الصيغ مطموياً؟ وهو سيِّ الكريم عليه السلام! وبعد لم يحسن استقبالهم ولم يعرّخ بهم، كما فعل إبراهيم عليه السلام عندما قدم بهم عحلاً حبيداً مشوياً؟

دُنْ صه نصيوقه ليس ما حداؤاً عنه، ولا أمرٌ بسحق لوم عليه، فهو

يبحث لصيوف، ويحب بكر مهم، لكن الوضع لا يختلف

لقد صاق بهم بسبب شذوذ وفق قومه!

بهم يرتكون في حشة البوايا، ويأتون رجال شهوة من دون النساء، وقد
استنبر وقتهم شذوذ فيهم، وأصيبوا بالشعار الذي لا شعاع فيه، ولا يركون
أحدًا يقدرون على المجور به سألماً وصيوف يوط عليه السلام رجلاً عرباً، دور
هياة وملاحقة وحماس، وعندما يراهم غوة الشاذون سيهجمون عليهم ليفجروا
بهم! ولو لا يقدرون على اندفاع عنهم، ولذلت نمل لولم يأتوا إليه!

وهذا ما حصل، وما توقعه لوط من قومه الفاحرس تحقير، فما أن علموا أن
عبد لوط رجلاً ذوي جمال، حتى حذوه يهرعون إليه، شاحدين، صيوفه منه!

وسدوا أن يقوم كانوا منعوا لوط عليه السلام عن استقبال الصيوف العرب
عندما اشتد الحور ربه وبسبهم قالوا له ﴿أَوَلَمْ تَهْتَكْ عِىَ الْمَلِكِ﴾ [الحجر ٧٠]

ولما عرّفه بصيوف على أنفسهم فيما بعد، وأنهم ملائكة قدموا لتعذيب
المقوم المحرمين اطمان وراء صيقه، قال تعالى ﴿فَلَمَّا جَاءَهُ آلُ لُوطٍ الْمُرْسَلُونَ﴾
﴿قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مَّشْكُرُونَ﴾ ﴿قَالُوا تَنْتَهِى عَنْ زِينَتِكِ يَا كَاثِرًا بِمَا تَسْرُوكِ رَبِّ وَتَقْسِدُ بِالْحَقِّ
وَلَئِنَّا لَنَصْنَعُوكِ﴾ [الحجر: ٦٦-٦٤].

٣- معنى قوله: ﴿هَؤُلَاءِ بَنِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ﴾

دفع لوط عليه السلام عن صيوفه، ووقف أمام قومه الشاذين قال تعالى
﴿وَجَاءَهُمْ قَوْمُهُ يَهْرَعُونَ لِتِلْكَ وَمِنْ قَتْلٍ كَانُوا يَحْمِلُونَ السِّقَاتِ﴾ [هود ٧٨]

وفعل (يهرعون) مصارع مذكّر لغير الفاعل. معنى للمجهول وهو يصور
برعة بشادة المحمومة، التي حرّكتهم ودعتهم للمحوم على الرجال الحسن!

لقد كان يحركهم الاحراف والشذوذ، الذي يعيبهم عن رؤية الحقائق،
فما أن شاهدوا الرجال الحسن حتى أصبوا بحنى وهتري لشذوذ، وبوخها
بهم ليفجروا بهم!

لما رأوهم استنبروا، وفرحوا وشرو للفتك بهم ﴿وَجَاءَهُمْ قَوْمُهُ يَهْرَعُونَ﴾ [الحجر: ٦٧]

ورأودوه لأحدوا صيوفه منه قال تعالى ﴿وَلَقَدْ رَاودُوهُ عَنْ صَيْفِهِ فَطَسَّأَ
أَعْيُنُهُمْ فُلُوقُهُمْ عَلَافٍ وَفُتًى﴾ [القمر: ٢٧]

وحتى يُعَذِّدَ الرجالَ المشاكسَ عن صيوفه، أرشدهم إلى (سنة) قال تعالى
﴿قَالَ نَقَوِّرْ هَذُلَاءَ بِأَقْيَ هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْرِبُوا فِي صَيِّفٍ أَيْسَرَ مَكْرُ رَسُولٍ
رَشِيدٍ﴾ قالوا لقد عيشت ما كنا في بآبِكَ مِنْ حَقِّ رَأْيِكَ نَعْتَمِدُ مَارِثِدُ﴾ [هود: ٧٨-٧٩].

وقال تعالى ﴿قَالُوا أَأُولَئِكَ تَهْجُرُونَ فِي غَيْبَتِنَا مَنْ لَا يَمُرُّ بِكَ مِنْ أَهْلِ الْبَلَدِ فَكَيْفَ يُحْجِرُونَ أَهْلَهُمْ عَنْ بَنَاتِهِمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [الحجر: ٧٠-٧١]

استجاش لوط عليه السلام في قومه تقوى الله. ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ﴾

وصلب منهم أن لا يُخزوه في صيفه: ﴿وَلَا تُخْرِبُوا فِي صَيِّفٍ﴾ وهو بهد
بنتت الصدنة نية اجتماعية، حيث ذكروهم أن هؤلاء الرجال هم صيوفه، وعلى
المُصِيب أن يُكرِّم صيوفه، وعلى حبره وأقربيه ومعارفه وأهله أن يسعدوه في
ذلك، وأن يكرسوا عونه

إبه يحاطهم بسطق المروءة، إن بقيت عندهم نية من مروءة، ويثير فيهم
معاني الحياء، إن بقي عندهم حياء لكن هذا المطلق لم يصف معهم

ثم عطفهم بقوله ﴿أَيْسَرَ مَكْرُ رَسُولٍ رَشِيدٍ﴾ إنه يبحث من بين قومه كثيري
العدد عن رجل واحد رشيد، يستخدم عقله ورشده، ويساعده في الوقوف أمام
الجنون، شهوئتي سمور، الذي يحرك قومه، يبحث من بينهم عن رجل واحد
رشيد، يحاطهم معه بسطق المروءة والحياء وتجميل والأدب

ونكه لم يبحث من بينهم رجلاً واحداً رشيداً، بعد قصي شذوذهم على
عقولهم ورشدهم، وطمس فطرتهم وحياءهم!

ماذا يفعل بهم لوط بعد ذلك؟ بقي معه حرّ سلاح، عرض عليهم ساته
﴿قَالَ نَقَوِّرْ هَذُلَاءَ بِأَقْيَ هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ﴾

من هن البات اللواتي دعاهم إليهن؟ وما معنى إصافتهن له ﴿هَذُلَاءَ
بِأَقْيَ﴾

لم يُحسن بعضهم فهم هذه الدعوة، وحملوا الإضافة في (بأقي) على

الإضافة الحقيقية، وقالوا: هنّ بناتُه من صلته!

ودهب بعضهم إلى أنه عرّض عليهم الروح من (سأته) ليصرفهم عن صيوقه،
وعدكوا طسوا ذلك في الماصي فأبى أن يروّجهم لشؤدهم! والآن تدرى ورصي
أن يروّجهم!

وهذا كلام ليس عليه دس، ولا منكرٌ به كلامُ الله! فمن أدري هؤلاء أنهم
كانوا يريدون روح من سأته؟ وهل أن هذا الكلام صحيح، فكُمّتْ عنده في
بيته؟ وهل تكفي بناتُه رجال القرية؟

ولا يلتفتُ لها لما دعت إليه بعضهم لسعادته، حيث فهو قومه ﴿هَؤُلَاءِ
بَنَاتِي﴾ أنه دعوة من يوجب للمحور في سببه، وانرباهن، وترث صيوقه سالمين!!

وهل يفعل هذا بسنّ عظيم، فصلاً عن أن يكون سبباً؟ وهل الرب سبب
طهارة تنسب مع قوله ﴿هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ﴾!!

سرحُ أن لوطاً عليه السلام أراد بقوله السابق بقومه بنت القرية،
باعتبارهنّ الحسن الآخر فيها.

أي دعاهم إلى التفكير في الطريق العصري السليم في نصريف شهوة،
بأن يشح كلّ منهم إلى الحسن الآخر، إلى البت الأنثى، في قصر الله أرجل
المستقيم عن برعة فيها واشوخته إليها، دعاهم إلى الإقلاع عن تفكير شذو،
وتوقّف عن قضاء شهوة عد الرجال، لأنهم من نفس حسن، وليسوا مكان
قضاء الشهوة!!

وعشر لوطاً عليه السلام بنت القرية وبساتٍ له ﴿هَؤُلَاءِ بَنَاتِي﴾ لأنه
بني القرية ورسولها، وهو شيخٌ هلهلها وكبرهم وصالحهم، فهو يهد لاعتبار
أبوهم أبوة معوية! وكان دكورها أولاد له بالمعنى المعنوي، وكان بنت القرية
ونساء بناتٍ له بهذا الاعتبار أيضاً!!

ومعوية أنه قد لحاظ الشيخ الصانع في أنس طلاته، فيقول يا أناسي،
ويا بناتي!

والدليل على أنه أراد بنت القرية، وإرشادهم إلى قضاء شهوة عدّه،
قوله بعده ﴿هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ﴾، إن تفكير الرجل في مرأته، وقضاء شهوة
عدها، أظهر به من ذلك السلوك الشاذّ ما بحث عن رجل للمحور به! فما هذا

شددوا إلا رحس ودس ، وقدره وداء ، تنعز منه نفسيه لإسباب السوي

وكان لوطاً عليه السلام يقول لهم ذعوا صيوبي ، وتركوا الرحب ، وادهوا
إلى سائلكم ، وليقتص كل منكم شهوته عند مرآته ، فهذا أنصهر به

وهذا كان جواب العوم في غاية العراة ﴿فَالْوَالِدَتَا عَصَتَا مَا لِيَ بِكَ مِنْ حَقٍّ
وَأِنَّكَ لَلْغَالِي﴾ [هود: ٧٩].

أي أنت تعلم ما فقدت الرغبة في النساء ، ولم تعد تعوش نسل النساء ،
وأنت تعلم أنك تريد النوحان ، وأن رغباتي في الرحب فقط

وهذه إشارة إلى تمكن الاضطراب والشدة فيهم ، بحيث صار هو الوضع
لصحيح ، وصار التوجه إلى النساء ومعاشرتهن هو بوضع لشد لعد كان احرف
القوم كبيراً ، بحيث عطى على كل شيء ، واستحق بذلك عذاب الله

٤ - الركن الشديد الذي تعنى لوط أن يأوي إليه

بعد أن رفض القوم الشاذون دعوة لوط عليه السلام ، في تنوخته إلى سائلكم
لإطفاء نار الشهوة ، وأصرروا على أخذ صيوفه ، بمعنى لو كان يأوي إلى ركن شديد ،
وقد أحزن الله عطفه لقومه قال تعالى ﴿قَالَ لَوْ أَنِّي إِيَّاهُمْ قُوَّةٌ أَوْ آوِيَةٌ إِلَىٰ رُكْنٍ
شَدِيدٍ﴾ [هود: ٨٠].

ما معنى هذا التمسني وما هو الركن الشديد الذي أراد أن يكون إليه

إن لوطاً عليه السلام وحيد بين هؤلاء القوم بكافرين الشاذين ، وهو ليس
واحد منهم ، فليس له في القرية أقدار أو أهل أو عشيرة ، ولعل أتباعه المؤمنين
كانوا قلائل جداً ، لا يقدر أن يدفع أذى الكافرين

وأمام محاولة الشاذين فتحام بيته لحصص صيوفه ، بمعنى أن يكون به قوة من
الشر ، على شكل جيش أو مجموعة ، بمؤمن هذه القوة بشرية محاربتهم
ومحاربتهم ، والوقوف أمامهم لدفعهم لأنه وقت أممهم وحده ، وهو لا يقدر
على محاربتهم ، مهما كان قوياً !!

وبمعنى لو كان يأوي إلى ركن شديد ﴿أَوْ آوِيَةٌ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾ وقضاه
بالركن الشديد القوة المادية الشريفة ، التي يركن إليها ، ويستصبر بها ، ويستعين
بها على مواجهة هؤلاء

الذي نمّاه لوط عليه السلام قوة إمامة مادية شريفة. تقف أمام قوة الكفار
المادية الجاهلة، وركن بشري مادي يؤولي إليه، في مقدر ركنهم البشري
الجاهلي، ومجموعة من الناس مؤمنين بمقوله معه ويصرونه ويدافعون عن
صيوحه، ويصدون لهجوم الجاهلي الكافر عليه!

هد هو ركن الشريّ الشديّد القوي، الذي كان يبعثه ويريدّه عليه سلام!
وتم من لوط عليه السلام قوة الله، ولم يسر أنه كان يؤولي إلى ركن الله
شديد القويّ عتيق، وأنّ الله حميه وصرّاه. لم يسر هد لأنه سيّ رسول الله
«صلوة والسلام».

عنى هذا الأسس معهم ما قدله رسول الله ﷺ عن لوط عليه السلام فقد
روى البخاري [برقم ٣٣٧٢] ومسلم [برقم ١٥١] عن أبي هريرة رضي الله عنه
عن رسول الله ﷺ قال: «محرّ أحقّ بالشئ من إبراهيم، ويوحى الله لوطاً، لقد كان
يؤولي إلى ركن شديد، ولو لبثت في السجن ما لبث يوسف لأجبت الداعي!»

لرسول ﷺ في هد الحديث لا يدين لوطاً عليه السلام، وكلامه لا يدين
عنى أن لوطاً عليه السلام سيّ أنه كان يؤولي إلى ركن الله الشديد!

إنّ نصير لوط عليه السلام أنه يؤولي إلى ركن الله الشديد أمرٌ معروغ منه،
ولعلّ الرسول ﷺ أراد أن يحبرنا عن علم وحوذ قوة مادية شريفة تحمي لوطاً عليه
السلام، وأنه في ما نمّاه كان يتمنى تلك القوة المادية الشريفة!

وبعد أرمه لوط عليه السلام مع قومه، وعزته بعربة بهم، كان الله يبعث
كلّ سيّ أو رسول من بعده ومعه ركن مادي بشري، بحيث يكون هذا السيّ واحداً
من قومه، له في قومه أهل وأقارب، وعشيرة ورهط!

ومعلوم أنّ (رهط) الرجل وعشيرته قوة شريفة، يدفع الله بها لأذى عنه

فها هو (شعيت) عليه السلام وكان بعد لوط عليه السلام - جعل الله له
ركناً، وقد أحمره الكفر بأنه لولا رهطه لرحمته - قال تعالى ﴿قَالُوا نَشْأَيْتَ مَا
نَفَقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا يَقُولُ وَإِنَّا لَنَرُّكَ فِيهَا ضَعِيفًا وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَحَمْنَاكَ وَمَا أُنْتِ عَلَيْنَا
بَصِيرِينَ ﴿٩١﴾ قَالَ يَبْقَوِيهِ آتِظُنُّ أَعَزُّ عَلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ يُفْعَلُ بِهِ مَا تَشَاءُونَ ﴿٩٢﴾﴾
[هود: ٩١-٩٢].

وروى الترمذي [برقم ٣١١٦] عن أبي هريرة رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «رَجِمَ اللهُ لوطاً، كما يَأْوِي إلى رُكْبِي شديداً، وما بعث الله بعده نبياً إلا وهو في ثروة من قومه...».

والمرءُ ثروياً من قومه برهطاً وحشيرة، ولرُكْبُ البشريِّ أقوى ندي يدافع عنه!.

٥ - كفر امرأة لوط وخيانتها له:

أشارت نيتُ نمرانٍ إلى أنَّ كلَّ أهلٍ لوط عليه سلام كانوا مؤمنين، إلا امرأته فقط، التي كانت كفرة حائلة

قال تعالى ﴿فَأْتَرَجَعْنَا مِنَ الْإِيمَانِ فِيهَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿٣٥﴾ ﴿فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَنٍّ مِنَ الْمُتَمِيمِينَ﴾ [نذريات ٣٥-٣٦] أي أنه عندما أَرَدَ اللهُ تدميرَ قري قوم لوط أنجى المؤمنين بمسبيين أُنذِعَ لوط عليه سلام، وهم يوحّد في القري كلها إلا بيتاً واحداً، أفرادهُ مؤمنون مسمومون، هو بيتُ نبيِّ الله لوط عليه سلام، وهذا يدلُّ على قلّة المؤمنين، الذين كانوا في بيته!.

وذكرَ القرآن أنَّ أفرادَ هذا البيت مسمومون: لا امرأته فقط. قال تعالى ﴿وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ أَهْلِ لُوطٍ عَلِيمٌ﴾ ﴿١٣٥﴾ ﴿إِنْ يَخْتَفُوا هُمْ ضَالُّونَ﴾ ﴿١٣٦﴾ ﴿لَا تَحْشُرْهُمْ فِي السُّجُنِ﴾ ﴿١٣٧﴾ ﴿لَا يَحْشُرُهُمْ فِي السُّجُنِ﴾ ﴿١٣٨﴾ [انصافات ١٣٣-١٣٥]

وقد أكّدت الآيةُ على سِجَةِ أهلٍ لوط جميعاً، بكسمة (أجمعين)، ثم استثنت امرأته من النجاة

ولا استثناءً في قوله ﴿لَا تَحْشُرْهُمْ فِي السُّجُنِ﴾ ﴿١٣٥﴾ ﴿لَا يَحْشُرُهُمْ فِي السُّجُنِ﴾ ﴿١٣٦﴾ ﴿لَا تَحْشُرْهُمْ فِي السُّجُنِ﴾ ﴿١٣٧﴾ ﴿لَا يَحْشُرُهُمْ فِي السُّجُنِ﴾ ﴿١٣٨﴾ استثناءً منقطعاً، استثنيتُ فيه امرأته من النجاة، حيث بقيت مع القوم الكافرين، وعُدَّتْ وهلكَت معهم!.

ولم يذكر القرآن عددَ أفرادِ أهلِهِ الذين نجوا، وبقي عددُهم مهملًا، ونحن لا نخوض فيه، ولا نحاولُ بيانه من الإسرائيليات!.

مرأةُ لوط عليه سلام امرأة كافرة، ووصفها اللهُ بأنها عجورٌ هالكة، كما أصرَّ أنها حدث روحها لوطاً عليه السلام. قال تعالى ﴿صَرَبَكَ اللهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾

كَفَرُوا أَمْرًا نُوحٍ وَأَمْرًا لُوطٍ كَأَنَّا نَحْتَمِلُ حِمْلًا مِمَّنْ يَبْغَىٰ كُفْرًا أَتَىٰ عَلَىٰ الْكَافِرِينَ لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ عَنِ كُفْرِهِمْ لَأَنْزِلُنَّهُمْ نَارًا كَثِيرَةً وَلَهُمْ فِي النَّارِ مُوَدَّعٌ عَذَابُهُمْ ۖ وَتُفَصَّلُ الصَّالِحِينَ ۖ فَجَاءَتْ هُمَا نَارًا يُجِيبُ عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ سِتْرًا وَقِيلَ لَهُمَا لَمْ يَخْلَقْ لَكُمْ رَمَقًا لَّذَلِكَ ۖ [سحر ١٠]

وما قصده عن حسنه امرأة نوح له بصبح أن يقدح عن حسنه امرأة لوط له، فهي حسنة حسنة في معرض، وله تركت وحشة رب، لأن الله نزهة سيئ وأهله عن هذه، وحشة، ومن تربى امرأة سيئ فقد

نمر ذو حسنة هذا حسنة في سب، أي أنها كفره، مع أن زوجها لوطاً عليه سلام سيئ، وقد دعاه من لأبعد عدة مرات، وبكفي أصرت على الكفر، وعسر هذا لكفرها حسنة، لأنها امرأة سيئ، ولأزلي أن يكون أقرب الناس إليه، وأول الناس ثباته، ودخولاً في دينه، وبما أيها لم تفعل ذلك أصرت حسنه، واغتر كفرها حسنة زوجها

وكان توحية إحداهما لوط عليه سلام صريحاً بأن يأخذ أهله، ويعدو حسنة يلاً، قل وفوق بعدت بقومه، وبهية عن أصحاب، أمرته معه، لأنها سكرت مع مدبرين بها كين قد تعالى ﴿قَالُوا يَنْطُوقُ إِنَّا رَسُولُ رَبِّكَ لَنْ يَسْمَعُوا أَلْفِكَ فَأَنْتُمْ بِأَهْلِكُمْ يَفْقَهُونَ مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَلَا يُلْقُونَ بِكُمُ أَحَدٌ إِلَّا أَمْرًا نَكِرًا فَمُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ وَمَا مَوْعِدُهُمْ فَتُفَصَّلُ الْإِنْسَانُ أَفَتُصْبِحُ بِقَرِينٍ﴾ [هود ٨١]

أي أخذ لوط أهله عدم يدخل سبل ويحرق بطلام، وحرخ بهم مسرعاً، ولا ينفذ سكم أحد، ولا يتأخر سكم أحد، حتى لا يصبه بعدد، أما أمرت فلا تأخذ معك، لأنها كفره، سيصيبها ما أصاب قومها الكافرين من عذاب وهلاك.

٦- المؤتفة والمؤتفكات:

عَذَّبَ اللَّهُ قَوْمَ لُوطٍ عَذَابًا حَصَافًا. سَمِ يَعْدِبُهُ لَأَنِّي قَوْمٌ جَارِينَ، حَيْثُ أَطْعَمَ عَلَيْهِمْ حِمَارًا مِّنْ سَجِيلٍ مَّصْرُودٍ، وَقَتَ بَيوتِهِمْ وَجَعَلَ عَذَابُهُمْ سَهَابًا

قال تعالى ﴿وَلَمَّا حَكَ أَمْرُهُ جَعَلْنَا عَلَيْهِمْ سَكْبًا، وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ جَعَلًا مِّنْ سَجِيلٍ مَّصْرُودٍ، مَّشْوِمَةً عَذْرَاكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ كَبَعْدٍ﴾ [هود ٨٢-٨٣]

وقد تعالى ﴿بِمَنْزِلَةٍ يُنْفِثُ لَهَا سَكْرًا تَغْمُوهَا، فَأَمَّا هُنَّ فَتَصْبِحُنَّ مَشْرُوبًا، فَجَعَلْنَا عَلَيْهِمْ سَهَابًا، وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ جَعَلًا مِّنْ سَجِيلٍ﴾ [سحر ٧٢-٧٤]

أُخْرِتْ سَلَاتُكَ لَوْحًا عَنْهُ سَلَامٌ فِي لَيْلٍ أَنْ أَعْدَتْ سَمْعُهَا نَقُومَ عَدِ
لَصَاحٍ. لَدَيْتْ عَلَيْهِ أَنْ يَحْرُجَ أَهْمُهُ سَمِيرٌ لَيْلًا يَحْوِي قَابَ عَدَلِي ﴿وَقَصِيدَةً﴾
يَتَوَدَّكَ لَا تَمُرْ أَنْ دَائِرَ هَتُولَةٍ مَقْطُوعٌ مُقْبِعِينَ ﴿[حجر ٦٦]

وَلَمْ يَصْنَعْ صَبْحٌ وَشَرَقَ شَمْسٌ أَحَدُهُمْ بِصَبْحِهِ ﴿فَأَنذَرْتَهُمْ أَفْضَحَةً﴾
مُتَرَقِّينَ ﴿[الحجر: ٧٣]

عند شروق الشمس انشعب لأرضي، وأحدثت صيحة عذبة، وصوت
مفرعاً، وهذه صيحة مبهمة في العرب، لم يعرف عنها شيئاً

وبعد صيحة قلب الله امرئته قساً، فجعل عديها ساقلي ﴿فَجَعَلَتْ عَيْبَهَا﴾
سَاقِلَهَا وَأَمَطَرَتْهُنَّ عَيْبَهُمْ وَنَذَارَةً لِّسَاجِدِينَ ﴿[الحجر ٧٤]

وعدي بيوت القرية هو سقوفها، وساقلي هو أسسها وأرضيتها، أي
قلب لله قرية قساً، فصارت أسساً ورصة بيوت أعلى، وصارت سقوفها
إلى أسفل !

وبعد ذلك أمطر الله عليها مطراً خاصاً، إنه حجارة من سجيل مسود،
مسومة عند الله، مخصصة لهؤلاء الكافرين، فنصبت عليهم قصة تافهة

و(السجيل) هو حجر المكون من طين بعد أن يجف، فيكون صلباً قاباً
كالصخر.

و(مصدود) سب مفعول من التصيد، وهو معنى الترتيب والتسيق،
تقول تصدث استبح إذا سب بعضه على بعض، والحجارة مصدودة مرساة
مستمة

والحجارة ﴿مُسَوَّمَةٌ بِعَدْرَتِكَ﴾ أي أنها معدة أعداء خاصة لله لهؤلاء
النفوس، ومُعْتَمَةٌ بعلاماب خاص بهم، وكان الله أعداء كل واحد من نفوس حجر
خاص به، وعُتْمَتُهُ بعلاماب خاصة، لا تحطته، ولا يبعده إلى غيره

وهكذا نشأت الأرض من تحته، وسبح عن ذلك صيحة شديدة عظيمة،
ثم قُتِلَتْ بِيُوتُ الْقَرْيَةِ، فجعل عانيها ساقليها، ثم أمطر على نفوس مطر عذاب،
منشأ في حجارة الخاصة من سجيل مسود، لكل فرد منهم حجره خاص به،
لا تحطته إلى غيره

ولا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ۚ وَأُولَٰئِكَ لَهُنَّ فِي اللَّهِ عُقْبَةٌ ۚ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَالْمُؤْتَفِكَةُ ۖ أَقْوَىٰ مِمَّا تُفَكِّهُنَّ ۚ﴾ [التجم: ٥٣-٥٤].

وسمى الله قري المطفة (المؤتفك) قال تعالى ﴿وَبِهِ دَرَعُونَ وَمِنْ قَبْلِهِ وَالْمُؤْتَفِكَةُ ۖ الْخَاطِئَةُ﴾ [الحاقة ٩].

وقال تعالى ﴿الَّذِي يَأْتِيهِمُ مِنَ الْبَيْتِ قَوْراً نُوحٍ وَعَبْرٌ وَنُحُودٌ وَقَوْرٌ بِأَنْهَارِهِمْ وَأَصْحَابُ مَدِينٍ وَالْمُؤْتَفِكَةُ﴾ [التوبة: ٧٠]

(المؤتفكات) جمع، مفردة (المؤتفكة).

و(المؤتفكة) سم فعل، فقلها الماضي (اتعت) وهو مشتق من لافث قال الإمام الرعب عن لافث «الإفك كل مصروف عن وجهه، سدي يحق أن يكون عيه ورحل مافوك مصروف عن الحق إلى لافث»^(١) وما أن الإفك هو صرف شيء عن وجهه لذي يحق أن يكون عليه، فقد سمي الله قري قوم لوط (مؤتفكات)، لأنها مصروفات مقنونات. إن لافث هو قلت الحقائق، وحويل الحق إلى باطل، وتحويل لافث إلى حق!.

لماذا عذب الله قري قوم لوط بهذا العذاب الخاص؟ بأن قديها قلت، وجعل عاليها سافلها، وسقاها (المؤتفكات)؟.

إن هذا عذاب الخاص يتأسس مع جرائمهم وشذوذهم، ومعروف أن الجراة من جنس العمل!.

ترك أولئك القوم أشادون النساء إلى الرجال، وقصروا شهرتهم عند أمثالهم من نفس الحسن، وبذلك قتلوا الحقائق، وقللوا الفطرة، وحولوا الذكر الذي خلقه الله ليطلب حراً، ليكون مطلوباً مكرماً كالمرأة! وهذا هو قلت الحقائق! فما أنهم قتلوا فطرتهم وحولتهم، لذلك قلت الله بيوتهم وجعل عاليها سافلها!

* * *

(١) المعربات، ص ٧٩-٨٠

الفصل السابع

إشكالات حول قصة يعقوب ويوسف

عليهما السلام

تحليل وتوجيه

الفصل السابع

إشكالات حول قصة يعقوب ويوسف عليهما السلام

تحليل وتوجيه

١ - كيف يعقوب نافلة؟

لما بشرت الملائكة سارة رضي الله عنها بأنها ستنجب إسحاق، رادوها بشرة بأنها ستترك حفيدها يعقوب، قال تعالى ﴿وَأَمَّا أَنْتُ يَا سَرَةَ فَصَبِيحَتُ بُشْرَتِهَا يَاسَاقُ وَيَسَاقُ وَيَسَاقُ بِعَقُوبٍ﴾ [هود ٧١]

وبشارتها ببعقوب بعد إسحاق، لأنها نُسرت بإسحاق وهي عجوز عقيم، طاعة في سر، ولعنها كانت تطرأ أنها لن تبقى حية حتى يكبر أنها إسحاق، وأنه سيميش يتيماً! لذلك بشرتها الملائكة بأنها ستبقى، حتى يكبر إسحاق، وستشهد رواجه، وستشهد ولادة أبيه يعقوب، وسترى حفيده شاباً ﴿فَبُشِّرَهَا يَاسَاقُ وَيَسَاقُ وَيَسَاقُ بِعَقُوبٍ﴾

كذلك بشر الله إبراهيم عليه السلام ببعقوب بعد إسحاق قال تعالى ﴿وَنَحْنُ بَشِّرُكَ بِإِسْحَاقَ إِلَى الْأَرْضِ الْأُنْفُوسِ بِرَكَاتٍ كَثِيرَةٍ وَوَعَدًا لَكَ بِعَقُوبٍ وَنَحْنُ بَشِّرُكَ بِإِسْحَاقَ وَيَسَاقُ وَيَسَاقُ بِعَقُوبٍ﴾ [الأنبياء ٧١-٧٢]

فمن كمال فضل الله على إبراهيم عليه السلام أنه نُسرت بولادة ابنه إسحاق، ثم بولادة حفيده يعقوب في حياته.

ورسخت الآية يعقوب بأنه نافلة ﴿وَيَعْقُوبُ نَافِلَةٌ﴾

والراحح أن الواو في جملة ﴿وَيَعْقُوبُ نَافِلَةٌ﴾ واو يعطف، وما بعدها معطوف على (إسحاق) أي. وهما لإبراهيم إسحاق ويعقوب

والراحح أن (نافلة) حال منصوب من يعقوب فقط، وبسبب حالاً من إسحاق ويعقوب معاً، لأن إسحاق لم يكن نافلة، إنما النافلة يعقوب فقط لكن كيف يعقوب نافلة؟

لقد أراد إبراهيم الولد، فبشره الله بآية إسحاق، وزاد الله له في الإنعام
والبشارة، فوهب له حميداً يعقوب، وجعله نافلة ١.

والصفة مشتقة من (عق) ولشئ هو البادة، وكل تصرف يصدر لكلمة بذل
على هذا المعنى، مثل الأفعال والواقف

ومعنى كولي يعقوب صفة أن البشارة به رتبة على البشارة بآية إسحاق،
فالبشارة بإسحاق هي مقصودة في معنى لأول، وكل ما ورد بعده
لإبراهيم، فبشره بحميد يعقوب ٢

ووصف يعقوب به صفة دين على حور، صلاته صفة على ولد

وقد شك إبراهيم عليه السلام على الله عليه السلام، وصلى عليه
وشيوخه، قال تعالى ﴿لَحْمُكَ لِيَ آتِي وَهَبْ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ
رَافِعًا يُدْعَى بِرَفِيٍّ﴾ [بره ٣٩]

وهو الله له، وحميد صفة تكريمه، وحميد له على بصرته
لدين، ومواجهته صفة دين، قال تعالى ﴿وَتَغْيِرُكُمْ وَأَمَّا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ
وَأَدْعُوا رَبِّي عَلَى الْآلَاءِ الْكَوْنِ بِرَفِيٍّ شَيْئًا فَهَذَا أَغْرَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهَبًا
لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكَلاَّ حَفَّتْ بِرَبِّهَا﴾ [مريم ٤٨-٤٩]

٢- يعقوب وإسرائيل والذي حرمه على نفسه

ذكر القرآن يعقوب سمين يعقوب وإسرائيل

والاسم أعجمي، وسما عربيش مشتقين، وهما معبودان من الأصناف
للعنمية والعجمة، ولا بحث لهما عن معنى في العربية

ورد اسم يعقوب ست عشرة مرة في القرآن، وورد معه ثلثي (إسرائيل)
مرتين في القرآن

وسمى هذا معنى الأتس منين ورد فيهما اسم (إسرائيل)

لاوسى قوله تعالى ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ آتَاهُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ لَدُنْهِ مِنْ ذُرِّيَّةٍ ذَرِيَّةً وَرَفَعَهُمْ
حَسْبًا مَعَهُ يُوَحِّدُ مِنْ ذُرِّيَّتِهِ الْبَرِّ وَرَفَعَهُمْ وَرَفَعَهُمْ وَرَفَعَهُمْ وَرَفَعَهُمْ﴾ [مريم ٥٨]

تحدث لآية عن (شجرة حواء) الحاركة، ويذكر أسماء أربعة نبياء آدم،

ويوحنا وإبراهيم، وإسرائيل

ذِكْرَ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِاعْتَارِهِ أَبَا لِلشَّرِيَّةِ

وَذِكْرَ نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِاعْتَارِهِ أَبَا لِلبَشَرِيَّةِ الثَّانِي

وَذِكْرَ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِأَنَّهُ نَبِيُّ الْأَنْبِيَاءِ، وَالْأَسْمَاءُ الْمَذْكُورُونَ بَعْدَهُمْ
مِنْ ذُرِّيَّتِهِ، عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ !

وَقَدْ قُرِعَ عَنْ شَجَرَةِ النَّوَّةِ بَعْدَ إِبْرَاهِيمَ مَرَّةً

بِاسْمِ لَاسْمَاعِيلِي الْمَمْتَلُ فِي سِدْعِيلِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، وَهَذَا
شَرْعٌ حَسَنٌ لِحَاثِمِ الْأَنْبِيَاءِ وَرَسُولِهِمْ، فَصْنُهُ عَدِيَّةٌ عَالِيَةٌ، مُحَمَّدٌ ﷺ

الْفَرْعُ الْإِسْرَائِيلِيُّ : الْحَتْمُ الْإِسْرَائِيلِيُّ حَفِيدُ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، وَهُوَ
أَبُو بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَكُلُّ أَنْبِيَاءِ بَنِي إِسْرَائِيلَ مَذْكُورِينَ فِي شَرْعٍ مِنْ ذُرِّيَّتِهِ

بَعْدَ لَاعْتَارِ ذِكْرِ لَأَيَّةٍ سَمِ (بِسْرَائِيلَ)، وَعُظْفَتُهُ عَلَى حَذِّهِ (إِبْرَاهِيمَ)
عَلَيْهِمُ السَّلَامُ. وَقَدْ ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ يُزَكِّيهِ وَيُشْرِكُهُ بِرَبِّهِ﴾

أَثْبَتَهُ قَوْلُهُ بَعْدَ ﴿كُلُّ الطَّعَامِ حَكَاةٌ جَلَاءُ لِنَبِيِّ إِسْرَائِيلَ، إِلَّا مَا حَرَّمَ
إِسْرَائِيلَ عَلَى نَفْسِهِ. مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَةُ قُلْ فَأَتُوا بِأَتُورَةٍ قَاتِلُوهَا بِرُكْنَيْكُمْ
مَكْرُوفِينَ﴾ (آل عمران: ٩٣).

يُخْبِرُ اللَّهُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ أَنَّهُ أَرَادَ كُلَّ طَعَامٍ لِي سَرِيحٍ قَبْلَ بَرْنِهِ تَوْرَةٍ
عَلَى مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَلَمْ يُحَرِّمْ عَلَيْهِمْ مِنَ الطَّعَامِ إِلَّا مَا حَرَّمَهُ تَوْرَةُ إِسْرَائِيلَ
عَلَى نَفْسِهِ.

وَبِثَ هَذَا فِي لَأَيَةٍ قَوْلِهِ ﴿إِلَّا مَا حَرَّمَ بِسْرَائِيلَ عَلَى نَفْسِهِ﴾ وَبِسْرَائِيلَ هُوَ
يَعْقُوبُ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

وَسَيُذَكَّرُونَ لِأَنَّهُ هُوَ مَحْرُومٌ مِنْ حَوَارِيسِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَبَنِي يَهُودٍ فِي
لَعْدِيَّةٍ، حَيْثُ سَأَلُوهُ أَرْبَعَةَ أَسْئَلَةٍ، وَاحِدُهُمْ عَنْهَا، وَأَفَدَهُ عَنْهَا لِحَاةٍ

رَوَى لَتَرْمِذِي [بِرَقْم ٥١٢١] عَنْ ابْنِ عَسَاكَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ حَصْرَتَ
عَصَاةً مِنَ الْيَهُودِ نَبِيَّ اللَّهِ يَوْمَآ، فَقَالُوا يَا أبا الْخَاسِمِ حَتُّكَ عَنْ حَلَالٍ سَأَلْتُكَ
عَنْهُ، لَا يَعْلَمُهُنَّ إِلَّا نَبِيٌّ

قال سنوبي عث شتم، ولكن جعلوا بي دمه الله، وما أخذ يعقوب على
نبيه، لئن حدثتكم شيئاً فمرقتموه سنعتي على الإسلام

قالوا: فذلك لك! قال: قتلوني عما شئتم

قدوا أحزاب عن أربع حلال سنئت عهن: حزب أي بعدم حزم إسرائيل
على بعه من قبل أن تنس سورة؟ وأحزاب كيف ماء به حل وماء امرأة، وكيف
يكون له كرمه؟ وأحزابا كيف هذ السبي لأمي في يوم؟ ومن ربه من جلاتكة؟

قال: فعبيكم عهداً الله ومثفهش به: أحزابكم سنعتي

فأعطوه ما شاء من عهد وميثاق

قال: فأنشدكم سدي أبر سنواة على موسى عليه الصلاة والسلام أن
إسرائيل يعقوب عليه السلام، مرض مرضاً شديداً، وطال سقمه، فنزل الله نذراً،
نن شفاء لله من سقمه، ينحرم من أحب الشراب إليه، وأحث بعدم إليه، وكان
أحث بعدم إليه لخمّن لإبل، وأحث شراب إليه أسداً

قدوا: اللهم نعم.

قال: اللهم اشهد عليهم...

ثم أجابهم على: في أسئلهم، ونكثهم ضرؤ على كفرهم عدد وسكندراً
فأمر الله لآية نرد عنهم، وب: كدبهم على اسم يعقوب عليه السلام

والشاهد أن الآية تحبر عن إسرائيل: يعقوب - عليه السلام، وعن صعب
من انعدام حرمة على بعه، وس: رسول الله ﷺ ذلك بعدم وملات تحريمه

مرض إسرائيل عليه السلام يوم مرضاً شديداً، وأراد أن يتقرب إلى الله سدر
يسدده، فسار إن شفاء لله من مرضه أن يمتنع عن أحث بعدم وشراب إليه، وقد
شفاء لله، ووقى سدره، وامتنع عن أكل بحوم لإبل، وعن شراب ألبه، لأن
ذلك كان أحث لبعدم وشراب إليه

وبقي على امتدعه عن بحوم وأنسا لإبل وشفاء سدره حتى بقي الله، وألزم
سوه ودرته من سبي إسرائيل بما كان يدره، ومنتقو عن بحوم وأنسا لإبل،
وبذلك صارت لبحوم وأنسا لإبل محرمة عنهم بحرماً شرعاً ﷻ كل لطمير

كَانَ جَلَّالَتِي إِسْرَائِيلَ لَا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ، مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ آيَةُ ١٤
 وَقَدْ بَسَّاءُ بَعْضُهُمْ كَتَبَ حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ حُرُومَ وَأَسَدَ الْإِبِلِ؟ مَعَ
 أَنَّ الْحَرِيمَ وَالْتَحَاسِلَ حَوْلَهُ وَحْدَهُ، وَلَا حُجُورَ لِعَبْرَةٍ أَنْ يَفْعَلَ ذَلِكَ؟
 وَتَوَحَّيْ هَذَا بِصَرَفٍ مِنْ إِسْرَائِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ سَهْرٌ مَسْهُورٌ بِإِذْنِ اللَّهِ!
 اسْحَرْتُمْ بِوَعْدِ تَحْرِيمِ لَعُونِي عَادِي، وَحَرَمْتُمْ تَشْرِيعِي بِكُفْتِي!
 اسْحَرِي بِنُفُوسِي لِعَادِي مَعَهُ الْإِمْتِنَاعُ عَنِ الشَّيْءِ - وَالْحَرِيمُ اسْحَرِي
 مَعَهُ أَنَّ اللَّهَ دَامَرُ بِشَخْصٍ بِالْإِمْتِنَاعِ عَنِ شَيْءٍ، فَإِنَّ نَفْسَهُ وَقَعَ فِي سَحْطُورٍ،
 وَعَرَّضَ نَفْسَهُ لِلْعَذَابِ!.

اسْحَرِيمُ بِنُفُوسِي هُوَ حَقٌّ لِلَّهِ هُوَ الشَّرْعُ الشَّيْءِ - وَاللَّهُ هُوَ لَدِي يَشْرَعُ وَيَكْتِفُ،
 وَيَأْمُرُ وَيَنْهَى، وَلَا حُجُورَ لِأَحَدٍ مِنْ لَشَرِ فَعَلِ ذَلِكَ
 وَإِسْرَائِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَهُ بِحَرَمِهِ هَذَا سَوْعٌ لَدِي مِنْ شَيْءٍ مَحْرُومٍ، بِمَا
 تَحْرِيمُهُ كَذِبٌ عَلَى نَفْسِ السَّوْعِ الْأَوَّلِ - بِنُفُوسِي هُوَ مُحَرَّمُ الْإِمْتِنَاعِ عَنِ حُرُومِ وَأَسَدِ
 الْإِبِلِ، وَكَانَ امْتِنَاعًا دَبَّ عَادِيًا، وَلَمْ يَفْعَلْ هَذَا امْتِنَاعٌ تَكْفِييٌّ، وَهُوَ حَرَامٌ عَنِّي
 تَحْرِيمًا تَشْرِيعِيًّا!.

وَمِنْ الْمَعْلُومِ أَنَّهُ قَدْ يَمْتَنِعُ بَعْضُ النَّاسِ عَنْ بَعْضِ الْأَشْيَاءِ الْمُبَاحَةِ، لِأَنَّ
 نَفْسَهُ لَا تَعْمَلُ إِلَيْهَا، وَلَا تَرَعُ فِيهَا، فَإِذَا مَثَلُ: هَلْ تَرَى هَذَا الشَّيْءَ حَرَامًا عَلَيْكَ
 شَرْعًا؟ أَجَابَ بِنُفُوسِي وَقَدْ هُوَ مَسْخُوفٌ، لَكِنْ أَدَامَسُ عَنِ لَأَنَّ نَفْسِي لَا تَرَعُ
 فِيهِ!.

مِنْ هَذَا سَبَبِ كَذِبِ امْتِنَاعِ إِسْرَائِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَنِ لَحُومِ وَأَسَدِ الْإِبِلِ، وَلَمْ
 يُحَرِّمْ ذَلِكَ عَنِّي نَفْسَهُ - وَلَا عَنِّي غَيْرَهُ - تَحْرِيمًا شَرْعِيًّا تَكْلِفًا! ١١

٣- [إِسْرَائِيلُ مُسْلِمٌ وَلَيْسَ يَهُودِيًّا:]

إِسْرَائِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ مُسْلِمٌ، وَدَنَّهُ لِإِسْلَامِهِ، رَغِمَ أَنَّهُ يُوَسِّى إِسْرَائِيلَ،
 وَهُوَ لَمْ يَكُنْ يَهُودِيًّا، وَلَمْ يَأْتِ بِالْيَهُودِيَّةِ
 بَنِي مُسْلِمٍ، لِأَنَّ كُلَّ سَيِّئٍ جَاءَ بِالْإِسْلَامِ، وَالْإِسْلَامُ هُوَ دِينُ الْأَنْبِيَاءِ وَحَرَمِيسِ
 جَمْعًا

ولقد حرص القرآن على تبيان و تأكيد هذه الحقيقة، عند حديثه عن إبراهيم
 وإسماعيل وإسحاق ويعقوب ويوسف عليهم الصلاة والسلام، ودلت لإبطال
 مزعم يهود و نصارى، الذين يزعمون أنهم على دين هؤلاء الأنبياء، ومع ذلك
 أصروا على يهوديتهم أو نصريتهم، وكذبوا محمد ﷺ

قال تعالى عن إسلام هؤلاء النساء وبادت إسلام يعقوب - عليهم
 السلام ﴿ وَمَنْ يَرْغَبْ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ فَلَا مَسَاسَ لَهُ وَلَقَدْ أَخْطَأْنَا فِي الدُّنْيَا وَبَنَاءِ
 فِي الْآخِرَةِ لَمَنِ تَقَبَّلْنَاهُ إِنَّهُ يُرْجَى إِلَيْهِ فَبِإِذْنِهِ أَشْرَقَتْ رَبِّ الْأُمَمِينَ ﴿١٢١﴾ وَوَصَّى بِهَا
 إِبْرَاهِيمُ بَنِي وَيَعْقُوبَ نَبِيٍّ إِنَّ تِلْكَ نَفْصُ الْكُفْرِ الَّذِينَ قَالُوا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَأَشْرَكُوا مَعَهُ
 كُفْرًا شَدِيدًا ﴿١٢٢﴾ حَصْرَ يَقُوبُ الْمَوْتِ ﴿١٢٣﴾ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ قَالُوا نُعْبُدُ
 إِلَهَكَ وَآلَهُ تَبَارَكَ تَرَاهُمَ وَمُسْتَعِيزٍ لَهَا وَجَدُوا وَحْنًا لَّهُمْ مُتَسِيمُونَ ﴿١٢٤﴾ سورة

[١٢٣-١٣٠]

إبراهيم عليه السلام منه ﴿ بِذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ أَعْلَمِينَ ﴾
 ونبي يربط عن ملة سبيه، فكأن من صير على يهوديته أو نصريته ولم يدخل
 في الإسلام فهو سبيه ﴿ وَمَنْ يَرْغَبْ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ فَلَا مَسَاسَ لَهُ ﴾

إبراهيم عليه السلام يوصي أولاده بدينه على الإسلام، وكذلك يعقوب
 عليه السلام يوصي أولاده بالإسلام، حيث قال كل منهما لأولاده ﴿ يَنْبَغِي إِنَّا تَخَذَ
 أَخْصَىٰ سَكَّةَ الَّذِينَ قَالُوا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَأَشْرَكُوا مَعَهُ ﴾

ومن ساء يعقوب عنه السلام بالإسلام، وحرصه عليه، به أوصى أبنائه
 به وهو على فرش الموت، في آخر لحظات حياته ندي، فإنهم ما بعدوا من
 عديا وما عديا يفترون به من عديا فأخبروه بأن دينهم للإسلام، وهم
 ملتزمون به، الذي هو دين أبائهم لأساء سابقين ﴿ قَالُوا نُفَعُّكَ إِلَهَكَ وَآلَكَ
 بِرَاهِمَ وَمُسْتَعِيزٍ لَهَا وَجَدُوا وَحْنًا لَّهُمْ مُتَسِيمُونَ ﴾

من يعقوب منهم، ودنه هو الإسلام، وهو ليس يهوديا، لأن (يهودية)
 ظهرت بعدة بقرة طويها، كما أن أساء إبراهيم وإسماعيل وإسحاق عليهم السلام
 لم يكونوا يهودا، لأن لليهودية ظهرت بعدهم بفترة ﴿ أَمْرٌ قَوْلُونَ إِنَّ رِجْزَ
 وَمُسْتَعِيزٍ لَهَا وَآلَهُمْ قَالُوا هَؤُلَاءِ كَانُوا هُوتًا أَوْ تَصَرَّفُوا فَبِإِذْنِهِ أَعْلَمَ أَمْرُ اللَّهِ
 وَمَنْ أَعْلَمَ مَعَى كَثَرِ شَهَادَةٍ عِندَ رَبِّكَ ﷻ [نقرة ١٤٠]

والخلاصة أن يعقوب عليه السلام كان مسلماً، ولم يكن يهودياً ولا نصرانياً،
 وبحسب أُنسٍ به من اليهود، لأنَّه مسمون وعلى ذنبه الحق، أم يهود قيسوا على
 دمه، لأنَّهم كفروا بدمه (لإسلام) وحاربوه، ولذلك فإنه بريء منهم، وإن كان
 أن يعصمهم، ولو كان موحوداً حاشى عليهم، ودمهم وثراً لهم!

٤ - لماذا اهتم يعقوب بابنه يوسف أكثر؟

وهب لله ليعقوب عليه السلام ثلثي عشر ولداً، هم أصون واحد أُنسٍ
 برئيل، منهم بن يوسف عليه السلام، الذي جعله بن بعد ذلك سناً
 وكان يوسف أحبهم، وذكرهم وأحبتهم، وكان يعقوب عليه السلام يلاحظ
 هذه الأمارت على بنه الصغير، فحضره بمريد من عباده ووعده
 والاهتمام، ولكن ليس على حساب إبنائه الآخرين!

ولكن لأسباب يحرص فهم وتفسير وتوضيح هتاه أبنهم الصغير،
 وعطرو بن لموضع تأديبه، ووختر بن أحبه شوم حقه، وتهمو أن هم
 سبي للاحبار ومحضاً وصلاً، ونمروا على أحبه الصغير، وأردو قتله أو
 سحقه من قاتل عدو ﴿لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٍ لِّأُولِيَ الْبَالِ﴾ (إذ قالوا
 يُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِنْ وَيْشَ وَنَحْنُ عُصَّةٌ إِنَّ أَبَانَا لَيِّنَ صَلْبٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾ أَفَنُؤْثِرُ يُوسُفَ أَوْ
 أَطْرَحُوهُ أَوْصَلُ يَحْشُ لَكُمْ وَهَذَا إِلَيْكُمْ رِقَابُكُمْ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا لِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿١١﴾﴾ (يوسف ٩-١١)

صحيح أن يعقوب عليه السلام كان يولي اهتماماً أكثر بيوسف وأحبه،
 يصرفها واحبهم إلى ذلك، ولأنَّه تكبر وقد كبروا وشتموا، ولا يحسبون
 بن مريد من عباده ووعده كخونهم الصغير، فهو ليس محارب ولا عدواً ولا
 صالاً ولا محضاً، كما تهمه أسوة لحدود ﴿إِنَّ أَبَانَا لَيِّنَ صَلْبٍ مُّبِينٍ﴾

إنها مسألة بسية معروفة، فإنَّ أب - ولو لم يكن أباً - يهتم بأولاده
 الصغير أكثر، وتظهر بهم مريد من أحب ووعده!

ولقد قيل لامرأة: أي أولادك أحث إليك؟

قال: الصغير حتى يكبر، والصغير حتى يشقى، والأكبر حتى يعود!
 ونظر لإخوة لحدود بن المسألة بهذا التصور، وتعدى معها على

هدد الأساس لأحسب فهمها وتفسيرها، ونحافظ على صحتها ونسبها قلوبهم¹

ولكنه يشكركم لئلا يذوقوا عذابي. وسنصر على قلوبهم، ونحوهم على
أبصارهم، ونحوهم على أسماعهم، ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُفٍ﴾

درد یعقوب علیه السلام هم مانع فی همنامه ربه بصعیر یوسف، ولم یظلم إخواته من أجل ذلك، واهتم به لحاجته بسبب صغره، ویمیره من ساهبه وودکاته.

وَبَدَأَ حَدَّثَ فِي الصُّبْحِ الرَّبَّ، وَفَضَّلَ عَلَى أَبِيهِ، طِبْتُ نَوْهَ مَا أَنْ لَا يَحْزَنَ
إِخْوَتَهُ بِهَا، لِأَنَّهُ لَا يَكِيدُوا لَهُ وَيَتَأَمَّرُوا عَلَيْهِ

قَالَ نَعَمْ ﴿ إِذَا قَالَ يُوسُفُ لِأُمِّهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ﴿ قَالَ نَعَمْ لَا تُفْضِعْ زِينَتَكَ عَلَیْ خَوَاتِمَ فِیْكَ وَهَذَا لَكَ كَيْدٌ إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿ [یوسف : ۷۵]

هـ - من الذين ياعوا يوسف؟

تَمَرُ الإِخْوَةِ حَادِثُونَ عَلَى أَحِبِّهِمُ الصَّغِيرِ يَوْسُفَ، وَأَقْوَاهُ فِي عِبَادَةِ مُلْكُ - بِرِّهِ مَصْرُوفَةٌ عَلَى طَرِيقِ نِقَوَاهُ - وَتَرْكُوهُ فِيهَا، وَعَدُوا إِلَى آبِيهِمْ لِيَكْدِسُوهُ عَلَيْهِ، وَرَعَمُوا أَلَّ الدُّنْيَ أَكَلَهُ !

وَحَدَّثَ قَعْلَهُ مَسْفُورًا، وَوَحْدَ رَنْدِهِ يُوسُفَ فِي لُشْرِ قَابِ تَعَالَى
 لَوَحَاتٍ سَبْرَهُ قَارِئُورٍ وَرَدَّهُمْ قَادِلِي دَلُورٍ هَالٍ نَشْرِي هَدَّ عَنَّمْ وَأَسْرُوهُ بَصْعَةً وَأَلَدَّ عِلِيمْ
 يَمَا يَمْلُوكْ ۚ وَشَرُّهُ يَشْرِبْ نَحْسِ دَرَجَمْ مَعْدُودَقْ وَكَانُوا فِيهِ مِنْ أَلَرِّ هَيْدِيكْ ۝

[يوسف ١٩ - ٢١]

تَحْمِيْلٌ لِأَنَّهُ أَتَى مَرْبَ الطَّرِيقِ (سَارَهُ)، وَهِيَ قَافِلَةٌ مِّنْ شَجَرِ الْمَدَائِرِ،
الَّذِينَ يَسِيرُونَ مَعَهُ الْخَوَاجِرَ مِنَ النَّاسِ إِلَى مِصْرَ، سَاعِدُو مُصْطَفِيهِمْ فِيهِ
وَقُبُلُ وَصُولِهِمُ الْبَرَزَ مَعْرُوفٌ عَلَى الطَّرِيقِ أَرْسَدُوا (وَرَدَّهُمْ) وَهُمْ الطَّلَعَةُ
(الْمُسْتَكْشَفَةُ) لَنَدْبٍ يَسْقُونَ نَقَاهُ إِلَى الْمَاءِ لِيَتَبَوَّهَ وَيُحْجَرَهُ بِهِمْ

ذهب بعضُ المفتشين إلى أن إخوة يوسف أخذوا وضعوه في سُرٍّ حديد
فربّيسُهم، يعرفوا عاداتهم، ولم يزلوا ينادونهم إلى السُرِّ - وهم
طبعاً لا يستطيعون - ووجدوا يوسف في السُرِّ، فدعاهم إخوته، وقبوا هـ

عبدًا من عبيدنا، وهو عاقٌّ متمردٌ، ونريدُ أن نبيعه، فدعوه لهم، وأحدو ثمنه
سحزٍ بقليلٍ وعدو إلى أنفسهم، وبما أحد المشترون حسدرون يوسف عدو
رهيماً دعوه في مصر!

وعند هؤلاء السبعين سبع يوسف مرتين المرة الأولى دعه إخوانه إلى
السبعين، والمرة الثانية دعه لمسافرون في مصر إلى (الحرير)
وبرى أن عدوهم ضعيف، وتفسير الآية مردود

الرجع من ليق أن الإخوة الحاقدين تركوا يوسف في الشر، ودهوا إلى
أبيهم وبشاعة لورث إلى شر، ليجهتوا الماء، أدلى أحدهم دونه ليعرف الماء
من شره، فخرج به يوسف عليه السلام، وفوحى به، وبأدى أصحابه فرحاً مسروراً
مستبشرين، وثقفوا فيما بينهم على أن يأحدوه ليبيئوه عدو في مصر، وأخفوه عن
رملائهم في القافة، وتوخيهم به نحو مصر!

هذا هو الرجوع في معنى قوله تعالى ﴿وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَى دَلُومًا قَالَ يَنْفُثَرِي هَذَا عَنَّمْ وَأَسْرُوهُ بِصَمَّةٍ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَمْكُرُونَ﴾.

(وحدث سيرة) مرث قافة بحرية نيز مافرة ﴿فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ﴾
طلبوا من مجموعة منهم أن يستقرو القافة، ويردوا الماء ليجهرهوه ﴿فَأَدْلَى
دَلُومًا﴾ أمر أحد أفراد المجموعة دونه في الشر، ليعرف الماء ﴿قَالَ يَنْفُثَرِي
هَذَا عَنَّمْ﴾ رأى يوسف متعففاً بسير، وفرح واستبشر، وأحضر ملاءه ﴿وَأَسْرُوهُ
بِصَمَّةٍ﴾ نفقت المجموعة على أن يأحدوا العلامة بصاعة، ويدهو به إلى مصر
ليبيئوه فيها، ويربحو ثمنه، كما اتفقوا على أن يسرووه ويخفوه عن باقي أفراد
السيارة، لئلا يشاركوهم في ثمنه!

ولم وصل لقافة مصر سارع أفراد المجموعة لى مع يوسف لأول
مشتري، وكانوا متعجلين صرعين في بيعه، ولذلك لم يطنوا ثمناً مرتفعاً، ولم
يجادلوا في ثمن، ويبدو أن أول ثمن دفع لهم قسوه!

قال تعالى ﴿وَأَسْرُوهُ بِصَمَّةٍ تَحِينَ دَرَجِمَ مَقْدُودُو وَكَانُوا بِهِ مِنْ
الْزَّاهِدِينَ﴾

معنى (سروه): باعوه

(شري) هي بمعنى باع في معنى **﴿وَمِمَّنْ اشْتَرَيْنَا مِنْ تَشْرِيقِكُمْ أَنْتَبَعَةً مَرْصَدًا لِّكَ﴾** [الشع ٢٠٧] أي من الناس من يبيع نفسه ابتغاء مرصدة لله

(واشتري) في غير ما معنى أحد قول تعالى **﴿يَا اللَّهَ اشْتَرِنِي﴾** التوبة (١١١)

ومعنى **﴿يَسْتَعِينُ بِخَيْسٍ﴾** : باعوه نفس باقص ثاقه ، لأنهم كانوا متعجلين
ومعنى **﴿دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ﴾** : أنهم قبضوا ثمنه ، وكان الثمن دراهم قليلة معدودة لا تكاد تذكر!

﴿وَكُنْتُمْ أَهْلًا مِنْ أَرَاهِمُ﴾ : زهدوا في يوسف ، ورضوا في التخلص منه بسرعة ، فلا قيمة ولا كرامة له عندهم ، مع أنه بكرية من الكرمه من الكرمه ابن الكرمه

وهكذا يبيع يوسف مرة واحدة ، بسر هريس ، وثمنه يبعه في مصر ، ويدين باعوه هم عاقبة يدين آخر حقه من الشتر - ودي شتر هو عزيز مصر ، ورحل شاي فيه بعد مملك ، كما تدل بيت سورة يوسف

٦ - مراودة العراة ليوسف وقوله (إله ربي)

اشترى عزيز مصر يوسف ، واستشتره به حمر ، وأحده يسمى مرأته ، وصلت إليها أن تكرمته ويحبس إليه **﴿وَقَالَ لَّيْلَى شَتْرُهُ مِنْ بَصَرٍ لَا تَرَأِيهِ أَكْثَرِي مَثْوَةٍ عَسَى أَنْ يَفْعَمَ أَوْ تُنْجِدَهُ وَلَدًا﴾** [يوسف : ٢١] .

وحنوى من انوي ، وهو مكان سميت ، الإقامة . وكان عزيز مصر يريد من امرأته إكرام يوسف إكرام خاصة ، بحيث يستعمل هذا الإكرام من شخصه إلى مكان قامته ومشواه!

وصب إكرامه رجاء مستفادته منه وبتداعيه ، وقد يتجدد ويد **﴿عَسَى أَنْ يَفْعَمَ أَوْ تُنْجِدَهُ وَلَدًا﴾**

وقد فهم بعضهم من صلب العزيز أنه كان لا يأتي النساء ، ولا أولاده ، فاستشترى باقسي ، رجاء أن يحمده ولدًا ! لكن الجملة (أو تنجده ولدًا) لا تدل على

ذلك دلالة صريحة، متروكة في ذلك، لاشئ ولا شئ

وكانت فرسه عذبة في يوسف صالحة، قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أفرس من أسب ثلاثه العريز حين قال لا امرئ **﴿ أَكْثَرِي مَثْوَهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَهُ أَوْ يَضُرَّهُ ﴾** ، في قات لأبي عن موسى عليه السلام **﴿ تَنْتَبِهُ تَنْتَبِهُ بِكَ حَيًّا مِنْ تَنْتَبِهُ لَنْتَبِهُ الْأَمِينُ ﴾** [القصص: ٢٦] . وأبو بكر حين تفرس في عمر، فوله بحلوه، صبي لله عني

وعنت لاه على ستر يوسف في است عزم معز مكرمًا، فقال تعالى **﴿ وَكَذَلِكَ مَكَائِلُ يُوسُفَ فِي تَلَامِي وَيُفِيهِ مِنْ تَلَامِي لَأَحَابِيثُ وَلَهُ عَالَمٌ عَلَى أَمْرِهِ وَتَكُنْ أَكْثَرُ تَلَامِي لَا تَعْلَمُونَ ﴾**

ومضت السنوات ويوسف في سب العريز، حتى صار شاباً جليلاً قوياً، وبلغ أشده، وصحبت شحبه، وستم كيانه، وهو في حفظ الله ورعايته. قال تعالى **﴿ وَتَدْبِغُ أَشْدَهُ، بِنْتُهُ حُكْمًا وَعَمَّا وَكَذَلِكَ تَحْزَى الْمُحْسِنِينَ ﴾** [يوسف: ٢٢] .

نه الله بحكمة وعنه عبد ماسع أشده، فكر حكيم في تصرفاته، صفا في أفعاله، عالماً في أقواله، مُحسنًا في حياته، شاكراً لله

في هذ حوز، وعدم نصف يوسف هذه صفت، ثقت مرودة مراة العريز له

قال تعالى **﴿ وَزَوَّجْنَاهُ لَيْلَى هَوَا شَهَا عَنْ نَفْسِهِ، وَغَضِبَ لَأَثُوبَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوًى إِنَّهُ لَا يَصْحُحُ أَنْظِلْهُ مِثْلَ نَبَا لَكَ ﴾** [يوسف: ٢٣]

تحدثت لأية عن مرودة مراة عريز يوسف، وفي حديث عن حادثة معروف على معنى مرودة قال (إمام رابع في الحفرد) "برود شرذذ في طلب شيء يروى، والإرادة منقولة من: يروى، يسعى في صبي شيء والمرودة: يروى غيرك في الإرادة، تريد غير ما تريد، أو تروى غير ما يروى. بقول روي فلان"

هذا المعنى مدق للمعروية يعني أن امرأة العزيز لما راودت يوسف أرادته صارعته في برده، فبدته غير إرادتها، لأبي أردت منه ما حشه، وهو أن

(١) المقدرات، ص ٣٧٠-٣٧١

لعمرة، فإرغته سعيه إرادته وثيقهها.

وفعل ﴿وَدَعَتْهُ﴾ سَدَتْ عَلَى اسْمِ مَرْوَدَةٍ، وَدَعَتْهُ رَدَّتْهُ قِرَّةً صَوْنَهُ، بِإِشَارَةٍ وَحَرَكَةٍ وَالتَّصَرُّفِ، تَدْعُوهُ فِيهَا بِأَيْ تَسْتَعِيذُ، وَهُوَ لَا يَلْتَمِثُ إِلَيْهَا

وَمَا تَعْرِضُهُ لِأَيِّهِ هُوَ أَحَرُّ بِمَصْدَرِ الْمَشْهَدِ وَحُضُورِ أَمْرٍ وَدَقٍّ، وَهِيَ الدَّعْوَةُ لَصَرْيَحَةِ الْحَرِيثَةِ مَعَهَا، حَيْثُ عَمِلَتْ الْأَوَابَ، وَفَعَلَتْ بِأَقْصَى مَا تَسْتَطِيعُ مِنْ تَرْيُئٍ وَفَعَلَتْ، وَبَعَرَتْ وَبَعَوَتْ، وَدَعَتْهُ دَعْوَةُ صَرْيَحَةٍ فَحِشَّةً قَدِيمَةً ﴿هَيْتَ لَكَ﴾ وَهَجَمَتْ عَلَيْهِ بَعْدَ مَا تَمَنَّعَ، لِتَجْبِرَهُ عَلَى مَعَاشِرَتِهَا

هَذِهِ هِيَ حَرَسَةُ مَرَاوِدِهِ، وَلَيْسَتْ بِدِينِهَا، وَقَدْ سَفَّهَتْ مَرَاوِدُتَ وَمَرَاوِدَاتَ، لَعَلَّهَا اسْتَمَرَّتْ مَسَوَاتٍ

بِمَا يَحْتَمِلُ أَنَّ يَوْسُفَ أَمْعَى صَاحِبِ سَيْفٍ، وَهَذَا لَأَنَّ ثَبَاتَ قَدِيمِ أَشَدِّهِ، فَعَمِلَتْهُ أَمْعَى فِي سَيْفٍ عَشْرَ سَوَاتٍ أَوْ كَثَرَتْ وَتَعَرَّضَ حِلَالُ هَذِهِ سَوَاتٍ إِلَى مَرَاوِدَةٍ وَبَعَوَتْ مَرَّةً مَعْرِيرَ نَهْ، مَعَهَا مَدْنِيَّةٌ بِإِشَارَةِ غَيْرِ الصَّرِيحَةِ، وَالتَّصَرُّفَاتِ بِإِلَاقَةِ سَطَرٍ، بِكَيْفِيَّةِ تَنْبَاطِ نَظَرٍ أَوْ عَمَلٍ فِيهَا، وَيَقْدَحُ نَشْهُودَ عَمَلِهِ، وَتَنْتَهِي بِاسْتِجَابَتِهِ الْفَعْلِيَّةِ وَمَعَارِضَةِ الْفَاحِشَةِ!

لَكِنْ يَوْسُفَ حِينَ مِنْ ذَلِكَ الْوَجْهِ الْمُسْتَحْبِبِ أَصَحِّحُ أَنَّهُ كَانَ يَعْهَدُ مِنْ تَصَرُّفَاتِ حَرَاةِ الْعَرِيرِ مُرَادَهُ وَفَعْلُهُ، وَلَوْ كَانَ غَيْرُهُ مِنْ أَشْيَاءِ مَكْنَاهِ لَا اسْتَجَابَ بِهَا مَدْنِيَّةً، وَلَمَّا أَحْوَجَهَا إِلَى كُلِّ بَلَدٍ أَمْرٍ وَدَقٍّ، وَبَنَى لِحَرَكَةِ صَرْيَحَةِ حَرِيثَتِهِ فِي الْهَيَاةِ، بِكَيْفِيَّةِ يَوْسُفَ، الْمَحْسُوسِ الْمَحْلُوسِ، بِمَصْدَرِ سَعْيِهِ وَلِحَكْمَةِ الشَّاكِرِ لِلَّهِ!

وَبَرَّاءَ بَرَفَعِ يَوْسُفَ وَبَسْعَاصِمِهِ سَعَى، رَادَتْ الْمَرْأَةُ رَعِيَّةً لَهُ وَشَهَادَةً لَهُ، وَتَهَلَّكَ عَمَلُهُ، وَصَطَرَتْ فِي أَحَدِ الْأَمْرِ إِلَى دَعْوَةِ صَرْيَحَةِ حَرِيثَتِهِ مَعْرِيرَهُ، حَيْثُ غَلَقَتْ الْأَوَابَ وَقَالَتْ لَهُ: (هَيْتَ لَكَ)!

وَمَعْنَى (هَيْتَ لَكَ) هَيْتُ وَفَعْلٌ وَبَعَا، فَفَعْلٌ تَهَنُّأْتُ لَكَ، وَبَجَهَرْتُ لَكَ، فَعَاثَرْتُ بِهَا

حَتَّى هَذِهِ الدَّعْوَةُ الصَّرِيحَةُ بِمَآخِشِهِ نَهْ تَرَحُّخِ يَوْسُفَ عَنْ مَوْجِبِهِ لِعَمَلِهِ، وَبِهِ مَرَدَّةٌ لَا بِصَرَفِ رُغْبَةٍ لَعْنَةٍ، وَرَدَّ عَلَيْهَا بِقَوْلِهِ ﴿مَعَادَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنُ مَنَازِلَ

إِنَّهُ لَا تَمْلِكُ الظُّلُمَاتُ ﴿١٠﴾

﴿مَعَادَ اللَّهِ﴾ لحأ يوسف إلى الله، واستعاذ به، لأنه لا يعصمه ولا يحقيه من عنة إلا الله! وقد كان الله عذ حُسْن ظَنِّه، وأَعْنَهُ وأَعَدَّهُ، وحققه وعصمه وذهب بعض المفسرين إلى أن معنى قوله ﴿يَنْتَزِقُ أَحْسَنَ مَثْوَى﴾ رُبَّ رَوْحِكَ عَرِيرَ رَبِّي وَسِيدِي، كُفْسِي وَأَكْرَمِي. وأحسن مثوي في البيت، واستأمني عليه، ولا يحور أن أخوته في عزه، وأدس شرفه ومع أن هذا المعنى ممكن، إلا أنه مر حرج، لا يليق أن يصدر عن يوسف الذي سيكون نبياً عليه السلام.

لا يقول يوسف عن (عريز) ﴿يَنْتَزِقُ﴾ رَعِمَ أَنْ يُوسُفَ عَذَّ رَقِيقُ عَمَدِهِ، يَخْدِمُ فِي بَيْتِهِ، وَهُوَ سَيِّدُهُ وَمَالِكُ أَمْرِهِ، لِأَنَّ هَذِهِ هِيَ نَظَرَةُ السَّيِّدِ إِلَى عَبْدِهِ، وَنَظَرَةُ الْعَبْدِ إِلَى سَيِّدِهِ، وَلَوْ قَالَ غَيْرُ يُوسُفَ عَنْ سَيِّدِهِ (إِنَّهُ رَبِّي) فَإِنَّ قَوْلَهُ يَكُونُ مُقَرَّراً يُوَسِّفُ بِمِ يَعْتَرِ الْعَرِيرَ (رَبّاً) لَهُ، وَكَوْنُهُ رَقِيقاً عِنْدَهُ لَا يَمْنَحُ الْعَرِيرَ هَذِهِ لَمَرَّةً فِي بَطْنِهِ

بعد أن يوسف ﴿يَنْتَزِقُ أَحْسَنَ مَثْوَى﴾ أَرَادَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ، أَي: اللَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَى، وَأَكْرَمِي بهذا الفصل، ويحث عبيد أن أقبل هد بابشكر، ولا يحور أن أقبل بعامه وفصله بالمعصية، بل فعلت ذلك أكون طليعاً، والله لا يحث طامسين! وقد كان الله لا يحنهم فإنهم لا يملحون أدناً

وتركبت الآية يد على أن يوسف أحسن عبي الله في قوله ﴿يَنْتَزِقُ﴾ فصياغة الآية هكذا: ﴿مَعَادَ اللَّهِ يَنْتَزِقُ أَحْسَنَ مَثْوَى﴾ بهذه في (به) تعود على كلمة (الله) المذكورة قبلها والتقدير معاد الله، إن الله ربِّي أحسن مثوي!

٧- هَمَّتْ بِهِ وَهُوَ مَا هَمُّ بِهَا

رَدَّتْ مَرَأَةُ الْعَرِيرِ عَنِ تَرْفَعِ يُوسُفَ وَعَقِبَهُ بِإِعْطَانِهِمْ بِحَرْكِ شَهْوٍ بِيْهِ عَسِيفَةً، لِأَنَّ الشَّهْوَةَ قَدْ سَبَطَتْ عَلَيْهِ، وَتَحَكَّمَتْ فِي بَصَرِهِ بِهَا، وَأَصْبَحَتْ مُعْرِراً مَحْمُوماً فِي حَسَمِهَا، وَنَرَّ مَلْبَعَةً فِيهَا، فَبَيَّ بَرْدَ مَهْ أَنْ يَعْرِضَ أَحْزَمَهُ عَنْ حَرْكِهَا لِحَرِيَّتِهِ يَقُولُ ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ﴾ أَي: هَمَّتْ بِهِ هَمٌّ مَدْحِشَةً، وَرَدَّتْ إِكْرَاهَهُ عَنِ مَعْرِضِهَا، فَهَجَمَتْ عَنْهُ هَجُوماً شَهْوياً، تَرَكَتْ

فيه يسبيها ويؤنّبها، وتحزّجها وتحملّها وحاءها، وأصاحت (شهوة) محرّكة، تريد فساد (شدة) أو قبح أمرها، المثاني عني دابة وسبعة، ولو كانت بواسطة أن يهجم هي عليه تدرج شهوة معه أو قبل هتته وهجست عليه، لتعتدي عليه وتفتصيه !!

بأن هتته به هم شهوة في علة مسعور مسيكة محبوس

وقبل أن تكمل لارت يحدث عن شهيد كثير، ومن أن يحزن عسا حري بعد ذلك، بوقت ذلك شغل بسبع لإيماني بي مع يومك من لاستجابة لها وتلبية رسيد، ومقابلة هتته بهتته ما هو صريح

وال بعدى ﴿وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَىٰ بُرْهَانَ رَبِّهِ﴾ كَكَذَلِكَ لِيُصْرِفَ عَنْهُ الشَّوَّ وَالْفَحْشَاءَ ﴿

كل ما حو به يدعو في الهتته، ومعاشرته، فهو شغل في علق بفساده، وغير متزوج، وبدن شهوة موجود فيه. وامرأة صغرية بدنة موجودة أمامه ثم هي التي تراود وتطلب وتريد، وهو لا يبدن جهده في هذا صحت وهي سيدته وربة بيت، ولا يعرف الأمر، ولا يعرف لا يلائم عني ذلك ثم هي قدرئت الأمر واحكمت حصة وحنارت بوقت محاسن، لذي فاضل فيه قدوم روحها أو انكشاف أمرها، وقد ردت الأمر بحكم ما يعلق لأتوب كنها، وهذا هما في بدخل وحدهما ثم هي التي تدعو إليها، وهي بكامل ربتها وهتته وشزجها ويعرّتها، شوق به هتته ثم هي تتهنه، وتهجته عليه

بعد هذا كله بعد به يسحب بها، ويساد به بهتته

ثمّة لاية بعين لإيماني العصب، بي معه من هتته بها، به برهان ربه وقوة الإيمان به! ﴿وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَىٰ بُرْهَانَ رَبِّهِ﴾

وقد أحط كثير من محققين في تفسير قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِوَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَىٰ بُرْهَانَ رَبِّهِ﴾ وقد مر كلاماً عجباً في هتته به وهتته بها وبرهان ربه لذي راه!! وقد مر كلاماً حذرة عن الإمبرائيات

فإن بعضهم كان هتته به هم الحاشية، وقيل هو هتته معان، واستحبات لها، ورعب في معاشرتها، وقعد منها متعذر برحل من أمراته والدي حال دون ركنه الحاشية هو صرف الله له، بأن تصور له أنه عني بحدار عاصاً

على نضعه، بهاء عن ذلك، صوّز له سبب قرأته في تحريره، "أو أرس
به جبريل ليشرح الشهوة منه حتى لا يترك الحاحشة معها"

وفي هذا يدع يوسف، "أيتها نساء، ودعوا بحرصه على الرب، ونسبي معه
منه هو الله، وهذا مردود وواضح، "تعرض مع عصمه لانساء، وهو من أكاذيب
اليهود صداً أنبيائهم!!".

وذهب آخرون إلى أن همتها هي هم سبب ودعوة جريئة للغاحشة، لكن همتها
هو هم ميل نفسي، ورغبة شعورية، حيث دعيت منه فيها! وكان هذا الهم لحظة
عبره، سرعان ما ردت، وأسعته عنها، وهذا ولاصفتها، فلما زال هذا الهم
سارحاً بهرب نحو باب

وذهب فريق ثالث إلى أن همتها ميمانه بكرهه يترك الحاحشة، لأن
حرارة سن أن ردتته وعقبت لأتوب ودلت هيبثك! ولكنة يرفع ويتعصمه،
وأمام ناته وامساعه أرتب سببه سببه، يدكت لا يستجيب بها وهي سببه
بدلت أرادته أن تصبره، وأراد هو أن يدفع عن نفسه، "دع همتي هي أن
تصبره، وهم هو بها بأن هم أن يصبره مدفعاً عن نفسه"

وهذه لتفسيرات لهذه منها ومنه مرحوحه، وبعبارة عن ليدق

مراحح أنها همت به هم الحاحشة، وعزمت على ذلك، ودعته لمعشره
دعوة صريحة حرية، وأحكم حصتها، كما ذكرت الآية السابقة: ﴿وَوَدَّعَتْهُ أَلْفَى
هُوَ لَيْتَ عَنْ نَفْسِهِ. وَعَقَّبَتْ الْآتُونَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ﴾. وهذا هم وعزم وقصد
وتصميم وضح

أما هو فإنه ما همت بها، ولا رعب في ذلك، ولا ماتت نفسه إبيها، ولا ثوخته
بيها، وسب في ذلك هو برهان ربه، المتمثل في قوة لإسناد في نفسه، ومثله
صنّيه بالله، ومراقبته له.

الراجع أن الآية. ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِه. وَهِيَ بِأَن تَزْهَنَ رَبِّه.﴾ مكوّنة
من جملتين منفصلتين

الأولى ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِه.﴾ وهي خبر عن هم مرة حرير يوسف هم

للاحشة.

الثانية ﴿وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا﴾ أن رَدَّائِزَهُنَّ زَيْفٌ * اسواؤُ فيها حرف استئناف، وليس حرف عطف، وهي ليست معطوفة على الجملة السابقة، بل كتاب الحمدُ سبعةُ ثَمَّة من امرأة العرير، فإن هذه الجملة الاستفهامية تنهي عن يوسف همَّ بها

هذه جملة شرطية ﴿وَهَمَّ بِهَا﴾ جواب شرط مقدم، و﴿لَوْلَا﴾ حرف شرط وهو حرف امتناع وجود و﴿أَنْ رَدَّائِزَهُنَّ زَيْفٌ﴾ فعل للشرط وتقدم بحملة هكذا لولا أن رأى برهان ربه ثمَّ بها

فاندي معه من همَّ بها والتحيز إليها والرغبة فيها هو برهان ربه، وهذا معنى قول (لولا) حرف امتناع وجود، مدُّ على متاع جواب الشرط، لوجود فعل للشرط، فوجود برهان ربه في قلبه عصمه، وحاشية وبين بهمَّ بها

وبرهان ربه هو قوة لا يلبس في نفسه، وعصمة مرفته لله إنه مؤمن بالله يعيش حياة مراقبته لله، ويؤمن أن الله يراه ويراقبه، وهذا برهان عصمه من لهمَّ بها همَّ امتناعاً، بل هذا البرهان أقوى التحي كقيل بالقضاء على كلِّ سداءات الشهوة ودواعي الفتنة، ولم تقصده امرأة العرير بكل ما أوتيت من حجاب وقدر وإغراء أمانة قوية وحيوية برهان ربه، لذي سيطر عليه، وملاحياته

وأشارت الآية السابقة إلى برهان ربه ﴿وَرَوَّضَهُ الْكَلْبَ حَتَّىٰ يَخْلُصَ﴾ وَعَلَّقَتْ الْأُثْرُبَ وَقَالَتْ مَبْتَئْتُكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنُ مَنَاقِبِي إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ

برهان ربه هو لحوذه إلى الله، وسنعدته به، وعصمه منه أن يخلصه ويعصمه، وشعره بوحوب شكره على ما نعمة به عليه، وليس مقدمة هذه المعنى بالمعاصي

ومما يؤكده من هذه امرأة العرير مصفاً تكمة الآية ﴿كَذَلِكَ يُصْرِفُ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ يَنْتَظِرُ عَذَابَنَا الْمُتَحَلِّصِينَ﴾

﴿كَذَلِكَ﴾: اسم إشارة، يبط ما بعده بحمزة مقدرة، مفهوم من السياق، ومعنى كما قول لا يسل على نفسه يسجد من فتنه لإغراء، كذلك حصصه بخصيص، يصرف عنه سوء الفحشاء، مكافأة له على إخلاصه، لأنه من عداد محلصين

والحكمة شهادة من الله بأنه صرف عنه السوء والمحن، وشهادة أخرى من الله له بأنه من عباد الله المخلصين.

ولس كان هم بها لحظة من أعطاه الله هذه الشهادة ولو مالت نفسه إليها وشتهتها ورعت فيها لحظة، لما صرف الله عنه سوء والمحن، وسكان من عباد الله المحضين!

لقد صرف الله عنه لسوء والمحن، ووجهه إلى لإخلاص، وجمعة من عباده المحضين، وهذا معناه أنه ما به بها مصنف، وبه قبل هتبه بتعوية برهان رؤيه، فاستعصم وأبى، وقال: معاذ الله!

٨ - يوسف ينتصر على إعراء نسوة المدينة

بعدما استمر حديث مرودة امرأة العرب يوسف بين نسوة المدينة، وكثر يوم نسوة لها، أرادت أن تبتليهن بها على صواب في موقفها، ومكرت بهن مكرأ حبشاً، فذى إلى أن شهد يوسف، فأعجبه به، وروده عن نفسه، وبتصر على إعراء نسوة، كما انتصر على إعراء امرأة العرب من قبل.

وقال تعالى ﴿وَقَالَ يَسُوفاً فِي الْمَدِينَةِ آمَرَاتُ الْعَرَبِ يُرَوِّدُنَّهَا عَنْ أَنْفُسِهِنَّ فَمِنْ شَعْفِهَا حُبّاً بِأَلْفِهَا فِي صَنْلِ شَيْءٍ ﴿٣٠﴾ فَمَنْ مَنَعَ بِمَكْرِهِنَّ رَسَبَ لِهِنَّ وَتَعَدَّتْ هُنَّ مُتَكَبِّراتٌ وَأَنْتَ كُلُّ وَجَدٍ وَمَنْ يَكْبُ وَأَقَابَ تَحْرَجُ عَيْنُهُنَّ فَمِنْ رَأْيَهُ كَرِهَهُ وَقَطَعَ يَدَهُنَّ وَقَسَّ حَسَنَ لَلَّهِ مَا هَذَا تَسْرَأُ مِنْ هَذَا لَا مَنَعَكَ كَرِهَهُ ﴿٣١﴾ قَالَتْ قَدْ لَبِئْسَ الَّذِي لَمْ تُسَيِّئْ بِهِ وَلَقَدْ رُودْتُمْ عَنْ أَنْفُسِكُمْ فَاستَعْصِمُوا مِنِّي لَمْ تَفْعَلُوا مَا مَرَّةٌ تَسْتَحْسِنُ وَلَيَكُونَنَّ أَنْفَعُونَ لِي قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً أَنِّي أَخْبَرْتُ بِمَا يُدْعَوْنَ إِلَيْهِ وَإِنِّي لَأَتَّقِيكَ كَتِّهِمْ أَصْبَحْتُ بَيْنَ يَدَيْهِمْ وَأَكْفَرْتُ مِنْ أَنْفُسِهِمْ لَمْ رَأَيْتُمْ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُمْ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٣٢﴾﴾ [يوسف ٣٠-٣٤]

وعند النظر في هذه الآيات، يمكن ملاحظة الأمور التالية، في موضوع مرودة امرأة العرب وعفة يوسف:

- نسوة مدينة عدس امرأة العرب ونسوة، لير لأنهن عشت رجلاً ورودته، لكن لأنه ليس في متوهم 'لأنهن امرأة الرجل شاي في مصر، ويوسف فتاه وعنه عبده، فكيف تعشق ويردده بعداً عنها أن تعشق رجلاً من (عبدة يقوم) لكونه من سبها، ولهد، حكمه بها ﴿وَفِي صَنْلِ شَيْءٍ﴾

وهو مطلق لمتروفين ولسترفات، من لاهطين والاهصت!!

- جهَّزَ مرأةً تعزير بهن، حممه (لتنقيش بقها يوسف، ويطلقن على حممه، وهنأب بهن، حمسة) ممعة، فيها امتكأ و بضعم و شراب، وفيها لأصاق واسككين، وهذا يدأ على تطور بصقة بحكمة في مصر في ذلك الزمان، واستخدامها وسائل العيش المترفة.

- كانت بسوة لمدسة مستعمعات بالطعام والشراب، ويستخدمن اسككين، وأتت ذلك وحانها بجرح يوسف عنهن، فلما شاهدته ذهشن وموحشن، لما يسمع به من حمام، وأكبريه وعظمه، وسين السككين بأيديهن، فقصص أيديهن بالسككين، وهن مشدوهات باسطر به، مسحور ش بحماله ﴿فَمَا رَأَيْتُ أَكْثَرُ وَقَطَعْنَ أَيْدِيَهُنَّ﴾

- أصغر عارة عذاب وكبار، ومن ﴿حَسَنَ لِلزَّوْجَةِ شَرُّ نَهْدٍ لِأَمَتٍ كَرِيمَةٍ﴾

ومعنى فريهن ﴿حَسَنَ لِلزَّوْجَةِ﴾ لله هو سدي حق هـ. نسي الحميل، وهو قدر على حنقه بهذا حمام، ويهد ترضى به وسأحه على حممه يوسف بهذا الجمال!

ومن حماله فنس عنه ﴿مَا هَذَا شَرُّ نَهْدٍ لِأَمَتٍ كَرِيمَةٍ﴾ أي نيس حممه حمام شر عدي، لأنه دق في حممه كن لشتر، بما هو مدك من الملائكة، وكانوا إذا أرو وصف بساى بالحمام شهوه بالملائكة، وقدو هو ملك من الملائكة.

وليس مقصودهن أن يمين عنه شريته، لأنه شر وقف أمههن، وهو عدو لامرأة العزيز، لكنهن أردن المبالغة بوصفه بالجمال.

وهذا الكلام من بسوه مسية يدأ على أنهن كن يعرفن لله، رغم أنهن كدوت مشركت، فقد كن يعرفن الله هو لخالق، الذي حنو يوسف بهد الحمام، كما أنهن كن يعرفن أن لله خلق الملائكة، وأنهم على قسط كبير من بجمال!

من معلوم أن يوسف عنه سلام كن نهر حمام، وأن الله وهنه من

الجمال ما لم يهتبه لأيّ إنسان آخر، وهو أجمل إنسان.

روى محاري [برقة ٧٥١٧] ومسم [برقة ١٦٢] عن أسير من ممالك
رعي الله عنه، عن رسول الله ﷺ: «أَعْطَى يَوْسُفَ شَعْرَ خُضْرٍ»

أَعْطَى اللهُ يَوْسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَحْدَهُ صَافِ الْخُضْرِ وَجَمْعَهُ، وَأَعْطَى
بِاسْمِ جَمْعِهِ عَلَى خِلَافِ بَرْدٍ وَالْمَكْرُ صَافِ الشَّيْءِ، وَفُسِّمَهُ بِسَمِّهِ!

شعرت امرأة بغير بدلاتصار عندها، فها هي تعرف بجمال يوسف،
يدن به الحق في عشقه ومرادونه، وبذلك اعترفت بأنفسها هي تزيروا
وبكته ووجه هذه مرادونه بعفة ﴿هَاتِ ذَٰلِكَ لِكُلِّ نَفْسٍ تُنْفِقُ مِمَّا رَزَقْنَاهَا عَنْ
نَفْسِهِ فَأَتَّعَصِمُ﴾، وهذا عترف منها، يؤكد عفة من أنه ما هتبه لخصه!

- التعبير عن بدنه وامتناعه بكلمة (متعصم) مقصود ومراد، ويقدم شهادة
جديدة لعفة يوسف وعدم هتبه بها،

(متعصم) فعل ماضٍ، مريضة ثلاثة أحرف، نهضة ونسب وشد
وشلاني مه (عصم)، وبحروف الثلاثة تدن على تأكيد، حيث أكدت امرأة
المرير بغيرها على عفة يوسف وعصمته وظهرته، فمع مرودنها وتهاكها

ويدل فعل (استعصم) على مقدار الجهد والمعبدة والمجاهدة، التي قام
بها يوسف وستمز عندها، حتى يحج ودر، وحافظ على عفته وظهرته!

- بصر امرأة بغير غلبة على اسمها عندها له، واستمر مرودنها
به، واستمر أمرها به معاشرتها، فإن لم يبق أمره ولم يستجب لشهواتها،
فوق بسج وبعاف ويعدب! وهذا دليل آخر على أنها هي بها حمة عليه،
الراغبة فيه

- كَانَ يَوْسُفُ أَمَامَ خِيَارَيْنِ

بما التار عن عفته وظهرته، والاستحانة لشهوات مرودنها بغير وسوة
المدينة، ولا تعاض في أوحا الشهوات، وفتح ديب فمته، بما فيها من مال
ومتاع ومراكر ومناصب!!

وإن لم يفتنه على عفته وظهرته، وتسم بدنه ومسدعه واستعصامه،
وبعد ذلك السجن والأصطهاد، والتعذيب والانهام!!

احتر يوسف الحذر الثاني. واثر السحر مع معه، وهو العترة بفتح،
 وطبت مر رته أن يصرف عنه كدش وعر وذهن، وأن تُجرحه من حده لينة
 بشدة سحره، السحرة في الشهوات وسدت ﴿ قال زب سحر أحب لي
 مما يدعوني إليه ولا تصرف عني كية هو أصب وبيون ولكن من الغيلين ﴾ [يوسف ٣٣]

وهكذا أدخل يوسف سحر حرمه عفته وظهرته، في ذلك المجمع
 قدم ﴿ ثُمَّ تَدَلَّاهُ مِنْ بَيْنِ عَيْنَيْهِ وَالْأَلْأَلِ لِلنَّحْسَةِ حَتَّى جِيءَ ﴾ [يوسف ٣٥]

٩- توجيه قول يوسف للسجين ﴿ أَذْكُرْني عَذْرَتُكَ ﴾

حين أدخل يوسف سحر صمًا، أدخل معه سجين حرم، والتقى لثلاثة
 في سحر، ونسب رجلار به، ورأى كلٌ منهم رقيب، فظنوا أنه يؤذيه بهم،
 وقيل أن يؤذيه عرفهم على نفسه وقينه وإيمانه بالله، ونقض الكفر والشرك بالله،
 ثم أوبى بهم رقيب، وسي نسب على أن أحدهما سيُصبت وتُقتل ويموت، ثم
 اتفقا فسوف يُفرج عنه، ويُفرج من السحر، ويعود إلى خدمة بقصر والملك من
 جديد.

وطلب يوسف من السجين الذي سُبِّح عنه أن يذكره عند الملك، ولكنه
 سبى دلت، ولم يكن الملك بشأنه، فبقي يوسف في السحر بضع سنين^١

قال تعالى ﴿ وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِنْهُمَا أَذْكُرْني عَذْرَتُكَ فَأَنسَاهُ
 الشَّيْطَانُ فَجَعَلْنَاهُ نَاسِيًّا. فَلَمَّا فِي السِّجْنِ بَضْعَ سِنِينَ ﴾ [يوسف ٤٢]

وقد يقع بعضهم في شك في فهم هذه الآية، ونوجه موقف يوسف عليه
 السلام فكيف بصف يوسف من الرجل أن يذكره عند الملك؟ اليس في هذا
 استعانة بغير الله؟ ومن الذي نسب الشيطان ذكر ربه؟ هل هو يوسف أم الرجل
 المصرح عنه؟ وهل نقده يوسف في السحر بضع سنين عقوبة من الله له لأنه ساعد
 بغير الله؟.

قال يوسف للسجين الذي سُبِّح عنه ﴿ أَذْكُرْني عَذْرَتُكَ ﴾ أي
 كلم الملك بشأني، وأخبره أنني مسجون ظلمًا، وأني بريء مما اتهموني به^١.

أصوب رتب الرجل ﴿ عَذْرَتُكَ ﴾، لا الرجل كان يعبرُ بعذر ربه،
 بعده من دون الله وهذا يؤكد ما قلنا من أن يوسف بقاء ﴿ مَعَدَّ اللَّهُ بِتَرْفِيهِ ﴾

أَحْسَنُ شَوَائِي ﴿ كَانَ يَقْصِدُ اللَّهُ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴾ ، وليس عربي مصر سينه

﴿ إِنَّهُ رَبِّي ﴾ من يوسف عنه السلام أراد به الله عزَّ وجلَّ ، وقوته للرحيل
مكرر ﴿ عَسَىٰ رَبُّكَ ﴾ أراد به منكث ، الذي يحضُّع له ، ويضعه رثاً من دون
الله !

وطبَّ يوسف من ربح ابي سيفرج عنه أن يذكره عبد الملك لا شيء
فيه ، وهو تصرف منطقي من يوسف عليه السلام فهو مسجون طمعاً ، وقد لقى له
الملك المأمرون تهمة بطلنة كاذبة ، وأدخل السجن بدون محاكمة أو حكم ، ولا
يُدري كم سمر عنيه من سنوات وهو موقوف طمعاً ، وحشى أن يساء لمأمرون
في السجن ! .

وعلى الملك لم يكن نعم تدصيل قصة يوسف ، أو تعجب لم نصنه على
لحقيقة ، وعلى ستمرين كدوا على الملك شأنه ، فصوروا له يوسف عليه
السلام على أنه معتدي على مرأة العزيز ، وصوروه به على أنها شريفة عقيمة
معتدي عليها ! .

نستأرذ يوسف أن يوصل حقيقة إلى الملك ، وأن يبين له أنه مظلوم ،
وأن امرأة العزيز هي المعتدية عليه .

ومن الذي سيوصل هذه الحقيقة إلى الملك ؟ إنه صاحبه سبحانه الذي
سيفرج عنه ، ومعيناً أن (ساقى الملك) هو من أقرب الناس إليه ، لأنه صاحب
حمرة وشرابه ، وبهد يكون صاحب يوسف قادراً على الكلام مع الملك ، وعلى
محاديثه وإخباره بما يريد ! .

إذن هذا الطلب من يوسف لا شيء فيه ، ولا عار عيه ، كما أنه لا ينافي
بإيمانه بالله ، واعتماده وتوكله عليه ، واستعانه به ، كل ما هناك أنه أراد أن يأخذ
بالأسباب المادية ، مع نفيه أن الله وحده هو الميسر والمقدر ، وحده

أفرح حديثك عن السفي ، وعاد إلى القصر ، وانغمس في حياة بقصر
المنرفة من حديد ، وأهل على تمهي وندائده ، وسي صاحبه يوسف في سجن

قد يعنى ﴿ فَأَنسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ ﴾

لم يحسن بعضُ محشرين فهم هذه الجملة ، وعبرها إحصاء عن يوسف

عنه لسلام، نبي أنبي الشيطان يوسف ذكر ربه، و سوف نرى على الله وحده، وذلك
عند طلب من ساقى أن يذكر قصته عند الملك، واعتبر هؤلاء هذا الطلب من
يوسف بحث تأثير الشيطان عليه، وأنه نسيان منه لله، واعتماد على الملك!

وهذه كرامة مردود، لا ينسى يوسف، يوسف نبي عليه لسلام، والله يحفظه
ويحميه ويعصمه، ولا ينسى شيطان عليه، فكيف يسقط عليه شيطان ونسيه
ذكر الله؟

نرى كلام في الآية عن سجين مفرج عنه، نرى عدد من هذه القصص،
فأساءه شيطان قصته صاحبه يوسف، مفرج عنه، ولم يذكر نسيان هذه
القصة.

ومعنى ذكره، هو تذكير، وسأذكر قصة (رب) الملك نبي تتحدثه ربي
معه، ونرى سويوسف أن قال في السجن ﴿ أَذْكُرُ عَذْرَتِي ﴾
أي أنبي الشيطان لساقى المفرج عنه أن يذكر نسيان (الملك) قصة يوسف
ماذا نتج عن نسيان الساقى قصة يوسف؟

نرى جميع هذه القصص، نسيان عزيز مصر، ونسيان ساقى، ونسيان
رحل بدوله، ولم نطق أحد يوسف، ولم ينسها، ونرى يوسف (موقوف) في
السجن

وأنكر الله عن هذه شجرة قوله ﴿ فَلَيْتَ لِي لَتَحِي بِضْعَ سِنِينَ ﴾
فأعلن (ست) نسيان على يوسف، (بضع سنين) سنين عديدة، والبضع
بطنق على الأعداد من ثلاثة إلى تسعة

ولا ننس أن نحدد المسألة التي قصها يوسف في السجن، ونسى مع الآية
على إلهامها ﴿ فَلَيْتَ لِي لَتَحِي بِضْعَ سِنِينَ ﴾ وهي لا تزيد على سبع سنين!

نرى في هذه المسألة أن نؤكد رغم بعضهم أن الله جعل ساقى نسي قصة
يوسف ولا نذكر حدث بها، وأنبي يوسف في السجن بضع سنين عقوبة له! أراد
الله أن يعاقبه على خطئه لأنه أخطأ في قوله بساقى، ذكرني عند ربي! أخطأ لأنه
اعتمد على غير الله، ورجاه منه أن يحل مشكلته! ولم يعلم ذلك بساقى، لأن فرج
الله عنه، ولما بقي في السجن بضع سنين!!

هذا قول مردود باطل، لأنه بهمة يوسف عنه سلام في صلبه الله،
ويست له حصاً في موقفه، ويحفظه عرصة يعقوبه من الله! وما هكذا يكون
الكلام على الأنبياء!

ثم يحطى يوسف عنه السلام في كلامه، حتى بعد عاقبه لله! من قدر الله
أن يبقى يوسف في السجن بضع سنين بحكمه سبحانه، لأنه (تعد) يوسف
لمرحلة جديدة، لم يعلمها يوسف ولا غيره...

ولا بد أن يمر يوسف (بذويرة) مهمة، ليتعلم الأناة والحلم والصبر،
ويتدرّب على الأساء، وتقوى عريته وإرادته وهمة، وهذه صفت ضرورية
لمرحلة التالية من حياته!

ثم إن الله لا يريد نوبة يوسف أن يخرج من السجن بواسطة أحد رجال
الملك، ولا يعفو أحدهم من الملك، حتى لا يكون لأحد هؤلاء تكفير من
عليه، وحتى لا يظن بعضهم أنه معتد مجرم، مضروب في شرفه، عفا عنه الملك!
يريد الله أن يخرج من السجن بعفته وكرامته، وعفته وصهارته، بعدما تعد
محاكمته، وبعدم يشهد جميع سرته، فيخرج وهو مريض لرأس، لا يحمل
منة إلا لله سبحانه!

أين هذا استوحية شروني من دعه بعضهم أنه كان عفوة من الله؟

١٠ - يوسف لا يتعجل الخروج ويطلب إعادة المحاكمة

أرى الله الملك رؤيا خطيرة - سمع نرات سدايا يكنهن سمع عذاف، وسبع
سلات حصر، وأخر ياسات - وصب من رجانه أن يعروها، ويكنهن عحرو
عن ذلك، فتدكر (الساقى) يوسف السجن، وخبرته بتعير الرقيا، فذهب إليه
مسرعا في السجن، وطلبت منه تعبير رقا الملك، فعرها، وعاد (الساقى)
بالتعير إلى الملك، الذي أعجب به وتعيره!

أمر الملك رجاله بإحضار يوسف إليه! فقد كان مرفق يوسف

قال تعالى: ﴿وَقَالَ لِلْكُلَيْكُ أَتَوْنِي بِوَيْفَ ظَلَمْتَهُ الرُّسُولُ قَالَ أَرْجِعْ إِلَيَّ رَبِّكَ فَتَنَّهُ مَا
بِالْأَلْسِنَةِ أَلَّى قَطْعَ يَدَيْهِمْ إِنَّ رَقِيَّ يَكْفِيهِمْ عَلِيمٌ﴾ [يوسف ٥٠]

أرسل رجال الملك أحدهم موقفاً من منك إني يوسف، يرف إليه بشري
عفو الملك عنه، ورجعه في مقابلته لإكرامه!

كيف استغل يوسف بشري؟ وبإدارة على رسول صبي؟ ﴿عَمَّا جَاءَهُ
الرَّسُولُ قَالَ أَرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسَأَلَهُ مَا سَأَلَ لَيْسَ الَّذِي قَطَعَ أَيُّهُنَّ بِرَبِّي يَكْفِيهِنَّ
عَلِيمٌ﴾

قال الرسول: رجع إني رث منك، الذي تعبته رثت، وطلب منه أن
يُعَد بحث قصصني من جديد، يُعَد المحاكمة، ويُحصر لشهود، وسأل سوه
لماذا قَطَعَ يديهن في بيت امرأة عذراء، وسأل امرأة عذراء نفسها عن مرادونها
بي. أصبت منه أن يفعل ذلك، ليعرف أنني بريء، وأني مظلوم في سجن صعب
سنتين!

أما أن فاني أعلم كل ذلك، لأنني عشت الأحداث سعيًا ورتبي علم
بذلك، لأنه بكل شيء عليم

ودعو إلى ملاحظة النفس في ذكر (الرب) في لاية حيث ذكرت الكلمة
مرتين ﴿أَرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ منك ﴿بِرَبِّي يَكْفِيهِنَّ عَالِمٌ﴾ فارتد لعنمين!
لماذا وقف يوسف هذا الموقف؟ لماذا لم يسارع بالخروج؟ ثم يطلب
إعادة المحاكمة وهو خارج السجن، يتمتع بحريته؟

يوسف عليه السلام حبيب دكتور شاح، وقد فهم من إشارة لمث أنه
سيخرج عنه، وقد يسد به بعض المراكز العليا وهو يعلم أنه (متهمم) عند الناس،
وهو لا يعرف حقيقة قصته مع امرأة عذراء! فندشوه (الإعلام الرسمي) الذي
يُشرف عليه عذراء مصر شاعته، على أنه راوذة امرأة العزيز وأراد الاعتداء عليها،
وبذلك سُجن بسبب حريمته!

وليس من حاسب أن يخرج يعفو ملكي، لأن الناس سيقولون يتكلمون
عنه، وعن حريمته! مع أنه عذراء به ظاهره شريف معتدى عليه، مسجون ظلماً!

إذن لماذا من إعادة بحث نفسه من جديد، وبدي سيحقق فيها هذه الحرة
هو منك نفسه ﴿أَرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسَأَلَهُ مَا سَأَلَ لَيْسَ الَّذِي قَطَعَ أَيُّهُنَّ بِرَبِّي يَكْفِيهِنَّ﴾!

يوسف عليه السلام الذي قال هذا القول لرسول الملك، هو نفسه الذي قال

لساقي الملك قبل سنوات * ﴿ أَذْكَرَ فِي عَمَلٍ زَيْدَكَ ﴾ ١

ولا تعارض في الحفيضة بين الموقعين !

جاء قال للساقي قبل سنوات * اذكرني عند رثك، ثم يُردُّ أن يخرج معصري منكبي، إنما أريد أن أعرف سميت قصته، ليبحث قصته، ولأن عرف سميت قصته، فلا بد أن يُعيد بحثه، ولا تعارض بين الموقعين ١

وقد أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم على يوسف عليه السلام، فريثه في الحروح من السجن، واعتبر هذا مزية من مزاياه.

روى البخاري [رقم ٣٣٧٢] ومسلم [رقم ١٥١] عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ قال: «مَنْ أَحَقُّ بِالنِّسَاءِ مِنْ إِبْرَاهِيمَ، يَدْعُوهُ رَبِّي أَكْرَمَ حَتَّى تَمُوتَ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لَيْتُمْ مِثْلَ قَتِيلٍ» ١ ويرحم الله موطأ بقدر ما يؤي بلى ركب شديد «ولو كنت في السجن طول ما كنت يوسف لأجبت الداعي» ١.

وروى طبراني [رقم ١٦٤١] عن محمد بن عمار رضي الله عنهما، عن أبي هريرة قال: «عُذْتُ لِمَنْ أَحْبَبَ يَوْسُفَ وَكَرَّمَهُ، وَلَهُ مَعْرُوفَةٌ، حَيْثُ أُرْسِلَ إِلَيْهِ يَسْتَعْنِي فِي الرُّقُوبِ» ١ «وَوَكُنْتُ أَدْعُوهُ حَتَّى أُخْرِجَ» ١ وعُذْتُ بِصُورِهِ وَكَرَّمَهُ، وَهُوَ بِمَعْرُوفَةٍ لَهُ، أَتَى سَاحِرًا، فَهُوَ يُخْرِجُ حَتَّى أَحْدَثَ مَعْدَرَةً، وَوَكُنْتُ أَدْعُوهُ لِمَنْ أَحْبَبَ يَوْسُفَ وَكَرَّمَهُ، وَلَهُ مَعْرُوفَةٌ، حَيْثُ أُرْسِلَ إِلَيْهِ يَسْتَعْنِي فِي الرُّقُوبِ» ١.

وقد تكنت عن معنى كلامه عن إبراهيم ونوح عليهم السلام في مصي أما بالسمة ليوسف عليه السلام في رسول الله ﷺ يعني عليه صوره، ويُحِبُّ أَنْ يَكُونَ مَكَانَهُ، وَشَحْنُ بَطْنِ سَبِيحٍ حَمَلًا، وَجَاءَ الدَّاعِي بِدَعْوَةٍ مُتَقَدِّمَةٍ بِمَكَانِهِ، لِأَحَدِهِ وَخَرَجَ فَوْرًا، وَمَعْدَنُ بَطْنٍ بِعَدَدِهِ بِحَقِّقٍ ١

ويهدد في رواية شبه «وَوَكُنْتُ أَدْعُوهُ لِمَنْ أَحْبَبَ يَوْسُفَ وَكَرَّمَهُ» ١ في سارعت بالخروج من باب السجن !

ومن عجيب ما يُقال عن سوء تفهم وعدم فهم، أن أحد الجهلاء رعم نفسه عالمة، ودرس على «مفتي في المسجد هذا الحديث» ١ «ولو كنت في السجن طول ما كنت يوسف لأجبت الداعي» ١ «ولو كنت في السجن طول ما كنت يوسف لأجبت الداعي» ١

كان مكان يوسف. ودعته امرأة حمير بن عيسى. لأحد دعوتها، واستجاب لها!

وهذه مصيبة يوسف عبر حيلة... به كثرهم في هذه الأيام!

١١ - من القائل ﴿وَمَا أُبْرِئُ نَفْسِي﴾؟

ردّد إحداهن حديث يوسف يوسف، حيث لم يتعجل بالحرج، ولم يستعجل على مقادته، ومحمد بن يحيى هو في نصيبه نفسه

أحضر حديث يسوة من مرات، وفي مقدمتين امرأة حمير، وسألهن ما خطبكُنَّ إذ راودتُنَّ يوسف عن نفسه؟

أي ما فضلكُن مع يوسف؟ وما شأكن معه؟ وبعد ردّته عن نفسه؟

ويبدو أنّ الملك قد حقّق في القصة قبل أن يستدعيهن، وعرف أنّهنّ للواتي راودته، فكان كلامه معهنّ إدانة لهنّ! فهو لم يقل لهنّ: أحررتي بالأمر، وما الذي حصل! وإنما أنت لهنّ المراد به ما خطبكُن بدرّ يوسف عن نفسه؟

قدّمت يسوة المدينة شهادة ليوسف عليه السلام، وردّدنّ على سؤال الملك قنلات: حاش لله، ما علمنا عليه من سوء!

وملاحظ أنّهنّ كوّرن (حاش لله) فمّة شاهدت يوسف عند امرأة حمير قبل ﴿حَسَّ يَوْمَ هَذَا تَسْرَىٰ عَلَىٰ هَذَا وَلَا تُؤْتَىٰ بِهَذَا﴾ والآل يقين بسبب «حاش لله» ما علم عليه من سوء!

أيّ إنّ يوسف بريء من كلّ التُّهَم الموجهة إليه، وهو عفيف شريف طاهر، لم ير ودّوله بعد، وما علم عليه سوء أو عذراً!

وبعد ما شهدت يسوة المرادوت برأيه يوسف، تقدّمت امرأة العزيز - بطرف الرئيسي في القصة - أمام الملك واعتراف صريح مشير: أقرت فيه برأه يوسف وعفته، وأدلت نفسها بأنّها هي التي راودته

قد تعالى ﴿قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ إِنَّي كُنْتُ ضَالَّةً سَاحِلًا أَنَا وَرَدَّتْ عَنْ نَفْسِي، وَإِنَّ لِي كَذِبًا بَيْنَ يَدَيْكَ بِعَمَلِي أَفَلَا أُحْسِنُ بِالتَّوْبَةِ وَأَن تَكُونَ لِي كَذِبًا بَيْنَ يَدَيْكَ﴾ ﴿وَمَا أُبْرِئُ نَفْسِي بِأَنْفُسِ الْأَمْرَةِ إِلَّا بِأَشْوَاهِ مَا رَجَمَ رَبِّي بِرَبِّي عَقُورَ رَجَمٍ﴾ [يوسف

[٥١ - ٥٣]

قد أثرت السوات التي قصاها يوسف في السجن في مرأه بعير، ويبدو أنها أثرت بيوسف في ديبه، بعد أن كان تأثرها بحاله!

قد عرفها بعد مضي امرأة شهوانة شهفه، مهالكه على يوسف، حرصه على قصه وطرفه من نأية وسيله! كما عرفها امرأة مأكرة متبره، تُجدر رسم المزامرات، وحبك المكايده، واتهام الآخرين.

أما الآن، فيبدو من اعترافها أمام الملك أنها تعبرت كثيراً، لقد أصبحت بصحة وعية، موضوعية ورية، متواضعة معترفة، مؤمنة بالله، حافظة ليوسف وده!

بدأت اعترافها بقولها: ﴿أَفَنُحْصِنُ الْحَقَّ﴾ أي لا أؤر أن أعترف، وأن أظهر الحق في هذه القضية، فطالما حرصت على إخفاء حقيقة عدة سوات، وكتبت به الحبح، فلماذا أن يظهر الحق، وعلى نسائي هذه مرة

و(حصحن) بمعنى كسمة (حصن)، مثل رلر، وكهكف

وأما معنى (الحصن) هو القطع، ومعنى حصحن لحق وصح الحق وطهر وانكشف وبان، ولم تغد هناك محال لإحداثه!

ثم قالت: ﴿أَنَا رَوَدْتُ عَنْ نَفْسِي. وَرَثَمَ لَيْنَ الْقَدِيفِ﴾ وهذه دنة صريحة من نفسها، وترثة صريحة من يوسف التي راودت يوسف عن نفسه، وهو به ير ودي! وأن كدت عبه عندما نهضه أمام روجي ثانه رودي وأر دني سوء، أم هو فقد كان صافاً عندما دل بروحي هي راودني عن نفسي!

ماذا يريد يوسف عليه السلام من إعادة بحث قصته أكثر من هذا الاعتراف، ماذا يريد من سورة سدسة أن يقلر أكثر من هذا؟ وماذا يريد من امرأة العزيز أن تقول أكثر من هذا؟

بسن أقوى من الإقرار والاعتراف من قبل أطراف القضية، فلا عتر ف سد الأدلة!

قد حق يوسف نصيره وتحمله وأمانه كل ما يريد، وأنه حصيف ذكي المعني حقاً، عبه اسلام، وبه هي حصنه وسب محته مرأة لعير - تقدم هذه الشهادة الصريحة ببراعته!!

نظر الان في قوله تعالى ﴿ ذَلِكَ لَعْنَةُ آيِ تَمَ أَحْنَةُ يَالْتَيْبِ وَأَلَّ أَفَّة لَا يَهْدِي كَيْدَ
الْعَالِيَيْنِ ﴾ وَمَا أَتَرَكْتُ نَفْسِي إِنْ أَلْتَمَسَ لَأَمَارَةٌ يَأْتِيهِ إِلَّا مَا رَجَعْتُمْ رَفَقًا إِنْ زَيْ عَفْوَرُ
نَجِيمُ

هذا خبر من الله عن فائل ، في هذا القول . معترف بحصته ، وطرف لقصة
هو يوسف عليه السلام وامرأة العرير . فمن مهم الذي فيه

ذهب بعض حنريين إلى أن هذا قول يوسف عليه السلام ، عفت به على
اعتراف امرأة العرير السابق . في قولها ﴿ أَلَنْ حَصَحَّ الْحَقُّ أَنَا رَوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِيهِ
وَلَا تَمُ لَيْنَ الصَّرِيكَ ﴾ عفت على اعترافها بغير مدلل

فدوا أراد يوسف بغيره . ﴿ ذَلِكَ لَعْنَةُ آيِ تَمَ أَحْنَةُ يَالْتَيْبِ ﴾ عرير مصر ،
بذي أكرمه وجعله في بيته ، والمعنى أرشد أن يعلم عرير أني بم أحنة بالعيب ،
وسم اعتد على امرأته أنه عبده عن البيت . بل حطت على عرصه ، وعفت عن
مراته

وقد هو هذا عترف يوسف بيمينه السريع إلى امرأة عرير عبده رودته ،
هذا أصل الذي لم يستمر هويلاً ، والذي كان نتيجة رغبة نفسه الأمانة بأسوء ،
حيث رعت نفسه فيها ، ولكنه حاهذ نفسه ، ولم يقد ميه ، بل أر له وأعاد ترفعه
واباه !!

وهذا قول مهم مردود ، وتفسيرهم بآية بعد تفسير غير سديد
يراجح أن هذا القول لامرأة العرير ، تنبع فيه عر فيها حنير أمم لملك ،
سياق يدل على هذا ، ومعنى لايات يدل عليه أيضاً

امرأة العرير هي التي قالت ﴿ أَلَنْ حَصَحَّ الْحَقُّ أَنَا رَوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِيهِ وَلَا تَمُ لَيْنَ
الصَّرِيكَ ﴾ وهي التي تابعت عترفها فأنته ﴿ ذَلِكَ يَقْتَم ﴾

وبعض كلامها يوسف ، الذي كان مازر في السجن ، عندما قدّم عر فيها
أمم لملك أي عرفت على نفسي ، وشهدت براءة يوسف ، ودلت ليعلم
يوسف أني صادقة معه ، وأنني شهدت بصانحه ، وبني بم أحنة بالعيب ، وسم
أشهد صده أمم لملك ، وهو عانت عبي لأنه في السجن ، وقعت ذلك يمان عني
بالله أيضاً ، لأنني أعسم أن الله لا يهدي كيد الخائس

ونذعت امرأة لعير اعترافها وإدانتها لنفسها آدم الملك، فقالت إسي لا أرى نفسي من هذه القصة، فأما المدنة والمحطة، وقد روت يوسف عن نفسه، ستحة لشهوتي ورغبة نفسي، ونسي هي التي أمرتني بذلك، وليتي لم أستحيت بها، ولم أعتد أمرها، فهي أثاره بالسوء، ونعوس معظم ناس أثاره بالسوء، ولا أشتي من ذلك إلا أناس فلائيل من الصالحين، ورحمهم الله فأعدهم على أنفسهم، فلم يأمرهم بالسوء ومن هؤلاء يوسف، الذي لم تأمره نفسه بالسوء، ولذلك لم يحاول معي وأنا الآن أشعر بالذنب مما فعلت، وأستعمر الله ربي، وأرجو أنه يعرف لي، لأنه عمود رحم

ويحط بمنطق الإيماني لهذه المرأة المؤمنة، التي بدأت قصتها مع يوسف شهرية شقة، متأخرة فاته، وأسبغت قصتها مع مؤمنة صالحة، وصارت شخصيتها واعية ناصحة، وتأثرت بيوسف عليه السلام تأثراً إيمانياً، فدخلت في ديبه

١٢ - توجيه طلب يوسف الملك:

بعد ثنتي عشرة يوم يوسف عليه السلام أمام الملك، طلب من رحاله إحصاءه، بذكرته ويحبه عليه، وساقف أمامه وكلمه مرة، أريد أعجب الملك به، وأخبره أنه في أمن، عند ذلك طلب يوسف من الملك أن يجعله على حرائر الأرض، فاستجاب الملك له.

قَالَ تَمَسِي ﴿ وَقَالَ الْمَلِكُ أَتَقُولُ بِهِ اسْتَحْلِسْ لِي قَلْبًا كَلَّمْتُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْتَ مَكِينًا أَمِينًا ۖ قَالَ أَجْعَلْنِي عَلَىٰ حَرَبٍ مِنَ الْأَرْضِ إِلَىٰ حَبِيبُ عَيْشٍ ۖ ﴾ [يوسف ٥٤ - ٥٥]

يريد الملك أن يستخلص يوسف نفسه، ويجعله ممرلة لمستشار وسخي وصادقاً وهكذا انتقل يوسف من عيابه النجس إلى رحابة بقصر

ولما كلم الملك يوسف، وجرى بينهما حوار وكلام، لاحظ الملك في كلامه الصدق والجدي، فارداد إعجابه به، وتأكد الملك أن نظره فيه في محلها، وأنه أهل لتكريم والتفصيل. فطمانه بأنه عنده في أمن ﴿ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْتَ مَكِينًا أَمِينًا ۖ ﴾.

أي لم تعد عبداً وقيلاً عبد العرير، وإنما أنت عدي مؤثر من كبار مسؤولين، وأنت (مكين) ممكن من الحرية والمسؤولية والمرلة العالية وأنت

(ثُمَّ) فِي آمِنٍ وَطَمَئِنٍّ، لَا مَحْشَى بَعْدَ يَوْمٍ سَحَابٍ وَلَا اتِّهَامٌ وَلَا ضَمَمٌ وَلَا
عُدْوَانٌ).

لَمَّا سَمِعَ يُوسُفُ عَلَيْهِ السَّلَامُ هَذَا الْأَمْرَ مِنَ الْمَلِكِ، وَجَدَهُ فُرْصَةً مَسْنُوءَةً
لِعَدَمِ عَرْضِهِ عَلَى الْمَلِكِ شَحْمَلِ الْمُسَوِّبَةِ لِاِقْتِصَادِيهِ الْكَبِيرَةِ، لِأَنَّ سِلَاحَ مُقَدِّمَةٍ
عَلَى أَرْمَةِ كَبِيرَةٍ، وَهُوَ يَرِيدُ الْعَمَلَ عَلَى بِقَادِهِ مِنْهَا، قَالَ لِلْمَلِكِ ﴿أَخْبَرْنِي عَلَى
حَرَرِي الْأَرْمَةِ بِقِي حَقِيقَتُ عَلِيمَةٍ﴾

أَيَّ أَحْمَسِي مَسْذُولًا عَنِ الْحَرَائِرِ وَالْأُمُورِ، وَالرَّادَةِ رَشْمُوسٍ،
وَالْتَخَطِيطِ وَالْاِقْتِصَادِ).

وَأَحْمَرِ امْنَدَتٍ عَنِ ثَبِينٍ مِنْ مَزَقَلَاتِهِ لِلْفِيَامِ بِهَذَا. الْحَقِيقَةُ، وَالْعِلْمُ.

حَقِيقَةُ يَحْفَظُ الْأَمَانَةَ وَالْعَهْدَ، وَيَحْفَظُ بِمُسْزُولِهِ وَالْمَنْصِبِ، وَيَحْفَظُ
الْمَالَ وَالذَّحْلَ، وَيَحْفَظُ الرِّاعَةَ وَالْإِسْبَاحَ، وَيَحْفَظُ السِّلَاحَ وَهَذَا
وَعَيْنُهُ يَمْلِكُ مِنَ الْعِلْمِ وَالْمَعْرِفَةِ وَالْحِجْرَةِ وَالْكَفَايَةِ، مَا تُعِينُهُ عَلَى أَدَاءِ هَذِهِ
الْمَهْمَةِ.

وَقَدْ لَا يُحْسِنُ بَعْضُهُمْ فَهْمَ هَذَا الطَّلَبِ مِنَ يُوسُفَ عِنْدَهُ سَلَامٌ، فَيَسِيءُ
تَفْسِيرَهُ، وَيَعْتَرِضُهُ رَعَاةُ مَهْمَةٍ فِي الْمَنْصِبِ وَالْمَرْكَزِ، وَحَرَصًا مِنْهُ عَلَى سَوْرَةِ
وَالْمُسْزُولَةِ، وَطَلَبًا لِلدُّنْيَا وَخَيْرَاتِهَا

بَنَى لَمْ يَهْلِكْ هَذَا الطَّلَبُ لِعَيْنِهِ، يَسْتَعِدُّ شَحْمَةً مَالًا وَمَصْدَحَةً وَمَرْكَزًا
وَجَدَهُ، إِنَّمَا طَلَبَ هَذَا الطَّلَبُ تَصْحِيحًا مِنْهُ. لِيَقُومَ بِحُدُودِ سِلَاحِهِ، وَيَقْدِرُ مِنَ
الْمَجَاعَةِ الَّتِي هِيَ مُقَدِّمَةٌ عَلَيْهَا).

فَقَدْ سَبَقَ أَنْ عَثَرَ رُؤَسَا الْمَلِكِ عَنِ اسْتِقْوَابِ وَالْمَسْلُوتِ، وَأَحْبَرَهُ أَنَّ سِلَاحَهُ
سَتَعِيشُ سَبْعَ سِنَوَاتٍ رِخَاءً وَعَيْثُ وَإِتَاحَ، تَعْمَلُهَا سَبْعُ سِنَوَاتٍ مَحَلٍّ وَحَدَبٍ
وَقَحْطٍ، وَبَعْدَ ذَلِكَ سَنَةٌ عَيْثُ وَإِتَاحَ

وَهَذِهِ الْمَرْفَعَةُ لِحَرْجَةٍ تَحْتَاجُ إِلَى دَحْلِ (حَقِيقَةُ عَلِيمٍ) يُحْسِنُ لِسْتَفَادَةٍ مِنَ
سِنَوَاتِ الرِّخَاءِ لِسِنَوَاتِ الْجَدَبِ!

وَيُوسُفُ يَعْلَمُ أَنَّهُ أَهْلٌ لِهَذِهِ الْمَرْحَلَةِ، يَقْدِرُ عَلَى خِدْمَةِ السَّيِّئِ فِيهَا، وَيَقَادِرُ
السِّلَاحَ مِنْ أَرْمَتِهَا، فَهُوَ مُقَدِّمٌ عَلَى تَصْحِيحِ كِسْرَةٍ، وَمَهْمَةٍ عَظِيمَةٍ، وَسَعَةِ تَقْنَةٍ!

هذا عن توجيه طلبه الملك والمسؤولية.

وسنحت الملك له، وجعله على خزائن الأرض، وسعته مسؤولية إدارة الاقتصاد والبراعة وبحرائق والأمور. وترقى في هذا إلى أن أصبح (عريس مصر)، وحل محل (عريس) مدي شتره، وجعله عند في بيته، وراودته امرأته

والرجح أن يوسف عليه السلام استلم مصبت (عريس مصر) بعد صار سياً، وهذا معناه أنه كان بحكم البلاد شرع الله، ويدير الأمور على منهج الله!

نقد أصح الملك يده في حكم البلاد، فكان صاحبة تصرفات ولكلمة والقرار، يفعل ما يشاء، ويحكم في سلاطه كما يشاء، بدون عتراض من الملك أي أن يوسف عليه السلام كان هو الحاكم الفعلي في مصر، وبقي الملك مجردة (رمز) للبلاد، يملك ولا يحكم!

ومما يدل على هذا عيب الملك عن الأحداث ومشاهد التي عرضتها لأيت، بعدد ولي يوسف مصبت (عريس مصر) فلا يسمع له صوتاً، ولا يرى له تأثيراً، وكأنه عين يوسف في منصبه، وجعله على خزائن الأرض، ثم توارى في بظل.

ولا بد أن يعرف هذا الموقف من يوسف عليه السلام وتوجيهه بعض دعاة الإسلام بعد صير، لذين يريدون أن يلو لأمر ويستلموا مصائب الأنظمة والحكومات التي لا تحكم بالإسلام ويرصون أن يكونوا (وراء) عند حكم لا يحكمون بشرع الله! ويجربون تزييز هذا العمل الخاص بقياسه على ما فعله يوسف عليه السلام، حيث كان وريراً عند ملك مصر بكفراً وهو يقتدون به! ليس هو نبياً؟ فماذا لا يقتدون به!!

لا بد أن تعرف هؤلاء الفرق بين معيهم الحاطن وفعل يوسف مصائب! فلو فعلوا ما فعل يوسف لجاء فعلهم، ولو أصح الحكم يده هؤلاء الإسلاميين في الحكم كما أطلق الملك يده يوسف لجاء فعلهم، ولو سمح الحكم لهم بتطبيق شرع الله والحكم بالإسلام، ولم ينفوا أحكامهم بالإرادات والقرارات التي تصدرونها لجاء فعلهم!

وسما أن الأمر ليس على هذه الصورة، فرب تفرق بعيد بين فعلهم وفعل

يوسف عليه السلام، ولا يحورُّ لهم لإفداءه على دين المعلي لدطل، معللين بما
قام به يوسف عليه السلام!!

١٣ - توجيه ما جرى بين يوسف وإخوته:

وبني يوسف عليه السلام مركز (عرب مصر)، وأحسن الاستفادة من سواك
الحصص والرحاء في سواك الحذب والمخل، وقدر الحبوب وحافظ عديها،
وأحسن توزيعها على أهل مصر وأهل البلاد المحاورة، وسدوا أن سمحاً لم
تكن في مصر فقط، وإنما شملت البلاد المجاورة.

وحدة إخوة يوسف من (الدر) في فلسطين إلى مصر، بأخذوا منها الحبوب،
وهم لا يعرفون أن (عرب مصر) الذي يتعاملون معه هو أخوهم يوسف! وجرى بينه
وسهم أحداث تحت أحسن تحدي وتفسير وتوجيه، منها

١ - لما حثَّهم طلب من قتيته أن يجعلوا بضاعتهم في رحالهم. قال
تعالى ﴿وَقَالَ لِيَتِيمِهِ اجْعَلُوا بِضَاعَتَكُمْ فِي رِحَالِكُمْ لِيَعْرِفُوا إِذَا أَنتَبَحُوا إِلَى أَهْبَتِهِمْ
لِنَفْسِهِمْ ذَرْبًا مَخْرُوجًا﴾ [يوسف ٦٢]

ما معنى الآية؟ وما توجيه فعل يوسف عليه السلام؟

كان الإخوة قد أحضروا معهم بضاعة من مسوحات أرضهم، ليشترى بها
لقمح من مصر، فلما حمل بهم أقتية أحداً منهم من قمح أرضهم يوسف عليه
السلام بدين البضاعة التي جاؤوا بها يس قمحاً! ودين يعريهم بعودة، فعمد
بمزعون الحبوب سيحدون بضاعتهم فيها، وهد معدة أن (عرب مصر) أعطاهم
الحبوب محدة، وهد يدعوهم إلى العودة لأخذ أحداً حبوب أخرى

وهد تصرف من يوسف عليه السلام صوت لا خطأ فيه، لأنه أراد ذكر
إخوته، وتقديم هدية إلى أهلهم، ولا بد أن يكون دفع شمس من حبه

ب - لما عاد الإخوة إلى أبيهم أخبروه بطلب (عرب مصر)، فلما أن يعرَّعوا
أحداً منهم، وطلبوا منه الموافقة على أحد أجيهم معهم، فتذكر يعقوب عليه السلام
ما فعلوه بأجيهم ﴿فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَى أَبِيهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا سَمِعْنَا نَذِيرًا فَجَاءْنَا بِمِثْلِ مِمَّا
أَحْبَبْنَا لَكَ وَتَوَلَّيْنَا لَكَ خِيَطًا فَلَا ظَنَّا لِنَاكَ وَأَكْمَلْنَا مِسْكًا كَمَّا أَمْسَكْتَ عَلَيْنَا لِيُجِيبَهُ
مِنْ قَبْلِ قَوْلِكَ فَاصْبِرْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [يوسف ٦٣ ٦٤]

وسموا فحسبوا متعهم، وفرغوا أحمانهم وحدوا البضعة بين الحبوب،
 واستعزوا وفوحوا، كما فرحوا أبوهم يعقوب، واعتبروا هذه وسيلة ضغط على
 أبيهم يوسف على إرسال أحبيهم بصغير ﴿وَلَمَّا فَتَحُوا مَتَاعَهُمْ وَحَدُوا بِصَغِيرَتِهِمْ
 رُدَّتْ إِلَيْهِمْ فَبَلَّوْا بُيُوتَهُنَّ بِمَا سَيَّ هَدِيَهُ، بِصَغِيرَتُهُنَّ إِلَيْنَا وَيَبْرِ أَهْلًا وَتَحْقُقَ أَمَانًا
 وَتَرَدُّدُ كَيْلٍ تَعْيِيرَ دَعَتْ كَيْلَ سَيَّرَ﴾ [يوسف ٦٥]

معنى قلوبهم ﴿مَا سَيَّ﴾ لا نضم ولا سدعي ولا تكذب، لقد بقوا عن
 أنفسهم سعي و ظلم عندما طلبوا أن يكون أخوهم معهم ودليل أنهم لا يكذبون
 في صلبهم عودة نصف عتيم بهم ﴿هَدِيَهُ، بِصَغِيرَتُهُنَّ إِلَيْنَا﴾

ومعنى ﴿وَيَبْرِ أَهْلًا﴾ : نقدم لهم لميرة والزاد.

ويدل قلوبهم ﴿وَتَرَدُّدُ كَيْلٍ تَعْيِيرَ﴾ على أن يوسف عليه السلام كان (يُفْسِرُ)
 توريع الحبوب في سبوت المجاعة، بحيث كان يعطي لكل إسدي حمل صغير،
 والإحوة عشرة ياخذون عشرة أحباء، ومحبي أحبيهم عادي عشرة يجعلهم
 ياخذون حمل بعير آخر

جد - عندما خدعوا لأبيهم يعقوب عليه السلام أن يحافظوا على أحبيهم
 لصغير وافق على إرساله معهم وقبل أن يقدروا على مصر طلب منهم طلباً
 غريباً قل تعالى ﴿وَقُلْ يَسَّى لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاجِبٍ وَأَدْخُلُوا مِنْ أَوْبٍ مُتَرَفِقَةٍ وَمَا
 أَغْنَى عَنْكُمْ مَرْكُ أَلْوَابٍ ثَوَّة﴾ [يوسف ٦٦]

أي عندما تصوب مصر، فلا تدخلوا من باب واحد، لأنكم أحد عشر
 آحاداً، وتوزعوا على أبواب عديدة، وأدخلوا من أبواب متفرقة، بحيث تدخل
 كل مجموعة من باباً.

ولا يمكن تحديد الأبواب المتفرقة التي أمرهم بالدخول منها هل هي
 متفرقة في توصل إلى مصر؟ أم هي أبواب سور عاصمة مصر؟ أم هي أبواب قصر
 عزيز مصر؟ كما لا يمكن تحديد عدد هذه الأبواب هل هي ثلاثة أو أربعة أو
 أكثر. لأن كل هذا من مهمات القرآن!

لماذا أوصاهم يعقوب بهذه الوصية؟ وما الحكمة التي أراد تحقيقها من
 ذلك؟ لم يشتر لهم ذلك، وكتفى بقوله ﴿وَمَا أَغْنَى عَنْكُمْ مَرْكُ أَلْوَابٍ ثَوَّة﴾ [يوسف ٦٦]
 ﴿لَا يَنْفَعُ عَلَيْهِمْ نَوْكَتٌ وَعَلَوْ فَلَئِنْ نَوَّلَ أَلْمَتَوْ كَيْتُونَ﴾

والمعنى عدم اوصيتكم بهذه بوصلة لا يعني اني اذفع بها قدر الله
وامره، فقط كنت اجد لأسباب، وقعت بسحر المطلوب، لكن احدي
الأسباب لا يوقف قدر الله، لأن ما قدره الله لا بد أن يقع

د - لقد دخل الإخوة على العرير (يوسف) ومعهم أخوهم الصغير، حلا
يوسف بأخيه، وعزفه على نفسه ﴿وَنَادَحُوا عَلَى يُوسُفَ وَأَوْتَرَتْ لَهُ أُخُوهُ قَالَ
إِنِّي أَنَا أَخُوكَ فَلَا تَبْتَهِشْ يَمَّا كُنَا يُعْمَلُونَ﴾ [يوسف: ٦٩]

هد الأخ الصغير ليس شقيقاً لإخوته الكبار، إنما هو أخوهم من أبهم،
وهو صريح ما جاء على لسان يوسف عدم طلب منهم، حصرة معهم ﴿وَلَمَّا
حَفَرَهُمْ بِجَاهِهِمْ قَالَ أَتُؤْتِي بِأَخٍ لَّكُم مِّنْ أَيْكُمُ﴾ [يوسف: ٥٩]

وعلته كان شقيقاً ليوسف من أبيه وأمه، وهما أصغر الإخوة، فقد قال
الإخوة العشرة من قبل ﴿لِيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَيْنَا أَيْسَاءَ مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَمِ
يَكُونُ لِيُوسُفَ﴾ [يوسف: ٨]

وعن يوسف عليه السلام كان في شوق إلى أخيه شقيقه الصغير، ولعله
كان يحسنى على أخيه الصغير من كيد إخوته الكبار، فأراد أن يفتيه عنده ليكون في
أمان، حتى تنتهي الأحداث، ويجمع أفراد الأسرة!

ولذلك ما أن شاهد يوسف أخاه الصغير حتى هتم به، وآوه إليه، وعامنه
معاملة خاصة، بدون أن يثير انتباه وشك إخوة لآخرين
وبما حلاه عزفه على نفسه، وقال له ﴿إِنِّي أَنَا أَخُوكَ فَلَا تَبْتَهِشْ يَمَّا
كُنَا يُعْمَلُونَ﴾.

وكان أخوه يعرف قصة (يوسف المفقود)، وما هو الآن يعرف أن عرير
مصر يدي يكتمه هو أخوه المفقود! وطلب منه يوسف أن يحتفظ بهد سر، وأن
لا يبحر حوته به، كما طلبت منه أن يصر على ما فعله حوته، وأن لا يتنفس
بأعمالهم.

هـ - أراد يوسف عليه السلام أن يحتفظ بأخيه، تمهيداً لجمع شمل الأسرة
كلها، وأبهمه الله طريقة عجيبة، تدل على فطنته وحصافته بقدر (القدرة)
في رحن أخيه، دون علم أحد، لا إخوته ولا قتيبه بعمالين عنده! ثم فقد قتيبه

السفينة، وبدوا في الركب المرحلين، واتهموهم بالسرقة، وفش يوسف أوعية الإخوة، ثم أخرج السفينة من راحل أخيه، وبذلك أحد أخوه رفيقاً عنده، واحتفظ به، تهمة السرقة

وقد أحرب الله بهذه الأحداث المشهورة قال تعالى ﴿ فَلَمَّا حَضَرَهُمْ بِمِصْرَ يَهُدَىٰ جَعَلَ السِّقَايَةَ فِي رِجْلِ أُخِيهِ ثُمَّ أَدْنَىٰ مُؤَدِّيَ إِلَيْهَا الْقِيَرِ لِيَتَكَلَّمَ لَسْرِقُونَ ﴾ ﴿ قَالُوا وَأَقْبَلُوا عَلَيْهِمْ مَاذَا تَفْقَدُونَ ﴾ ﴿ قَالُوا تَفْقَدُ صُورَ الْمَلِكِ وَلَمْ نَكُنْ بِكَ بِشَيْءٍ مُّشِيرِينَ ﴾ ﴿ وَأَنَّا بِهِ رَئِيَّةٌ ﴾ ﴿ قَالُوا نَالَهُ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا جِئْتُم بِالسِّقَايَةِ فِي الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ ﴾ ﴿ قَالُوا أَفَمَن كَرِهُوا إِن كُنْتُمْ كَاذِبِينَ ﴾ ﴿ قَالُوا جُرُؤُكُمْ أَشَدَّ مِنْ رَّحْمَةٍ رَبِّهِمْ فَهُمْ جُرُؤٌ كَذِبٌ ﴾ ﴿ عَنَى أَنْطَلَيْك ﴾ ﴿ قَدْ أَتَىٰ بِأَوْعِيَّتِهِمْ قَبْلَ وَعْدِهِ أُخِيهِ ثُمَّ اسْتَخَرَهَا مِنْ وَعْدِهِ أُخِيهِ كَذَلِكَ كَذَبَ يُوسُفَ مَا كَانَ لِأَخِيذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ سَرِيعَ الدَّرَجَاتِ ﴾ ﴿ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِزٍّ عَظِيمٌ ﴾ [يوسف ٧٠-٧٦]

قد يتساءل بعضهم ماذا وضع يوسف سفينة في راحل أخيه؟

نقد وضعها حمية في راحل أخيه، دون أن يراه أحد، يبقى أحد عنده، ويكون هذا مقدمة لمجيء أهله جميعاً.

وهو سم يحطن في ذلك، لأنه حمية حصوة تمهيدية، تنبئها حصوات تقود إلى ما يريد. والله هو الذي ألهمه بذلك، لأنه كان سباً، وأنس الله عليه بقوله ﴿ كَذَلِكَ كَذَبَ يُوسُفَ مَا كَانَ لِأَخِيذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ ﴾

وهناك تساؤل آخر كيف اتهم يوسف إخوته بالسرقة؟ مع أنهم لم يسرقوا، وهو الذي وضع السفينة في راحل أخيه.

لم يكن هو الذي اتهمهم بالسرقة، إنما هم قتيانه الموظفون عنده، والآية صريحة بذلك ﴿ ثُمَّ أَدْنَىٰ مُؤَدِّيَ إِلَيْهَا الْقِيَرِ لِيَتَكَلَّمَ لَسْرِقُونَ ﴾.

نقد فقد قتيان يوسف السفينة، وبحثوا عنها فلم يجدوها، فاصبر يوسف سارقاً هو أن يتهموا آخر من كانوا عندهم، وهم إخوة يوسف فدعواهم أيتها بعير إنكم لسارقون.

وخرى بين فسانه وإخوته حوار، وسؤال وجواب، وهو سماع ويراقب ويتابع لموقف عن كتب فوجئ إخوته بالتهمة، وسألوا القتل ما الذي فقدتموه؟ فأجابهم فقدنا صواع الملك وصواع حنث هو (السفينة) المذكورة

في الآية السابقة، وحث العبد الإحوة على تسليم صواع الملك المسروق،
ورغموهم بأن قدموا لهم حاتره من سَلَم لصوغ المسروق فسوف يأخذوا حمل
بغير من الفصح مكافأة له

بني لإحوة عن أنفسهم السرقة، فسألهم العتيان: ما جزاء السارق في
شرعتكم يا إسرائيليين؟ فأجابوهم: حراء السارق عدد أن يأخذ صاحب سارق
مسروق، سارق يكون عدلاً رقيباً عنده، معادل سرقة
عند ذلك اتفقوا على العشر

حري هذا الحور رُبب بحونه وعتيانه، ويوسف يتبع ويرقب، فلا أحداث
تسير وفق ما خطط له ورثه، دون أن يقع هو في أي خطأ أو محايمة

وعند التمسش، توأى هو هذه المهمة، وقد حركته تدل على دكانه
وحصافته: ﴿فَبَدَأَ بِأَوْعِيَّتَيْهِ قَبْلَ وِعَاءِ أَخِي ثُمَّ سَخَّرَهَا مِنْ وِعَاءِ أَخِي﴾

بأنه هو الذي وضع سفينة في رحل أخيه، وهو هجم على رحل أخيه مباشرة
لكأن عرصة لانتقام، وقد يقال ما أدراك أنها هاء؟ وقد يُشكك فيه أنه وضعها بيده
وبذلك بدأ بأوعية بحونه، وفشها وحداً وحداً، وآخر وعاء أخيه إلى المهية،
ثم استخرجها منه!

إذن نحوه صغير سارق، سرق استبدية، وهذا هو تعريف بحرثها من
وعيته، ولا بد أن يسرقه العريض عنده، ويحتفظ به مقدس سرقة

الله الذي ألهمه أن يفعل هذا الفعل، كي يحكم على أخيه بالشرعية الإسرائيلية
الربانية، التي عيب بمقوس عليه، سلام، وبسبب أربعة الملكية التي عيبها الملك
ورحلته في مصر، لذلك قال تعالى ﴿كَذَلِكَ كَتَبْنَا يُوسُفَ مَا كَانَ لِأَخْدَاحِهِ فِي
دِينِ الْمَلِكِ﴾

وهذا دليل آخر على أن يوسف عليه سلام كان يحكم في مصر بشرع الله
الذي أوحى به إليه، وبسبب شرح الملك لكاهن، الذي جمعه في منصب تعريف
ولا يجوز له ولا يليق به أن يحكم بشرع الملك، وهو رسول الذي من الله عليه
بالسوة، وأعطاه شريعة يحكم من الناس على أساسها

و- فوجئ الإحوة بأحبهم الصغير سارقاً وهذا معاً أنهم مستعدون، لأن

لعريز سيمترقه، وقد كانوا عاهدوا أنه أن يعودوا به، لذلك حاربوا مع العريز
يحيي سيمه، وأن يأخذ أحدهم مكانه ﴿قَالُوا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَنَا مَثِيحًا كَبِيرًا
فَخُذْ أَحَدَهُ مَكَانَهُ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [يوسف ٧٨]

فرفض العريز عرضهم، إذ كيف يعفو عمن واحد عنده المسروق؟ وكيف
يسرق مريد ويصدر حريته؟ ورد عليهم قائلا ﴿مَكَانَهُ اللَّهُ أَن تَأْخُذَ بِهِ إِلَّا مَن وَجَدَا
مَتَاعًا بَيْنَهُمَا إِذَا لَطِيمُونَ﴾ [يوسف ٧٩]

وقد كان كلامه دقيقا هادئا، فهو لم يعرض معاد الله أن يأخذ إلا السارق الذي
سرق متاعا لأن أحد الصغار لم يكن سارقا في الحقيقة، ولم يصع العقاب في
وحده، ولم يكن عنده علم بذلك.

فإن لهم ﴿مَن وَجَدَا مَتَاعًا بَيْنَهُمَا﴾ أي عندما فُتشت وعاءه وجذبا
متاعا فيه، ولذلك سيمترقه لهذا السبب.

ر - لم يجد الإحوة أمهم إلا أن يثمنوا أحدهم الآخر بالسرقة، ودين
يحبضو أنفسهم من هذا الاشكال، ويتحدروا هذا التناقض الذي تعنى
﴿قَالَ لَوْ لَمْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَفَ أَخٌ لَّهُ مِنْ قَبْلُ﴾ [يوسف ٧٧]

ويقصدون بكلامهم أخاه يوسف، والمعنى نحن لإحوة لأشقاء عشرة
لا يسرق، لكن أحد الصغار سرق لأنه مثل أخ له، فقد كان به أخ، وسرق سرقه،
وهو سارق مثله.

ورقب المفكرون أمام هذا الكلام، وصاروا ينتشرون في (منف) يوسف
وهو صغير عند أبيه، ليعرفوا ما الذي سرقه، ومن من سرقه، وكيف كانت نهاية
سرقته؟ وأبو، في هذا برويت ناضجة مكشوفة، أخذوها من الإسرائيليين وأثنوا
بها سرقة قام بها يوسف.

وكانت سرقة يوسف وهو صغير يتعارض مع عصمته، ومن المعلوم أن الله
يرعى إسمي رعاية خاصة مد ولادته وطفولته، ولا يجعل بشيعة سلطانا عليه،
ويحميه من المعاصي والدنوب وهذا معناه أن يوسف عليه السلام لم يسرق في
طفولته أو شبابه.

بدد كيف كان لإحوة ﴿فَقَدْ سَرَفَ أَخٌ لَّهُ مِنْ قَبْلُ﴾؟

لقد كانوا كذابين، كذبوا ليحفظوا أنفسهم من هذا المارق، وكذبوا حقداً على أخيهما الصغير الذي سبب لهم هذا الإشكال، وكذبوا على يوسف خفداً عليه، مع أنه مضى سنوات على فراقهم له

كذبوا على يوسف، وسبوا به سرقة لم تكن بها، كما كذبوا على أبيهم من قبل، عندما نهموه لأكل يوسف، فليست هذه أول كذبة تصدر عنهم!

ومن حكمة يوسف عليه السلام وحصافته وحلمه وحسن تدبيره أنه لم يردّ عليهم، فهو يعلم أنهم بقصدونه هو، ويسبون له سرقة في طويجه، وهو يرى من هذه التهمة، ومع ذلك لم يكشف هويته أمامهم، ولم يردّ عليهم ويبش كذبهم! لم يقل لهم أنتم كاذبون، وتهموني بالسرقة، فأنا يوسف الواقف أمامكم، ولم أسرق في حياتي قط!!

لم يتصور لنفسه، ولم يدفع عنها، لأنه يخطط لشيء آخر، ويرث الأحداث بحكمة، حتى تصل إلى نهايتها التي رسمها لها. ولذلك اكتم بقوله لهم ﴿أَسْتَدْ سَرّاً مِّنْكُمْ فَأَنذَرْتُكُمْ إِنَّمَا تَكْفُرُونَ﴾

أي أنتم شرّ، وكلامكم شرّ، ومكانكم شرّ، وأنتم تتهمون أحباءنا لكم بأنه سارق، وعدم ذلك عند الله، وأحش أن يكون كلامكم كذبا!

ح - ماذا يعمل لإخوة، لأن؟ ما هم قد فقدوا أحباءهم الصغير؟ وقد كانوا عاهدوا آباهم أن يميذوه معهم! وأعرىهم سم يسمع لهم ولم يقبل تبديله بأحدهم! جتمعوا بتدارسون الموقف: ﴿لَقَدْ أَسْلَيْتُمْ أَنفُسَكُمْ بِمَا كُنْتُمْ بِآيَاتِنَا تَكْفُرُونَ﴾

أي لما يسو من ستمحاص أخيهما الصغير، ذهبوا إلى لقاء حصص واجتماع مغلق لهم، بعزلوا فيه عن الآخرين، فكان لقدوم حصصهم، جلسوا فيه يتأخرون ويتشاورون ويتحدّثون، ويفكرون فيما سيفعلون!

قال لهم أخوهم كبير لقد فرصنا في يوسف وصيته وهو صغير، وها أنتم تفرطون في أخيككم الصغير الذي، وقد أعطيتكم أنكم موثقاً أن تعودوا به، أن سألني هذا، لأنني لا أستطيع مواجهة أبي، أما أنتم فعودوا إلى أبيكم، وأحضره بكل ما حصل، وأن أنه سرق، وسرقته عزيز مصر، وإن لم يصدقكم، فاطلبوا منه أن سأل القرية التي قدمت منها، والقافلة التي قدمت معها!

وعدوا الإحوة إلى يعقوب، وقد خلفوا أحاهم الصغير عبد يعقوب، والكبير يتطرق توجهه أنه!!

١٤ - ابیضت عینا یعقوب من حرّته وکطامه:

عَادَ الإِخْوَةُ إِلَى أَبِيهِمْ تِسْعَةً، حَيْثُ تَخَلَّفَ الْكَبِيرُ فِي مِصْرَ، وَأَخَذَ الصَّغِيرُ
تَهْمَةَ السَّرْقَةِ. وَانْخَرُوا أَبَاهُمْ بِمَا حَدَثَ.

فَدَلَّ بَعْضُ ۞ قَالَ لَنْ سَأَلْتُمْ لَكُمْ أَفْئُكُمُ أَنْتُمْ فَصَنَعَ جِبَدٌ عَنِ اللَّهِ أَنْ يَأْتِيَهُ
بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ۞ وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَأْسُفُ عَلَى يُوسُفَ
وَأَيُّكُمْ حَيَّاهُ مِنَ الْحَرِيِّ هُوَ كَظِيمٌ ۞ قَالُوا يَا لَيْتَ نَدْرَكُكَ يُوسُفَ حَتَّى
تَكُونُ حَرَّضًا أَوْ تَكُونُ مِنَ الْهَالِكِينَ ۞ قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَخُزْنِي إِلَى اللَّهِ
وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ۞ [يوسف ٨٣-٨٦]

لَمْ أَعْلَمْ يَعْقُوبُ بِمَقَرِّهِ مِنَ الصَّغِيرِ الْكَلْبِيِّ تَدَكَّرَ مِنَ الصَّغِيرِ الْأَوَّلِ - يَوْسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ - وَبَدَأَ عَنُقَ عَلَى فَقَدِ امِّهِ الْكَلْبِيِّ سَعِيٍّ مَا عَنُقَ بِهِ عَلَى فَقَدِ امِّهِ الْأَوَّلِ تَقْرِيباً

عَنْ عَمْرِو بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «بَلَّ سَوَاقِ لَكُمْ نَفْسُكُمْ أَنْتُمْ لَصَنَدٌ حَبِيبٌ وَاللَّهِ
الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَقِفُونَ» [يوسف ١٨]

وَعَلَوْ عَلَى فَقَدَ بِهِ الصَّغِيرَ النَّاسِي بِقَوْلِهِ ﴿فَالَمْ يَلَمْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْ لَا﴾
فَقَسَرَتْ جَمِيلٌ عَلَى اللَّهِ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَكِيمُ ﴿١٠﴾

لقد كان يعقوب على أمي كبر في لقاء يوسف، وأحس أنه يرجو أن يأتيه الله بهم جميعاً، وهم أبوه الثلاثة العائرون

وَعَزَّ عَلَيْهِ فَقَدْ سَبَّ لَأْسِي، وَرَادَّهَا فِي حَرْبِهِ وَالْإِمَامَ، وَأَثَرُهُ عَلَى عَيْنِهِ
قَدْ تَعَالَى ﴿وَقَوْلُ عَهْمُ وَقَالَ يَتَأَسَّى عَلَى يَوْمُكَ وَأَنْصَحْتَ عَيْسَاءَ مِنْ الْخُرُونِ قَهْرُ
كُطَيْمَةٍ﴾

قام يعقوب من عند أبيه وأسرته، وتذكر يوسف وما جرى له، وأيقظت
مشكلته فيه الجديدة كوا من حزنه على يوسف، وأطلقها مرة أخرى، وبمشة
مكتوبة من صدره ﴿يَا سَعْدُ عَلَى يُوسُفَ﴾

بولى يعقوب عن أسائه، ودهت مفرد دلامه وهمومه وأحزابه، بكطعها
 في أعماق نفسه وكأنه، وقد أثر هذا الكظم والتفرد على عيشه، فعطى بيضهم
 على سوادهم، وأصبح ضعف النظر ﴿وَأَنصَتَ عَيْنَاهُ مِنَ الْخُرُوفِ هُوَ كَطُعَةٍ﴾
 ثم يشاركه أحد من حوزة همومه وأحزابه، وإدبته همة لأحدهم وحد
 عنده بلوم والتفريع ولهذا كان مفرداً بهذه الهموم، لا يكلم أساءه بما يعاسبه، ولا
 يحد منهم مومياً ولا مؤسراً، ولا مؤسراً ولا متفهماً، وبذلك لم يجد لأحزابه
 متفهماً، فترتد هذه لأحزان إلى مشاعره وأعصابه وعيشته، ونويده ألماً وحزناً،
 وعندما كان يكطعها وبحزنها في أعصابه كانت تؤثر على حوشه وحسبه، فيردد
 مرضاً وسقماً.

ولقد آذى كظمه آلامه وعدم تيسر أحزابه، إلى أضرار على عيشه، فصعب
 بصره، وابتغى عساه ومعلوه أن كظم واحترس لآلام البصية، وعدم شهده
 أح مزاج مشترك، يؤدي إلى أمراض عصبية بدنية

وليس معنى ﴿وَأَنصَتَ عَيْنَاهُ مِنَ الْخُرُوفِ﴾ أن يعقوب صار أعمى لا يرى،
 لأن العشى قد يعيق البصر عن أدراكه، وهو أفة «مفردة» ومعلوم أن لأساءه
 معصومون من الأمراض المفردة، التي تنثر الناس وسددهم عنهم، وتعرفهم عن
 أداء مهنتهم، وهم يكنون أعمى

بما معنى هذه الجملة أن أحزان يعقوب أثرت على عيشه، فأصعبت
 بصره، وقد يكون أسبب ضعف البصر، أما أن يكون أعمى فلا .

١٥ - قميص يوسف على وجه يعقوب:

تعرف الإحوة على (عزير مصر)، وأنه هو أخوهم يوسف، وقال لهم
 ﴿أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَن بَنَى وَيَصْرِفُ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ [يوسف: ٩٠].

واعترفوا بفضلهم عليهم، كما اعترفوا بخطيئهم، عندما فعلوا به ما فعلوا.
 ﴿قَالُوا يَا لَئِنْ لَمْ نَنسَأْكَ أَفْرَكًا لَأَكِيدَنَّ أَبْنَاءَكَ وَزَوَجَتَكَ وَتَكُونَنَ كَالْخَيْطِ الْمَقْحُورِ﴾ [يوسف: ٩١]

وتعامل معهم بحلمه وسماحه وعفوه، صفاء عنهم وتجاوز عنهم: ﴿قَالَ
 لَا تَقْرَبُوا هَؤُلَاءِ هُمْ يَحْزَنُونَ اللَّهُ لَكُمْ لَعْنٌ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [يوسف: ٩٢]

وأوشكت قصة يوسف عليه السلام أن تنتهي بأحداثها المشيرة ومشاهد
العجيبة، وبقي أن تأتي الأسرة من يدو فلسطين نعمة معه في مصر، ويجمع
شملها وتروى أحوالها قال يوسف لإخوانه ﴿ أَذْهَبُوا بِقِصِي هَذَا فَأَلْقُوهُ عَلَى
وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُوا بِي أَهْلِيكُمْ أَخَوِيكُمْ ﴾ [يوسف 43]

أمر يوسف عليه سلام إخوته بأخذ قميصه إلى الأسرة، وبقائه على وجه
أبيه، عند ذلك سددت عنه ما يحذره من أبيه وصعبت مصر، وسعدت له بصره أموي
مما كان..

ما دخل قميص يوسف في عوده مصر يعقوب عليهما السلام؟ وماذا في
القميص من علاج ينصر؟ وكيف عرف يوسف عليه السلام ذلك؟

يسر أن الله أحرث يوسف عليه السلام ذلك، وأمره بالقاء للقميص على
وجه يعقوب يعود به بصره كما كان وهذا من أمر الله سبحانه، هو يدي حسن
قميص يوسف ساق في عودة مصر يعقوب، وهو المسنن وحقد وحريد
لذلك لا يمكن أن يعثر الأمر تعليلاً مدياً، لأنه آية من آيات الله

وسار موكب الإحوة عائداً إلى أبيهم في «الدو»، ومعهم قميص يوسف،
وقبل وصولهم إلى مكان إقامة أهلهم، شم يعقوب ريح قميص يوسف

قال تعالى: ﴿ وَلَمَّا فَصَلَ الْيَمِيمُ قَالَ أَتَوَّعْتُمْ بَنِي لَأَحْمَدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَن
تُقَدُّونَ يَا قَالُوا تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالَةٍ عَمِيمٍ ﴾ [يوسف 94-95]

ومعنى ﴿ فَصَلَ الْيَمِيمُ ﴾ انفصل الحمان التي كانوا يركوبها عن الطريق
لتجاريهم، ودخلت في صريق آخر يوصل إلى مكان إقامة لأهل واحد
لمكان يدي فصلت فيه العير منهم في القرآن، فلا تقدر على تحديده وتعيينه

ولما دخلت العير في الطريق الفرعي شم يعقوب عليه السلام في البيت ريح
يوسف، ولا يعرف كم المسافة بين الإحوة المسافرين وبين سب يعقوب، ولا
يدري على بُعد كم شم يعقوب ريح يوسف عليهما سلام

المهم أن يعقوب عليه السلام وجد ريح يوسف، وشم ريحة قميصه من
ذلك المكاب لبعده، أما كيف شم برائحة من ذلك المكاب البعد وكيف كانت تلك
لرائحة؟ فلا يعرف ذلك، لعدم وجود أدلة تعين على تفسيره، فلا يحسن فيه

ويعقوب عليه السلام بين أهله، ومع ذلك نجد ربح يوسف وحده، ويوسف
أن يوسف موجود في مكان ما، وأنه يدين بحسبه لا يجدون هذه البريح فكيف
كان ذلك؟ لا يعرف ولا يحوص فيه أيضاً

كان يعقوب على يقين تام بأن يوسف حي، وأنه موجود في مكان ما، لأن
الله أراه رؤيا الأحده عشر كوكباً والشمس والقمر وهو صغير، ولا بد أن يتم تعبير
رؤياه وتحققها في عالم واقع. لأن الله لا يخلف لميعداً

ولم يكن يعقوب يعلم مكان وجوده، ولا تفاصيل ما جرى له، ولا ما هو
عمله، لأن هذا غيب بالنسبة له. لا يعلمه إلا الله، وهو لا يعلم إلا ما أعلمه الله
إياه.

وكان يعقوب عليه السلام يعيش على أمل بقاء ابنه، وكان هذا الأمل يملأ
عليه حياته ومشاعره، ويرى أن الأيام تقرب هذا الأمل إلى التحقيق في عالم
لواقع! ولقد أرسل أباه إلى مصر ليبحثوا عن يوسف وأخيه، وهو يوقن
أنهم سيحدو بهما، ويتلفف على قدوم أبته ومعهم حجر السرا ينفق يوسف!

في هذا الحزب المصني الكبير وجد يعقوب ربح يوسف، ولا يعرف كيف
وجدها، فهذا إلهام أقوله.

وقد أعلنها مصر حول أهل الدين معه في المنزل: ﴿إِنِّي لَأَجِدُ رِبِيحَ يُوسُفَ﴾
ثم تذكر استمرار يوم وتأييد أبيه به، فيستدرك قنلاً: ﴿لَوْلَا أَن تَقِيْدُونِي﴾
ولتعيد هوس الإنسان إلى ضعف لرأي، ولومه وتأنيه!

في أما أحد ربح يوسف، لكنني أحسن تفيدكم بي، وسبي إلى الهرم
والحرف، بأن تقولوا لقد أصبحت شيخاً هرمًا حرفاً، تهدي هديك، ولا تعرف
ما تقول! فإين أنت من يوسف؟ لقد مات منذ مدة طويلة، وأنت ما ريت تعيش
على ذكره!!

ولقد فنده أهله فوراً، فما أن سمعوا كلامه حتى قالوا له: ﴿تَأْتِيْكَ لَيْسَ
سَلَالَتُكَ الْقَدِيمُ﴾

وبعد قليل من تفسدهم له وقعت سدا حاة! وثبت بهم أن يعقوب عليه
السلام ليس في صلاله القديمة، وإنما كان على يقين وأمن أن يوسف عليه السلام
حي، وهو عزيز مصر، فها هم إخوانه المبعرون يعودون ومعهم المييص!

ووصوا العزل، وأتى «الشبر» حامل لقمص مائشري بعظمه السارو يعقوب، وتدون لقمص، والقده على وجه يعقوب، فعاد له بصره قوياً كما كان ﴿فَمَّا أَتَتْهُ الشَّيْبَةُ أَفْنَةً عَلَى وَجْهِهِ. فَأُوتِيَ بَصِيرًا﴾

إن عودة نصر يعقوب عليه السلام معجزة من الله، فبدي أعده بصره هو الله، ولكن الله يحكم شاء أن يكون قمص يوسف هو نسب المادي «مباشر» في ذلك!

وفرح الأهل جميعاً بفرحتين

لأولى فرحتهم بوحود يوسف عليه السلام، ومراثة عظيمه لي وصيه فضل الله إبه (عزير مصر). أي الحاكم المعبى لمصر

ثانية فرحتهم بعودة النصر لأبيهم يعقوب عليه السلام، وروب المرض عنه، وانتهى آلامه وأحزانه «عُثِرَ عَلَى يَوْسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ»

وحا عاد نصر يعقوب عليه السلام، ما راد على أن قد لأهله ﴿أَلَمْ أَقُلْ لَّكُمْ إِنِّي أَغْلِبُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾

أي لقد قلت لكم من قبل عدي عنم من الله ليس عندكم، فإن أعظم أن يوسف موجود، وكس لا تصدقوني، بل كس تصدوني، فعاد تقربون الآن

عند ذلك أقبل الأساء على أبيهم معتذرين عن كل ما صدر عنهم ﴿قَالُوا يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ﴾

فوعدهم أبوهم بالاستغفار لهم والعفو عنهم قال ﴿سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَفُورُ الرَّحِيمُ﴾

وعزق بين لوعده السطي الذي صدر عن أبيهم، سب عمق الحرح ندي سببوه له، وضخامة الأحران التي أصابوه بها، وبين «عفو» سريع الذي أصدره أحوهم يوسف بحقهم، في قوله ﴿لَا تَقْرَبْ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَمْوُتُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ وهذه مربة يوسف تسجل له عليه سلام

١٦- توجبه سجود الأبوين والإخوة ليوسف:

أخذ يعقوب أبناءه وأهله جميعاً، وتوخته بهم من مطلق «الديو» حبوب

فلسطين، وسار بهم إلى ابنه يوسف في مصر

قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ ءَاوَىٰ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ فِي
شَأْنِ اللَّهِ ءَايِينَ ۖ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ مَثَلِي هَذَا يَأْوِيلُ رُؤْيَايَ
مِنْ قَبْلُ ۖ قَدْ حَقَّقْتُ رَبِّي حَقًّا ۖ وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ مِصْرَ بِكُم مِّنَ الدُّوَىٰ مِن تَعْدِ
أَن تَرَخَ الشَّيْطَانُ مَنِّي وَتَنَىٰ ۖ إِبْرَاهِيمَ ۖ ﴾ [يوسف ٩٩-١٠٠]

ولما وصل الموكب إلى عاصمة مصر، استقبلهم عزيز مصر وحكمهم
المعلمي يوسف عليه السلام. وانتخب كيف يكون سقاء الحدادين الأب يعقوب
ولاس يوسف عليهما سلام بعد فراق دام سنين عديدة!

وأوى يوسف إليه أبويه، وأكرمهما أحسن إكرام، وأحنهما في أعنى
محنة. وهنا لإخوانه أفضل مكان يقيمون فيه، ودان بهم ﴿ ادْخُلُوا مِصْرَ ۖ شَأْنُ
اللَّهِ ءَايِينَ ۖ ﴾

وَنَ الْاَوْنَ تَأْوِيلُ رُؤْيَا يَوْسُفَ الَّذِي رَأَىٰ وَهُوَ صَعِيرٌ ﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى
الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا ۖ ﴾.

أكرم يوسف أبه وأمه، ورفعهم، وأحسنهم على عرش الملك، ووقف
إخوانه لأخيه عشر أمه وحز الجميع ساجدين ليوسف!

ونظروا أن سجدتهم بين يدي يوسف عليه السلام كان سجود حقيقي،
وليس مجرد احتاء بين يديه! لأن معنى السجود المذكور هو سجود لذي يعرفه
الناس على الأرض

والدليل على هذا صياغة الجملة ﴿ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا ۖ ﴾! فإن معنى فعل (خر)
وقع على الأرض، وليس انحنى مجرد احتاء وهو واقف!

ولم يكن سجد الأمويين والإخوان ليوسف عليه السلام سجود عبادة، لأن
العبادة لا تكون إلا لله، كان سجدتهم تكريمًا ليوسف عليه سلام

وسجدتهم التكريمي ليوسف كان سجدًا منهم لأمر الله، لأن الله هو الذي
أمرهم بالسجود، فهم في الحقيقة كانوا ساجدين لله، وكذا يوسف كان سجدًا لهم
في السجود!

وسجدتهم ليوسف دليل على أن يوسف عليه سلام أفضل منهم عند الله.

وقال تعالى ﴿أَمْ يَقُولُونَ إِنَّا بِإِزْهَاقِهِمْ فَلَا نُغْنِي عَنْهُمْ قَوْلَ اللَّهِ﴾ [سورة ١٤٠]

وقال تعالى ﴿قُلْ أَمَّا أَمَّا بِاللَّهِ وَمَا أُرْسِلَ عَلَيْهِ وَمَا أُرْسِلَ عَلَيْهِمْ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَالْيَسُوعَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا يُفْقِدُونَ أَحَدًا مِنْهُمْ وَتَحْنُ لَهُمْ مُسِيئُونَ﴾ [ار عمران ٨٤]

وقال تعالى ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالْيَسَّى مِنْ قَبْلِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُوشَعَ وَهَارُونَ وَشَيْعُونَ وَآدَمَ إِذْ دَخَلُوا فِي السَّاءِ﴾ [الساء ١٦٣]

كلمة (الأسباط) مذكورة في هذه آيات لأربعة، ضمن مجموعة من الأنبياء، منهم: إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب.

وهذه جعل مفسرين وبحثين يعبرون الأسباط هم أبناء يعقوب الأنبياء عشرًا ويحسدون معنى (الأسباط) لأبناء، والأسباط هم أبناء يعقوب من صلبه وقبل حديث عن سورة أبناء يعقوب، يتحدث عن (الأسباط) في سورة

الأسباط جمع مرثدة (سبط)

قال الراعي لأصمهازي «أصل سبط سبط في سهوة، وسبط ولد يولد، كأنه متعدد المروج والأسباط قدئ كُن قبيلة من بني رحل»^١

وقد سمى يحيى عن السبط: «والأسباط جمع سبط وهم في بني إسرائيل كقبائل في العرب»^٢ وأحسن ما قاله لأرمزي «الأسباط في بني إسحاق، والقبائل في ولد إسماعيل»^٣.

واشتقاق السبط من الامتداد والتمريع، لأن سبط ولد الولد، فكان السب امتداد وسبط وتمريع وفي اشتقاق لأسباط من السبط، وهو الشجرة التي أصلها واحد، وأغصانها كثيرة وستدلو بقوله تعالى ﴿أَمَّا أَمَّا أَمَّا﴾^٤ فخرج الأسباط بالأمم، فكل سبط أمة.

قال بمررد «سألت من الأعربي عن الأسباط، فقال هم حاشة يولد

(١) المفردات للراغب الأصبهاني، ص ٣٩٤

أي . هم أولاد الولد . . . (١).

إذن سَنَطُ في لغة هو شيء المسطَّ العمود المتفرع عن الأصل، وهو يُطلَقُ على ولد الولد، وليس على الولد نفسه.

ومعلومٌ عندنا لحسن ولحسن رضي الله عنهما هما سَطَر رسول الله ﷺ، وهما ابناي لابتة فاطمة رضي الله عنها! .

فالأسباط المذكورون في القرآن، ليسوا أبناء يعقوب، بل أحفاده ودرسه المتفرعون عن أبنائه! .

والأسباط في بني إسرائيل كالثبائل في العرب، فهم بمعنى الأمة فإن تعالى ﴿وَقَطَعْنَهُمْ اثْنَيْ عَشَرَ نَبِيطًا﴾ وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى إِذِ اسْتَسْقَمَهُ قَوْمُهُ أَنِيبْ أَصْرِبْ يَنْصَبْ لَكَ الْفَحْكَرُ فَابْحَثْ مِنْهُ اثْنًا عَشَرَ عِيبًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرِبَهُمْ ﴿[الأعراف: ١٦٠].

(أما) في الآية بدو من (أبها) أي قطع بني إسرائيل اثني عشرة أمة وبهذا فجر الله بهم من بحجر اثني عشرة عيباً، على عدد أسباطهم

وبما أن (الأسباط) بمعنى قبائل بني إسرائيل، فإن الأسباط ليسوا أبناء، وذكر هذه الكلمة ضمن مجموعة من الأنبياء على تقدير حذف مصاف، وتقدير وأنبياء الأسباط . . .

أي أمت بما أُرِث على الأنبياء الذين ذكر الله أسماءهم ييراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب . . . وأمت بالأنبياء الآخرين الذين بعثهم الله إلى أسباط بني إسرائيل، وهم يحجزون بأسمائهم

ومن المعلوم أن الله لم يحجز عن أسماء كل الأنبياء فإن تعالى ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ وَهُمْ مِنْ قَضَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ يَنْقُصْ عَيْتُكَ﴾ [غافر: ٧٨]

وإذ كان الأسباط ليسوا أبناء، وإسماهم قبائل بني إسرائيل، فهم ليسوا أبناء يعقوب عليه السلام

الثابت الصريح في أسماء يعقوب عليه السلام سورة يوسف عليه السلام، ومن أنكر نبوته فقد كفر.

أما في أنبائه الأحذ عشر فيس في لايت لصريحة و لأحاديث السورة المرفوعة الصحيحة ما يصح على سؤتهم، سيما ورد في عهد تقديم أنهم أساء، فييهود يعتقدون أنهم أساء، لأنهم أصول و أحاد بني إسرائيل!

وعلى الذين قالوا سوء و لا يعقوب عليه السلام أحد و هذا من الإسرائيليات و روايت العهد القديم، و نحن مأمورون بعدم لأحد عن يهودا

إنما مع الذين يقولون أنباء يعقوب لأحد عشر يسوا أساء، لأن لا شئ لسورة لأبي بني إلا به صريحة من قرآن، أو حديث صريح صحيح، مرفوع بسني ❦ وهذا غير موجود هنا!

فكما أنه لا يجوز في نوبة بني ثنت سورة بالقرب والحديث الصحيح، كدلت لا يجوز إثبات سوء أحد من بعض القرآن و حديث صحيح على سؤته! ثم إن تصرفات أسماء يعقوب الأحذ عشر تدل على عدم سؤتهم، إنها لا يمكن أن تصدر عن أنبياء، ولو قبل أن يكتووا أنبياء!

من جرائمهم: سوء نظرتهم لأبيهم، وسوء تعاملهم مع أبيهم، وسوء كلامهم مع أبيهم، وسفاحة و القضاة في حديثهم معه، ومن أبوهم؟ إنه النبي يعقوب عليه السلام!

أحبروا عن أبيهم قائلين ﴿إِنَّا أَنَا لَيْ سَلِيلُ يُسُي﴾ وقلوبه ﴿نَأَلُو نَعْتُوا تَذَكَّرُ يُوسُفَ حَقَّ تَكُونُ حَرَمًا أَوْ مَكُونُ مِنَ الْهَيْكَلِ﴾ وقلوبه أيضا ﴿نَأَلُو تَكَلُّمُ صَدِيقِ الْفَكِيدِ﴾

فهل يقول مؤمن صالح هذا الكلام لأبيه المؤمن الصالح؟ وهل يقوله من سيكونون أنبياء لأبيهم النبي؟

ومن جرائمهم الكذب، فقد كذبوا على أبيهم عندما ذهبوا ليدخل يوسف، وكذبوا على عزيز مصر (يوسف) عندما قالوا له ﴿يَا تَسْرِقُ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُ مِن قَبْلُ﴾ فهل يكذب النبي بعد سوء؟ وهل يكذب النبي من السورة؟

ومن جرائمهم **نحتد و نلؤم والكيد والسر** وهي أمراض واحداث
أخلاقية وعقد نفسية، لا تصدر عن من سيكونون نساء وهي تتأق مع سماحه
واليسر، التي لا يد أن يتصف بها الأنياء.

ومن أضع جرائمهم ما فعلوه بأحيهم الصغير يوسف، هل يفكر من
سيكونون نساء نقس أحيهم الصغير؟ وهل يقدمون على إيقانه في سر؟

كن ما نقوله عن هؤلاء لآساء كانوا في أفعالهم بني أحرثا عنها سورة
يوسف عصاة مدبين محضين، وعدم كبروا وتقدموا في العمر شعرو بأيب
لصغير، فدوا وأناو إلى الله، واستعروا من ذوبهم، وطسو من نبهم وأحيهم
النبيين أن يستغفرا الله لهم.

وحلاصه سم يكن جوء يوسف نساء، وبسو هم لأساط مذكورين
في نقر ن، وأقصى ما يقاب عنهم بدؤو حببهم عصاة مدبين، وبهو إلى أن
صاروا مؤمنين صالحين. والله أعلم.



الْفَصْلُ الثَّامِنُ

إشكالات حول قصة موسى عليه السلام

تَحْلِيلُ وَتَوْجِيهُ

الفصل الثامن

اشكال حول قصة موسى عليه السلام

تحليل وتوجيه

١ - معنى وحي الله إلى أم موسى:

ولدت موسى عليه السلام في أجواء اضطهاد فرعون وملئه لبني إسرائيل، حيث كان يذبح أبناءهم ويستحيي نساءهم. قال تعالى ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضِعُّ مِنْهُ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يَذِخُّ أُنْسًا لَهُمْ وَسَعَى لَهُمْ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُنْقَرِبِينَ﴾ [القصص ٤]

وهذا معناه أن موسى سيكون في خطر مباشر عند ولادته، فأثمة عاجرة عن حمايته، وأبوه عاجز عن الدفاع عنه، وإذا علم جوهر فرعون بأن أمه أنجبت ولداً فسيأخذونه من حضنها ويقتلونه!

ويريد الله أن يعيش هذا المولود، لأنه سيجعله رسولاً نبياً بعد ذلك، وسيكون له دور كبير في إنقاذ بني إسرائيل من الاضطهاد

وبذلك أوحى الله إلى أمه بالنصرف المناسب قال تعالى ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أُمُّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيْهِ إِذَا فَخَّرَتْ عَنْهُ فَكَلِّمِيْهِ فِي الْيَمْرِ وَلَا تَحْزَنِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَافِدُوهُ إِلَيْكَ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ [القصص ٧]

والتساؤل الذي يثار هنا: ما معنى وحي الله إلى أم موسى؟

هل أم موسى بيعة؟ وأوحى الله لها عن طريق جبريل كما أوحى إلى باقي الأنبياء والرسل؟

أم موسى لم تكن سيئة! وإنما كانت امرأة مؤمنة صالحة تقية وقد قصر الله الحكيم النبوة على الرجال، ولم يحتر امرأة واحدة سيئة! قال تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوْحِيْهِمْ﴾ [النحل ٤٣]

وبما أن أم موسى لم تكن نبيه، فلم يكن الوحي لها عن طريق جبريل عليه السلام، لأن جبريل عليه السلام أمينٌ وحي الله إلى رسله.

وحي الله إلى أم موسى هو إلهامٌ فطري، ألهمها كيف تتصرف لتقذرها من خطر، وذلك بأن قدف هذا الأمر إلى نفسها ومن عرفها وأحاسسها.

وقد ورد الوحي بمعنى الإلهام الفطري للإنسان، والإلهام التعريفي للحيوان، كما أنه ورد بمعنى الإشارة والرمز، والكنية والأمر، وبمعنى إرساء جبريل عليه السلام إلى أحد الأسياء والمرسئس.

قدف الله في قلب أم موسى، ولهمها بهيماً فطرياً خاصاً وقد أحبر عذراً أوحى به إليها بقوله ﴿وَأُوحِيَ إِلَاكِ أَنْ مَوْلَاكِ أَنْ أَتُصِيبِي إِذَا جِئْتِ بِكِ الْغَبِيَّةَ وَالْيَمِيمَ وَلَا تَخَفِي إِنَّا زَادْنَاهُ إِبْرَاهِيمَ وَحَارِطُوهُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [قصص ٧]

٢- بين فؤاد أم موسى وقلبها:

فقدت أم موسى الصالحة المعنى الذي قدف الله في قلبها، فأرصعته، ثم وصعته في التابوت، ثم وصعت التابوت في اليم، وكلمت أخته الدكية أن ترقب سير التابوت، فارت است الصغيرة على شاطئ اليم، ترقب حركة التابوت، إلى أن أوصده الله إلى قصر فرعون، وأحده أهل القصر.

ووقعت أم موسى في قلب شديد وحواف كبير، وصارت ترجع بنفسها، وكادت أن تخبر الناس بمعيتها، ولكن الله طمأنها فكثت واصمات.

قال تعالى ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَرِحًا بِأَنَّ حُكْدَتَ لِسْتِيمِ بِهِ لَوْلَا أَنَّ رَيْطَكَ غَلَّ قَلْبَهَا لَتَكُونُ مِنَ الْمُنْذَرِينَ﴾ [القصص: ١٠].

عزت قلبت أم موسى الخواطر والهواجر والوساوس، فشكت في نفسها وتصرفها، وكأنها تلوم نفسها على ما فعلت بولدها، وكيف تُنقي به في اليم؟ وهل سيعرف به أم ينحو سيطرت عليها هذه الحواطر والوسوس حتى كادت أن تخرج إلى الناس وتظهر الأمر وتكشف لستره، ويقول بي لقد ألقىته في اليم! فأبحثوا لي عنه!

ولو فعلت ذلك سيعرف فرعون وجوده أن هذا الولد في التابوت

إسرائيليين، وسيفتونه فوراً والله يريد أنه أن يعيش، وبدلت أراي فنو أم موسى
وتوترها، وألهمها أن تكنت، وأن لا تُسدي بالأمر، ورزقها الحكمة وطمأنينة،
فهذات وأطعانت وأيقنت بتحقيق وعيد الله!

كان فؤادها فارغاً! كيف؟

كان فؤادها مشغولاً بموسى، مبيتاً بالتفكير في موسى! لقد ملأ موسى
عليها قلبها ومشاعرها وخواصرتها وأفكارها. وبما أن فؤادها مملوء بموسى، فقد
كان فارغاً من غير موسى! أي أنها من شدة اهتمامها وتفكيرها في موسى بسبب
كل شيء غير موسى، ففقدت عندها لا موسى!

وقد أزال الله قلقها وتوترها، وملأ قلبها يقيناً وطمأنينة وثقة وصرراً وهدوءاً،
ثم ربط عليه لئلا يحرق منه شيء من هذه الإحساسات، ولئلا يتشتت بيه شيء من
الخواطر والهواجس والوسوس السابقة!

والطيف في تعبير القرآني أن الآية تحدثت عن حالة أم موسى عندما ألقت
بها في ليم، واحتمل تعبير عن ذلك فقد في أول الآية ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ
مُوسَى فَرْغاً﴾ وذلك بعد ذلك ﴿لَوْلَا أَن رَّبَّكَ عَلَّمَ قَالِمَهَا﴾

الحديث عن شيء واحد، فليدرك سمي (فؤاداً) أولاً، ثم شفي (قلباً) بعد
ذلك!

الفؤاد من بئاد، والبئاد هو البضع وشفي (فؤاداً) لأن الحديث عن توتر
أم موسى وقلقها واضعائها وسيطرة الوسوس والخواطر عليها، هذه الخواطر
التي مزقتها وششت مشاعرها، وقطعت فؤادها فالحجوة حو تمزق وتقطع، وهذا
يسببه إطلاق اسم (فؤاد) عليه، لأن الفؤاد يرحي بهذا، وبحقق هذه المعاني،
ويتناسب مع هذا الجور.

وبلغت من انتقبت وتعير، والانتقال من حالة إلى حالة، ومن وضع إلى
وضع، وسُمي (قناً) لأن الحديث عن انتقال أم موسى من حالة القلق والتمزق
والتوتر إلى حالة الاطمئنان واليسر والهدوء والتسليم. والله تدارك أم موسى
برحمته، وأزال توترها وقلقها، وملأ قلبها طمأنينة وثقة وهدوءاً وتسليماً ويقيناً،
ثم ربط عليه برحمته، لئلا ينفق هذه المعاني فيه، فلا تضررت منه، ولا تعرفه
الوسوس والخواطر فالحجوة حو هدوء وطمأنينة ويقين، وهذا يسهل إطلاق اسم

(القلب) عليه . وسبحان الله منزل هذا القرآن . فهذا التصوت بين القواد والقلب في الآلة لا تعارض فيه ولا تنقص ، إنما هي التذقة القرآنية في اختيار بلغة مناسب لليق ، وهذا مظهر من مظاهر الإعجاز لساني القرآني

٣- معنى قوله ﴿ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاصِعَ ﴾ .

لما أوصل الله سموت موسى لرصيع . إلى قصر فرعون ، حنه إلى قلب امرأة فرعون ، فوعث فيه ، وصلت من فرعون أن يريه ، وبها عن قلبه ﴿ وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرْتُ عَيْنِي وَلَكَّ لَا تَقْتُوهُ عَنِّي أَنْ تَمُوتَ أَوْ سَاجِدًا وَلَدًا ﴾ [نقص ٩]

وقد وعده أن يعيد هذا الوليد إلى أمه ، ووعده سبحانه وقع محقق ، وقد تم ذلك بآية عجيبة من آياته سبحانه !

كان لرصيع سحابة إلى من ترصعه ، ونطوحت كل مرصع لإرصاعه ، تتفرقت بدلت إلى فرعون و امرأته ، لأنهما قد نسيه ، وكنت كل مرصع تنقعه ثديها ، ولكنه كان يرفضه ، رغم جوعه وحاحته ، وحني عليه فرعون وآله الموت وصاروا حريصين على إبقاء حياته ، بعدما كانوا حريصين على قتله ، وسبحان الله الحكيم !

صاروا مستعدين لقبول بآية امرأة مرصع ، يرصى موسى الرصيع أن يرصع منها ، وكانت أحته الفطة تراقب الأحداث ، فتقدمت في الرقت المناسب ، وعرضت خدماتها على فرعون وملته ، فهي مستعدة أن تدلهم على امرأة ترصعه وتكفله ، فوافقوا وجاءت أمه ، وألقته ثديها ، مرصع وطمأنها وبذلك أعيد الرصيع إلى أمه لترصعه ، بأمر من فرعون نفسه !

وأحبر الله عن هذه الآية الباهرة ، بقدر تداني ﴿ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاصِعَ ﴾ من قبل فقالت هن أدركن على أهل بيت بكفلوته لكم وهم لم ينجحوا ﴿ فَرَدَدْنَاهُ إِلَى أُمِّهِ كَمَا تَأْمُرُكُمُ الْأَعْيُنُ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ ﴾ [الفصل ١٢ - ١٣]

ومعنى ﴿ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاصِعَ ﴾ أمرنا شفبه أن ترصعا أثناء جميع النساء المراسع ، فإني مرصع نعطه ثديها امتنع شفبه عن رصاع منه وعثرت الآية عن الامتناع بالمحرم ، لأنه امتنع بأمر الله ، بأمر سحر النفس

لصغير بين لعمري هو أي ثديي - إلا ثدي أمه

وهو حتى أن فرعون بهذا الموقف المحبب، حشير ويبدأ لم يمضي على ولادته ساعات، يرفض أن يرضع من أي مرصع. وكأنه يبحث عن مرصع معين! وهل يفرق ويبدأ من ساعت بين مرصع ومرصع؟ وهل يفرق شفته بين ثديي وثدي؟

المعهود عند الحسي أن لطفل الرضيع يرضع من أي امرأة مرصع، وتفضل شفته أي ثديي، وإذا جاع امتص حليب الثديي بهم! فلماذا هذا الرضيع لا يفعل ذلك؟

إنها إرادة الله، وقد تقدير الله بحكم، بنت يرضع من حود لله، جعلهما الله وسيلة ربانية لتحقيق إرادته.

وعين فرعون أم موسى مرصعته، وأعطاها أجرها مقابل رصاعه، بينما نوى فرعون أمر كسلته والإشراف عليه وقضاء حاجته. وكان فرعون حاداً له، بعد أن كان حريصاً على فتنه! لكنه تدبر الله الحكيم الحس، سبحانه وتعالى

٤ - ملايسة قتل موسى للقبطي

نشأ موسى في قصر فرعون، وقضى فيه طفولته وفتوته، حتى صار شاباً وكان محابطاً على أخلاقه وشخصيته، فحياة القصر لم تقده

وأحملت حديثه في هذه المرحلة أنه واحدة، وهي قوله تعالى ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَىٰ آيَسَهُ حُكْمُ عِلْمٍ وَعَلَّمَهُ مَا شَاءَ﴾ [النقص ١٤]

ولا شك أن موسى تعارف على أصله الإسرائيلي، ووقف على اصطلاح فرعون وملته بقومه لإسرائيل، وأنه ظلم المراجعة بقومه، وكان يساعد المظلومين، ويواجه الظالمين.

وحدث حادث خطير، قتل فيه موسى رجلاً من أعدائه المراجعة وأحضر الله عنه في آيات سورة القصص.

قد تعالى ﴿وَمِنَ الْمَوَدَّةِ عَلَىٰ جَبِي عَقَلَهُ مِنَ أَهْلِهَا قَوْمَهُ رَحُلَيْ يَسْبَلَانِ هَذَا مِنْ شَعْبِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَعْتَنَهُ آلِيهِ مِنْ شَعْبِهِ عَلَىٰ آلِيهِ مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَرَهُ مُوسَىٰ

فَقَصَى عَلَيْهِ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الْفَاطِنِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ ﴿١٥﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي طَلَّْتُ نَجْيًا وَأَعْمَرْتُ لِي فَعَمَّرَ لَكَ إِنَّكَ هُوَ الْعَمُورُ الرَّحِيمُ ﴿١٦﴾ قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِلْمُجْرِمِينَ ﴿١٧﴾ فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ حَافِيًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا يُدْعَى اسْتَنْصَرَهُ بِالْأَمْسِ يَتَنَصَّرُهُ قَالَ لَمْ تُؤْتِنِي إِلَهُكَ لَعَوْيَ مُبِينٌ ﴿١٨﴾ فَتَنَادَى رَأَى أَنْ يَطْعَنَ بِالْيَدِ هُوَ عَدُوٌّ لَهُمَا قَالَ تَتَوَسَّعُ أَمْرُهُ أَنْ تَمُتَنِي كَمَا فَعَلْتَ فَقَصَا بِالْأَمْسِ إِنْ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَدًّا فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ ﴿١٩﴾ وَجَاءَ زَيْلٌ مِنْ أَمَامِ الْمَدِينَةِ تَسْعَى قَالَ يَتَوَسَّعُ إِلَيْكَ السَّلَا يَا بَجْرُودَ بَدَّ يَفْتُلُوكَ فَأَخْرَجَ إِيَّكَ مِنَ الصُّبْحِ ﴿٢٠﴾ فَخَرَّحَ بِهَا حَافِيًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ بَحِيٍّ مِنْ تَعَوُّرِ الظَّالِمِينَ ﴿٢١﴾

[القصص: ١٥-٢١].

نَظَرُ فِي تَمَسُّلِ الْحَدِيثِ حَسْبَ حَدِيثِ لَايَاتِ ﴿وَدَخَلَ الْقَدِيدَةَ عَلَى جِبْرِ
عَقَلَوْنَ أَهْلِهَا﴾ الْمَدَسَةُ هِيَ مَقَرُّ مُرْعُوبٍ وَعَصَاةُ مَصْرٍ ، وَدَخَلَهَا مُوسَى عَلَيْهِ
سَلَامٌ فِي وَقْتِ كُنْ أَهْنَاهَا فِي يَوْمِهِمْ ، وَلَا يَكْذُيْكَوْنُ أَحَدُهُمْ فِي الشُّرُوعِ ،
وَهَذَا قَدْ يَكُونُ فِي وَقْتِ ظَهِيرَةِ ، حَيْثُ يَأْتِي سَاسٌ إِلَى بَيْتِهِمْ هَدِيرِيسَ مِنْ حَرِّ
الشَّمْسِ ! وَقَدْ يَكُونُ فِي اللَّيْلِ . .

﴿ قَوْمَهُمْ مِّمَّا رَزَيْنَا يَفْتَرِيْنَ هَذِهِ مِنْ شَيْءِهِمْ وَهَذَا مِنْ عِلْمِنَا ﴾ . بعدما سار موسى مسافة ، رأى رحش يقتلان وينعاركان ويظهر موسى إلى الرحشين تعارف عليهما أحدهما إسرائيلي من نبيته ، و الآخر قطي فرعوني من عدوه

إنَّ موسى إسرائيليٌّ مؤمنٌ، يعلمُ أنَّ الإسرائيليينَ مظلومونَ، كانَ يعرفُ
يدُلُّونهم ويظلمونهم ويعتدون عليهم، ولم يكن يرضى عن ذلك، وكثيراً ما كان
يتدخَّل سجدَةً الإسرائيليين المظلومين، وسوف يأمُر عنة بصاممين وفد
عرف عنه الإسرائيليون ذلك، وكثيراً ما كانوا يستجدُّون به. ووقوع المناوشات
والمعاركات بين عنة والإسرائيليين ظاهرةً يوميةً في شوارع المدينة.

ولقد غلب موسى من الحقانين عرقه الإسرائيلي^١

﴿ فَاسْتَجَبْنَا لِآيَاتِهِ مِنْ شَيْعَيْنِهِ عَلَى الْآيَةِ مِنْ عَذْرٍ ﴾ ﴿ تَذَكَّرُ الْإِسْرَافِيَّ بِحُوتِ مُوسَى وَبَصْرَةِ الْمُصْطَفِيِّينَ وَبَدُوَ أَنَّ هَذَا الْإِسْرَافِيَّ كَانَ مُصْطَفًى، فَاسْتَعَاثَ مُوسَى وَاسْتَبَصَّرَهُ وَاسْتَحْدَثَهُ، لِيَسَاعِدَهُ عَلَى الْفِرْعَوْنِيِّ. .

ذكر موسى ما يلاقيه تبعته لاسر ثمنون من قديم و دلالة على ابدى
مراعاة، وهذا مثاب صريح على ذلك، وهذا هو احداهم يستحقه، ويطلب جوده

وبصرته وهو مظلوم، فمدا يفتن موسى؟ هل بصرته أدبته عن الاستعانة؟ بل طبيعته ونحوته تأبى عليه ذلك!

﴿فَوَكَرَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ﴾ توجه موسى نحو الرحيمين، ودون أن يكلمهما أو يحقق معهما، وحقه بذه نحو المرعوبي، وكره بها، ففصى عليه ومات! والوكر هو الصرث بجمع اليد، بأن بصرته الصرث أضغفه نحو بداخل، ويوجه قصته إلى حصمه، وبصرته صبرته أشبه ما يكون بصورته بملاكمة في هذا العصر!

كانت وكره موسى فتنه للمرعوبي مع أن الأعداء بيد الله، والله هو الذي أمات المرعوبي، ولكنه جعل وكره موسى سبباً مادياً لموته!

ثم يقصد موسى قتل المرعوبي، ولم يتعمده، ولم يحفظ له، وهو لم يضمنه، ولم يعتد عليه، كل ما أُرده موسى هو أن يردع المرعوبي عن الأسر لئلي، ويوقف عدوه عليه، وكان وكره به وسيلة إلى ذلك، وكره لا تقتل رجلاً في عيب، ولكنها يرده الله سيئهت عمره بدت بكرة ويهد، يعرف أن موسى لم يحصى في قتله للمرعوبي سمعته!

٥ - لماذا اعتذر موسى القتل من عمل الشيطان؟

﴿قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ﴾ لما شاهد موسى جنة المرعوبي أمامه بدم عن ذلك، وقال: هذا القتل من عمل شيطان، وهو عدو مضل مبين، يوقع لإسار في الخطأ والذنب!

ثم يكن موسى محطناً في قتل المرعوبي، وهذه مسوغات تكرر قتله له، مع أنه لم يرفقه ولم يتعمده! من تلك المسوغات:

- المرعوبي كفر صام، وردّ عدو بالفضالة الممعددي مطلوب!

- الأسر لئلي مؤمن مظلوم، وبصره المظلوم مظلومة، فكيف إذا كان مظلوماً مؤمناً قريباً للمستغاث؟

- الأسر لئلي ستجد موسى وأصراجه وأسعائه، وتسهل داء الاستعانة مطلوب.

- دخل موسى لمصر الاشراك، ونهبي لاقسام، ويردع المعدي، وهذا تصرف طيب مطلوب.

ثم يقصد في الفرعوني، ولكن الله جعل وكرة موسى سباً في يدها حديه
وإذ لم يكن موسى محطاً في قتل الفرعوني، فلماذا اعتبر بقتل من عمى
الشیطان؟ وهل للشيطان سلطان عليه؟

صحيح أن موسى لم يكن سباً عند قتل الفرعوني، ولكن الله يحفظ النبي
حتى قبل أسوة، ويعصمه من الندم والمعاصي، ولا سلطان للشيطان على
النبي، لا بعد النبوة ولا قبلها!

اعتبر موسى القتل من عمل شيطان مفضل شين، بصورة عامة.
والشيطان هو الذي يدعو بسبب أن يعتدي بعضهم على بعض، وأن يقتل
بعضهم بعضاً، وأن يقتل بعضهم بعضاً، وبولا برعات الشيطان ووسوسه لما قتل
شخص آخر.

وليس معنى هذا أن شيطان هو الذي دعا موسى إلى قتل الفرعوني، وأنه
قتله وهو تحت تأثير وساوس شيطان، فإنه لا شيطان له عبه كما قرأنا، إنما أراد
أن يقرر قاعدة عامة في كل قتل!

ومع ذلك يدع موسى على قتله لفرعوني، رغم ملاسات قتله، ومسوعات
التي تبرز ذلك! فلماذا ندم؟

ندم على تسرعه، فمهما كانت مسوعات القتل، إلا أنه خلاف لأولي، لأنه
قتل لفرعوني، وموسى القاتل إسرائيلي، وهذا سيحز عبه لكثير من امتع،
موقوفه وحيمه، وتتحه حصيرة! فمن المتوقع أن يشط رحاب فرعون في السحت
و تنحزي لمعرفة القتل، وقد يعرفونه رعه أنه لم يث هذا عمدة القتل، وهم
يعلم بها إلا موسى وصاحبه الإسرائيلي!

٦ - توجيه استغفار موسى بعد القتل:

بعد ندم موسى على قتله الفرعوني بوخه إلى الله صاباً بمعفوه قال تعالى
﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُغْفَرٌ لِّمِثْلِ بِمَا فَعَلَ الْفَارُوقُ ﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي

أَتَمَمْتُ عَلَى قَتْلِ الْكَوْكَبِ طَهيراً لِلْمُجْرِمِينَ» [القصص: ١٦-١٧]

وقد يقع بعضهم في إشكالي في فهم هاتين الآيتين فكيف يعترف موسى بالظلم؟ وهل كان ظالماً في قتله للعرعوني؟ ولماذا استعمر الله؟ وهل ركب معصية ودساً؟ وهل كان طهيراً ومساعداً للمجرمين بعدم قتل العرعوني؟

عندما نظر في الآيتين لا يحور أن يسي أن الكلاء فهم عن رحمة سيكون سيئاً فيما بعد، ففهمهم من خلاف ما يسحقه مقام النبي من تكريم وتوفير، وما يعرف الله به عليه من عصمة وحفظ ورعاية، حتى قبل السوء

دون بين عتاف موسى على نفسه بالظلم كاعتراح أحد به، وبين استعمره كاستعمر أحد، إنه عتاف واستعمار من سيكون سيئاً

إن اعترافه بالظلم نابع عن دمه على ما فعل، هذا الدم الذي يدب على أنه فعل خلاف الأولى، فمع عدم خطئه أو معصيته في قتله للعرعوني إلا أنه دم لأن الأولى كان عدم قتله، وبما أنه نتج عن فعله قتل شخص آخر، فقد عتار دس ظلماً، واعترف بأنه دس نفسه

وصلمه ليس ظلماً حقيقياً، لأن الصم الحقيقى خطأ ومعصية ومحالمة ودس، وهذه أمور عصم الله موسى عليه السلام منها، إنما هو فعن ما شبه بظلم، وثق معه في صدره، مع أنه حاله في الحقيقة اعترافه بظلمه لأنه لا يليق بمقام موسى عليه السلام، ومعلوم أن النبي (حساس) يعرف أنه فعل خلاف الأولى مباشرة، وأن ما فعله لا يتناسب مع مقام نبوة، وفبه حتى متصل بالله، حتى قبل نبوة، فبدأ ما صدر عنه خلاف الأولى عرف نقصيره ومواجهته فسارع إلى توثيق الصلة بالله!

وهكذا استعمر موسى عليه السلام ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي مَعْصِرَ﴾

فهو لم يستعمر الله لدس ارتكبه، لأن قبل العرعوني ليس دساً أو معصية أو خطأ، إنما سبق أن وضح إنما استعمره لشعوره بتعجله وتسرع به في عملية قتل، وهو يدس فعل خلاف الأولى، وقد شعر بأنه لا سبق له أن يفعل خلاف الأولى، مع أنه حالاً صراح، لكن الأولى كان عدم فعله، ولذا استعمر الله، وقد من الله عليه بقبول استعماره ومغفر له!

إن استعذر الأساء ليس كما استعذر غيرهم إنَّ أحدَهُ يستعذر الله من ذنب يرتكبه، لأنَّه غيرُ معصوم، أمَّا نبيُّه فإنَّه يستعذر الله بما لأنَّه فعل خلاف لأوَّسى مع حواره، فشعرَ باستعصامه في حقِّ الله، فيتلافى ذلك بالاستعذار وإما لأنَّ استعذاره لا يردُّه قد يتعشاه من بعث، أو ما يعبريه عن البثور وإما لأنَّ استعذاره صورة من صور ذكِّره لله، واتصاله به سبحانه .

هكذا يكون فهمًا وتوجيهًا لاستعمار موسى عليه السلام

ومعنى قول موسى بعد ذلك ﴿ رَبِّ إِنَّمَا أَتَيْتُ عَلَى قَتْلِ أَكْرَمِ صَهِيرٍ لِلْمُجْرِمِينَ ﴾ من شكركي بك يا رب على ما أنعمت به عليّ من قبول استعذاري، أني من أكبر صهير ولا مبدأ ولا معاون للمجرمين بمعصيتهم

وليس معنى هذا الاعتراف بأنَّه كان مُدْهَرًا مُعْدُوًّا للمجرمين عندما قتل الفرعوني . ثم يقرُّ قاعدة عامة في شكر المؤمن لله على ما ينعم ويمنُّ به عليه، ويكون من ذلك الشكر عدمُ مسامحة أو معاونته المجرمين، وليس معنى هذا أن موسى كان مُسَاعِدًا للمجرمين لثأق قتل الفرعوني، لما سرَّ أن رُضِّحَهُ!

٧- الإسراء فيليب يكشف سر قتل الفرعوني.

لم تُعرف هوية قاتل الفرعوني، رغم حبِّ رحل فرعون، لأنَّه سمَّ شهيداً أحدًا من ساس الأحداث، ومعنى موسى يفكر في حادث يقتل طينة اسيل، لأنَّ حطير ولهُ شأنٌ حصير، وفي الصباح كان حووف بسبط عبيد قد تعدي ﴿ فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ ﴾ [القصة: ١٨].

أي صار في الصباح في وسط المدينة، وكان في حالة خوفٍ بسبب حادثه الأليم، وكان حذرًا (يتربص) ويتلفت يمنة ويسرة، يخشى أن يعرف أحد أنه هو القاتل!

وكان خوف موسى طبيعيًا، ولا يلام عليه، لأنَّه ليس مدَّعًا عن حبي أو صعبٍ أو حور، بعد قتل أحد المرءعة، وهذا فعلٌ حطير، وقد عُرف سيؤذي من قتله، وأشجع الناس قد يخاف عندما يقتل آخر!

وبما كان في المدينة خائفًا سرف، نظر، فإذا صاحبه الإسراء فيليب مشككًا

مع فرعونى آخر، ولم راه استصرحه^١ قال تعالى ﴿فَإِذَا الْوَلَّى أَسْتَصْرَهِ وَالْآخِثِينَ
يَسْتَصْرِحُهُ قَالَ لَمْ تُؤَمِّ بِكَ لَعَوْنُ مُيُوسَّرٍ﴾ [القصص ١٨]

طلب لإسرائيلى بحدته وعونه، لأنه يعلم أنه سيهيى لعراف بصرته
بقصيه، وقد حزن هدمه بالأمس، عذما قبل فرعونى^١

وسم يرتخ موسى لاستسجاد الإسر تلبى به هذه المرة، ولم يتفاعل معه كما
تفاعل في المرة الأولى. وبعد قال له ﴿يُنْكَ لَعَوْنُ مُيُوسَّرٍ﴾

أي أنت صا حث مشكلات. وما تحرج من مشكك إلا لتدحج في مشكك
أخرى، وأب عوفى حريص على عوايه^١ فالأمس حلصتك من مشكك، وهذا أنت
اليوم مع مشكك جديدة، فلماذا هذه العوايه منك؟

ومع أنه أنكر على الإسرائيى مشكته الجديدة، إلا أنه لم يحد أممه إلا
بجاده وبفاده، لأنه إسر نبيى مظلوم، عانى ما عانى من ظلم فرعونى^١

وتوخته موسى فرعونى ندى هو عدوهم ليطش به ويقصي عليه، لكن
الإسرائيى حاف، وظنه قدما قننه، فكشف أسر قال تعالى ﴿فَمَا أَنْ أَرَادَ أَنْ
يَطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَهُمَا قَالَ يَمْؤُوسَرُ تُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسَ الْآخِثِينَ إِنْ تُرِيدُ إِلَّا
أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ﴾ [القصص ١٩]

قد سمع الإسر نبيى كلام موسى له ﴿يُنْكَ لَعَوْنُ مُيُوسَّرٍ﴾، وبهم منه دم
موسى به، ثم رأى الإسر نبيى موسى قدما إليه، فم يطر أنه قدما لسطش
بعدوهم فرعونى، وإما طر أنه قدما بقتله هو

حاف لإسرائيى، وحاصب موسى فدلأ ﴿يَمْؤُوسَرُ تُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ
نَفْسَ الْآخِثِينَ إِنْ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ﴾

أي يا موسى لا بهجم عليا هل تريد أن تقتلى، كما لعب بالأمس،
عذما قتل الفرعونى؟

وه أنت تكثر من لقتل، فهل تريد أن تكون جارا مفسدا في لارض، تكثر
من قتل الناس وسبب الدماء؟ لماذا لا تكون من المصلحين؟

لقد أداع هدم الإسرائيى الحائف المرأ، وكشف بعر حادثة لأمس إدم
موسى هو الذي قتل الفرعونى!!

جعل لإسرائيل مخوفه وعناقه المشكلة بينه وبين موسى، الذي جاءه ساء
على استجاده به، وسبي حصنه الفرعوني.

وسمع الفرعوني الحزن الكثير. موسى هو قاتل الرجل بالأسس! وعقل
موسى وإسرائيل، وعادز الحكن مسرعاً، وذهب إلى حدود فرعون، وأحضرهم
بعاصمه من الإسرائيلي!

قال لهم كتب قبل قتل مشكاً مع رجل إسرائيل، فعزب موسى،
فستجد به حصمي الإسرائيلي بعبه علي، وحاد لسجده، ولكن حري بين
موسى وبين الإسرائيلي كلام، وسمعت الإسرائيلي يقول له ﴿يَسْأَلُ أَرِيدُ أَنْ
تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ قَبْلَ بِالْآتِيَةِ إِنْ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ
الْقَاصِينَ﴾

فعافئهم، وجوب من الحضر، وحتكم مسرعاً لأحبركم لحر!
فوحنو بما يسمعون، وأحبروا فرعون بذي فوحى بدوره، ودعا سلا بي
اجتماع عجل، يتدارسوا القصة. واتحدو قراراً بقتل موسى!

ويدو أن أحد الرجال الحاضرين للاجتماع كان مؤيداً لموسى متعاطفاً معه،
ولعبه كان إسرائيلياً مثل موسى، أو كان من بفرعة لكنه كان مؤمناً صريحاً
مخرج من الاجتماع فوراً، وأتى إلى موسى يسعى يبحره، وسق حدود فرعون إليه،
وقال يا موسى إن الملا بأنمرون بك ليقتلوك، فخرج بي لك من اصاحين!

وسم يحد موسى فرصة من الوقت للتفكير في الخروج والاستعداد والتروؤ
به، أو تحدد الوجهة التي سيثجه إليها، ولم يغذ إلى بيت، وسم يأخذ حاجته أو
متاعه، ولم يكن أحداً لأنه إن فعل ذلك سوف يأتيه بحد، ويلقون
القص عليه وهو يريد أن يكسب الوقت، ليخرج من يحظر

لذلك سارع بالخروج من المدينة من أوصوب لحدوده إليه

٨- أين تقع أرض (مدين)؟

خرج موسى عنه السلام من مصر حائفاً من تعالى ﴿فخرج منها خائفاً يترقب﴾
قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي قُوَّةً يَا قَلِيمِينَ [القصص: ٢١].

هناك صلة وثيقة بين ثلاث أدب تتحدث عن موسى في (المدينة) عاصمة

مصر

الأولى: قوله تعالى: ﴿وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينٍ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا﴾ [الفصص: ١٥]

ثانية قوله تعالى ﴿فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفاً يَتَرَقَّبُ﴾ [نقصص ١٨]

ثالثة قوله تعالى ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفاً يَتَرَقَّبُ﴾ [الفصص: ٢١].

بعد قتل غسطنطي أصبح في لمدينة خائفاً يترقب، لأنه يخشى أن ينكشف أمره، وهذا الخوف مطلق لا يلائم عليه ولما علم أن فرعون أصدر أمره بقتله، خرج من المدينة خائفاً يترقب، وسن وصول الحوود إليه، وهذا الخوف أيضاً مطلق، لا تلاءم عليه وهو ليس خُصاً ولا ضعفاً، ألا تريد من رجل أن يخاف بعد أن أصدر الحاكم أمره باعتقاله وقتله؟

لما خرج من المدينة توخه من الله، وطلبت منه أن يتحج من فرعون وجوذه بطائمين ﴿قَالَ رَبِّ اجْنُبْنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [نقصص ٢١]

ولم يجد أمانه إلا الوحشة في صريق عذيب، فسار فيها، وطلب من الله أن يهديه ويرشده ويأخذه بيده إلى حبر، ويوصله إلى أمان ﴿وَسَاءَ تَوَجَّهَ يَتَّقَنَّ مَدِينِكَ قَالَ عَسَى رَبِّي أَن يَهْدِيَنِي سُبُلَ الْمَسْكُونِ﴾ [الفصص ٢٢]

(ومدين) منطقة تقع شرقي وادي عربة واسحر سميت قال عنها الإمام ابن كثير «كان أهل مدين قوماً عرباً، يسكنون مدنتهم (مدين) سي هي قرية من أراضي (معدن) من أطراف الشام، مما يلي الحجر، قرية من بحيرة قوم لوط، وكانوا بعدهم بمدة قريبة...»^(١)

وقال عنها ياقوت الحموي في معجم البلدان «وهي أنور مدائن مدين عس حبر بقزم - البحر الأحمر - محاذية شوك، على نحو من مثمر حل وهي أكبر من شوك، وهي أكثر مني اسقى منها موسى عليه السلام، وهما محارمي هي بين وادي القرى والشام...»^(٢).

(١) قصص الأنبياء لابن كثير، ص ١٨٥-١٨٦.

(٢) معجم البلدان لياقوت الحموي ٧٨-٧٧/٥

إد (مدين) اسم أصق على لأرض و فعه شمال حبيح بعقة، وهي
 ممددة من ودي عربة إلى معاد، محبة إلى الشرق و جنوب شرقي حتى
 تصل إلى القرب من مدنة تيوك .

وقد وصل موسى إلى أرض مدين، بعدما حتر حبيح السويس، وقطع شيه
 جريوة سيناه .

٩- موسى والمرأتان على ماء مدين:

وصل موسى الماء الذي يشرب منه أهل مدين، ويسقون مواشيهم، ووجد
 الرعاة يسقون مواشيهم عنده، ورأى امرأتين يعيدنين عن الماء، وتبعدان أغناقهما
 عنه، فأحدثه المحوة وحروة، وأراد مساعدتهما، ولما سألهما عن قصتهما،
 سقى بهما

فارتدلى ﴿ وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّتَهُ مِنَ الْمَكِيسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ
 مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ فَإِنَّ مَا خَطَبُكُنَّ قَالَتِ لَا سَقَى حَتَّى يَصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَوْتَا شَيْعٌ
 كَبِيرٌ فَقَيْنِ لَهُمَا ثُمَّ تَوَقَّ إِلَى الْبَيْتِ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي بَرَأْتُ مِنَ الْفِكْرِ مَا بَرَأْتَ مِنَ الْغَيْبِ ﴿ [القصص: ٢٣-٢٤]

وموقف موسى من سؤال المرأتين وسقى عنهما سقيم وكريم

لقد أعجبه حرص المرأتين على الاندماج مع لرحال، وعدم الاحتلاء بهن
 أو مراقبتهن على الماء، وتحملهما المشقة الكبيرة في دود عنهما عن لمدى،
 بحسن انتهاء الرحال من سقى مواشيهم، وشر بحوهم لبرأه والشفقة، وأراد أن
 يعرف السب الذي دفعهما إلى هذه المشقة والمعاناة

هذا هو توحية سؤاله لهما وكلامه معهما فحوته ومروءته وشفقته صفات
 متصلة في شخصيته وكيانه، وهي التي دفعته لذلك

وكان سؤاله لهما بمعنى لإيجار و لاحتصار، ومقدار ضرورة ﴿ قَالَ مَا
 خَطَبُكُمَا أَيْ مَا شَأْنُكُمَا؟ ولما دعوهم برعي نعم؟

وأجاب لمرأتين على السؤال بمعنى لإيجار و لاحتصار أيضاً ﴿ قَالَتَا لَا
 سَقَى حَتَّى يَصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَوْتَا شَيْعٌ كَبِيرٌ .

أي لا مرحل على الماء، وحيضان على عدم لاحتلاط بهم،
 فينظر حتى يتهو من سقي مواشيهم ويعادرو الماء ويقوم برعي نعم وسقيها
 وهو عمل شاق متعب مرهق، ولا يسب معاً من داب لا يضطرر، فلا يوجد
 عند رجل سرعي، وأبو شيخ كبير صاعى في السن، عاخر عن قيام بهذه
 المهمة الشاقة، فتعثر علينا نحن!!

كذلك سؤالاً مختصراً، وحواداً محملاً، بدون تفصيل أو تفصيل، دعت إليه
 الضرورة، والضرورة تقدر بقدرها.

يقول هذا في توجيه سؤال والجواب، كي لا نسيء بعض الناس فهم
 وتفسير المحاط بين موسى والمرأتين. وكى لا يعتمدوا عليه ويحتجوا به في
 احتلاطهم بالماء، وحنوسهم معهم، واستأطهم في محادثتهم ومحدورين
 يحلن مرحل مع المرأة فترات وفترات، يحادثها وتحدثه، وإذا ما اعتصر عليه
 قد يحتج بما جرى بين موسى والمرأتين!

١٠ - من الرجل الصالح الذي عمل موسى عنده؟

سقى موسى للمرأتين، وغادرتا الماء سرورنتين شاكرتين، وشعر موسى
 براحة النفسية، لأنه خدمهما قال تعالى ﴿ فَسَقْنَاهُمَا ثُمَّ تَوَلَّيْنَا إِلَى الْبَيْتِ فَقَالَ
 رَبِّ إِنِّي لِنَاثِرٌ وَقَدْ خَشِيتُ خَبِيرًا ﴾

جلس في البئر وراح رثه، وأعد حاحته إبي حيره وفصله وإبعاده، فهو
 عريت في هذه البلاد، لا يعرفه أحد، ولكنه لا يهت حاحته إلا من الله، وهو
 يعلم أن الله سيكتب له الخير.

وأحبرت المرأتان أنهما عن الشاة العريت وسجونه ومروته، وأرد
 بشيح اكبير أن يكفى موسى على خس صيغه، ولا راح عنه في بيت يدهت
 إليه. فلم يجد إلا أنه ليكنها يستدعنه!

قال تعالى ﴿ فَجَاءَتْهُ جَدَّتُهُمْ قَمِيصًا عَلَى رَأْسِهَا نَارَ ﴾ [المقصص ٢٥]

محبتها له من داب الضرورة، لعدم وجود رجل يأتيه هي ترى الماء
 ثقيبه صعبة، فكيف تحاطب رجلاً عربياً حاذقه بشي على (سجيه)، سيطر
 حياء على كياها ومناعها وأعصابها وشخصيتها، وانعكس على الجوكه، بل

على الطريق التي تمشي عليها، وكان الطريق كنهها تحولت إلى حياء و مستحياء

ولما وقعت ندم موسى بلعنة الرسالة بمنتهى الذكاء والحد والحدس
﴿قَالَ إِنَّكَ أَقْبَىٰ مَدْعُوكَ لِخَبْرِكَ أَخْرَجَ مَا سَقَيْتَ لَنَا﴾

له ي يدعو إلى بيت هو أبوها، وحدث بحديث لنداعي، وسعاً سره أو
شبهة الهدف من دعوة تكريم موسى ومكافاته لأنه أكرمهم بسقى لهم
وسلاطه أنه لم يخر بينهم حديث مطوون، ولم يرد على كلامهم بكلام
حر

ووصل موسى إلى البيت، وأحضر الرجل مؤمن متقنه قد تعس
﴿فَمَّا جَاءَهُمْ وَقَفَّسَ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَحْفَظُوا مِنْ أَنْ تَقُولَ تَطْلُبِينَ﴾

قص موسى على الرجل الصالح قصته، وأخبره بثقته للفرعونيه، وهربه من
مصر وأعجب الرجل بالقصة المثيرة، ولاحظ فيها رعية الله له، وأحت موسى
لإيمانه وشهامته وبحوته، ودعاه إلى الشعور بالأمان فوجد فرعون جاذون في
سحت عه لقتله، ولكن لا سلطان لفرعون على أرض مدين

وهو من تقدير الله وتدبيره، فهو الذي ساق موسى إلى مدين، وقدز به
الوصول إلى بيت هذا الرجل المؤمن!

وقد احتف المفسرون والمؤرخون في نفس هذا الرجل مؤمن الصالح

١ - فقال بعضهم اسمه (يثرون) وهو مذكور في أسفار العهد القديم
ولا دليل لهم على هذا الرأي، إنما أحده عن الإسرائيليات ونحن لا تأخذ عن
تلك الإسرائيليات.

٢ - وقد بعضهم هو ابن أخي النبي شعيب عليه السلام، وشعيب هو
عنه: وهذا أيضاً لا دليل عليه

٣ - وقال كثير من المفسرين والمؤرخين هو بني لله شعيب عليه السلام،
لأن الله بعث شعباً عليه لسلام برسولاً إلى أهل مدين

٤ - وقال آخرون هو رجل مؤمن صالح في مدين، وهو ليس شعيباً، إنما
هو من ذرية المؤمنين الذين نجوا مع شعيب عليه السلام، وبه وبين شعيب فترة

رمية طويلة واسمهم منهم، لم يشته القرآن، ولم يرد اسمه في حديث رسول الله ﷺ، ونحن نيقبه على إلهامه، ولا يضركنا الجهل باسمه

والراجع هو القول الرابع - والله أعلم

إنه من شعباً عليه السلام، فمن خلال قصة إبراهيم ولوط وشعيب عليهم الصلاة والسلام، نجد أن لوطاً كان معاصراً لإبراهيم، ونجد أن شعباً ولوطاً كان متقاربين.

كان قوم لوط وقوة مدين متقاربين من حيث المراتب، ومن حيث المكان، وكان دمار قوم لوط قبل دمار قوم مدين دليل تدكير شعب عليه السلام بقومه بالحادث القريب الذي ذكر فيه قوم لوط، قال تعالى ﴿وَنُفِثَ لَكُمْ فِيهِ لَقَدْ قَدْ تَعْلَى﴾ ﴿وَنُفِثَ لَكُمْ فِيهِ لَقَدْ قَدْ تَعْلَى﴾ أن يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ بِشُعْبٍ ﴿هـ: ٨٩﴾

وشهد في الآية قوله ﴿وَمَا قَوْمُ لُوطٍ بِشُعْبٍ﴾ أي قوم لوط قريون منكم من حيث مكان، فهو خير منكم، وقريون منكم من حيث المراتب، فقد دمرهم الله من وقت قريب، ما زلتُم تتذكرونه!

وبما أن هلاك قوم لوط كان في زمن إبراهيم عليه السلام، فقد كان هلاك قوم مدين قريباً من عهد إبراهيم عليه السلام!

وبين إبراهيم وموسى عليهم السلام فترة رمية طويلة، تمتد لعدة قرون بينهم كل من إسحاق ويعقوب ويوسف عليهم السلام، وس يوسف وموسى مدة زمنية طويلة، قد تزيد عن أربعة قرون!

وهذا معناه أن شعباً مات قبل موسى عليهما السلام بعدة قرون، قد تزيد عن أربعة!

فإن سجد قطب في الحلال «سجد أن قلت مرة في حلال» إن هذا الرجل هو شعيب... وقلت مرة إنه قد يكون شعبياً، أو لا يكون.

وأن الالأميل إلى مرجح أنه ليس هو، وإنما هو شيخ آخر من مدين! وندى بجرم على هذا المرجح أن هذا الرجل شيخ كبير، وشعباً شهد مهنت قومته ومكذبين له، ولم يبق معه إلا المؤمنون به، فهو كان هو لبي شعيباً

من بقية قومه المؤمنين، ما سقوا قبل سنتي نبيهم الشيخ الكبير . . فليس هذا سلوك قوم مؤمنين

ويُضاف إلى هذا أن القرآن لم يذكر شيئاً عن تعذيبه موسى صهره، وهو كان شعباً السبي، لسمعا صوت البهة في شيء من هذا مع موسى، وقد عاش معه عشر سنوات. . .» (١)

١١- زواج موسى من ابنة الصالح مقابل رغبة العدم

بعد أن اطمأن الرجل الصالح لموسى، تدخل منه، وطلت منه أن يستأجره لرعي الغنم، قد تعالى ﴿قَالَ يَتَدَبَّرُ بِتَأْتِ تَسْتَجِرُ بِكَ حَيْرَ مِنْ أَسْتَحَرَّتْ لَقَوَى الْأَيُّمِ﴾ [قصص: ٢٦]

وفي طلبها هذا إشارة إلى أن الأخت رَغَا الغنم من باب الضرورة، لعدم وجود من يقوم بذلك من الرجال، أما وقد نيسر الآن هذا الرجل، فليقم هو بهذه المهمة! وهو مؤهل لها قوياً أميناً.

جمع موسى عليه السلام بين مظهرين من مظاهر القوة القوية الحسية المتمثلة في متعة الجسم، والقوة العقلية لاجلانية سموية، المتمثلة في لامة

وصدقت امرأة نكاح المرأة في موسى عليه السلام قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه «أمر من الناس ثلاثة صاحب يوسف حين قال لامرأته ﴿أَكْثَرِي مَثْوِي عَوَى أَنْ يَغْمَا﴾، وصاحبة موسى حين قالت: ﴿يَتَأْتِي تَسْتَجِرُ بِكَ حَيْرَ مِنْ أَسْتَحَرَّتْ لَقَوَى الْأَيُّمِ﴾، وأبو بكر حين استخف عمر رضي الله عنهما»

عرض الرجل الصالح على موسى أن يعمل عنده في رعي الغنم، مقبل روحه إحدى أسسه ﴿قَالَ إِنْ أُريدَ أَنْ أَكْمَلَكَ إِحْدَى أَسَى هَتِي عَلَى أَنْ تَأْخُرَ نَمِي جَمِيعَ فَإِنْ أَتَمَّتْ عَشْرَ فَمِنْ عَمَلِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَجِدْتُ بِرُكْنِ اللَّهِ مِنْ الصَّالِحِينَ﴾ قال ذلك يتي ويسلك أيتما الأحليل قصبت فلا عُدْوَةَ عَلَى وَاللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ [القصص: ٢٧-٢٨].

وكان الرجل الصالح حكماً عندما عرض على موسى عليه السلام نعم

(١) في ظلال القرآن: ٢٦٧٨/٥.

عده مقابل رواجه بستانه، فقد أروح استه من مهمو رعي نعم الشافقة الثقيله
وحمل بدمته في البيت مشروعة مأمونه، فعندما رواجه استه صارت أحتي محرومة
عليه، فلا محال يشهدن كي يوسوس لرحلي عريب يقبه في بيت فيه امرأت
شائتان!

والرحل هو الذي بحث لاته عن الروح الماسية، فلما وجده عرض لأمر
عليه، ورعت في مصاهره، وبما نه فقير لا يجد مالا كان مهر مرأته ثمانى سبين
رعيًا للعنم!

وكان موسى عنه سلام حكيماً أيضاً عندما قبل العرض، وبما أن لرحلين
مؤمنين صابحين فقد جرى لاتفاق بينهما في خلال الإيصاد وصدق، وبمعارات
كلها بصف وأس لرحل يقول لموسى عليه السلام ﴿وَمَا رِيْدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ
مَسْجِدِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ بِكَ الْفَكِيهِي﴾، وموسى عنه السلام يرث عليه قنلاً
﴿أَيُّهَا الْأَحْبِيْ قَصِيْتُ مَعَا عَدُوْكَ عَلَى وَاسْتِهِ عَلَى مَا تَقُوْلُ وَحَكِيْلُ﴾

بمطوب من موسى عنه السلام، نعم في رعي العنم ثمانى سبين، وبن
راذهما سبين كان كريماً، وقد احتار موسى الكرم والإكرام، فعمل عشر سبين

روى ببحاري موقوف [برقم ٢٦٨٤] عن سعيد بن حبيب رضي الله عنه
قال: «سألني يهودي من أهل الحيرة أتي الأحبش قصي موسى؟ فقلت لا أدري،
حتى أقدم على خير العرب فأسأله. فعدمت. فسألت ابن عباس، فقال: قصي
أكثرهما وأطيبهما! إن رسول الله يدرك فعل!»

وهكذا تروح موسى عليه السلام في مدن انه ذلك الرجل المؤمن بصلح،
ورعي عنه عمن عشر سبين وخلال هذه بعة سيحف طبت اعراعه له، وبه حشهم
عنه، فيطمئن ويأمن.

ورعي لعنم كأنه (دورة) بربوة أعدها الله الحكيم له، فعند قصي طقوته
وصباه في قصر فرعون، مُنعماً مرقهاً، ما هو في الزوال والصحراء، سابع الأعداء،
وتعرض للحر والرياح والفرق والشعب، وبواحه كل ذلك بالصر ولا حمان!!
فعل الله هدايه، لأنه تعدد نهمو كبيرة!! مهمة إقادي ييسر ثل من فرعون
والله!!

١٢ - عصا موسى: هل هي جان أم حية؟

لما حاض الله موسى عليه السلام في الوادي المقدس طوى في ثدث بلبله الصاركة، أمره أن يلتقي عصاه، وهي قطعة ناسة، قطعها من شجرة، لا حية فيها ولا خصرة، ولكن لله المحيى القادر على كل شيء، جعل فيها حياة حتمسة خاصة، حيث جعلها حية تسمى

أحضر الله عن تحويل العصا إلى حية تسمى قال تعالى ﴿قَالَ أَلْقِهَا يَمُوسَى﴾ ﴿وَأَلْقَاهَا فَبَدَأَ حَيَّةً تَزُورُ﴾ ﴿قَالَ خُذْهَا وَلَا تَحْتَ مَسْعِدُهَا سَرِبَتْهَا أَلَوُكُ﴾ [طه: ١٩-٢١]

وأحضر في موضع آخر أن العصا أصبحت تهتز كأنها حية قال تعالى ﴿وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تُهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَدٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَمُوسَى لَا تَحْفَ بِى لَا يَخَافُ لَدَى الْمُرْسَلُونَ﴾ [سج: ١٠]

وقد تعالى ﴿وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تُهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَدٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَمُوسَى أَفَلَا لَا تَحْفَ بِنَ الْإِمْرِيكَ﴾ [مفصّل ٣١]

وقد يظن بعضهم أن حديث القرآن عن عصا التي صارت حية متفصّل، فهل صارت حية تسمى، أم صارت تهتز كأنها حية؟

ولا تعارض في ذلك، إذ يمكن الجمع بين آيات بسهولة فقد مرّ جعل الحياة في عصا مخرجين

بمرحلة الأولى عندما جعل الله فيها عصا صارت تهتز وتضطرب وتحرك كأنها (جان) حيث شُهِت في ذلك بالجان - وهو الحيي - في هترة وحركته، وأخبر عن هذه المرحلة قوله تعالى ﴿رَآهَا تُهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَدٌّ﴾

المرحلة الثانية انتهاء اضطراب الحية وهزها، وانتقلها إلى مرحلة الرحب والمشي والسعي، حيث صارت حية تسمى. وأخبر عن هذه المرحلة قوله تعالى ﴿وَأَلْقَاهَا فَبَدَأَ حَيَّةً تَزُورُ﴾

لا تعارض بين اليتين، حيث سُورُ كُلُّ بوعلى مرحلة ومعنى قول الله لموسى: ﴿خُذْهَا وَلَا تَحْتَ مَسْعِدُهَا سَرِبَتْهَا أَلَوُكُ﴾.

أملك الحبة وتناولها بيدك ، ولا تحف منها . فإيها من تندعك ، وعدمها تكون من يديك سعيدة إلى ما كنت عليه ، مجرد عصف حشرة واحدة ١١

لله هو الذي يت فيها انحاء ، والله هو الذي جعلها حية تسعى ، والله سبحانه هو الذي يرغ الحبة منها ، وأعدادها عصا حشرة كما كنت وهو الذي سيثبت فيها الحبة ويحفظها حية ، ثم يعدها عصا حشرة ، مرتين فيما بعد ، مرة أمام فرعون ، ومرة أمام السحرة

لقد حمل الله ذلك ية من ذاته الدابة على وحدانيته سبحانه ، فهو يحيي الذي يميت سبحانه من يشاء ، وهو المميت الذي يبرئ الحبة من يشاء !

١٣ - توجيه خوف موسى من الحية

بعدما ألقى موسى عليه السلام عصاه ، وراها تهتز كأنها حية ، خاف خوفاً شديداً ، وولى مدبراً ولم يعقب ، فصماه الله من أجل خوفه ، وأعاد به هدوءه . قال تعالى ﴿ فَلَمَّا رَأَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَّى مُعَقِّبًا يَتَوَسَّلُ لَهَا بِيَدَيْهِ لَا يَخَافُ لَدَيْهَا أَلَمْ تَرَ أَنَّهَا تَأْتِي بَدْرًا مِثْلَ حَسَنَاتٍ لَّيْسَ فِيهَا مِنْ أَلْمُسْتَوْدَعِ وَلَا مِنْ طَلَرٍ ذَلَّ حَسْبًا بِقَدَسٍ فِي عَفْوٍ رَجِيمٍ ﴾ [النمل ١٠ - ١١]

وقد يعتبر بعضهم هد مأخذاً على موسى عليه السلام ، إذ كشف يخاف ويهرب من عصا كانت يده يراها حية تسعى

وخوفه في الحقيقة لا يلام عليه ، لأنه حالة عادية في ذلك الحيوان الحاد ، ومن لأمه على خوفه فإنه لو كان مكانه في ذلك الحيوان لكان أكثر خوفاً منه !

إبه وحيد ، في وادٍ صحراوي مظلم بارد ، ليس معه رفيق ولا أيسر من البشر ، ويأمره الله ببقاء عصا كائناً في يده ، ولما ألغى الأرض بظن إليها ، فإدائها وقعت بعد أن كانت ملقاة على الأرض ، وبدأت تتحرك وتهتز ، ولها رأس وعينان ودين . وقعت على دبلها ، وحركت رأسها يمناً وشمالاً ، وظهرت بعينها يميناً ويسرة ، أليس هذا المظهر في ذلك الحيوان الذي السوحش يدعو للخوف ١٢

خوف موسى إذن حالة مطلقة ، وهرنه أيضاً حالة مطلقة ﴿ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَّى مُعَقِّبًا ﴾ أي هرب ولم يلتفت إليها ، ولم ينظر خلفه .

لهم يس خوفه الموقع المعش، ولكن مد فقل بعد طمأنه به؟
 حاطمته الله وبشره بالأم والأمان خوفه، وعدده هذو واطمأنه،
 ورجع إلى مكانه، وتناول الحية التي تسعى.

بهذه الله عن الخوف قنلاً ﴿يَتَوَسَّى لَا تَخَفْ إِنِّي لَا خَافُ لَدَى الْمَرْسُولِ﴾ ﴿لَا مَ
 طَرَفَ لَكَ خُشًا يَحْدُثُ قِيَمَ عَفْوٍ رَجِيمٍ﴾. أي: أنت يا موسى رسول، ولرسول
 لا يخافون، فلما دنا خوف من نعض شي تحولت حية

و الاستثناء في قوله ﴿لَا مَ طَرَفَ لَكَ خُشًا يَحْدُثُ قِيَمَ عَفْوٍ رَجِيمٍ﴾ شيء مقطوع - كما
 يقول علماء النحو - لمشي من غير حسب الممشى منه

أي: أنت رسول، ورسول لا يخافون، ثم تنقل من كلام حديد، عن
 سبعين يخافون ويعصون ويحفظون ويعصون، من غير رسل والآية، فمن تاب
 من هؤلاء، ثم عمل خُشًا بعد سوءه، فَإِنَّ اللَّهَ يَعْفُرُ لَهُ.

فما بعد الاستثناء لا يبطئ على موسى عليه السلام في خوفه من الحية.
 لأن خوفه خوفًا طبيعيًا فطريًا، قد يعتري بشر - حتى لو كانوا أنبياء - أمه
 الأحطار.

١٤ - هل موسى رسول إلى فرعون؟

نعلم أن موسى عليه السلام رسول إلى بني إسرائيل، لأنهم قومه، وكان
 رسول يُبعث إلى قومه خاصة.

لكن ورد في القرآن أن الله أرسل موسى عليه السلام رسولاً إلى فرعون
 فلما كُتبه هناك في البردي المقدس طوى كتبه وذهب إلى فرعون، وغرض
 الدعوة عليه!!

قال تعالى: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكَ حَدِيثُ مُوسَى ﴿١﴾ إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِأَنَّهُ وَقَدْ قُتِلَ ﴿٢﴾ وَهَبَ بِر
 فِرْعَوْنَ بِأَنَّهُ طَغَى ﴿٣﴾ فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَهٌ إِلَّا أَن نَزَّكَ ﴿٤﴾ وَأَهْلِيكَ إِنَّا إِلَهُكَ فَتَحَقَّقْ ﴿٥﴾﴾ [الشعراء: ١٩-١٥].

ولم يُرسل موسى عليه السلام إلى فرعون فقط، إنما أُرسِلَ إلى منته ودم
 أيضاً، قال تعالى ﴿وَيَذْنَبُ إِلَهُكَ مُوسَى أَنِ اتَّبِعْ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١﴾ قَوْمَ فِرْعَوْنَ أَلا يَتَفَقَهُونَ ﴿٢﴾﴾
 [الشعراء: ١١-١٠]

وقد تعالى ﴿وَأَدْبَلْ مَلَكُ فِي حَبِيكَ مَخْرَجَ بَقْعَةٍ مِنْ غَيْرِ مَوْقِعٍ فَمِنْ أَهْلِهَا مَنْ يُرِيدُ أَنْ يَفْعَلَ
وَقَوْمَهُ يَنْهَى عَنْهُ قَوْمًا فَيَذَرُ فِيهِمْ﴾ [سفر ١٢]

فهذه الأدلة صريحة في أن الله بعث موسى عليه السلام رسولاً إلى بني فرعون
ومثله وقومه، بالإضافة إلى كونه رسولاً إلى بني إسرائيل
وليس في هذا إشكال.

إن موسى عليه السلام رسول في الأساس إلى بني إسرائيل، لأنهم قومه،
وهو واحد منهم، وكل رسول كان بعث إلى قومه خاصة.

ولكن بني إسرائيل كانوا مصطفين مستعدين عند فرعون ومثله، وحتى
تحقق رسالة موسى عليه السلام معهم، فلا بد أن يرفع عنهم العظم والعدو
ولا يرفع عنهم العظم والعدو، لا بوسائل مصلحية لغسقية، وحولهم من الله،
وتوقيفهم عن استبعاد عباد الله.

رسالة موسى عليه السلام إلى فرعون ومثله تدوية وليست أسبانية، وهي
تمهيد لرسالته الأساسية إلى بني إسرائيل.

وبذلك كان موسى عليه السلام صريحاً في دعوة فرعون إلى الإيمان بالله،
قد تعالى ﴿فَقُلْ هَذَا لَكَ إِذْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ وَأَقْبَلْتُكَ فِي رَيْبٍ فَتَعْنَى﴾ [الاعراف ١٨-١٩]
كما كان صريحاً في دعونه إلى رفع يده عن بني إسرائيل، والسماح لهم بالخروج
معه قد تعالى ﴿وَقَالَ مُوسَى يُعْرَضُونَ لِإِيْدَاسٍ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ حَقِيقٌ عَلَى أَنْ
لَا أَقُولُ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقُّ قَدْ جَنَّاسُكُمْ بِتَقْوَى مِنْ رَبِّكُمْ فَأَرْسَلْ مَعِيَ نَبِيٍّ مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ
[الاعراف، ١٠٤-١٠٥]

رسالة موسى عليه السلام إلى بني إسرائيل في الأساس، وتكميها بالذهب
إلى فرعون ومثله تمهيداً، ومممة بها فلا إشكال في مسألة.

١٥ - عقدة لسان موسى وحكاية الجعرة والقمر

بعد بعث موسى عليه السلام وتميحه الشاقة التي كتفه الله بها، طلب من الله
أن يُعِيه عليها، وسأله أشياء تحقق له حُسن أدائها

فان تعالى ﴿ قَالَ رَبِّ انشُرْ لِي صَدْرِي ﴾ ﴿ وَفَتَرِ لِيَ آتَرِي ﴾ ﴿ وَاسْلُكْ عُقْدَةً مِّنْ لِّسَانِي ﴾ بِمَقْعَدِ قَوْلِي ﴿ [طه ٢٥ ٢٨]

طلب موسى عليه سلام من اللغات ينشرح به صدره ، وأن يسره أمزجه ، وأن
يتخلل عقدة من لسانه بجمعها وقوه

وتم لحسن بعض المفسرين فهم عقدة لسان موسى عليه سلام ، التي طبت
من الله أن يحدث له ، فقد حكاه (حمزة و سمره) في حرق لسانه وهو صغير

وحلاصة تلك الحكاية أنه لما دعت امرأة فرعون زوجها إلى بني موسى
وعدم قلبه ، استحدث له وساء وفي يوم من الأيام كانت امرأة فرعون جالسة
مع زوجها ، وكان موسى طفلاً في حضنها ، فأمنت فرعون به وحمله ، ووضعته
في حجره ، فتناول موسى لحية فرعون وشده نحو لأرض

فقال لعواة أعداء الله فرعون : ان هذا طفل ينهددك ، وسيكون مقتلك
على يده ! .

فغضب فرعون وطلب من اللبائحين أن يلبحوه ! .

فدنت له امرأته ما دلت في هذا لعلاء الذي وهنت في ؟

قال لقد شذتحتي ، وهو يرغم أنه يعنوني وبصرعي !

ودعت فرعون إلى احتار الطفل ، يعرف أنه لم يقصد حركته وضع
فرعون أمامه حشرة وسمرة ، فتناول موسى الحشرة ووضعها على لسانه فأحرقته !
وبذلك أصيب موسى بشفة دائمة ، قال الله أن يخلل لعقدة ويريل شفة ،
ليحسن تبليغ الرسالة !

وقد قل بعض المفسرين والمحدثين روي لهجرة وشجرة ، لأنه ضح
إساده إلى الإمام ابن عباس رضي الله عنهما ، واعتزله بعضهم من باب ترفع
إلى النبي ﷺ مع أن ابن عباس لم يصرح برفعها ، سيما اعتزله آخرون موقوفة
على ابن عباس . .

وبحق نتوقف في هذه الرواية ، واعتزله موقوفة على ابن عباس وبوق
لإمام ابن كثير في تعديقه على الرواية قال : وهكذا رواة الثماني في النسب

الكبرى وأخرجه أبو جعفر بن حوير وابن أبي حاتم في تفسيريهما، كلهم من حديث يزيد بن هارون به.

وهو موقوف من كلام ابن عباس. وابن فيه مرفوع؛ لأقبل منه وكأنه تلقاه ابن عباس رضي الله عنه مما أتى بقله من الإسراء؛ فلبث عن كعب الأحبار، أو غيره، والله أعلم، وسمعت شحيد الحافظ بن الحجاج يقرأ بقول ذلك أيضاً^(١)

وبما أنا متوقف في هذه الرواية، فلا يقول بحكيه أحمره واسمرة، ولا يقول إن العقدة اسم في لسان موسى عليه السلام هي شعة بسب خرق حجرة لسانه، فلنبحث عن تعليل آخر لهذه العقدة!

١٦ - كانت عقدة لسان موسى معنوية:

لم تكن العقدة في لسان موسى عليه السلام مادية، ولم تكن شعة في لسانه، وإنما كانت عقدة معنوية، تقوم على انفعاله وغضبه، فإذا ما انقلب وعصب أسرع في كلامه، بحيث قد لا يفهم السامعون بعض ما يقول!

وسبقنا آيات يدل على ذلك، حيث طلب موسى عليه السلام من ربه أن يشرح به صدره وييسر له أمره، ويحل عقدة من لسانه، وحل العقدة مرتبط بشرح الصدر!

يجب أن نذكر في الآيات التي نتحدث عن صيق الصدر وعقدة لسان

فان تعالى ﴿قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي﴾ ﴿وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي﴾ ﴿وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنِّي﴾ ﴿يَسَّيْ﴾ ﴿يَقْفُوهَا قَوْلِي﴾ [طه: ٢٥-٢٨]

وقال تعالى ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَن يُكَيِّدُونِي﴾ ﴿فَيَضَيِّقْ صَدْرِي وَلَا يَخْلُقْ يَسَّيْ﴾ ﴿فَأَرْسِلْ إِنِّي فَتْرَتُهُ﴾ [الشعراء: ١٢-١٣].

وقال تعالى ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي قُلْتُ بِمَهْمَةٍ تَقَا فَأَخَافُ أَن تُقَاتِلُونِي﴾ ﴿وَأَنِّي هَكَوْتُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رَدًّا﴾ ﴿تَضَيِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَن يُكَيِّدُونِي﴾ [القصص: ٣٣-٣٤].

(١) تفسير ابن كثير: ١٤٩/٣.

إن قوله ﴿إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ﴾ وَصَبِقُ صَدْرِي وَلَا تَطْلُقُ لِسَانِي ﴿ بوصح
معراد بالمقدمة في قوله ﴿وَأَتَعَدُّ عُقْدَةً لِّسَانِي﴾ تَقْفُهُ قَوْلِي ﴿

أَيُّ أَرْ عَقْدَةً لِسَانٍ كَانَتْ مَرْتَبَةً صَبِقُ الصَّدْرُ ، دَلَّتِ الصَّبِقُ الَّذِي يَنْبَغُ
عَلَيْهِ عَدَمُ انْطِلَاقِ اللِّسَانِ .

كَانَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ يَعْرِفُ مِنْ نَفْسِهِ أَنَّهُ يَفْعَلُ عِنْدَ الْمَوْقِفِ لِحَاصَةِ
الْمُتَبَيَّنِّ ، وَابْتِعَالِ مَشَاعِرِهِ يُوْذِي بِسِ صَبِقِ صَدْرِهِ ، وَتَلَا حَقِّ أَنْفَاسِهِ ، وَيَتَخَّ مِنْ هَذَا
عَدَمُ انْطِلَاقِ لِسَانِهِ عِنْدَمَا يَتَكَلَّمُ . وَإِذَا تَكَلَّمَ كَانَتْ كَلَامُهُ سَرِيعاً مُتَبَعاً عَرِ وَا صَحَّ ،
وَبِهَذَا لَا يَكَادُ يُبَيِّنُ أَوْ يَفْصَحُ .

هَذَا مَا يَقْرُرُهُ قَوْلُهُ : ﴿إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ﴾ وَصَبِقُ صَدْرِي وَلَا تَطْلُقُ لِسَانِي ﴿
فَتَكْذِيبُهُمْ بِهِ يُوْذِي بِسِ فَعْلُهُ وَعَصَبُهُ ، وَتَعَدُّهُ يُوْذِي بِسِ صَبِقِ صَدْرِهِ ، وَصَبِقُ
صَدْرِهِ يُوْذِي إِلَى عَدَمِ انْطِلَاقِ لِسَانِهِ ، وَعَدَمُ انْطِلَاقِ لِسَانِهِ (عُقْدَةً) مَمْوِيَّةٌ تُعَيِّنُ
أَدَاءَهُ مَهْمَتَهُ ، وَلِهَذَا سَأَلَ اللَّهُ أَنْ يَحُلَّ هَذِهِ الْعُقْدَةَ لِمَمْوِيَّةٍ مِنْ لِسَانِهِ

وَحُلَّ عُقْدَتُهُ لِسَانَهُ بِكَوْنِهِ عِنْدَ صَبِقِ صَدْرِهِ ، عِنْدَمَا يَفْعَلُ أَمْرًا تَكْذِيبُهُمْ بِهِ
بَدَلَتْ سَأَلَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ رُئُوهَ أَنْ يَشْرَحَ لَهُ صَدْرَهُ ، فَوَدَّ شَرْحَ صَدْرِهِ رَأَى
فَعْلُهُ ، وَهَذَا تَبَيَّنَ ، وَاسْتَفْزِزَ أَنْفَاسَهُ ، وَصَمَّتْ أَعْصَاهُ ، وَبَدَتْ تُحَلُّ عُقْدَةُ
لِسَانِهِ ، وَيَتَكَلَّمُ بِهَدْوٍ ، وَنَهَضَ كُلُّ كَلِمَةٍ مِنْ كَلِمَاتِهِ بِوُضُوحٍ

وَقَدْ اسْتَحَبَّ اللَّهُ لَهُ . فَأَرَادَ صَبِقُ صَدْرِهِ ، وَبَدَتْ حُلُّ عُقْدَةٍ لِسَانِهِ بِمَمْوِيَّةٍ
وَقَدْ كَانَ اتَّعَيُّ مُحَمَّدٌ مِنْ كَعْبِ الْفَرَّاصِ سَرِيعِ الْكَلَامِ ، بِحَيْثُ لَا يَكَادُ
السَّامِعُ يَفْهَمُ كُلَّ كَلَامِهِ .

فَقَالَ قَرِيبٌ لَهُ يَوْمَ لَا نَأْسَ لَكَ ، بَلَا نَكَ تَحُلُّ فِي كَلَامِكَ ، وَلَسْتَ
تُعَرِّبُ فِي قِرَاءَتِكَ

فَقَالَ لَهُ مُحَمَّدٌ مِنْ كَعْبِ يَا أَسْحَى أَلَسْتُ أَفْهَمْتُ إِيَّكَ حَدَّثْتُكَ ؟
قَالَ : نَعَمْ .

فَقَالَ كَعْبُ لَا نَأْسَ إِذَا ، فَإِنَّ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ إِذَا سَأَلَ رُئُوهَ أَنْ يَحُلَّ
عُقْدَةً مِنْ لِسَانِهِ ، لِيَقْفَةَ بَنُو إِسْرَائِيلَ كَلَامَهُ !

قَالَ سَمِعْتُ قَاطِبٍ فِي تَفْسِيرِهِ عَقْدَةً لِمَنْ مَوَسَّى عَلَيْهِ السَّلَامُ «وَالظَّاهِرُ أَنَّ حُوفَ مَوَسَّى عَلَيْهِ السَّلَامُ لَيْسَ مِنْ مَعْرُودِ التَّكْذِيبِ، وَتَكُنْ حُوفُهُ مِنْ حَصُولِ التَّكْذِيبِ فِي وَفَيْتِ عَيْتُ فِيهِ صَدْرُهُ، وَلَا يَنْطِقُ لِسَانُهُ، فَلَا يَمْلِكُ أَنْ يُبَيِّنَ وَأَنْ يَبَاقِشَ هَذَا التَّكْذِيبَ وَيَقْضِيَهُ إِذْ كَانَتْ لِسَانُهُ (حَسْبَ) وَمِنْ شَأْنِ هَذِهِ الْحَسْبِ أَنْ تُشْفِيَ حَالَهُ مِنْ صَوِّ الصَّدْرِ، تَشَأً مِنْ عَدَةِ الْفِدْرَةِ عَلَى تَصْرِيفِ الْأَعْصَابِ بِكَلَامٍ، وَتُرَدِّدُ كَلِمًا إِذَا الْأَعْصَابُ، فَيُرَدِّدُ بِصَدْرٍ صِفًا وَهَكَذَا وَهِيَ حَالَةٌ مَعْرُوقَةٌ...»^(١)

١٧ - كيف هارون أفصح لساناً من موسى؟

سَمِعْتُ طَبِيعَ مَوَسَّى عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ اللَّهِ أَنْ يَجْعَلَ مَعَهُ أَحَدُ هَارُونَ وَرِيرًا، وَأَنْ يُرْسِلَهُ مَعَهُ إِلَى مَرْعُونَ، عَلَيَّ دَمْتُ أَنَّهُ أَفْصَحُ مِنْ لِسَانِ قَدِّ مَعَالِي ﴿وَأَيْسَ مَكْرُوثٌ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسَلْتُهُ مِنِّي رَدًّا مُصَدِّقِيَّ إِلَى أَلْفَاكٍ أَنْ يُكَذِّبُونِي﴾ [الفصص: ٣٤].

هَارُونَ أَفْصَحُ مِنْ مَوَسَّى - عِيْهُمَا السَّلَام - فِي كَلَامِهِ، سَمِعْتُ قَاطِبَ مَوَسَّى نَحْوَهُ، لِأَنَّ كَلَامَهُ وَاصِحٌ عَدَا الْأَعْصَابَ وَالْمَوَاحِجَةَ، سَبَّ هَذُونَهُ وَقَدْ تَفَرَّدَتْ الْآيَةُ بِذِكْرِ كِلَيْتَيْنِ اثْنَتَيْنِ لَمْ تَرِدَا فِي غَيْرِهَا مِنْ آيَاتِ الْقُرْآنِ، وَهِيَ: أَفْصَحُ، وَرَدَّهُ.

قَالَ لِأَمَامِ لِرَاعِي عَنْ مَعْنَى مَصَاحِحَةِ «الْمُفْصَحِ خُصُوصُ الشَّيْءِ مِمَّا يَشَوُّهُ... وَمِنْهُ يُقَالُ: فَصَحَ الرَّجُلُ: جَادَتْ لُغَتُهُ»^(٢).

وَمَعْنَى مَصَاحِحَةِ اللِّسَانِ كَلَامُهُ بِكَلَامٍ حَيِّدٍ، يَسِرُ فِيهِ شَأْنُهُ وَلَا حَصْرَ

وَقَالَ عَنْ مَعْنَى الرَّدِّ: «الرَّدُّ: هُوَ الَّذِي يَنْبَغُ غَيْرُهُ مُعَيَّنًا لَهُ»^(٣).

هَارُونَ عَلَيْهِ السَّلَامُ هُوَ الْأَفْصَحُ لِسَانًا، لِأَنَّهُ كَانَ يَتَمَتَّعُ بِأَعْصَابٍ هَدَنَةٍ، مَهْمَا يَفْعَلُ أَوْ اسْتَشِيرَ، فَسَكَمَ كَلَامًا وَاصِحًا هَادِثًا مَسْمُوعًا مَفْهُومًا

(١) الظلال، ص ٢٥٨٩

(٢) المعجمات، ص ٦٣٧

(٣) المصطلح السابق، ص ٣٥٠

وهو أخ لموسى عليهما السلام، لا نعرف عن حياته قبل النبوة شيئاً، فهناك
مهمات كثيرة في حياته، لم تبق لها آيات القرآن لا نعرف متى وُجد، ولا هل ولد
قبل موسى أم بعده، ولا كيف جاء من قنبل فرعون، ولا كيف وُثِن كذب شأبه
وسدوا له ظل مُصمماً في مصر عندما أقام موسى في مدين عشر سنوات

ولا غرابة أن يكون موسى متعللاً، يصيب صدره عندما يعضب أو يُستثار،
ببعض أهواء هادئ الأعصاب. واسع الصدر، فصيح الكلام

إيها المودح المكرور في حياة الشربة المودح المفعول صديق الصدر،
وتمودح الهادي واسع الصدر

الشخص هادئ الأعصاب يستقل بموقف المثيرة بأعصاب هادئة، ولا
يفعل كثيراً، ولا تتوشع أعصابه، ولا يتسرع بصفه، ويبقى محتفظاً بهدوئه
وثباته، تنكم بهدوء وبأن، ويصط كمنه، فتخرج من سببه واصحة فصيحة
مسموعة.

والشخص المفعول يستقل المواقف الانفعالية بأعصاب مشدودة، حيث
يحتد، ويتسرع بصفه، وتلاحق نفسه، ويزدي لامعاً تعدي إلى صبح
صوته، وعندما يحاول أنكم فإن أهوة يحسن في رتيته، ولا يكاد يصل إلى
جهاز النطق، ولهذا تضيق منه الكلمات.

وإذا لم يصل المفعول إلى هذه الحالة بحذاء من نحاس لهواء، وصبح
الصوت، فإنه لا يتمكن من توصيح كلامه، لأنه يتكلم بسرعة فائقة، ويكون كلامه
متسارعاً متتابعاً متدفقاً، ويتحكم في كلامه مث عزه بمفصلة، وألفائه لمتسارعة،
ونصفه المتلاحق، فلا تخرج كلمته من محارحها، ويصيح كثيراً منها، وتحمي
حروف كثيرة منها، وبذلك يكون كلامه غير مفهوم ولدي يسمع كلامه
لا يفهمه، ولا يعرف ماذا يريد منه.

عند استحصارها لهذين المودحين المكرورين في حياة الشربة، نعرف
لماذا هارون الهادي أفصح لساناً من أخيه موسى المفعول - عندهم لسلام

وقد من الله على موسى عليه السلام، فأزال أفعاله أمام لمع حاب، وتمنع
بهدوء وبأن

١٨ - معنى (صلال) موسى في قتله للفرعوني:

لما وقف موسى عليه السلام أمام فرعون، ودعاه إلى الإيمان بالله، دكره فرعون بماضيه، وشأبه في قصره، فهو ريت بعينه، فكيفه الآن يزعم أنه نبي؟

فان تعاضى عن صال فرعون عليه ﴿قَالَ الزُّرِّيُّكَ فَيَا وَلِيدًا وَلَيْسَتْ فَيَا مِنْ عُمْرَةٍ سَيِّئَةٍ﴾ وَقَعَلْتَ تَعْنَفَ لِي قَعَتَ وَأَتَى مِنَ الْكُفْرِ ﴿[الشعر: ١٨-١٩]

إن قتل موسى للفرعوني قبل عشر سنوات جريمة عظمى عند فرعون وقومه، وهذا وصفه فرعون الكفر ﴿وَأَتَى مِنَ الْكُفْرِ﴾

ولم يرد فرعون بالكفر معناه ديني، وهو الكفر بالله، لأنه لا يعرف الإيمان بالله وإنما ارد بالكفر المحمود وبكران الحمل أي كثر من نجاحدين الدين جحدرا بعينه وكفره، فقد أحس ريت لما ريتك حتى صرت شاكاً ولكك فانت أحس، بالإساءة، وإعاب بالكفر وسجود، فعدوت عني رحلي من وقتله أهكدا تحاري إحساناً؟ لقد كثر كفر سمعت، جاحلدا لعضلنا!

ورد موسى عليه السلام على فرعون بقوله ﴿فَلَهَا دَ وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ﴾ فَقَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمْ يَفْتَكُمْ قَوْمِي بِرَقِ شَكَا وَجَعَلِي مِنَ الْفَرَسِيِّ ﴿وَلَكِنْ يَمْنَةُ تَمَّ عَلَى أَنْ عَدَدْتُ بَيْنَ تَرْكِي﴾ [الشعر: ٢٠-٢٢].

عترف موسى عليه السلام بأنه قتل الفرعوني، وأنه كان في ذلك بوقت صالاً، فما سر د صلال؟ وكيف موسى النبي عليه السلام يعترف ويصف نفسه به؟

امر د صلال هو جهن، ويس الكفر، أي أنه كان من جاهلين، لعدم وجود تشريعات وأحكام.

قال ابن عباس: ﴿وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ﴾: وأنا من الجاهلين.

ووضح موسى عنه السلام ذلك الصلال بأنه كان جاهلاً، ولما قتل الفرعوني هرب منهم خوف أن يقتلوه، وعاد عنهم عشر سنين، ولما عاد إليهم بعث الله نبياً رسولاً لهم.

وكان موسى عليه السلام يقول لفرعون لا نسحت في ماضي، ولا يمضت

استكبر فيه من الاستغاده مما معي من حير و لهدى ، ولا نحسني منه لأنك
ريثموني وأنا صغير ، وقتلي بغير عوبي وأن حاس لا يؤثر فيم معي من لهدى ا

١٩- بوجيه نحوي لقوله تعالى ﴿ قَالُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ بَرّ ﴾ .

حاء السحرة بحالهم وعصمتهم للمراء مع موسى عليه سلام ، وبصنهم
موسى عليه السلام بعدد الافتراء ومواجهة حق ، قال تعالى ﴿ قَتَلُوا قُرْتُونًا
فَجَمَعَ كَيْدُهُمْ ثُمَّ قَالَ لَهُمْ مُوسَى وَتِلْكَ لَكُمْ آيَاتُ اللَّهِ الَّتِي كُذِّبَتْ عَنْكُمْ
بِعَدَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنْ أَقْتَرَنَ ﴾ [طه: ٦٠-٦١] .

وسرد بعض السحرة ، وتراجعوا واحتسبوا ، فرد عليهم مريق لآخر
ليشتوهم ويشجعوهم قال تعالى ﴿ فَرَعَوْا أَمْرَهُمْ بَسْهَرًا وَآسْرًا أَتَعْلَمُونَ ﴾ قَالُوا
إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِمْ وَهُمْ لَا يُعْقِلُونَ أَلَيْسَ لَكَ
بِأَعْيُنِنَا صَعْقَةُ النَّارِ وَقَدْ أَفْضَحَ الْيَوْمَ مَنِ اسْتَعْلَى ﴾ [صه: ٦٢-٦٤] .

شجع السحرة بعضهم بعضاً للثبات في التحدي ، ووصفوا موسى وأحد
هارون عيها السلام بأنهما ساحران ، وليسانيتين

وفي قوله ﴿ قَالُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ ﴾ يشك نحوي ، يحتاج إلى توجيه
وقيل بوجيه هذه القراءة تذكر ما فيها من قرءات صحيحة ، من القراءات العشر
في هذه الجملة من الآية ثلاث قرءات صحيحة

الأولى قراءة أبي عمرو بن لعلاء البصري - أحد اقراء العشرة - أقاموا
بأن هذين ساحران بتشديد الحرف (س) و (هـ) (هذين) بالياء

وهذه القراءة لا إشكال فيها ، لأنها ومن عمل (إن) عند السحريين

(س) حرف توكيد ومصب ، (هذين) سم (س) مصبوت ، وعلامة نصه
الياء ، لأنه مشى ، والياء في (للساحران) لأم المرحقة ، و(للساحران) حيز
(إن) مرفوع ، وعلامة رفعه الألف ، لأنه مشى .

لكنية قرءة فافع وحمرة والنكاسي وس عامر أقاموا بأن هذين ساحران
بتشديد (إن) ، والألف في (هذان)

(هذان) سم (إن) مصبوت بالألف ، (للساحران) حيز (إن) مرفوع

وهذه القراءة وفق لغو من لغات العرب، الذين يجعلون إعراب المشي بالالف، يقولون هدا وحلال كان هدا وحلال إن هدا وحلال.

الثالثة: قراءة ابن كثير وحقق عن عاصم «إن هدا - حرا» بتحقيق (إن)، واللف في (هدان).

ولا إشكال في هذه القراءة، لأنه عندما حُفِّقَت (ر) ولأوس أن يعي، فلا نعمل في ما بعده، و(هدان) مثلاً مرفوع بالالف و(لساحران) خبر مرفوع بالالف.

قال ابن مالك في (الآلفية):

وَحُقِّقْتُ (إِنْ) فَقَرَّ بَعْدُ وَنَزِمُ سَلَامَةً إِذَا مَا تُهْمَلُ
وَاللَّامُ فِي (سَاحِرَانِ) سَمَى (لَا مَ تَعْرِفُ)، وَهِيَ لَتِي تُسَوِّفُ بَيْنَ (إِنْ)
مُحَقَّقَةٍ بِتَوْكِيدِ، وَبَيْنَ (إِنْ) لَتِي هِيَ مَجْرُودُ حَرْفٍ نَحْوِ

٢٠ - كان سحر السحرة تخيلاً.

بدأ السحرة بإلقاء ما معهم من الحبال والعصي، وكانت كثيرة صحنه، فتأثر الناس بها، قل أن يبقى موسى عليه السلام عصاه

وقد أحجز الله عما ألغوه من حبال وعصي قال تعالى ﴿فَسَاءَ الْقَوْمَ سَاحِرُونَ أَعْيَبَ النَّاسُ وَأَتَرَهَبُوهُمْ وَجَاءَ وَبِخَيْرٍ عَظِيمٍ﴾ [الأعراف ١١٦]

وقد تعس ﴿قَالَ يَلِ الْفَوْزَ فَإِذَا بِجَاهِهِمْ وَعَصِيَّتُهُمْ تُجِبُّ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهُ تَقَى﴾ [طه: ٦٦].

تحدثت آية سورة الأعراف عن تأثر الناس المشاهدين بما نفى سحرة من حبال وعصي، أما آية سورة طه فتحدثت عما نحيله موسى عليه سلام منها

وندلّ آيتين على أن سحرهم الذي جازوا به سحرًا مُحَقَّلًا، لا حقيقة له، إنما المشاهدون وهم تحت تأثير الرهبة ظنوا أنه سحر حقيقي، مع أنه خدع وتحيل.

قال تعالى: ﴿سَاحِرُونَ أَعْيَبَ النَّاسُ﴾ أي أثروا في نفس مشاهدين،

عن طريق الإيهام والتأثير، حطمو الصواريخ، فصارت تنوء بهم أنها ترى أشبه حبة،
وهي سست حبة، ولذلك رأت الجمادات من لحب وعصي أفدي وثعابين
تتحرك وتسعى، مع أنها جاملة ساكنة.

﴿وَأَسْرَهُوهُمْ﴾ مألعة من أرهه في فدها سحره في موسى
المشاهدين، الذين كانوا في حالة عسة حنة قيفة مأثرة بالسحر وسحره

والهمزة واسير واتء في الفعل (سترههم) يدل على تأكيد، وثبت
(إرهات) السحر للمشاهدين ورن (استرهات) السحر للمشاهدين هو الس
في تأثرهم نفسي، ووقعهم في الأوهام والتحييل، ورؤية عيونهم الأشياء على
غير ما هي عليه، بحيث خيل لها أن حبات ولعصي أفدي تسعى، ولولا
الاسترهات النفسي لما سحر عيون المشاهدين

والكيز في قوله ﴿وَحَدَّوْ بِحَيِّ عَصِرٍ﴾ سهول والتصحيم، ويكفي
وضف الله له بأنه سحر عظم لتصور مدى كثرته وشمته، قدموه لاسترهات
الناس وسحر عيونهم.

ومما يدل على صحة وعصمة سحرهم، وأنه تحييل لا حقيقة له، أن
موسى إبي الرسول عليه سلام خيل إليه تحيلاً أنه حقيقة ﴿فَدَّوْ بِحَيِّ عَصِرٍ﴾
بِحَيْلٍ وَيَوْمَ يَخْرُجُ تَهَانَتِي

أي ما أفنى السحر حده وعصيته، خيل لموسى عليه السلام أنه
ليست محرو حبل وعصي، وإنما هي أفع تسعى حقيقة

فإذا خيل لموسى رسول المؤتد لروحي عليه صلاة والسلام أن حده
وعصته أفع تسعى، فكيف بالناس المشاهدين؟ هذا يدل على مدى استرهات
السحر بالناس، وعلى سحر أعينهم وإيهامهم

إن كل ما قدمه السحر إنما هو تحييل وخذع، ولا حقيقة له، وهذا ما ورد
في صريح الإنجيل سافقتين له سورة لأعراف، وبه سورة طه

وهذا لا يعني أن كل سحر تحييل وخذع، فقد ذكر القرآن عن من السحر

الأور سحر لا حقيقة له، وهو تحييل وخذع، فهو على حقه ومهارة
لساحر، وقدرته على خداع المشاهدين وسحر عيونهم، وما قدمه ليس به رصيد
من الحقيقة الواقعية، وهذا معظم ما يقدمه سحره، ومن هذا الباب سحر سحره

أمام موسى عليه السلام.

الذي سخر له حقيقة ورصيده من الواقع، بمعنى أن سحره قد يفعل بعض الأشياء، وقد يصير بعض من يوحه السحر له، وقد يؤدبه، لكنه لا يفعل ذلك إلا بإذن الله.

من هذا النوع سخر أهل دبل من اليهود، الذين كانوا يُقرَّبون به من المرء وروحهم، ويصرون به لأحرين، بإذن الله.

قال تعالى ﴿وَاتَّبِعُوا مَا تَنَزَّلُوا النَّبِيُّ عَلَىٰ مَلَكٍ سُلَيْمٌ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ أَشْيَعِيكَ كَفَرُوا يُعْبُدُونَ النَّاسَ الَّيْبَعُ وَمَا أُرْسِلَ عَلَى الْمَلَائِكَةِ بِإِبْرَ هَرُوتَ وَمَرُوتَ وَمَا يَعْلَمَانِ مِن شَيْءٍ قَوْلًا إِنَّمَا غَرَّتْنَاهُ فَنَفْسٌ فَلَا تَكْفُرُ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَرَوْحِهِ وَمَا هُم بِبَصَائِرِينَ بِهِ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يَأْذِنُ اللَّهُ﴾ [لقرة ١٠٢]

٢١ - الخيفة التي أوجسها موسى هي نفسه:

عندما شاهد موسى عليه السلام حساسهم وعصيتهم، خُيِّل إليه من قوة سخرهم أيها أفع حقيقته بمعنى، عند ذلك مدس الحرف إلى نفسه قليلاً، لكن الله تداركه بالتنبؤ قال تعالى ﴿فَإِذَا جَاءَهُمْ وَعَصِيَتْهُمْ يَمْحُلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهُ نَسِيَ﴾ ﴿فَأَوْحَىٰ فِي نَفْسِهِ جِيفَةً مُّوسَىٰ﴾ ﴿فَمَا لَا تَحْفَ إِنَّكَ أَتَىٰ الْأَعْلَىٰ﴾ ﴿وَأَلْقَىٰ مَا فِي يَمِينِكَ تَلَقَّفَ مَا صَعَمُوا وَتَدَصَّعُوا كَيْدَ مَكِيمٍ وَلَا يَبْقِيخُ لَكَ جِرُ حَيْثُ أَقَى﴾ [طه ٦٦-٦٩]

وقد يلوم بعضهم موسى عليه السلام على الخوف بذي عتراء، فكيف يخاف والله سبحانه وتعالى معه؟

ما معنى (أوحى)؟ وما الفرق بين الخوف والخيفة؟

التوحيُّس لا يكون إلا مقترَب بالخوف، وهو حالة نفسية شعورية، فإذا تعمقت في النفس قادت إلى الخوف العملي.

قال الإمام لواعث عن التوحيُّس التوحيُّس الصوت محمي والتوحيُّس لتسمع ولأبحس وجود ذلك في النفس قال تعالى ﴿فَأَوْحَىٰ بِهِمْ جِيفَةً﴾ قسواً التوحيُّس حالة محصور من النفس بعد الهاجس، لأنَّها حيل مسدأ لتكبير،

ثم يكون الواجب، ثم المخاطر . . . (١)

التوحيش مبني على الهاجس، وهو نداء نفسي خفي، ووسواس داخلي يكون سبب مرور الإنسان بحالة معينة.

وقد أطلق القرآن على هذا الوجدان النفسي كلمة (خيفة) وسمي (خوفاً)، وفارق بين (الخوف) و(الخيفة).

قال الإمام براعت عن الفرق بينهما: «خوف توقع مكروه عن أمر مضمون أو معلوم» و«خيفة الحدث التي عيها الإنسان من خوف» (٢).

الحدث الذي مرث موسى عليه سلام (خيفة) و«بيت (خوفاً)، وهذه الحالة هي قصة ﴿فَأَوْحَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُّؤَمَّرًا﴾ وهذا يدل على أنها كانت حالة عارضة سريعة، سرعان ما زالت، وحل محلها ثباته وبقائه، وهذا التوحيش يعني السريخ لم يؤثر على موقفه وتحدده، ولم تتحول هذه (خيفة) إلى خوف فعلي!

وهذه الخيفة العارضة التي أتمت به من سوارم بشريته، ولا يلائم عيها لأنها لم تستمر طويلاً، ولم تتحول إلى حزن وخوف، ولم تؤد به إلى الهزيمة و«مرور الخيفة به سريعاً على صورته صديق عرصي موفوف، أمر مفيد مبرور، لأنه كان في مباراة كبيرة ومعركة قوية، ومن كان مكانه لا يتوحيش حقه وإنما يهدر من الخوف».

لقد من الله على موسى عليه سلام، حيث بدا له قوة الخيفة، و«حيث كان مكناها، حيث قال له ﴿لَا خِيفَ إِنَّكَ أَنتَ الْأَعْلَىٰ﴾ وَالَّذِي مَأَىٰ يَمِينِكَ يَلْقَىٰ سَعْتًا يَوْمَ تَمُوتُ كَيِّدٌ سَعِيرٌ وَلَا يَفْلِحُ السَّاعِرُ حَيْثُ أَقَىٰ﴾، أي لا تخف يا موسى من سحرهم وحياتهم وعصيتهم، ولا من عثرهم بمرعون المشكر! أنت ألس لا عسى منهم جميعاً، لأنك على الحق، وهم على ساطم

٢٢- موسى وآياته انتزع إلى فرعون وملئه

أحضر الله أنه أتى موسى عليه السلام تسع يدي موشحة إلى فرعون وقومه

(١) المفردات، ص ٨٥٥.

(٢) المرجع السابق، ص ٣٠٣.

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ فَسَقَّ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ إِسْرَءِيلُ إِذْ جَاءَهُمْ﴾
[الإسراء: ١٠١].

وقال تعالى: ﴿فِي تِسْعَ آيَاتٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ إِذْ هُمْ أَكْثَرُوا قَوْمًا مُّبِينًا﴾ [اسم: ١٢].
وهذه الآيات تسع من عرق فرعون وحوده، ومحنة بني إسرائيل مع موسى عليه السلام. فما هي هذه الآيات التسع؟

منها آيات بيتان ومعجزة ناهريان، قدمها موسى عليه السلام لبني
فرعون، بعد وقعة أول مرة، وهما عصا وبند. قال تعالى: ﴿قَالَ لَنْ يَخْلُقَ عَصَا فِئْتَانِ﴾
﴿وَمِنْ آيَاتِهِ إِذْ هِيَ نُفُوءٌ يُدْعَىٰ بِهَا بِطَيْرِينَ﴾ [الأعراف: ١٠٧-١٠٨]

أي: لعصا عصا حامدة تحوّل إلى نعالٍ منسجمة، وبند وبند، وعدم
يملكها موسى عليه السلام تعود عصا حشنة حامدة

أما البند فإن موسى عليه السلام كان أسير لنور، وبند كانت سمراء،
والآية فيها أنه عندما كان يذبحها في حبه، ثم يحرّجها منه تكون بيضاء باضعة
البيضاء، وبند منها من غير سوء، فهو ليس بشئ عن مرض أو مرض وإما هو من
فعل الله، وبعد ذلك تعود اليد سمراء كما كانت.

وأيضا آية تنجدي، وبند هرة الله بسحره لها حذو لإبطلها بحديثه
وعصبيهم، ومن سحره لأهم أبنوا أبي من الله، ولست من فعل موسى عليه
السلام.

وأخرى آية عن الآيات السبع الأخرى في سورة الأعراف قال تعالى
﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا آلَ فِرْعَوْنَ الْيُسُوفَ وَنَقِصَ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعْنَهُمْ يَدْعُوا يَدْعُوا يَدْعُوا
جَاءَهُمُ الْخَسْفُ فَالَوْ أَنَّهُمْ رَأَوْا أَنَّهُمْ سُيُفَتُ بِطَيْرٍ يُسَمَّى وَمِنْ مَعَهُ إِلَّا إِنَّمَا ظَنُّوا أَنَّهُمْ
عِندَ اللَّهِ وَلَكِنْ أَكْثَرَهُمْ لَا يَتَذَكَّرُونَ﴾ وقالوا لهم نأبأ يوم من آياتهم لنسحرنا بها فما نحن لك
بمؤمنين ﴿فَلَوْ سَاقَا عَنِّيهِمُ الطُّوفَانُ وَالْحَرَادُ وَالْقَمَلُ وَالصَّاعِجُ وَالْأَسْمُ مَقْصُصَتِي﴾
[الأعراف: ١٣٠-١٣٣].

وهذه الآيات السبع هي

١- السنين وهي جمع سنة والمعنى بها سنة الجذب والمحب والمخط،
حيث تنحبس الأمطار

٢ - بعض الثمرات وهي نائحة عن الأيو لأولى، فعدم تحسن الأمطار
تيسر المزروعات، وتقص الثمرات.

وهذان الاثن مذكوران في قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا آلَ فِرْعَوْنَ يَابِسِينَ
وَنَقَمَ مِنَ الثَّمَرَاتِ﴾

٣ - الطوفان. أجرى الله عليهم الماء طوفاناً جارفاً، بعد انحسار الأمطار
ونقص الثمرات

٤ - الجراد وهو آفة محققة تقضي على المزروعات وشمار فعدم انبهي
الصوف وورث الفصان، استشر قوم فرعون بموسى راعي جيد، ورعو
أرضهم بمزروعات، وبما يزرع ويزرعوه، أرسل الله عليه الجراد فأكله
وأهلكه.

٥ - القمل ولم ترد هذه الكلمة في غير هذا الموضع من القرآن وهو
لوس الذي يصب السائل والحبوب وينص على

قال ابن عباس رضي الله عنهما القمل لوس الذي يخرج من الحطة،
والحبوب نبي نجت من الجراد وأبي تمكوا من حبيب ولاحتطط به، أرسل الله
عليها السوس فأكلها

٦ - لصداع آية جديدة أرسلها الله عليهم، وهي مهمة في القرآن، فلا
نعرف تفاصيلها، ولا كيف أرسلها الله عليهم

٧ - الدم هي آفة مهمة أيضاً، لا يعرف عن تفاصيلها شيئاً

هذه هي الآيات التسع التي أتاه الله موسى عليه سلام، ولم تكن فرعون
وقومته بها أهلكهم الله!

٢٣ - ما هي (مفاتيح) كنوز قارون؟

ذكر تعالى أن قارون كان إسر نبياً من قوم موسى، وأحضر عن محمل
قصته، وهو إسرائيلي، لكنه نعى على قومه، وأحضر إبي فرعون، وكان من
أعدائه، وأنه الله الكور الكثير، ولكنه استخدمه في نعي وفساد، وبه سمع
نصح من أصحاب المؤمنين، وقبل كثرة من الإسرائيليين به، وتمنوا أن يكونوا

أعبد مثله، وما تمدى في طعنه وصلاته، حسب الله به ونداره وكوره
لأرض، فابتلغته!! ١.

أخبر الله عن كثرة كوره بقوله ﴿وَأَنفُسُ مِنَ الْكُورِ مَا إِنَّا مَفَاتِحُ لِّسُوْءِ
بِالْمُصْبَكَةِ أَوَّلِي الْقُوَّةِ﴾ (القصص: ٧٦)

مفتاح كور درون سوء مجموعها ر حان الأقوياء عندما يريدون حمله
وقد حاصر رواه الإسراء تسبب كثيراً في (مفاتيح حرائر) كور قارون،
وذهب بعضهم إلى أن هذه المفاتيح كانت تحمل على سبعين معلاً ١١ فإذا كانت
هذه هي المفاتيح فكيف الحرائر وما فيها من كور ١٢

ونحن نبقى مع طاهر الصقري في حديثه عن مفاتيح كتوز قارون،
ولا نذهب إلى الإسرايليات لتعرف تفاصيلها

إن لتعبر عن أمول قارون بالكور يوحى بأنه حصصه بأدنى جهد، وأنه
كان ينفذه ويحفظه، ويكره مصه فوق بعض، ولا يخرج منها شيئاً
سمحت حيناً وكان يكثرها ويمنعها، ولا يفتح ولا يكتفي بما تمتد منها

ما امرؤ بالمفتاح في الآية وسعاد عثر الآية بها ولم نعلم بالمفتاح؟
ذهب بعضهم إلى أن المفتاح هي المنهج، التي تفتح بها حرائر كوره،
وهذه المفاتيح يحرر الرجال لأشداء عن حملها

ويحرر لا يرى ذلك، لأنه لا تروى بين المفاتيح والمفاتيح

المفتاح جمع (مفتاح)، أم المفاتيح فإنها جمع (مفتاح)

قال أبو الفداء للكموي في (الكليات) عن الفرق بينهما "المفتاح كنه
الفتح، والمفتاح حربه والكثرة والمحرر والمفتاح جمع مفتاح، وهو للمكان،
ويشترط جمع مفتاح، وهو كانت جمع مفتاح لوحب أن يفتحها ماء، فصار
مفاتيح ١٣"

المفتاح إذن هي الحرائر الكثرة التي كانت توضع فيها كور قارون

هذه الحرائر كانت (سوء) بالعصاة أو بني سوء أي عديم حملها عصاة
برحان لأقرباء قوتهم وتبعضهم ولا يكفون بحملها

يقال: ناة الرجل بحملها، إذا بهض وقام به مثلاً

و: ناة الرجل: إذا أثقله الحمل، فقط، ولم يتبعض به.

و: ناة لحن بالرجل إذا أثقل الحمل بالرجل وأثقله

وكون حرائر قارون سوءً وثقل بالمحموعة من برحان الأقرباء دليل على
كثرتها وهذه دليل آخر على أن المردس مباح في لانة هو حرائر، وليس
المباح أي تبيع بها حرائر، فالمباح لا سوء بالعصاة أو بني سوء، بل لا سوء
بالرجل الواحد، إذ يستطيع الرجل الواحد حمل مئات مباحين بسهولة ويسر

٢٤ - معنى (ويكان) الله يبسط الرزق ويقدر.

متر قرون ناسي عندما خرج عيسى قومه في ربيته، حيث تمنى الدين يريدون
الحياة الدنيا أن يكونوا مثله قال تعالى ﴿فَخَرَجَ عَنْ قَوْمِهِ فِي رَيْبِهِ قَالِ الَّذِينَ
يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بَلِّغْ لَنَا مِمَّا نَفَعُ قَوْمَهُمْ ثُمَّ لَدُوْهُ حَقٌّ عَظِيمٌ﴾ وكان
الذين أوثوا العلم وتبعكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحاً ولا يفسد إلا
الفساد﴾ [القصص: ٧٩-٨٠].

عند ذلك حفت عليه كلمة الله، فحسف به وبذره وكسره الأرض
﴿لَقَدْ يَمَنَّا بِهِ وَيَدْرِوْهُ الْاَرْضُ مَا كَانَ لَمْ يَنْ يَتَوَّ بِصُرُوْهُ مِنْ دُوْنِ اللّٰهِ وَمَا كَانَتْ مِنْ
الْمُنْتَصِرِينَ﴾ [القصص: ٨١].

وقد أحمل القرآن الحديث عن تحسف بقرون، فم يفضّل ذلك، فيه
ذكرت الإسرائيليات تفاصيل كثيرة بعد تحسف، ونحن لا نمون بها لأنها
تثبت

وهناك حديث صحيح لرسول الله ﷺ، أخبر به عن تحسف بالرجل من
السابقين.

روى البخاري [برقم: ٥٧٨٩]، ومسلم [برقم: ٢٠٨٨] عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ قال: اسم الرجل بشي، قد أعجنته حفتة وزدته، بذخفه في لأرض، فهو يتجنح في لأرض حتى تقوم الساعة
 وانه يصرح بالحدث بأن هذا الرجل الذي خف به هو قارون، لكن فهم بعض العلماء أنه قارون

وبعد حسف الله لأرض قارون وسفه وكبره تعثر موقف دين فسو به ورسه! فلأمر كيو يتصور أن يكونوا مثله، ويقولون ﴿بَنَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ نَذِيرٌ عَظِيمٌ﴾

ولأن صارو بحمدون لله لأنهم يسوا مثله، فهو كانوا مثله لحسف الله بهم! قد تعنى. ﴿وَأَصْحَابُ نُفُوسٍ مُّكَاتٍ يَالْتَمِيسُ يَقُولُونَ وَبَكَاتِ اللَّهُ يَمُوتُ أَلَمْ يَرَوْا بَنِي إِسْرَءِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ رَسُولُهُمْ فَقَالُوا هَذَا الْمَرْءُ يُزْجِي أَلْفَ نَفْسٍ هَبْطَ وَبَكَاتِ اللَّهُ يَمُوتُ﴾ [المقصص ٨٢]

وكلمة (ويكأن) تكررت مرتين في الآية!

وقد شئنا على كثيرين فهم معاهها، ومن ثم ورد في معناه أقوال

- ١- فقال بعضهم معنى (ويكأن) ويلك اعلم أن أي ويلك علم أن الله يسطر ورق لمن يشاء ويعدر ويبت عنه أنه لا يفتح بك حروب
- ٢- وقد حروب معناه أنه تر أي لم تر أن الله يسطر ورق
- ٣- وقد حروب (ويكأن) مكوئة من كمش (وي) شمع، و(كان) بمعنى: أظن.

ولر حن هو بقول لأخيرة فهي مكوئة من كلمتين وي، كان

و بر حن في عراها هو (وي) اسم فعل مصدرع بمعنى شمع، و(كان) حرف تشبيه وشبهه ليس مر دأ، وإسم هو للتعبير والتشبيه

والمعنى لم رأى لقوم محدوعون قارون بهاته الأليمه تعشوا، وأيقنوا بصحة ما قاله المؤمنون لهم.

قالوا: (وي) إنا شمع بما حصل لقارون من الحسف.

ثم قالوا: **كَانَ اللَّهُ يَتَّبِعُ الرَّوْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ. وَيَقْدِرُ** أي: يوقر
ويعلو شأنه بسطر رقيق من ثياب، ويوسعه عنه، ويصير رقيقاً على من يشاء

ثم قالوا: **وَيَكَاذِبُونَ لَا يَصْلِحُ لَهُمُ الْكَفُورُ** أي: لا تتعبدوا معه حتى يسهل وروا
ويوقر ويعدم أنه لا يصلح الكفرون، ويرون أنه لا يصلح لأنه كفر

عشروا أن الله من عندهم لأنه لم يغيظهم بعد أن الكثير، ولو أعصاهم بعد
لكثير لحسف بهم كما حسف يافرون، وحمدوا الله على قلة ما بهم

كان من عرفوا ذلك عرفوا ما حارب بعد ما شهدوا هلاك يافرون بعبودهم
وكان بين المعرفتين: معرفة المؤمنين الصابرين بهذه لحقيقة أداء الله يافرون،
فلم يفتروا ولم يفتنوا به، ومعرفة هؤلاء المتأخرة

٢٥ - موسى على جبل الطور أربعين ليلة:

كان هو إسرائيل في مساء، بقوذهم موسى وهارون عندهما السلام، وقد
أمر الله موسى عليه السلام بالسمحي إلى جبل الطور، بما جاته وإبرل بشورة
عليه، واستحلف موسى أخاه هارون على بني إسرائيل، وبوخته إلى جبل الطور

قال تعالى: **وَوَعَدْنَا مُوسَى الثَّلَاثِينَ لَيْلَةً وَنَسَّيْنَاهَا عَشْرًا مِمَّنْ بَقِيََتْ رَيْبُهِ
أَتَيْنِكَ لَيْلَتَهُ وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْبِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ
الْمُفْسِدِينَ** [الأعراف: ١٤٢]

ما دلالة فعل (واعدنا)؟

إنه فعل ماضٍ رباعي، والألف فيه ألف مفاعلة.

ومزق بين الفعلين: (وعدّ) و(واعدّ)

(وعدّ) يدلّ على أن الوعد من طرف واحد، بأن يعد شخص شخصاً آخر
موعداً

أما (واعدّ) فإنه يدلّ على أن الوعد صادر من انفراد

كانت المواعدة من الله لموسى عليه السلام، بأن دعه بالسمحي إلى جبل
الطور بكمّته ويكرمه ويساجيه، وبنمو عده من موسى أصباً، بأن جاء وقد ما أمره
الله به

أحضر الله موسى عليه السلام قبل مجيئه إلى الطور أنه سيحيي عن فومه ثلاثين ليلة، فاستحلف عليهم أحده هارون عليه السلام، وأوصاه أن يحلفه فيهم بحير وتصلح، وأن يحدد المفسدين

وسما انتهت الميسى الثلاثون وموسى عليه السلام على جبل الطور، انتهى الله بعشر سبب أخرى، فصارت أربعين ليلة.

أحبر سورة البقرة عن المجموع نهائي لليلتي بدون تفصيل فقد تعسى ﴿وَوَدَّاعِدَا مُوسَىٰ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِن تَفْوِهِ﴾ [البقرة: ٥١].

بسم فضلت سورة لأعرف هذه الليالي قال تعالى ﴿﴾ ﴿وَوَدَّاعِدَا مُوسَىٰ ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتَمَمْتَهَا بِعَشْرِ قَتْمٍ مِيقَتِ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾ [الأعراف: ١٤٢]

كانت الميسى ثلاثين، ثم مُدِّدَتْ عَشْرًا، فصارت أربعين ليلة، وسم يذكر القرآن سبب هذا التمديد، فلا نخوض فيه.

وبعد انتهت الليالي الأربعون كلم الله موسى عليه سلام على جبل طور تكليماً قال تعسى ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ [سواء ١٦٤]

ولا نحوض في كيفية كلام الله لموسى عليه السلام، ولا في كيفية سماع موسى عليه سلام لكلام الله، لأننا لا (نكتب) صلات الله، ولا نعرف كيفية اتصافه سبحانه بها.

إب شئت (الكلام) صفة من صفات الله، ويؤمن أن الله متكلم، وأنه لا هدية لكلامه، وأنه يكلم من شاء من خلقه، كما يليق بعظمته سبحانه

كلم الله موسى عليه السلام مباشرة، فهو كليم الله، كما كلم محمداً ﷺ ليلة المعراج في لسموات سبع، فهو كليم الله أيضاً

ولما سمع موسى عليه السلام كلام الله ووعده، استشرف نفسه إلى أن يرى الله، فطلبت من الله أن يراه قال تعالى ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنَنْظُرَ إِلَيْكَ وَلَٰكِنِ أَنْظُرْ إِلَى الْعَرْشِ فَإِنِ اسْتَفَرَّ مِنْكَ فَمُتَّ سَوَافَ رَبِّ فَلَمَّا أَجَلَ رَبُّهُ إِلَى الْعَرْشِ جَعَلَهُ ذَكًّا وَحَرَّ مُوسَىٰ صَوْفًا فَلَمَّا آتَاهُ قَالَ سُبْحَنَكَ ثَلُثَ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٣]

وقد بعبر بعضهم هذا الطلب مأخذاً يؤخذ على موسى عليه السلام، فكيف

بصفت من الله أن ينظر إليه بعينه؟ ألم يكن بعينه أن هذا غير ممكن في ادب؟
وفي لحقيقته لا يرى هذا ما حدث نوحاً عليه، وهو لم يُحصى في هذا الصب
لم يكن يعلم أن رؤية الله غير ممكنة في ادب. وبوكان بعينه ذلك ما نجر
وصلب، لأنه عنه اسلام مسرة بشرع الله لا بحده.

وإدري دفعة إلى طلبة أنه بعد ما حصه الله له من الكرامة والعقل، حيث
كنه تكليماً، وسمع هو كلام الله تعالى، فتأقت نفسه إلى أن يرى الله بعينه، سجمع
العقل من صريته، طرف السمع، وطرف البصر، وبما أنه بعد سماع كلام الله
بأذنيه، فقد أراد أن يرى الله بعينه!.

وراء الله أن يرى موسى عليه سلام أن رؤيته في الدب غير ممكنة.
ولذلك قال: ﴿لَنْ نَرَى وَلاَ نَسْمَعُ وَلاَ نَحْبِلُ إِلَى الْحَبْلِ وَإِنِ اسْتَفْرَغْنَا فَسَوْفَ نَرْثَى قُلُوبُ
نَحْنُ وَرَبُّهُ لِلْحَبْلِ حَكَمٌ دَكٌّ وَخَرَّ مُوسَى صَوْماً فَسَاءَ أَوْدٌ قَالَ سُبْحَنَكَ بُنْتِ
إِلَهِكَ﴾.

لم ينه الله موسى عليه سلام عن صده أن يره، وأعدده فيه، لأنه
لا يعلم، وما علم موسى عليه السلام أن الله لا يرى أدب به.

تحلى الله للمحل الذي نفع موسى عليه، تحلياً يليق بعظمته وجلاله،
ولا يعرف كيف تحلى سبحانه للمحل، لأن لا يعرف كيفية أفعال الله، لأن
تصور كيفية أفعاله سبحانه وتعالى يتبع عن تصور كيفية ذاته، وهذا ما لا يمكن أن
يكون..

فإن صدقنا: «كيف كان هذا تحلياً؟ نحن لا نملك أن نصفه، ولا نملك
أن ندركه، ولا نملك أن نستشعره إلا بتلك العظمة التي بصف الله، حين تشق
أرواحاً ونصفوا، وتجهل كفتها إلى مصدرها، فأما لا فاطة محردة فلا نملك أن
تقل شيئاً بذلك لا نحاول بالأنفاس أن نصور هذا التحلي».

تحلى الله للمحل كما يليق بجلاله، فحعل محل دك، وخر موسى صعباً،
ولما أفاق أقر أن الله لا يمكن أن يرى في ادب، فقد: ﴿سُبْحَنَكَ بُنْتِ
وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

بدأ كلامه مسيح الله وتربيته عن كل نقص، ووصفه بكل كمال وحلال

ثم أعلن توبته إلى الله، وهي ليست عن ذنب ومكروه، لأن لأبي معصومون عن ديون والمعاصي، ولا بد أن على أن موسى عليه السلام أخطأ عندما طلب من الله أن يره، لأنه لم يكن يعلم أن الله لا يرى في الديب، وغير العادة لا يسمى محققاً، وتوبه موسى عليه السلام ذكره الله، وتوبت نصته به

وصرح موسى عليه السلام بأنه أول المؤمنين أي أنه أول المؤمنين بالله، الذين يعتقدون أن الله لا يمكن أن يرى في الديب، لأنه رأى البحر يدك لما تجنى رؤيته له.

وليس المراد بأول المؤمنين هنا الأولية التاريخية، لأنه يوجد مؤمنون كثيرون قبل موسى عليه السلام، منذ آدم عليه السلام، بما المراد بذلك أولية خاصة، فهو أول المؤمنين من قومه بني إسرائيل، لأنه رسولهم وإمامهم وأولهم وأفضلهم.

وشيرها إلى أن عدم رؤية الله في الديب لا تعني عدم رؤيته في الجنة، فقد صرحت آيات والأحداث صحيحة بأن المؤمنين يرون الله تعالى في الجنة، وأن هذه الرؤية هي أعظم من كل شيء في الجنة. وبسبب هذا موضح تفصيل القول فيها.

٢٦ - بعض صفات التوراة الإيجابية

أمر الله التوراة على موسى وهو على جبل الطور، وكانت مكتوبة على (الألواح) أي ألواح من السماء قال تعالى ﴿وَكُتِبَ لَهُ فِي الْأَلْوَابِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَمَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ فَصَّادُهَا يَفْقَهُ وَأَمْرٌ قَوْمَكَ بِأَعْدَائِهِمْ وَأَوْعَاظُكُمْ وَأَرْكَانُ الْفَنَائِ﴾ [الأعراف ١٤٥]

(الألواح) جمع لوح، وهو ما يكتب عليه من حطب ونحوه، وهي الألواح التي كتبت عليها التوراة، كتبت الله حار على موسى عليه السلام

ونداً لأنه على أن التوراة كتبت على تلك الألواح في السماء، وتداولها موسى مكتوبة حاضرة لأنه لم يرد في مصادر الإسلام أن موسى عليه السلام كان كاتباً، أو أنه أخذ معه أحداً إلى جبل الطور، فكان يكتب عنها ما يوحى به

الله إليه، أو أنه كان حوله كُتِبَ آخرون من بني إسرائيل! وبما أن هذا لم يرد
عندنا، فالأنواح كُتِبَ عليها التوراة في السماء، وأُرسِلَتْ على موسى عليه السلام
جائزة

والأنواح، المذكورة هاهنا، هم يَفْضُ القُرْآنُ بحديث عنها، فلا يعرف
عددنا ولا حجمها ولا مدتها ولا وصفها، فسببها على يدها.

وكتب الله سوراء في الأنواح، وجعل فيها كل شيء ﴿وَكَتَبْنَا لَهُ فِي
الْأَنْوَاحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾

وهذا يدل على شمول التوراة لما تحت حُجُوس إسرائيل من شرائع والمواعظ
والنوحيات والآداب، لأنها كتاب الله، وكل كتاب الله شامعٌ للأقوام الذين أُرسِلَتْ
إليهم.

أمر الله موسى عليه السلام أن يأخذ التوراة بقوة ﴿فَخُذْهَا يَقْوَاهُ﴾، والمراد
بالقوة هاهنا القوة العزيمة والإرادة، وقوة الفهم والحسم، وقوة الالتزام والعمل والتفصيل
وطلب الله من موسى عليه السلام أن يأمر قومه أن يأخذوا بأحكامها
﴿وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا﴾

و(أحسن) في الحسنة، فعلٌ تفعيل، وصهره أن ما في سورة نوحان منه
ما هو أحسن، ومنه ما هو أحسن.

وقد يقع بعضهم في إشكال، هل التوراة كلام الله، كيف يكون فيها حسن
وفيها أحسن؟

يراجح أن الفعل تفعيل ليس على ما به، بل المراد به وصفٌ لتوراة بأنها
حسنة، وكل ما فيها ذو حُسْنٍ تامٍّ كامل. ودلت لأنَّ توراة كلام الله، وكلُّ كلام
الله حسن، والمعنى أأمر قومي بأحد ما في التوراة، والاستملاك به فيه كمالُ
الحسن.

وقد وردت بعض صفات التوراة في القرآن:

في كتاب فرقان قال تعالى ﴿وَأَنذَرْنَا مُوسَىٰ تِلْكَ آيَاتِ الْفُرْقَانِ لَمَّا نَكَّمْ
تَمْتَدُونَ﴾ (البقرة: ٥٣)

سورة كتبت لأهل كلام الله، تمزكتبت على لألوح، وهي أحد كتب الله
التي يجب الإيمان بها، ومن لم يؤمن بها فهو كافر.

والتوراة فُرِص، لأن الله فرق فيها بين الحق والباطل، فكل ما فيها حق،
وكل ما خالفها فهو باطل.

وقد تعني ﴿قُلْ مَنْ أَرَادَ لِي كِتَابَ الْبَيِّنَاتِ يَدِي مَوْزٍ وَهَدَى لِسَانِي مَحْمُودٌ
قَرَأْتِيسُ يُدَوِّهَا وَيُحْمُونَ كَثِيرًا﴾ [الأنعام ٩١]

فالتوراة في هذه الآية موصوفة بأنها نور، يُبهر للباس حياتهم، وهي هدى
يهدىهم إلى الصراط المستقيم.

- وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ مَاتَيْنَا مَوْتًا وَهَرُونَ لَفَرَقَانَ وَحُسْبَانَهُ وَذَكَرًا لِلْمُتَّقِينَ﴾
[الأنبياء: ٤٨].

فالتوراة في هذه الآية موصوفة بأنها فرقان، بمعنى يهدي بينه، وهي صاء
بصي، لشيء ليس بمرئي حياتهم، وهي ذكرٌ بمتقين، تدلهم على كيفية ذكرهم لله،
وحسن عبادته.

- وقال تعالى ﴿وَعَدَ مَاتَيْنَا مَوْزٍ أَلْحِكَّتْ مِنْ تَعْدِمًا أَهْدَكَ لَقُرُونٍ
الْأُولَى نَصَايَرِيسُ وَهَدَى وَرَحْمَةً لَعَنَهُمْ سَدَّكَرُونَ﴾ [نقصص ٤٣]

جعل الله سورة بصائر للباس، يُبصرون بها الحق، ويتميزون عليه،
وَيُمَيِّزُونَهُ عَنْ سَائِلٍ، وهدي يبتدون به إلى طريق الحق، ورحمة من الله بهم
يرحمهم بها.

هذه الصفات الإيجابية للتوراة التي تربتها الله على موسى عليه السلام،
فهي كتبت وقرئت، وهي نور وهدي، وهي صاء وذكر، وهي بصائر ورحمة،
لأنها كلام الله وكتبه، وكل كلام الله هكذا، وكل كتاب الله هكذا.

وقد يُحفظ بعضهم فحعل هذه الصفات الإيجابية للتوراة بموحودة لأن
بين أيدي اليهود، والتي يسمونها (المهد القديم).

قد نُحسُ بعضهم لعل في التوراة التي بأيدي اليهود الآن، ويعبرها كتب
الله، ومؤمن بها ويصدق بها، لأن القرآن أشي عليها.

لذلك يجب أن نشة إلى أن هذه صفت الإباحة إنما هي متورة لي
أمر الله على موسى عليه السلام، وبما سرقوا إسرائيل بها ومن موسى عليه
للسلام أسعدوا أنفسهم واستقامت حياتهم.

وبعد ذلك حرف أحرار اليهود لسور هـ، ومزحوا كلام الله يدي فيها بكلامهم،
وملأوها بالاسرائيليات ولاكديت، وكفر والتفصيل، وحدث طمسوا فيها
من سور وصيه، وفصوا على ما فيها من هدى ورفعان، وأصحت كذب كفر
وكذب الله لأحرار، وبم نعد بعد ذلك تحريف كتاب من كتب الله

ويجب على كل مسلم أن يؤمن أن التوراة السجودة لأن بين أيدي اليهود
م نعد كتاب من كتب الله، وبيت هي التوراة السرية على موسى عليه السلام،
وبما هي كتاب محرف فذلك مكذوب كتبه لأحرار بأيديهم، وسوءه إلى الله
كذب، وهذا كتاب (العهد القديم) ليس هدى ولا صيه، ولا سراً ولا رحمه،
ولا فرقاً ولا بصائر.

٢٧ - عتاب الله لموسى على عجلته:

بينما كان موسى عليه السلام على جبل الطور أحره الله أن قومه صنعوا في
عبثه وعبور العجل، وعذبه الله بسؤره ﴿ وَمَا تَعَجَّلْتُكَ عَنْ قَوْمِكَ يَمْوَسَىٰ ۚ قَالَ هُمْ أُولَاءَ عَلَىٰ أَثَرِي وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَقْضَىٰ ﴾ [طه ٨٣-٨٤]

ومعنى قوله ﴿ وَمَا تَعَجَّلْتُكَ عَنْ قَوْمِكَ يَمْوَسَىٰ ﴾ أي شيء حميتك على
معيته وسرعة؟ ولماذا عجيت بقوم من جبل الطور وسقتهم؟

وهذا السؤال فيه معنى العتاب، عاتب الله موسى عليه السلام بتمعجه وسبقه
لقومه ولا يعني هذا أن موسى عليه السلام محظن في تعججه، لأنه جاء جبل
الطور بأمر الله، وترك أحماء هرون عليه السلام خبيعة فيهم

وقد أجاب موسى على السؤال بقوله: ﴿ هُمْ أُولَاءَ عَلَىٰ أَثَرِي وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ
لِتَقْضَىٰ ﴾. ولا أثر: هو ما يتركه الماشي على الأرض، من علامة قدم أو حف. فهو
بمعنى العلامة

يقال: جاء فلان على أثره. أي: جاء سبعة

ومعنى قومه ﴿مَنْ أَذْلًا عَلَىٰ أَثَرِي﴾ إن قومي سائرون على أثري، متابعون لمواقع قدمي أي إن قومي قادمون يتزلفون قريباً من جبل الطور.

وهذا يدل على أن بني إسرائيل كانوا مع هارون عليه السلام قريين من موسى عليه السلام!

كف يدل على أن موسى عليه السلام قد سبق قومه بدخول بني حنظلة طور، حسب الموعد الذي وعده الله إياه، وخطب منهم أن يذبحوا له ذبابة هارون، وأن يكونوا قريين منه

ولما عتبه الله على عجمته أحاب وثلاً ﴿وَصَبَّحْتَ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْصُقَ﴾ أي تعجبت في بدوهم بيت يري، حسب الموعد الذي وعده الله إياه، وكنت شوق لحلول الموعد، لتزداد رصاً عني.

وعنى سيد قطب على هذا عتاب بنو له: «لقد عبت بشوق على موسى بنو ساحاة الله، ووقوف بين يديه، وقد داق حلاوتها من قبل، فهو يبيت مشفق عجوز روفت في حصرة مولاه، وهو لا يعنه ما وراءه، ولا ما أحدث بقوة بعده، حين تركهم في أسفل الجبل...»^(١)

لقد كان سؤل الله لموسى عليه السلام عن سبب تعجبه عن قومه فيه عتاب به على ذلك تعجب، وأجاب موسى عليه السلام عليه، وهو لم يحط في تعجبه لأنه اتقى أحده هارون عساه السلام حقيقة على قومه، وبغض إلى ربه يزداد رصه عنه، فلا يلام على ذلك!

٢٨ - غضب موسى وإلقاؤه الألواح:

أحضر الله موسى عليه السلام وهو على جبل الطور أن قومه صنعوا أنداء عيابه، وعدوا لحمل، وتبعوا أوامر السامري، فعصب ما فعلوا قال تعالى ﴿قَالَ يَا أَهْلَ قَوْمِكُمْ أَتَعْبُدُونَ الْبَاقِرَ وَاسْتَكْبَرُوا عَلَيْهِ﴾ [طه: ٨٥]

أحد موسى عليه السلام الألواح وعاد إلى قومه وهو عاصب ﴿فَرَجَعَ مُوسَى إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا﴾ [طه: ٨٦]

(١) الطلال ٤/ ٢٣٤٦

وصفت الآية موسى عليه السلام موصفين: غضبان أسفاً

عصان وصف يداً على شدة غصه على قومه، لصلابهم وفساد أحوالهم
وعبادتهم للعجل

وأسفاً وصف يداً على شدة حربه على قومه بسبب ما فعلوه

قال الإمام محمد الطاهر بن عاشور عن غصبه وأسفه:

«الغضب انفعال نفسي، ومحاول يثأر عن إدراك ما سؤوه وفسادها
دون خوف، والوصف منه غضبان

والأسف: انفعال للنفس، يثأر عن إدراك ما يحزنه وما تكرهه، مع
انكسار الخاطر. والوصف منه أسف

وقد اجتمع الانفعالان في نفس موسى عليه السلام، لأنه يسؤوه وقورغ ذلك
في أمته، ويحزنه المعنى بحاله عصب، وهو أيضاً يحزنه وقورغ ذلك وهو في
ساحة به. نبي يأمر أذ تكبر سب رضى الله عن قومه فود بهم ثوباً لا
يرضى الله، ولذلك انكسر خاطره... (١)

توخه موسى عليه سلام إلى قومه وهو عصبان أسف، حزين مكسر
الحصر، ويحمل الألوخ التي فيها التوراة وسد وصنهم وخدمهم عاكفين على
العجل الذهبي، عاكفين به، فراد بعدله وعصه، وحزنه وأسفه، وألقى الألواح
من يديه، وعنف قومه، ولام أخاه وهي حركات وتصرفات تحت حيز تفسير
وتحليل وتوجيه

قال تعالى ﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي بِتَقَرُّو
أَعْبَدْتُمْ آلِهَتِي وَأَلْقَى الْأَلْوَحَ وَأَحْذَرُنَّ آيَةَ اللَّهِ بَخْرًا﴾ [البقرة: ١٥٠]

وقال تعالى ﴿فَرَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ يَقُولُونَ لَا نَبْعُدُكُمْ
وَعَدَا حَسَنًا أَفَلَا عَلَىٰكُمْ آيَةٌ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ الْمَلَكُ ثُمَّ لَوْلَا أَنَّمَا إِلَهُكُمُ الْمَلَكُ لَفُلَّتُم
مِنْ عِلِّيَّ﴾ [طه: ٨٦].

(١) تفسير التحرير والتنوير ١٧/٢٨١-٢٨٢

وقد يقع غضبه في إشكالي عند فهمه لعصت موسى عليه السلام مع أنه لا إشكال عنه في الحقيقة. فعصته إنما هو الله. من يعبدوه وحممه، ويكرهونهم، وعدم قبول لأصل، ومخالفة قومه مخالفة عقيدة كبرى، تدعو إلى العصاة

ألا يريد أن يعصت عصياً شديداً إنه يأمهم ويدفعهم ورسولهم، عاب عنهم أربعين يوماً، وبرك فيهم أحده النبي هارون عليه السلام، وأخبرهم أنه داهت بأبيهم بـ شريعة، وعاد تمت الشريعة مكتوبة على الألواح وقد بهم قد كفروا بالله، وصنعوا عجلاً ذهبياً، وجعلوه إلهاً، وعبدوه من دون الله!!

أليس هذا تصرف من قومه يدعو إلى العصاة شديداً ولافعال كبير؟
وبوك رحل آخر مكر موسى عليه السلام ألا يعص؟

دون عصت موسى عليه السلام بما هو الله، وغيره على دين الله، ورفض للباطل والمكر والفساد، وهو مأجور على هذا يعص. وليس محضاً أو مدوماً

وبما عصت موسى على قومه أنقى الألواح التي أحضرها معه، من شدة غضبه وحزنه وأسفه وانفعاله

وهو لا يلام على بقاء الألواح، لأنه لم يفعل ذلك هدنة أو تحفيز لها إنما كان ذلك أثر من آثار غضبه وشممه، وبتأثير من صدمته بقومه لما شاهدهم يعبدون العجل.

كان أفعال موسى عليه السلام أكثر عندما شاهد قومه يعبدون العجل، فقد أخبره الله وهو على جبل منهم عدواً العجل يعصت وحرر، بكهنة ثم رآهم يعبدون بحجر دخرته ومعدنه بحيث أنقى الألواح

روى أحمد في مسند [٢١٥ ١] عن ابن عباس رضي الله عنهما، عن رسول الله ﷺ قال: «بئس أخبز كالمعانة إن الله تعالى أخبر موسى بما صنع قومه في المعجن، فلم ينزل الألواح، فلما عاين ما صنعوا أنقى الألواح»

يشير الحديث إلى الفرق بين تأثر من أخبر عن شيء، وتأثر من عاين ذلك الشيء ورآه، فبئس أخبز كالمعانة، فتأثر وبعده المشهد لمشى، فضعف تأثر من أخبر به، وهذا ما حصل مع موسى عليه السلام، عندما التقى الألواح من شدة غضبه، وفوران انفعاله!

وأقل موسى عليه السلام على قومه موتحاً معقلاً لهم، قدّمهم على محالمتهم له في غيابه قال لهم ﴿يَقَسِّمَ حَلْفُونِي مِنْ بَعْدِي﴾ أي أهلكوا تحلفوني؟ لم أغت عكم كثيراً، فبشر المعلن لدي فعلنوه!

وقال لهم ﴿أَعَجَلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ﴾ أي لماذا سارعتم بفعل ما يُسبب غضب ربكم عليكم؟

أما علمتم أن الله يعصّب من ذلك ويعاقب من فعله؟ أتريدون أن تتعجلوا بذلك عقاب الله؟

وقال لهم ﴿أَلَمْ يَبْعَثْ رَبُّكُمْ وَعْداً حَسَناً﴾ أي لقد وعدكم الله وعداً حسناً، حيث دعاي إلى جبل الطور، ليبرل علي التوراة، وبها سعادتكم، وكان الأولى بكم أن تتظروا هذا الوعد بالحسنى والعبادة لله

وقال لهم ﴿أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ﴾؟ يقصد بذلك مدة غيابه عنهم، فقد أحرهم أنه سيعود إليهم بعد ثلاثين يوماً، وأبقى فيهم أحباء هرون السبي عليه السلام، ومدة الله المدة عشرة أيام أخرى، وفي هذه الأيام العشرة عبدوا العجل! يُكرّ عليهم حريمتهم لأنه عات عنهم عشرة أيام أخرى حلفوا ديه وعبدوا العجل؟

أكانت الأربعون يوماً عهداً طويلاً وفترة مديدة، طال عليهم العهد فيها، ودفعتهم إلى عبادة العجل؟

وقال لهم ﴿أَمْ أَرَدْتُمْ أَنْ يُحْلَ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُمْ مَوْعِدِي﴾ أم هنا حرف إصراب بمعنى (ن)، والمعنى كلا، إنه ما طال عليكم العهد في غيابي عنكم، بل أنتم أردتم أن يحل عليكم غضب من ربكم، فأخلفتم موعدي وعبدتم العجل!

٢٩- موقف هارون من عبائتهم العجل:

استحلف موسى هارون عليهما السلام، وأمره بالإصلاح قال تعالى ﴿وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ أَخْلَفِي فِي قَوْمِي وَأَسْلُحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٢].

وَتَقْدُ هَارُونَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَصِيَّةَ أَخِيهِ، فَحَقَّقَهُ فِي قَوْمِهِ بِحَبِيرٍ
 وَقَدْ يَقَعُ بَعْضُهُمْ فِي إِشْكَارٍ فِي بَيَانِ مَوْقَعِهِ مَعَهُمْ بَعْدَ عَدْوِ الْعَجَلِ
 فِي أَحْضَارِ الْيَهُودِ كَثِيرٍ - بَدَلِ أَتَمِّ الْإِسْفَارِ بَعْدَ الْعَهْدِ الْقَدِيمِ - رَعَمُوا أَنَّ هَارُونَ
 عَلَيْهِ السَّلَامُ عَدُوٌّ لِعَجَلٍ مَعَ سَيِّ إِسْرَائِيلَ
 وَرَدَّ فِي سَفَرِ خُرُوجٍ مِنَ الْعَهْدِ الْعَدِيمِ هَذَا لِنَصْرِ "وَمَا رَأَى شَعْبُ أَنَّ
 مُوسَى قَدْ صَالَتْ إِقْدَامُهُ عَلَى الْحَبْلِ، احْتَمَعُوا حَوْلَ هَارُونَ، وَقَالُوا لَهُ هَذَا أَصْبَحَ
 إِلَهُاً، يَتَقَدَّمُ فِي مَسِيرِ، لَا بَلَّ لِمَسْرِي مَدَدُ، أَصَابَ هَذَا بَرَحَ مُوسَى، الَّذِي
 أَخْرَجَنَا مِنْ دِيَارِ مِصْرَ.
 فَأَحْبَبَهُمْ هَارُونَ بِرَعْوِ أَفْرَاطِ الذَّهَبِ نَتِي فِي دَسَائِكُمْ وَسَائِكُمْ
 وَسَيْكُمُ، وَأَعْطَوْنِي إِيَّهَا - فَرَعَوْهَا مِنْ أَدَانِهِمْ، وَخَذُوا بِهَا إِلَيْهِ فَأَحْبَبَهُ
 مِنْهُمْ، وَصَهَرَهَا، وَصَاغَ عَجَلًا.
 عَدُوٌّ قَالُوا - هَذِهِ آتِيَتْ بِهَا بِسَرِئِ الْوَقْتِ أَخْرَجَتْكَ مِنْ دِيَارِ مِصْرَ
 وَعَدِمَ شَهْدَ هَارُونَ دَلِيلَ، شَتَّى مَدْحًا أَمَامَهُ، لِعَجَلٍ، وَأَعْسَرَ عَدُوًّا هُوَ عَدُوٌّ
 لِلرَّبِّ.
 فَتَكْرَرُ شَعْبُ فِي الْيَوْمِ لِكَيْسِي. وَأَصْعَدُوا مُخْرَفَاتٍ، وَقَدَّمُوا قَرِيبِينَ سَلَامٍ،
 ثُمَّ احْتَمَلُوا، فَأَكْبَرُوا وَشَرُّوا، وَمِنْ ثَمَّ قَامُوا لِلْهُورِ وَالْحَبْلِ
 هَذَا كَمَرٌ يَهُودِيٌّ حَيْثُ، بَتْنُهُ هَارُونَ السَّبِيَّ عَلَيْهِ السَّلَامُ بَأَنَّهُ هُوَ بَذِي صَعِ
 لِعَجَلٍ، وَدَعَى قَوْمَ إِيَّاهُ عَادَتَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ، وَهَلْ يُعْمَلُ أَنْ يُعْمَلَ سَبِيَّ كَرِيمٌ هَذَا
 لِعَمَلٍ نَقِيحٍ؟ وَهَلْ يَدْعُو سَبِيَّ قَوْمَهُ إِيَّاهُ عَادَةً غَيْرَ اللَّهِ؟
 فَقَدْ كَذَّبَ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ لِأَحْضَارِ الْكَادِبِينَ نَكَافِرِينَ، حَيْثُ صَرَّحَ بِمَوْقِفِ
 هَارُونَ الصَّرِيحِ بِوَأَصَحِّ مِنْ حَرِيصَةِ قَوْمِهِ، عِنْدَمَا أُنْكَرَ عَلَيْهِمْ عَادَةُ لِعَجَلٍ
 قَدْ تَعَسَى ﴿وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِنْ قَبْلُ يَقُولُوا إِنَّمَا قِيسُ بَعْضِكُمْ بِبَعْضٍ، وَرَبُّكُمْ الرَّحْمَنُ
 فَأَلْبِسُوا زِينَتَكُمْ﴾ [طه: ٩٠]

قال لهم هارون عليه السلام ما قوم إنما قسم بالعجل، وقسم بالسامري
الذي صنع، وهذا مثال من الذهب، وليس إله، وإن كنتم هو الله لو حد
الحلق رحمتهم، فعدوه وحده، ولا تقدموا هذا معجل

يا قوم، اتعوب، لأني نبي من عند الله، ولأني حدثتكم رسولكم موسى عليه
السلام، وأطيعوا أمري، فإني لا أترككم إلا طاعة لله، ولا تطيعوا أمر السامري
لأنه صالٍ مُصلٍ

بأن نبي هارون عليه السلام قومه نبي صريحاً عن عبادة معجل، ودعاهم
بعبادة الله وحده، وهذا هو الموقف منه، لأنه رسول كريم، عليه صلاة
والسلام.

ولكن القوم لم يستمعوا بهارون عليه السلام، ولم يطيعوه قال تعالى
﴿ قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْكَ يَوْمَ كَيْفٍ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى ﴾ [طه ٩١]

أي سبى عاندين للعجل، عاكفين على عبادته، ملزمين له، حتى يرجع
إليهم موسى، فإن رجع سائماً وأكز عبيد أضغده، أم أنت يا هارون فليس تطيعوا

٣٠- ما جرى بين موسى وهارون عليهما السلام

عصب موسى عليه السلام، وألقى الألواح عندما رآهم يعدون معجل، ثم
أقبل على أخيه هارون عليه السلام، لأنهما معقلاً، وجرى بينهما حوار وكلام،
أشار له القرآن.

قال تعالى ﴿ وَالْقَى الْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ قَالَ ابْنُ آدَمَ إِنَّ الْقَوْمَ
اتَّخَذُوا بُعْدَ ظَنِّي فَلَا تَتَّبِعْ فِي الْأَعْدَاءِ وَلَا تَخْلُفْ مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿١٥١﴾
قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِإِخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾ [الأعراف
١٥٠-١٥١].

وقال تعالى ﴿ قَالَ يَهْرُونَ مَا مَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضُفُّوا ﴿١٥٢﴾ لَا تَتَّبِعْ أَفْهَصِيَّتَ
أَمْرِي ﴿١٥٣﴾ قَالَ يَسْتَوُونَ لَا مَأْخُذَ بِلِحْيِي وَلَا بِرَأْسِي ﴿١٥٤﴾ بِي حَيْثُ أَنتَ لَقَوْلٍ فَهَرَفْتُ عَلَى يَدَيْ إِسْرَافِيلَ
وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي ﴾ [طه ٩٢-٩٤]

لقد صر موسى أن أحدهم قصر في الإكثار على قومه، فقام صوته بحركة مدنية

عسے، جیٹ سجنہ من شقر، نسہ و الحسہ، و صبر یحمرہ ایںہ، کما فی تعالیٰ ﴿وَلَقَدْ رَآینِ آیینہ یحمرہ اَلَنَ﴾

وهذه حكمة جديدة نعلمها من موسى عليه السلام في الإنكار عليه، وفيها وهو تحت تأثير الانفعال والغضب!

وَحَاصُّ أَحَدٍ لَانْتِ فَسْ ۖ قَالَ يَهْرُورُ مَا مَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُ ضَلُّوٓا۟ ۖ أَلَا تَتَذَكَّرُ ۚ

إِنَّ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمَّا رَأَى أَنَّ أَحَادَهُ لَمْ يَتَّعِدُوا الْعَمَلَ مَعَ مَنْ عَنَدَهُ ،
لَأَنَّهُ نَبِيُّ مَعْصُومٍ ، وَبَعْدَهُ أَنَّهُ أَكْبَرُ عَلَيْهِمْ عَمَلَهُ الْعَمَلَ ، لِأَنَّ هَذَا مَا يَتَّقُونَ مَعَ
سُوءِهِ ، كَيْفَ كَانَ يَرِيدُ أَنْ يَكُونَ بِكَرُّهُ أَشَدَّ وَقُوَى وَأَقْسَى ، كَأَنَّهُ تَعْظِيمُ الْعَمَلِ
أَمَامَهُمْ ، فَوَيْلٌ لِمَنْ عَنِ عَدْلِهِ وَحَقِّهِ عَلَى حَسِّ ظُورٍ ، نِيْحَرُهُ لَمَّا مَعُوا

وهذا قوله: عذروا إليهم صلوا المداين تسفي وبأبي، ما الذي معث
من المحي؟ هل عصيت أمري ورعيت أن تسفي مع بقوه دين عذرو بعقل؟

وَدَّ لَاحِظُ هِرُونَ عَصِي وَعَصِي أَحِبُّهُمَا لِلَامِ، فَرَدَّ أَنْ يَتَعَصَّيْهُ
وَيَرْقُفَ فِيهِ وَيُحْفَظَ عَصِي، فَرَدَّ وَعَصِي أَسْأَلُهُ ﴿يَسْأَلُ﴾

ولا يدرك فؤاده ﴿يَسْتَوْفٍ﴾ على أنه أخوه لأمه، وليس أخاً شقيقاً له،
والظاهر أنه أخوه بشقيق، وحاطبه بذلك مانعة في إخراجهم و منعهم، حيث
ذكره تأهب ابن لأُمٍّ واحدة، شرك في رحم واحدة

قد لإمام من كثير القول له يا سيدي أن توفيقه بذكره لأمر، مع أنه شقيقه لأبيه، لأن ذكره لأمره هو أن يرقى واسع في الحق والمصطفى^(ص)

ومعنى قوله ﴿لَا تَأْخُذْ بِلِغَتِكَ وَلَا بِرَأْيِكَ﴾: لا تشدني من شعر لحيني، ولا من شعر رأسي، فإن هذا يؤلمني ويوجعي.

وَبَشِّرْ هَارُونَ أَخَاهُ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ عَلَىٰ عَادَتِهِمْ جَحِيصًا ، وَإِنَّا
 أَنْكُرَ عَلَيْهِمْ وَيَهْمُهُ ، وَذَكَرَهُمْ وَنُرْسِدُهُمْ ، مَكِينُهُ لَمْ يَسْجُدُوا لَهُ ، وَ سَتَصْعَدُونَ ،
 وَكَادُوا يَقْتُلُونَهُ : ﴿ إِنَّا الْقَوْمُ فَاسِقُونَ ﴾ وَكَادُوا يَقْتُلُونَهُ ۖ

وهذه الجملة تدل على أنه عارضهم معارضة شديدة، ولما لم يستحيوا به
سكت حشة أن يملوه

وأحاب هارون على لومه أخيه عندما قال: ﴿ مَا مَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ صَبُّوا إِلَّاءَ
ثَعْلَبَ ﴾ بأنه حشد في نقاته سهم، رجمه عصي بهم
قوله: ﴿ إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي ﴾

وكان هارون عليه السلام يقول: كان بمكسي أن تنك لأحمر، فتحصل
موصى فيهم بعدي، وأحشى عندك أن تنومي وتقول: لقد فرقت بين بني
إسرائيل، وأوقعت فيهم الفوضى بذهابك عنهم.

وكان بمكسي أن اخدمني لغرس ثياب على لايسر، وهم فلائيل، وبكفي
حشيت أن تقع لفرقة بين الثم يمس، وقد يقع لاقتنل بسهم، وعدده سنوومي
أنت وتقول بي أنت فرقت بين بني إسرائيل، ولم ترقب قولي، ولم تحفظ على
وصيتي وعهدي، عندما قلت لك: حنفي في قومي وأصبح ولا تشع سيل
المفسدين.

فجملة ﴿ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي ﴾ معطوفة على ما فيها، وهي تابعة لما كان هارون
يخبره ويتخوفه من موسى أي: إن فرقتهم وأنت حشيت أن تقول لي: ساد
يا هارون فرقت بين بني إسرائيل؟ ولما يد هارون لم ترقب قولي ولم تعد عهدي؟

وقد كان احبذ هارون عليه السلام خلاف لأوئي، وكان الأوئي أن
لا يكتفي بالإكثار عليهم وأصبح بهم، بل أن تشع ديث برة بمكر يده
وبكته لم يكن محطت في احتجاده، وفعل خلاف لأوئي ليس خطأ

ولما عرف موسى عليه السلام حقيقة موقف أخيه ترك بومه ونعسه، ودعا
الله لهم، قال تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِإِخْوَتِي زُنُوجَهُنَّ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ
الرَّاحِمِينَ ﴾ [الأعراف: ١٥١].

ودعاؤه الله لهما بالمعزة ليس معناه أنهما ارتكبا ذنبا، بل هو ذكره الله
وأدبته مع الله، وحسانته وبحرجه من فعل خلاف لأوئي إنه يستعمر الله مما
ظهر عنه من لعصب والافعال، مع أنه لم يحضن فيه، ولما فعل خلاف الأوئي،
ويستعمر الله لأخيه من فعله خلاف لأوئي في نقاته مع قوم!

٣١- السامري وصناعة العجل:

ذكر قرآن أن السامري هو الذي أصل سي. سر نس. ودعاهم بي عبادة
لعجل قال تعالى ﴿فَإِنْ قَدْ قَاتَلْتُمُوهُمْ يُعَذِّبْكُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِكُمْ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [طه ٨٥]
وسم تذكر سامري في غير سورة طه وهو سم عجم أعجمي حامداً غير
مشتق، فلا بحث عن مذهبه، ولا معاد في لغة عربية وهو من مهمات
تقر

لم يرد أي بيان عنه في مصادرنا الإسلامية النجيبه، فلا يعرف عنه غير
ما ورد في القرآن

وسم تذكر قرآن كيف كانت مدينة السامري، ولا ما جرى به بعد عقاب
موسى له، ولا كيف كانت نهايته!

وصهرت قرية (سامريين) اليهودية بعد ذلك، قامت في مدينة سامره
بالقرب من مدينة نابلس، وفيها طائفة (الشمره)

ويبدو أنه لا صلة بين السامري والسامريين إلا في الاسم. لأنهم ظهرو
بعده بعد قرون

كيف أصل سامري سي. سر نيل

عترفوا هم موسى عنه سلام قال تعالى ﴿قَالُوا مَا أَفْلَحَ مَوْعِدُكَ يَسْمُكَا
وَلَكِنَّكَ كُنتَ أَزْوَاجًا مِّنْ رَّبِّهِ تَقْوِي فَقَدْ فَتَنَّاكَ أَتَىٰ نَارُكَ﴾ [طه ٨٧]

أي سم شتمت إخلاف موعده، ولا عبادة لعجل، وما فعلت ذلك برعيت
واحبار، وبني حمص على ذلك أن ما خرجنا من مصر أحد مع بعض
ذهب ولرية من أهلها، وشعرنا بغير الإثم وخرج. وأردنا أن نحقق بها
لنحو من الإثم!

اعبروا ما معهم من ذهب وحقن ثريه المستعربين نوراً واحداً بحمومها،
وأنما يفعلون فيها، ولا بد أن يحلصوا عنها، لبروا عنهم لأنهم

الذي أحدهم بهذا هو السامري. لمحق شين رده ﴿فَكَيْفَ أَتَىٰ
السَّامِرِيُّ﴾

«عاهم إلى صرحها وأحضر منها، ساجدها ويصنع منها عجلًا» ﴿فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا خَسِدًا ثُمَّ حَوَّرَ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى قَسِيًّا﴾ [طه: ٨٨].

اتت موسى عليه السلام إلى السامري، وسأله عما جرى، فأجابه. قال تعالى ﴿قَدْ قَبِلْنَا عَظَمَتَكَ بِعَمْرِئٍ رَجُلٍ قَدْ نَصَرْتُ بِمَا لَمْ يَنْصُرُوا يَوْمَ قَبَضْتُ قَبْضَكَ مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَبَدَّدْتُهَا وَكَذَلِكَ سَوَّلْتُ لِي قَبِيًّا﴾ [طه: ٩٥-٩٦]

ومعنى الرسول ما شئت، وما الذي جعلت على قفلي ما فعلته؟

وحوائث السامري في فهمه إشكالي، لأنه حوّر منهم، لا يؤخذه بيان وتفصيل في مصادرنا الإسلامية بعبء المتمثلة في القرآن ولأحاديث الصحيحة

﴿بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَنْصُرُوا يَوْمَ﴾: بصُرْتُ ما لم ينصروه، ونظرت ما لم ينظروه، ورايت بعيني شيء لم يروه، وما نصرت ورأيت أوحى بي شيء لم ينتفوا له

﴿فَقَبَضْتُ قَبْضَكَ مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَبَدَّدْتُهَا﴾. أي: أخذت شيئاً مقبوضاً من أثر الرسول

ولأثر هو ما يتركه الماشي من صورة قدمه على الأرض

والرسول: الراجح أن المراد به هنا جبريل عليه السلام

والنبد هو: الإلقاء والطرح.

في أحدث قصة من التراث، من أثر رسول جبريل عليه السلام

وحلاصة صاعه السامري بنمحل هي: كان السامري يعيش أثناء ذهاب موسى إلى جبل الطور، فرأى رسول جبريل عليه السلام، ولم يره أحد غيره من بني إسرائيل، وأعجب في روعه وهاجسه وحاطره أن يأخذ قبضة من إرث من أثر قدم جبريل عليه السلام، فأخذه لأنه سيكون له شأن فيما بعد

ورث السامري بني إسرائيل الشخص من ربيعة بني أخدود من المصريين، فالقوها، وأخذها هو وصهرها وأدبها بالدر، وألقى عليها تلك القصة من التراث، فتفاعلت تلك القصة مع الذهب المصهور، وصنع منها نحتاً بمحل ذهبي

قد عكروه رأى السامري الرسول، فأعجب في روعه أنك يا أحدث من أثر

هذا الفرس قبضة، فالتقيتها في شيء فقلت له، كن فكان! فقبض قبضة من أثر
لرسور، ولما ذهب موسى للمعاد، وكـ، بنو إسرائيل قد استعدروا حتى كـ
مرعوب، فقال لهم سامري بن ما أصابكم من أحب هذا الحلبي، فاجمعوه،
فجمعوه، وأوقدوا عنه فدا، فألقي في روح سامري أثبث فذهب هذه بقصة
من الرباب في هذا ذهب حصهور، فقلت كن، فكان فذهب بقصة وفار كن
عجلاً، فكان عجلاً جسداً له خوار^(١)

وقد وصف الله معجلاً بأنه جسده حوار قال تعالى ﴿وَأَتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِنْ
بَقِيَّةِ مِنْ حُيُوتِهِمْ عِجْلاً جَسَدَ لَهُ خَوَارٌ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يَكْلُمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا اتَّخَذُوهُ
وَكُنُوزًا لِلْمَيْمِ﴾ [الأعراف ١٤٨]

وقال تعالى ﴿فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلاً جَسَدَ لَهُ خَوَارٌ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِنَّهُ مُوسَى
فَتَسَبَّحُوا لِلَّهِ فَلَاحِقُونَ الْأَرْضَ بِرُجْعِ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَتَذَكَّرُ أُولَئِكَ قَوْلًا وَلَا يَفْعَلُ﴾ [صه ٨٨، ٨٩]
لعجل هو ولد البقرة قبل أن يكبر ويصير ثوراً.

ولم يكن لعجل لدي صعه سامري عجلاً حقيقياً، به روح وحياة،
ومكوّن من لحم ودم، لأنه لو كان كذلك كان سامري حلقاً وهذا مستحيل،
لأن الله وحده هو الخالق المعبى.

لسامري صانع تماثيل، ماهر في تشكيدها وتصويرها وإخراجها، لكنه
تبقي تماثيل حادثة، لا حياة فيها ولا روح ولهد وصف المعجل الذي صعه بأنه
جسداً له خوار.

ولما صنع السامري لعجل دعا بني إسرائيل إلى عبادته ﴿فَقَالُوا هَذَا
إِلَهُكُمْ وَإِنَّهُ مُوسَى فَتَسَبَّحُوا لِلَّهِ فَلَاحِقُونَ الْأَرْضَ بِرُجْعِ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَتَذَكَّرُ أُولَئِكَ قَوْلًا وَلَا يَفْعَلُ﴾

أي هذا المعجل هو إلهكم، وبه سيحكم موسى، ولكن موسى سبي أن
إلهه هنا معنا، فذهب يبحث هناك عنه عند جبل الطور.

وقد عذب موسى عنه السلام سامري عقوبة شديدة، وحرى لعجل الذي
صعه قال تعالى ﴿فَكَالَ فَاذْهَبَ فَرَسٌ لَكَ فِي لَحْوٍ أَوْ تَقَوَّى لَا يَمَسُّهُ مِنْ لَكَ

(١) تفسير ابن كثير ١٥٩/٣

مَوْجِدًا لَّنْ تَحْقُقَهُمْ وَأَنطَرُ إِلَى إِلَهِكَ أَلَيْسَ طَسْتُ عَشْوَاءَ بَكَ لَحَرِقْتُمْ ثُمَّ لَتَسِفَنَّ فِي أَلْيَمٍ
كَسَفًا [طه ٩٧].

عذب موسى عليه السلام السامري بأن خبعه في سبي إسرائيل، وغرقه
عنه، وأمره بالذهب بعداً عنهم، لأنه لم يبق واحد منهم، لا يمشي أحد،
ولا يمشي أحد ﴿فَكَالَ فَاذْهَبَ قَبْرَكَ لَكَ فِي الْحَيَوَاتِ أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسَ﴾

وانتهى السامري في الصحراء، موداً مصر وداً، وقصبي يبيت عسى قتته

أمر لمجمل ندهي فقد أمر موسى عليه السلام بتحريقه، ثم سبغه وتدميته،
وإدخاله متلثباً وبساً ﴿وَأَنطَرُ إِلَى إِلَهِكَ أَلَيْسَ طَسْتُ عَشْوَاءَ بَكَ لَحَرِقْتُمْ ثُمَّ
لَتَسِفَنَّ فِي أَلْيَمٍ كَسَفًا﴾

٣٢- قول موسى لربه ﴿إِنِّي إِلَّا يَسْتَكْ﴾.

بعد ما نزل به إسرائيل عن عادة مجمل، أمر الله موسى عليه السلام أن
يأخذ أفضل سبعين رجلاً منهم إلى جبل طور، يعاهدو الله ببيعة عن قومهم،
ولكنهم رفضوا إعطاء العهد. وخصو من موسى عليه السلام أن يروا الله جهرة،
فرجع به العصور فوقهم، وأحدثته الصاعقة فضمقوا، فدعا موسى عليه السلام ربه
وتضرع إليه من أجلهم.

قَالَ تَعَالَى ﴿وَأَخَذَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا يُحِبُّونَ فَلَمَّا أَخَذْتَهُمُ الرَّحْمَةُ قَالَ
رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلِ وَرَأَيْتَ أَهْلِكًا بِمَا فَعَلَ الشُّمُوءُ بِتِ إِنِّي إِلَّا يَسْتَكْ تَوَسَّلَ بِهَا
مَنْ تَشَاءُ وَتَهْدِي مَنْ تَشَاءُ أَتَ وَبِشَاءَ غَيْرَ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْمَعْرِينَ﴾ [الأعراف ١٥٥]

والمعنى لما أخذت الرحمة رحلت السبعين، نظر موسى إليهم فوجدهم
صرعى، فخصهم أمواتاً، وحشي ألهام قومه به يقتبهم، فقال ﴿رَبِّ لَوْ شِئْتَ
أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلِ وَرَأَيْتَ﴾

أي أتمنى بارت لو كانت سبقت منيبتك أن تهلكهم من قبل خروجهم
معي، أو أن تهلكي وإيهم وسط بقوم، ثم إن أهلكهم في هذا المكان فبسي
ساقع في حرج شديد مع بني إسرائيل، حيث سيموتون ذهب بحاربت يهلكهم
وكلام موسى عليه السلام برته دعاء وتضرع إلى الله أن لا يهلكهم، وأن
يمر عليهم بالإفقة والصحوة

ولا استعدهم في قول موسى عليه السلام ﴿ أَتَنْهَكُنَا بِمَا قَلَّ لَشَهْوَاهُ رَبًّا ﴾^{٢٢}
يس بكدراً، لأن موسى عليه السلام نبي كريم، وهو لا يُكْرِ على الله فعلاً من
أفعاله، لأنه يوقن أن الله عليهم حكيم

هذا لاستعدهم لمتنحج والحشنة ومعنى بني حشى ربك أن نهيك
بما فعل الشهوة ما، وإحسان لا نهيك بسبب حرمتهم

وامرأ بالسهوة الذين عبدوا الجمل، لأنه لا بعدة غير الله، لا سفيه
وقال موسى عليه السلام ﴿ إِنْ هِيَ إِلَّا نَفْسُكَ تُؤْمِلُ بِهَا مِنْ شَأْنٍ وَتَهْدِيكَ مِنْ
شَأْنٍ ﴾.

وفي هذا يقول بشكوك يحتج إلى بوجه فكيف يست موسى الفتى بني
الله؟ وما المراد بها؟

يقصد موسى عليه السلام بكلامه عبادة بعض قوم بهمعن فهو يقول لرثه
إن عبادة بني إسرائيل سمع من فتنة ملك، فتنتهم واستحشنتهم وحشرتهم بها، وأنت
بحكيم الحشر، تمنح وتختير الناس بما تشاء.

وأنت تُصَلِّ فتنتك وامتدحت من تشاء، وهو الذي يختار الكفر والضلال،
فهذا يفتن، ويسقط في الفتنة، ويرسك في الامتناع ﴿ تُوْمَلُ بِهَا مِنْ شَأْنٍ ﴾
وأنت تهدي فتنتك وامتدحت من تشاء، وهو الذي يختار الإيمان والطاعة، فهذا
يسحق في الامتناع، ويسم من فتنة

وما أن سر دسنة الامتناع والاحسان والابلاء، فلا يشكر في إساده
إني لله في قول موسى عليه السلام ﴿ إِنْ هِيَ إِلَّا نَفْسُكَ تُؤْمِلُ بِهَا مِنْ شَأْنٍ وَتَهْدِيكَ مِنْ
شَأْنٍ ﴾

٢٣- موسى ينفذ يديه من بني إسرائيل:

عاش موسى عليه السلام مع بني إسرائيل عدة سنوات، وهو يحاول أن
يرتفع بهم ويؤريهم، ولكنهم لم يتحاربوا معه، وصروا على تمردهم وعصايتهم
ومحبتهم، وفي النهاية أمرهم بدخول الأرض المقدسة محاربين، وأحبرهم أن
الله سيصرهم، ولكنهم جسد وقعدوا، ولم تخرج عليهم حصوه بوقاحة وسوء
أدب، وطلبوا منه أن يقاتل هو وورثته، بينما هم قاعدون

وَنَدَى ﴿قَالُوا يَسْمُوحُ إِنَّ لَكَ مِنْهُنَّ مُدَاوِمَاتٍ بِهِنَّ فَأَذْهَبَ آتٍ وَرَيْكَ
فَقَبِلَا إِنَّا هُنَا قَاعِدُونَ﴾ [المائدة: ٢٤]

عند ذلك فجمع موسى عليه السلام في قومه الحساء، ووجهه إلى ربه
يشكوهم إليه.

قَالَ نَدَى ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَتَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَجْنَى فَعَرَّقَ نَسَا وَبَيْتَ الْقَوْمِ
الْفَاسِقِينَ﴾ [المائدة: ٢٥]

عندئذ نادى موسى عليه السلام صرّحه به لا يملك إلا نفسه وأجده هروب
سبي عنه السلام، وهذا يدل على أن هروب بقي مع موسى عليهم السلام،
يساعده في إدارة أمور بني إسرائيل

وقد بعسّر بعضهم هذا مأخذاً تؤخذ على موسى عليه السلام، إذ كيف يتبرأ
منهم وهو لرسول إليهم؟ وكيف يصف من الله أن يفرق به وبينهم؟

وحتى تحسن فهم هذا التساؤل: متى نفطر يديهم منهم؟

لو كان هذا في بداية إرساله إليهم لعدّ مأخذاً عنه لكنه في نهاية صلوة بيته
وبينهم، بعد سنوات عديدة قضاه معهم، في مصر وفي سيناء، وبعد جهود
مُصّبة، سألهم في تربيتهم وتعليمهم، وبعد حربه صوبته بهم، وقد واحهوا كل
جهوده بالمخالفة والتمرّد والعصيان!

ماذا يستطيع موسى عليه السلام في نهاية أن يفعل أكثر من هذا؟ لقد أعدّها
صريحة، ورفع بها صوته، وحاص بها ربه به لا يملكهم، ولا يصمهم،
ولا يثنّ بهم، ولا يفر أن يكفهم ويطلب منهم الالتزام، ولا يستطيع أن يحزمهم
على الطاعة، فما عادوا يطيعونه!!

في هذا الحوّل دعا موسى عليه السلام ربه أن يفصل ويفرق بينه وبين يقوم
الفاستقين العصاة المتمردين.

وقد استجاب الله دعاءه عنه موسى عليه السلام، ففرّق بينه وبين جموع بني
إسرائيل الفاسقين. حيث حرمهم من دخول لأرض مقدسة، بسبب حسبه
وخوفهم، وكتب عليهم التمه في الصحراء أربعين سنة!

ولما أُخبر بأنه أُعطي السَّمْعَ كان على صواب في جوابه، لأنه بيّن رسولاً وهو أعلم من أخيه هارون عليه السلام، لأنَّ هارون بيّن فقط. وما أنه بيّن رسولاً وهو أعلم بالسَّمْعِ، لأنه لا يوجد رسولٌ غيره على وجه الأرض حسب عُنْيه.

ولكنَّ الله عيّن عليه، لأنه لم يبيّن أنَّ يسبب العَمَمَ إني الله، وكان عليه أن يقول: الله أعلم، فجوابه صحيح، لكنه فعل خلاف الأولى، والأولى أن يقول: الله أعلم.

وبذلك بيّن الله في قصص عمنه، وينص معرفة. وأخبره أنَّ هبث من هو أعلم منه، وهو الحضير عليه السلام.

وما علم موسى عنه السلام حدث سارح في ترجمته به، يستعمله معه، فدلَّه الله على صيرته به. وحرى بهما ما حرى، مما أخبر عنه بقرآن.

ب- مكان اللقاء موسى بالحضر هو مجمع البحرين

قال تعالى ﴿وَلَقَدْ قَالَ مُوسَى لِقَتْلِهِ لَا أَنْتَرُ حَتَّى أَتِيَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا﴾ (الكهف: ٦٠)

ففي موسى المذكور في الآية هو المَعْدُ لِمُوسَى (يوشع بن نون) رضي الله عنه، كما أخبر عن ذلك رسول الله ﷺ.

توَّخَّه موسى مع ما ذكره مجمع البحرين، لأنَّ الله أخبره أنه سيُجتمِعُ ههنا بالخضر.

ورود (مجمع البحرين) في القرآن والسنة مهمان، بدون شك، أو تحديد للمكان، فهناك بحرين ثاب، قريبان جداً من بعضهما في نقطة معينة، تفصل بينهما قطعة صغيرة من السبسة، هذه لقطعة هي مجمع البحرين.

ولما سمع موسى عليه السلام (مجمع البحرين) عرف بمكانه، فتوَّخَّه إليه فوراً.

أما بحرين فلا يحدُّ على تحديد مجمع البحرين على بحارضة بحر فيه، لعدم وجود موصفي بحدوده. هل هو لقاء البحر الأحمر بالبحر المتوسط؟ أو اللقاء البحر الأحمر بالبحر العربي عند مصبِّ دلت المندب؟ أو هو اللقاء حبيح

سويس صحيح العقبة عند نقطة (رأس محمد)؟ قد يكون أحدهم صحيحاً، وقد يكون غيره. ونعلم أنه عند الله، ولا نصرنا الجهل بتحديد مجمع البحرين.

جد-الحضر بين موسى صبره:

قال موسى: حصر عندهم سلام عند مجمع البحرين، فعرض عليه أن يصحبه لتعلمه منه، لأنه ما جاءه إلا بهذا الهدف، ولكن حصر نثره أنه لن يستطيع صبراً على السير معه والتعلم منه.

قال تعالى ﴿قَالَ لِمُوسَى هَلْ أَتَيْتُكَ عَلَىٰ أَنْ تُحِلَّ مِنِّي غُلَّتَ رُشْدٌ ۖ قُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ۚ وَكَيْفَ نَصْبِرُ عَلَىٰ مَا نَرَىٰ يُعَذِّبُ بِهِ صَبْرًا﴾ [الكهف: ٦٧-٦٨]

عرض موسى عليه سلام على الحصر أن تبعه ليتعلم منه، وأسلوبه في عرض فيه لأدب في صلب العزم، وحسن محافظة المتعلم لشيخه.

فاجأ الحصر موسى بقوله ﴿إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ وفي هذا الجواب إثارة لموسى، أوحده عنده مريداً من الحصر على مرافقته للتعلم منه.

لقد أعزم الله الحصر أن موسى لن يستطيع الصبر معه، مهما جاهد نفسه على ذلك، ويدل ذلك بما يؤكد أن حرف (لن)

ولم يترك حصر موسى في حيرته واستعراجه، وبما عُلَّ له ذلك تعليلاً نفسياً عجيباً ﴿وَكَيْفَ نَصْبِرُ عَلَىٰ مَا نَرَىٰ يُعَذِّبُ بِهِ صَبْرًا﴾ بين له أنه سيراه يفعل أفعالاً غريبة، يدعو ظاهرها للإكراه، وسيعامل موسى مع طواهرها، لأنه لا يعرف حقيقتها ولا حكمتها، ويدل ذلك أن حصر على الحصر، بل سيعترض ويكره عليه فعلها!

والحصر بصم لحاء- في الآية ﴿لَنْ تُجِيبَهُمْ﴾ هو معرفة سواض الأمور أي أن موسى عليه السلام لم يحط خيراً بسواض لأفعال بني سيفعلها الحصر، وسبق في عد طواهرها، أم الحصر فقد أحاط (خبراً) بها، حيث أطمعه الله على يواطئها وخفائها!.

ويكره موسى عليه السلام ما جاءه إلا ليتعلم، ولذلك سيحدث نفسه، ويصطأ أعصابه، وسيدل جهده ليصبر على ما سببه. ويدل ذلك للحصر ﴿سَنَجِدِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا﴾ [الكهف: ٦٩].

عند ذلك اشترط عليه المحصر أن لا يسأله عن شيء، وأن لا يعرض عليه شيء، وأن يتصرف من المحصر تعديلاً وتؤييراً ما سيره ﴿قَالَ قَبِلْتُ أَتَعْتَنِي فَلَا تُنْشِئَنِي عَنْ شَيْءٍ وَحَتَّى أَتُحَدِّثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا﴾ [سكيت ٧٠]

اتفقا على ذلك، وبدأت الرحلة المثيرة

د- لم يصبر موسى واعترض على المخضر

ثم يصبر موسى على ما رآه من محصر عبيدهم بسلام، واعترض عليه في أربعين ثلاثة فعنها، أو دله آيات سورة كهف، وحديث رسول الله ﷺ

الأول: مرث بهم سبية، فعرف أصحابي محصر، فأركبوهما محباً بدون أخرى، إكراماً لهما، وعندما سارت سبية قبلاً قطع لمحصر لوحاً منها وحرقها

والتعرب موسى من فعده، ونكر عليه، وقال له: قوموا أكرمونا وأركبوا بعير آخره، فكيف تحرقوا سببتهم؟ إنك بهذا سترقها وتغرق أهدأ وقد فعلت فعلاً مبركاً

ذكره المحصر بما سبق أن دله من أنه لن يستطيع معه صبراً! فاعتذر موسى بأنه سبي ما شترحه عليه، وطالبه أن لا يؤاخذة

شبهى بما يبرأ من السبية، وما في بطريق، رأى محصر أمه علامة فتوخه إليه وقتله! استعرب موسى من ذلك، فكيف يقتل محصر علامة صغيراً فأبكر عليه، وقال له: أفتنت بمأركية بعير بك؟ لقد فعلت فعلاً مكرراً بدو

ذكره المحصر بما سبق أن قاله له! فقال له موسى: إن عترضك عبيد بعد ذلك فلا تصاحبني.

الثالث: وصلاً إلى قرية، فوجد أهدأ محلاً، بحيث طمأنتهم بظواهر كنههم لم تقدموه لهم، ووجدوا حذر عني وشك السقوط، فأصلحه محصر وقدم موسى بالأعراض عليه، فقال له: كن لأزني بك أن تأخذ منهم آخره لأبهم محلاً، ولا يستحقون منك الإكرام!

عند ذلك دفعه الحضر، وقد أعطاه ثلاث قرص، ولكنه لم يبصر وقبل أن يدركه أوَّل له أفعاله الثلاثة التي اعترض عيها، وبش له حكمها، وأحره عن حقيقتها

أما حرقه لسفينة فقد كان على صواب فيه، لأن الله أعلمه بوجوده منكم أمهم وهو طالع عاصب، كما يرى سفينة صالحة صادرة وبأحدها عصب، فرغ الحضر سوح من سفينة ليمر على السمك، وقد رآها هكذا تركها، وبعد ذلك يصطحب أصحابها فحرقه بسفينة نسيها عني ولس لإعراقها

وَمَا قَتْنُهُ لِلْعَلَامِ فَقَدْ أَحْرَهُ اللَّهُ أَنْ هَذَا الْعَلَامُ سَيَكُونُ عَدُوًّا لَكُمْ، وسيكون طاعة صالماً، وسيبعت وأندية المؤمنين، فكانت حكمة تفصي بعثته، وسيرزقهما الله غلاماً خيراً منه.

وَأَمَّا سَدُّهُ لِلْجِدَارِ فَقَدْ أَحْرَهُ اللَّهُ أَنْ هَذَا الْجِدَارُ كَانَ يَرْجِي صَالِحاً، وَأَبْهَ وَصَحَّ تَحْتَهُ كَرَامَةً مِنْهُ قَبْلَ أَنْ يَمُوتَ. والعلامان النمل صغيران، وقد سقط الجدار عدا أهل القرية الحلاء يطعمون على بكر وأحدوه

فكانت الحكمة تقضي بإصلاح الجدار، لئلا ينكر الغلامان، فبأخذنا الكثير، وهذا السن خدمة لأهل القرية.

عند ذلك عرف موسى عليه السلام أن الحضر على صواب في أفعاله الثلاثة، لأن الله أعلمه بحقيقتها، وعرف أن عمره عليه في غير موضعه، ومعاً اعترضه هو وقوفه عند طواهرها، واقوفه عند طواهرها يدعو لاعراض، لأنها تدو خطأ من هذه الزاوية!

وَدَكَرَ الْحَضَرُ لِمُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّهُ لَمْ يَفْعَلِ الْأَفْعَالِ الثَّلَاثَةَ سَاحَتِهِ مِنْهُ، إِنَّمَا هُوَ بِرِيحِهِ مِنَ اللَّهِ ﴿وَمَا تَعْنَهُ عَنْ أَقْرَبٍ﴾. وهذا يدل على أن الحضر عليه السلام نبي!

ولم يكن موسى عليه السلام محظناً عندما عترض على أفعال الحضر الثلاثة، لأن طاهر نكث لأفعال يدعو إلى ذلك، ولم يعلفه الله عني حقائقها كما أطلع الحضر.

ولا يلام موسى عليه السلام على عدم صبره على ما شاهده، لأن ما شاهده يدعو إلى الإنكار، فكيف يسكت على المنكر - حسب الظاهر؟

٣٥- موسى وبراءته ومعجزة الحجر والثوب:

كان موسى نبيا من أنبياء الله عليه السلام، وقد دونه أكثر من مرة
ودشهم على يد شيعته وأحبه الله عن دث في قومه تعالى ﴿وَيَذَلَّ مُوسَى
لِقَوْمِهِ. يَقُولُ يَوْمَ تَذُدُونِي وَقَدْ تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ
قُلُوبَهُمْ﴾ [الص: ٥]

ومضى الله المسلمين من الأعداء سي إسرائيل في هذه المحالفة قد
تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَانُوا عَلَى قَوْلِ مَوْسَى فَعَزَّهُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا وَكَانَ عِندَ اللَّهِ
وَجِيهًا﴾ [الأحزاب: ٦٩].

وقد حارب رسول الله صلى الله عليه وسلم عن مودج من مودج يدانهم لمتكرار لموسى
عليه السلام

روى البخاري [برقم: ٣٤٠٤]، ومسلم [برقم: ٣٣٩] عن أبي هريرة
رضي الله عنه، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إن موسى عليه السلام كان رجلاً حياً
شبيراً، لا يرى من جلده شيء، استحياء منه..»

فأداه من سي إسرائيل، فذبح ما ستره فاستتر إلا من عيب في
جلده، إنا نرخص، وإنا أذرة، وإنا أفة.

وبن الله عز وجل أراد أن يبرئه مما قالوا فعلا يوم راحه، فوضع ثوبه
على الحجر، ثم اغتسل فمما فرغ أقبل إلى ثيابه ليأخذها.. وإن الحجر عدا
ثوبه فأخذ موسى عصاه، وضرب الحجر، فمما بقوا ثوبي حجر ثوبي
حجر

حتى انتهى إلى ملا من سي إسرائيل، فراه عرياً، أحسن ما حقيق الله
وبرأه الله مما يقولون وقام الحجر، فأخذ ثوبه فلبسه، وطق به الحجر صرة
بعصاه ورث الحجر كذا من أثر صرته، ثلاثاً، أو أربعاً، أو خمساً»

بحر هذا الحديث الصحيح عن تركة الله لموسى عليه السلام من انهم
اليهود بمعجزة فقد كان موسى عليه السلام حياً شبيراً، فخرص على أن لا يكشف
عورته، فعندما يغسل كان يذهب بعدد عن قومه، ثم هم فم يكونوا يتحرجون
من كشف عوراتهم، ولذلك كانوا يقتتلون عراً.

وقد أساءوا بـ إسرائيل ففسد فعل موسى عليه السلام، فلم يعتبروا حرصه على ستر عورته من باب الحياء والستر، إنما اعتبروه حجة لعاقبة أو عيب في عورته، كأن يكون فيها بؤس، أو (أدرة) والأدرة هي انتفاخ الخصيتين.

وأرد الله توبة موسى عليه السلام من هذا الإساءة ولأنهم، فأخري معجزة من معجزاته سبحانه وتعالى

ابتعد موسى عليه السلام عن بني إسرائيل لعنهم، ووضع ثوبه على حجر، وبرز في الماء، وسلكا يعنم أمر الله الحجر أن يهرب ثوبه فذهب الحجر به، ورأى موسى عليه السلام معجزة عجباً. الحجر يعدو ثوبه فخرج من الماء عارياً، ولحق بالحجر وهو يقول: ثوبي حجر ويكني حجر سم توفقت، ووصل سيّره حتى وصل إلى ملاجالسين من بني إسرائيل. وشهدوا له ما لا ينطق به عجب المدهش: الحجر يهرب بالثوب، وموسى يركض خلفه يباحث ثوبه، ورأى موسى عرباناً، ورد به أحسن ما يكون الرحاب، ليس به أدرة ولا آفة. وتوقف الحجر أمامهم، وسار موسى ثوبه معه، ثم أقبل على الحجر يصرفه عنه.

وهكذا برز الله موسى عليه السلام مما لا يدرك به معجزة ﴿لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ دُونَهُمْ فَذُوقُوا كَذَابَ النَّارِ﴾

ولا يستعرب أحد من الحادثة حجر يهرب بثوب الذي عليه، وموسى يخبر خلفه، وهو يركض أمامه، حتى وصل إلى ملا من بني إسرائيل يفعل هذا مع أنه حجر!

ولا عرامة في هذا، لأن هذا معجزة، وهو من أمر الله وفعله، والله هو الذي أمر الحجر بحماد بالذهب حاملاً الثوب، وأوحى سبحانه وتعالى فيه (قدرة) خاصة على الذهاب والسير والتوجه نحو بني إسرائيل، وعدم استحيائه سبحانه موسى عليه السلام. الله هو الذي أوحى به هذا، وأمره بذلك، فبعد أمره سبحانه، والله فعلاً ما يريد، وحججهم أن المعجزات حرق بقادة التي اعتادها الناس!

٣٦- توجيه موقف موسى من ملك الموت:

أخبر رسول الله ﷺ عن موقف عجب لموسى عليه السلام من ملك

الموت، وهذا الموقف يحتاج إلى توجيه

روى سحري [رقم ١٣٣٩]، ومسلم [رقم ٢٣٧٢] عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ قال: «أُرْسِلَ مِنْكَ الْمَوْتُ إِلَى مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَمَا جَاءَهُ صَغَةً، فَقَالَ عَنْهُ: ارْجِعْ بِي رُبَّه، فَقَالَ: أُرْسِنِي إِلَى عَمِي لَا يُرِيدُ أَنْ يَمُوتَ!».

فَرَدَّ إِيَّاهُ بِبِهِ عَيْنَهُ وَفِي لَهُ ارْجِعْ إِلَيْهِ، وَقَالَ لَهُ: يَصْغُرُ يَدُهُ عَلَى مَنْ ثَوْرٍ، فَلَهُ بِمَا عَطَتْ يَدُهُ يَكُنْ شَعْرَةَ سَنَةٍ!».

قال: أي رَبِّ: ثم ماذا؟

قال: ثم الموت!

قال: فالآن!

فسأل الله أَنْ يُدْبِئَهُ مِنَ الْأَرْضِ الْمُقَدَّسَةِ رَمِيَّةً بِحَجَرٍ!».

قال رسول الله ﷺ: «مَوْتُكُمْ ثُمَّ، لَا رَيْبَ لَكُمْ قُرْءَهُ بِي حَسْبَ الطَّرِيقِ، تَحْتَ الْكُتَيْبِ الْأَحْمَرِ».

وقد يستعرت بعضهم حديثه، وقد يفوذه هـ إلى الطعن في الحديث، وتضعيفه وزَّده، مع أنه في الصحيحين!

إنَّ من تكريم الله ﷻ للأنبياء، أنه لا يقصُرُ رُوحُ أَحَدِهِمْ حَتَّى يُخَيَّرَهُ بَيْنَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ

روى سحري [رقم ٤٤٣٥]، ومسلم [رقم ٢٤٤٤] عن عائشة رضي الله عنها، قالت: كُنْتُ أَسْمَعُ أَنَّهُ لَنْ يَمُوتَ نَبِيٌّ حَتَّى يُخَيَّرَ بَيْنَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَسَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِي مَرَضِهِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ، وَقَدْ أَخَذَتْهُ نَحْوَةٌ، يَقُولُ: «مَعَ السَّيِّئِينَ وَالْمُضِلِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسَنَ أَوْلَئِكَ رَفِيقًا» . فَطَلَسَتْهُ خَيْرٌ حِينَئِذٍ

ولذلك حثَّ إِيَّاهُ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى قَبْضِ رُوحِهِ، تَكْرِيمًا لَهُ، وَفَقَّ مَعَهُ مَعَ الْأَنْبِيَاءِ..

وحذر الله ﷻ لِحُكْمِهِ أَنْ يُرْسَلَ لَهُ مَلَكَ حَوْتَ عَلَى صُورَةِ نَبِيٍّ عَرَبٍ،

يعرفه موسى، وحمل الله بملائكة بقدره على تشكيل و تخطيط، و يظهر في
صُور بشر، وقد لا يعرفهم لأَسَاءُ وهم في صورته بشرية لمتحولة، كما حصل
مع إبراهيم و نوح عليهما السلام، حيث لم يعرف أن برحلاً لدين آدمهم ما هم
إلا ملائكة.

فلا عروبة أن لا يعرف موسى عليه السلام أن برحلاً يعرف موافق أممه
هو ملك الموت، لأن الله لم يحضره، وهو لا يعلم من يجب إلا ما أعلمه الله إليه
طلب لرحل للعرب من موسى عليه السلام طلباً غريباً عجيباً، حيث قال
له: أجبت ريك وأعطني روحك.

رجل غريب يريد أن يأخذ روحه، فهل يفعل؟ لو كان أخذنا مكانه فهل
يستسلم أم يدافع عن نفسه؟

تصرف الصبيحي من موسى عليه السلام أن يدفع عن نفسه أمام لرحل
العرب الذي يريد القضاء عليه، فقد يكون لرحل فائدة باطنية لدست وحه
موسى عليه السلام برحلي كمة من يده بقوية، أصابت عليه فقائمه.

فقاً موسى بعين بشرية لملك الموت المتحول إلى بشر، وليست عينه
بملائكية حقيقية ولا عروبة في هذا ويمكن أن يتصور هذا وبقوته إلى أذهب
باحتصار ما يقدره الآ في الأفلام السينمائية، وما يجري فيها من (جبل سينمائية)
فقد يرى يد سمس في (سليم) مقطوعة، أو رأسه مفصولاً عن جسده، والدم
يخرج من رقبته كالنافورة! وهو تمثيل في تمثيل!!

راجع منك الموت إلى ربه شكياً موسى عليه السلام، فأعده به مرة ثانية
في هذه المرة عرف موسى أن الذي أمامه هو ملك الموت، أرسله الله إليه ليحضره،
وفق سنو الله في قصص أرواح الأنبياء فاستسلم موسى عليه السلام لأمر الله،
وتحارب مع ملك الموت، وقدره حق تقديره

أرد الله أن يقدم حقيقة موسى عليه السلام، وهي أنه غير محدث في هذه
الدنيا، ولا بد أن يموت فأمر ملك الموت أن يقول له إن كنت تريد حياة فصع
بذلك على حذ ثور، و نظر بمساحة سي عطشك تدش، و حذون حصصه، شعر الذي
محت يدك، فربك بكل شعرة منه! وركب تحت يده ثلاثة آلاف شجرة، فإنه
مسعش ثلاثة آلاف سنة!

قال له موسى : وماذا بعد ذلك ؟

قال له ملك الموت : بعد ذلك الموت !

أي : لو عشت ثلاثة آلاف أو خمسة آلاف سنة ، فلا بد أن تموت بعد ذلك

بعد كتب الله الموت على كل مخلوق ، سواء كان إنساناً أو حياً أو ملكاً
قال تعالى يحدث الله محمد ﷺ ﴿ وَمَا جَعَلْنَا بِشْرَ بْنِ قَيْلِكَ الْخَدَّاءَ بِنِمْتٍ فَهَهُ
تَحْيَدُونَ ﴾ كُلُّ نَفْسٍ دَائِمَةُ الْمَوْتِ وَتَوَكُّمُكُمْ بِشْرٌ وَلَعَلَّكُمْ تَعْلَمُونَ ﴿ [الأنبياء : ٣٤-٣٥]

حدثني : عن موسى عليه السلام درس ، فحدث لقاء الله ، وهذا لأن
أي : اقْبِضْ رُوحِي الْآن ! .

وكان له طيف فل قبض روحه ، وهو أن يقرب من الأرض بمقدسة مقدر
رميه بحجر ، ثم قبض روحه ، وهذا يدل على أن وفاة موسى عليه السلام كانت
فل دخول بي إسرائيل لأرض مقدسة ، ورميه بحجر لا تتجاوز مئات الأمتار
وهذا اعطى من موسى عليه السلام لك شوقه لشديد للأرض المقدسة ، فإذ لم
يتمكن من دخولها ، فلا أقل من أن يموت قريباً منها !

ولما توفي موسى عليه السلام قريباً من الأرض المقدسة - على بعد رمية
حجرٍ منها - دفن هناك ، لأن الله فذر أن تدفن كل بي في مكان الذي مات فيه ،
ولا ينقل منه ليدفن في مكان آخر .

وأخيراً رسول الله ﷺ أنه دفن بجانب صريخ ، تحت الكتيب الأحمر ،
وأحرز لصاحبه أنه لو كان معهم في المنطقة مدتهم على قبره ، وحدد المكان الذي
هو فيه ، «فلو كنت ثم لأريكم قبره ، بي جانب الصريخ تحت لكتيب أحمر»

وقد مر رسول الله ﷺ في رحمة الأسراء بموسى عليه السلام في قبره عند
الكتيب الأحمر ، فوجه قائماً يصلي !

روى مسلم [رقم ٢٣٧٥] عن أنس بن مالك رضي الله عنه ، عن رسول الله
ﷺ قال : «مررت ليلة أُسري بي على موسى قائماً يصلي في قبره ، عند الكتيب
الأحمر» ،

ولا يمكننا تحديد منطقة (الكتيب الأحمر) بالضبط ، لأن المنطقة الواقعة

شرق الأرض المقدسة منطقة شري نهر الأردن - كلَّها مصطبة ككتف رملية عديدة،
تتدأ من حصح العقبة حتى بحره طرية سواء كان في وادي عربة، أو منطقة
الأغوار، أو منطقة معان، أو شرقي خليج العقبة ١.

وهذا الحديث يردُّ مزاعم اليهود في أن بني إسرائيل حَفَنُوا معهم جثة موسى
عليه السلام عندما دَحَنُوا الأرض المقدسة بقيادة حبيته (يوشع بن نون) ودَفَنُوهُ
في الأرض المقدسة، ودهت بعضهم إلى أنَّ موسى عليه السلام مدفون في مصطة
(الخان الأحمر) بين أريحا والقدس.

وهذا كلام لا دليل عليه، لأنه ما قبل دَحَنِهِم الأرض المقدسة، ودَفَنِهِ
على حسب لطريق، تحت الكتيب الأحمر، ولأنَّ كلَّ شيء كان يُدْفَنُ في السكك
التي مات فيه ١.

روى ابن ماجه [برقم ١٦٢٨] عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه، عن
رسول الله ﷺ قال: «مَا فُصِّلَ بَيْنِي، إِلَّا دُفِنَ حَيْثُ يُقْصَرُ» ١

* * *

الفصل التاسع

اشكالات حول قصة داود عليه السلام

تحليل وتوجيه

الفصل التاسع

اشكالات حول قصة داود عليه السلام

تحليل وتوجيه

١ - توجيه تسبيح الجبال والطير مع داود:

أحبرنا الله أنه سَخَّرَ الجبال والطير لتسبح مع داود عليه السلام.

قال تعالى: ﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ﴾ [الأنبياء: ٧٩].

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا بَنَجَالَ أَوَى مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلْنَا لَهُ الْحُدَيْدَ﴾ [سبا: ١٠].

وقال تعالى: ﴿وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ [سجدة: ١٧-١٩].

أمر الله الجبال والطير أن يُسَبِّحْنَ مع داود عليه السلام، فهو يسبح الله، وهن يشاركنه هذا التسبيح.

وقد وهب الله داود عليه السلام صوتاً جميلاً عذباً مشرقاً، ويردأ صوتاً جميلاً وعدوياً إذا ذكر الله، وقرأ في (الزبور) الذي أنزله الله عليه.

وقد شبه رسول الله ﷺ صوت أبي موسى لأشعري رضي الله عنه بصوت داود عليه السلام، في جماله وحسنه، ولهذا كان ﷺ يحب أن يسمع القرآن منه.

روى البخاري [رقم: ٥٠٤٨]، ومسلم [رقم: ٧٩٣] عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال له: لقد أوتيت مزماراً من مزامير آل داود.

والمراد بآل داود داود نفسه، لأنه لم يقل أن أحداً من آل داود أو أبنته أو أهله كان جميل الصوت مثل داود عليه السلام.

وسب جمال صوت داود عليه السلام فرد جمال ولطوز كست تأنر به ،
و بدت كست تشاركه التسيح

ولا سمرنن أحد هدا ، فند ورد في صريح باب عرب ، والله هو ندي أمر
الجمال والطيور بالتسيح ، فغذت أمر الله !

إن الحال حاضعة لأمر الله حصوعاً بحيرة ، تعد أمره ولا تسرد عبه
ورن العيز عنده الله ، تعد أمره أيضاً . وللجمال نعة خاصة بها رعم أنها حمادات ،
وحن لا يفقهها ، ولطيور أصوات خاصة تسخ الله بها ، وحن سمع لأصوات ،
لكسا لا يفقهها

ومن المعلوم أن كل شيء في هذا الكون تسخ الله قل تعالى ﴿ تَسْخُ بِهِ
الْكَوْكُوتُ ، تَسْخُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا سَخَّ بِحَرْمٍ . وَلَكِنْ لَا تَعْقِلُونَ تَسْخُ بِهِمْ إِنْ كَانِ
حَيًّا عَقُولًا ﴾ [الإسراء : ٤٤] .

إن عدم فقه لأصوات هذه المخلوقات وهي تسخ الله - ومنها الجمال
والطيور - لا يعني أنها لا تسخ الله ، فكم من طواهر مادية طبيعية موحودة من
حولنا ، نحس بها ، ونجزم بوجودها ، ولكن لا نفدز عى تفسيرها وتحيبها
وتعيلها . ومع ذلك لم نضم بينكارها لأنها بدهة مستمة

فلماذا لا نجعل تسخ المخلوقات لحية وعير بحية من هذا اسباب ؟ وماذا
نكر تسخها بحجة عدم فقهنا له ؟

وبما أن تسخ الجمال والطير مع داود عليه السلام ورد في صريح آيات
القرآن ، فيجئ أن يؤمن بها ونسلم بمدونها ، ونقول بما قالت به .

لقد أحرث آية سورة الأنبياء أن الجمال والطير كست تسخ معه ﴿ وَسَخَّرْنَا
مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَخُّ وَالطَّيْرُ ﴾

أما آية سورة ساء فقد أحرث أن الحسن كست يؤوت معه ﴿ يَجَالُ أَوْي
مَعَهُ وَالطَّيْرُ ﴾

معنى (أوي) رجمي معه ، ورددي صوته ، ونعبدنه . وهذا معناه أن تسخ
الجمال والطير مع داود عليه السلام كد مأوساً ورحيماً ورددتاً تسيحه

وأحرث آية سورة (ص) أن الحسن والطير كست تسخ معه مرتين ؛ مرة في

الصباح ومرة في المساء ﴿ إِنَّا صَخَّرْنَا لِحِجَالِكُمُ الْمَاءَ نَفُورًا وَالْأَشْرَافَ ﴿١٦﴾ وَالطَّيْرَ تَحْشُرُهُ كُلُّ لَقَاءِ أَوْتَارٍ ﴾

الغشي وقت المساء عند غروب شمس وإشراق وقت الصباح عند شروق الشمس

وتَحِيلُ منظر الحباب وانطرب وهي سُبْحُ الله في الصباح والمساء مصراً حميلٌ بطيف مؤثر ، تتفاعل معه نفوس

داود عليه السلام يقف ويقول «سبحان الله» فتسمع لجمال صوته الجميل ، وتجدونه مُسْتَحْةً ، ويسمونها وهي تقول «سبحان الله» وتأتيه أسرارٌ من لطيفه ، وتجدونه مُسْتَحْةً ، ويسمونها وهي تقول «سبحان الله»

إنه مشهدٌ عباديٌّ تسيحيٌّ مؤثر ، وإن تحيل نسيج دود والجمال والطير يملأ العزم من أنساً واستماعاً وجمالاً!

٢- داود حداد يصنع الدروع:

أحَبَّ الله عن قوة داود عليه السلام ، حيث وضع يده (دو لأيد)، وذلك في قوله تعالى ﴿ وَذَكَرَ عَبْدًا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ ﴾ [سورة ص ١٧]

والأيد (القوة الشديدة) وهو مشتق من الفعل (آد). تقول آد، أيداً. بمعنى: قوي واشتد. وأيدته قواه. وذو الأيد: ذو القوة

وبما أن داود عليه السلام كان ذا أيد وقوة، فقد حرص على أن يكون له عمل يعمه يده، يترك من عمل يده، رغم أنه كان ملكاً في سي إسرائيل، يمدت تصرف في أمورهم، لكنه كان يعف عنها، ويعمل عملاً بيده، يأكل منه.

روى البخاري [برقم ٢٠٧٢] عن أنس بن مالك يكرم رضى الله عنه ، عن رسول الله ﷺ قال: «ما أكل أحد طعاماً قط خيراً من أن يأكل من عمل يده» وإن نبي الله داود عليه السلام كان يأكل من عمل يده

ماذا كانت مهنة داود النبي الرسول الملك الحبيبة عليه سلام؟ لقد كان حداداً، فهو اختار المهنة التي يخدم بها أمته، والعمل الذي يعقوي به دونه!

كان داود حداداً، وألّاه الله له الحديد، فكان طويح يده، به هزّة بأسر،

وَيَصْنَعُ مِمَّا يَشَاءُ قَالَ تَعَالَى ﴿وَأَلَّا لَهُ الْخَبِيرَةُ﴾ [سأ ١٠]

هدى الله داود عليه السلام إلى اكتشاف ما حرم حديد في دولته، وصار يصنع مِمَّا يَشَاءُ من الدروع، ومختلف الصواعب الحربية، وصار هذا مطهراً من مظاهر قوة الدولة.

وعنه الله صنع الدروع الحربية قَالَ تَعَالَى ﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحُ وَحَمْدٌ كَبِيرٌ﴾ وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَوْحٍ لَّكُمْ لِيُحِصِيَكُمْ مِنْ بِأْسِكُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ﴾ [الأنبياء: ٧٩-٨٠].

كان داود عليه السلام هو أول من صنع دروع حربية مجود، ودبت لتحميمهم من سلاح الأعداء.

معنى قوله: ﴿وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَوْحٍ لَّكُمْ﴾: علَّمناه صنع الدروع، التي تلبسونها في المعارك.

ومعنى قوله ﴿يُحِصِيَكُمْ مِنْ بِأْسِكُمْ﴾: لتحصيكم هذه الدروع عند القتال.

وقد أشارت آية سورة سأ إلى كيفية صنع داود عليه السلام للدروع قَالَ تَعَالَى ﴿وَأَلَّا لَهُ الْخَبِيرَةُ﴾ أَلَّا أَفْعَلُ مَا يَشَاءُ وَقَدَّرَ فِي شَرِّهِ وَعَسَوْا صَيِّغَةً [سأ ١٠-١١]

ومعنى قوله ﴿أَلَّا أَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾: عمل دُرُوعاً سَاعَاتٍ وَاسْعَاتٍ طويةً كاملة، بحيث يُعْصِي الدرع الواحد منها حمة الحديد، فلا يُصاب من قبل الأعداء (والسرد): هو الثقب في الدرع.

ومعنى قوله: ﴿وَقَدَّرَ فِي الشَّرِّ﴾: أحسن تقدير سمسمير في جنق لدرع، وأخيراً ثَقَبَ جِلْقِي الدرع، بحيث تجيء فتحةً بحفرة على قدر السممر، فلا الفحة أوسع من السممر لئلا يتحرك وسنحر فيها، ولا هي أصغر من السممر فلا يدخلها.

قال محمد ﴿وَقَدَّرَ فِي الشَّرِّ﴾ لا تُصْعَرُ لُصْمَرٌ وَكُثُرَ بَحْفَةُ، فَيَنْسُلُ السَّمَرُ وَيَتَمَقَّلُ فِيهَا، وَلَا تَعْطَى السَّمَرُ وَتُصْعَرُ الْحَفَةُ فَيَتَكَثَّرُ وَلَكِنْ اجْعَلْ ذَلِكَ بِقَدَرٍ.

وداود عليه السلام أول من صنع دروع، مسبوقة بحلق ولُصْمَرٍ.

وجعلها ساعة طويلة على حجم وطول جسم الحديد، وكسب قبل ذلك صفائح، كل درع صفيحة من الحديد، وكان دخله من نبت الدروع، وليس من حرية المملكة.

وانتشار الدروع الحديدية المحكمة المتينة في الدولة لإسرائيل الموثقة، التي أنشأها داود عليه السلام سبب من أسباب قوته تلك بدونه، ونفادها وتغلبها على الآخرين، الذين كانوا يجهلون هذه الصنعة بدروع

٣- سليمان يستدرك على داود في قضية الغنم والحرث والبولد

اتى الله داود عليه السلام بحكمة وفصل لخطاب قال تعالى ﴿وَسَدَدَ مُلْكُكُمْ وَأَبَتْهُ أَنْجُكُمْ وَقَعَلَ لِيُطَافَ﴾ [سورة ص ٢٠]

قال مجاهد الحكمة هي الفهم والعمل والعدل والبصواب

وقال قتادة: الحكمة هي: كتاب الله وأتباع ما فيه

وقال السدي: الحكمة هي: النبوة^(١).

وهذه لأقوال الثلاثة متفارة، وكلها تصير للحكمة التي آتاه الله بها

وبما أن الله آتى داود عليه السلام الحكمة، فقد كان حكيماً في نفسه، يتمتع بالعلم والفهم والذكاء والفقه والعلم، وكان حكيماً مع قومه، يقضي بينهم بالحكمة والحق والبصواب، وكان حكمه وفصوه يمسح الفساد، ويحقق الخير والصلاح.

وآتاه الله فصل الخطاب: وهو ثمرة للحكمة التي من الله بها عليه

قال مجاهد والسدي فصل الخطاب هو إصانة نقيب وفهم ذلك

وهذه شهادة من الله لبيته داود عليه السلام بموهبته في الحكم والقضاء، حيث كان يحكم بين الناس بشرع الله، على ما آتاه الله من الحكمة

ومع ذلك كانت بعض أحكامه تحتاج إلى استدراك، وكان يستدرك عليه بيته سليمان عليه السلام، الذي آتاه الله الحكمة أيضاً، وكان داود يتصل ذلك برصى

(١) انظر تفسير ابن كثير ٣١/٤

[v9_vA

تحاكم فيها طرقات خصمان!

أو أشجارٌ مثمرةٌ كالعنب و البريتون و كد للأحرار عظم ترعى

عرف صاحب القلم ابني رَعْنَه!

ولما علم أنه سيقبض عليه أسلام بحكمه استدرك عليه ، وحكم بحكم حر

سليمًا القصية، وأرشدها إلى أن يحكم في حكم الأصوب

حُكْمًا وَعِلْمًا ﴿١٠﴾

حُكْمُ دَاوُدَ فِي الْمَسْأَلَةِ صَحِيحاً مَدَّناً، وَلَكِنْ حُكْمُ سَيِّمٍ فِيهَا أَصَحُّ وَأَصْبَحَ!

لِقَوْلِهِ: ﴿فَمَهَّيْنَا لِلْيَسِيرِ﴾.

السلام فيها؟

سم ستر الفرق ذلك، ولم يحدّد رسول الله ﷺ، ولا أولى أثر لا يحوص فيه، وأن سمي مع الفرق واحديث الصحيح، بقول ما فلا به، وسكت على ما سكتا عنه، ولا يضربنا الجهل بما لم يُبين فيهما!

وقد أحربنا رسول الله ﷺ عن حكم آخر لدود، استدرك عليه فيه سليمان عبيهما السلام.

روى الحارثي [برقم ٢٤٢٧]، ومسلم [برقم ١٧٢٠] عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: «كأن امرأتين معهما إمام، وجاء الدئب فذهب بأبني إحداهما!»

فقلت: صاحبتهما: إنما ذهبت بك!

وقالت الأخرى: إنما ذهبت بأبنت!

فحاكمنا إلى داود عليه السلام، فقضى به للكبرى.

فحرت على سليمان بن داود عليه السلام، فأحرته بذلك.

فقال: اتوني بالسكين أشقّه يسكما!!

قلت الصعري: لا تفعل يرحمك الله! هو أبوها!!

نفضى به للصعري!!

لقد حكم داود عليه السلام ما نوبد للكبرى، وكان حجة الكبرى كانت في الظاهر أقوى من حجة صعري، وكان الكبرى كدت تمضي لبدأ وأقصح بيضاء، فحكم داود بما عليه ظاهر الحجة.

ولا يصبر داود حكمه، ولم يخطئ فيه، لأنه اجتهد أن يحكم بالحق، وبدل جهده في ذلك، وهذا هو الواجب عليه، وهو مأجور على حثه وندب جهده في ذلك!

أم سليمان عليه السلام فقد راده الله قطعة وحكمة وفهما، ولدت لم يحكم بالظاهر، ولم يؤخذ بسلاعة وصحة الكبرى، وبما منح من رأيين بصرفه عجيبة مشيرة، ليعرف من أم تفعل فيهما؟

طلت السكين، وصرح لهما بأنه سبقت اليد بينهما، أعطى كل واحد

نصفه^١ وهو لا يعصّد ذلك حقيقة، إما أراد أن يكشف الأمّ المدعية^٢

ووقت نكري على شقّ الطفل بينهما، لأنّه ليس منها، وتريد أن يشاركها
لصغري حسرة الحرام من الطفل^٣ لكن الصغري رفضت ذلك، وبارئت عنه،
وقالت بلهفة الأم: لا تفعل يا نبي الله، هو ابنتها!!

بها تريد أن يعيش أبها، ولو لم يكن عندها عند ذلك عرف سليمان بمزيد
عنته وعلمه أنه من الصغري فحكم به لها، وسدرت يدك على حكم أمه!
ويطلق على استدراكه وحكمه في هذه المسألة قوله تعالى ﴿فَقَهَّسَتْهَا
سُلَيْمَنُ﴾

ولقد أشار رسولنا ﷺ إلى أنه قد يحكم بالظاهر، وأنّ حكمه قد يكون
خلاف الحقيقة

روى مسلم [برقم ١٧١٣] عن أم سلمة رضي الله عنها قالت قال
رسول الله ﷺ: «إني نحتصمون إلي، ومن عصكم أن يكون أحد من حجتي من
بعض، فأقصي له، على نحو مما أسمع منه، فمن قطع له من حق أخيه شيئاً،
فلا يأخذه، وإنما أقطع له به قطعة من النار».

وهي رواية ثانية عن أم سلمة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ سمع جنة
حصى بياض حجرته، فخرج إليهم، فقال: «إما أن يشر، وإنه يأتيني الحصم،
فدع بعضهم أن يكون أبلغ من بعض، فأحسب أنه صادق، فأقصي به، فمن
قصي به بحق مسلم، فإما هي قطعة من النار، فليحصبها أو يذرها».

يشير رسول الله ﷺ إلى أنه قد يأخذ بالظاهر، فيحكم به إذاً إليه، ويكون
حكمه خلاف الحقيقة، لكنه لم يحطن في حكمه، لأنه بدل جهده، وحتفه في
تحرّي الحق وهو لا يعلم من لعب إلا ما أعينه الله به!

ومن هذا الباب حكم داود عليه السلام لصاحب الغنم، مما دفع سليمان
عليه السلام إلى الاستدراك عليه، وحكمه ببولد للكرى، مما دفع به إلى
الاستدراك عليه. إنه لم يحطن في حكمه، لأنه حكم بما قاده إليه اجتهاده،
وحكمه صواب، ولكن سمع عليه السلام رداء الله فهماً وقطة، فعمّق مسأله،
وحكم فيها، وكان حكمه هو لأصح والأصوب، ولقد مدح الله لاتبس
﴿وَكَلَّا نَبِيًّا حَكِيمًا وَعِلْمًا﴾ [الأنبياء: ٧٩].

٤- حقيقة ما جرى بين داود والخصمين؛

من مواقف داود عليه السلام التي قد موقع في لُبن وإشكليا، وتحتج إلى
توجيه وتحليل، موقفه من الحَصَمين بما تحكما به

قَدْ نَعَالَى ﴿٢٦﴾ وَهَذَا أَمْرٌ سَوَاءٌ لِمَنْ خَصَّ بِهِ نَزَرُوا إِلَيْهِمْ ﴿٢٧﴾ وَدَعَوْهُ عَلَى دَاوُدَ
فَمَرَّ بِهِمْ قَالُوا لَا تَحْفَظْ حَقَّكَ عَلَى بَعْضٍ فَاحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تَطْغُطْ وَاهْدِنَا إِلَى
سَوَاءِ الْفُرُجَيْنِ ﴿٢٨﴾ إِنَّ هَذَا بَعْثٌ لَمْ يَسْعَ وَتَقْوَى تَقِيَّةٌ وَلَنْ تَجِدَ وَجِدَةً قَدْ دَانَ أَكْثَرُ النَّاسِ بِغَيْرِ
الْحَقِّ ﴿٢٩﴾ قَالَ فَقَدْ طَمَعْتَ بِؤْلَى صَدِّيقِ يَاسِيَّةٍ وَإِنَّ كَيْدَ نَسِ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ
إِلَّا الْآلِينَ مَمْلُوءًا وَعَمَلُوا نَصِيحَةً وَقِيلَ مَا هُمْ وَطَنَ دَاوُدَ أَمَّا فَسَدَ فَاسْتَعْمَرُوا وَخَرَّ رَاكِعًا
وَأَكْبَرَ ﴿٣٠﴾ فَصَحَّ لَمْ يَكُنْ ذَلِكَ وَبَرَّ لَهُ عِدَّةٌ تَرَاهِي وَحُشِنَ مَتَّابٌ ﴿٣١﴾ نَدَاوُدَ يَا جَعَلْتَ خَلِيقَةً فِي
الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ آبَائِنِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعْ تَهْوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ لَئِنْ بَصُلُوا عَنْ سَبِيلِ
اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ يَوْمَ الْحِسَابِ ﴿[سورة ص ٢٦-٢١]

في حديث نقرآن عن قصة داود عليه السلام مع خصميه مهمته كثيرة ،
ولم تزد حوبه أحاديث صحيحة عن رسول الله ﷺ نصفاً حديداً حوباً لأيات
وقد ذكرت الأسانيد وأصحابه يقدم بعضهم نصيباً من طلبة مكدونه ،
فيها اتهامات لداود بالسب والسطر بينهما ، وتروح خدش معلمي أعجب بحمالها
وهي تغسل عذرية ، وعمل على قس روحها في إحدى السماعات لتروحها ، فأمر
الله له العلكين في صورة خصميه ، يُعابته بشأنها ؟

وهذه أحدى راضلة، سُرِّي سَيِّدُ اللَّهِ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مَهَا، وَلَا يَحْجُورُ ذِكْرُهَا، إِلَّا مِنْ بَابِ التَّحْدِيدِ مَهَا.

ولا مدّ أن معهم الآيات كما أنزلها الله، لأنه لا توجد أحاديث صحيحة عن رسول الله ﷺ تُضفي عليها شيئاً ١١

حَلَاةٌ مَا تُشِيرُ بِهِ لَأَيُّهُ أَنْ دُودَ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ فِي مُحَرَّمٍ يَدْكُرُ اللَّهَ،
فَجَاءَ حَصْبَانٌ، وَتَسَوَّرَا مُحَرَّمًا، وَتَسَدَّدَا عَلَيْهِ، وَدَخَلَا عَلَى دُودِ فِجَاءَةٍ وَهُوَ
حَالِسٌ فِيهِ يَدْكُرُ اللَّهَ، وَفُوجِي بِهِمَا وَفَقِيضَ أَمْرَهُمَا، فَعَرَعَ وَحَدَّ سَهْمَهُمَا، وَطَهَّمَا
رَحِيضَ يُرِيدَانِ أَنْ يُصِيبَاهُ سَوْءًا، فَصَبَّاهُ، وَقَالَ لَهُ: لَا تَحْتَفِ مَنَّا، وَاصْمُتْ، فَمَا
سَحَى: لَا حَصْبَانٌ، احْتَصَمَا فِي شُرْكَةِ نَيْبٍ، فَأَتَيْتُكَ تَحْكُمُ بَيْنَهُمَا حَقًّا

تَكَلِّمُوا أَخْذَ الْحَصْمِ فَقَالَ إِنَّ هَذَا شَرِيكِي أَحْيَى بِهِ نَفْسِي وَسَمِعُوا عَجَبًا.

وَأَنَا نِعْمَةٌ وَاحِدَةٌ، فَأَرَادَ أَنْ يَأْخُذَهَا عَنِّي، لِيَضُمَّهَا إِلَى نِعَاجِهِ !!

يعمل داود في الحكم، وأذاً الرجل الآخر، وقد لمعتكم شاكلي لقد
طمنت أحولك في جحره على صمّ بحثت بي معاجها وكثير من شركاء
بعضه يعني بعضه على بعض، ويصنم بعضهم بعضاً، لا دين أمو وعمو
لصالحات، وهؤلاء قلائل

عندك عرف داود عليه السلام أن خصمين أرسلهم الله به سلاة وامحاً
وقته، فارع بنبوه وإيمانه أي الله، وحرر كعدو دعا الله، فغفر الله له
﴿ وَهَلْ أَمِنتَ سَوْءَ الْخَصْمِ إِذْ تَسُوْرُ الْمِحْرَبِ ﴾ اخصم من الله برسوه
محمد ﷺ، ولاستعهم ما لكثير من اخصم هم لمكان يندب عنهم الله
لداود

وتسور المحراب صهر على سور المحراب، وبلاعه، ودخلا على
داود

ويعني قد أتاك يا محمد بن خصم، عدا جاء برحلا وتسبق على
سور المحراب

﴿ إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُدَ فَفَرَّجَ مَتْنَهُمْ فَأُوتُوا نَحْفًا ﴾ كان دود عليه السلام جالساً
في محرابه يذكر الله، ووجدوا سارحليين يربين عليه من السور، فصرع وحرف
منهم، ولكهما طماناه وأر لا خوفه وورعه

﴿ خَصْمَانِ بَيْنَ يَمِينٍ وَبَيْنٍ نَحْفًا ﴾ نَحْفًا نَحْفًا وَلَا تُحِيطُ وَهَبَ لَهُ سَوْءَ تَحْزِيلٍ
بحر خصم، بس خلاف وبراء وحصومة، يعني أحد على الآخر، وعدى
عليه وظلمه، وأراد أن يأكل حقه وفد أبيك وتحكم بك، فسمع فصيت،
واحكم بين الحق وعدل، ولا تشط في حكمك، ولا يعمل مع أحد صد
حصمه، وذلك على الطريق الصحيح لذي بحر به المشككة

تكلّم أحد الخصمين عن خصمه، وقال عه ﴿ إِنْ قَدْ آتَى ﴾ فاعتبره أحاً
له، وخلافه معه لم يؤثر على أخوته له.

﴿ لَمْ يَنْسَخْ وَتَعَوَّنَ يَمِينَهُ وَلَمْ يَنْسَخْ وَتَعَوَّنَ يَمِينَهُ ﴾ يملك تسعاً وتسعين نعمة، وأن
لا أمست إلا نعمة واحدة و نعمة شيء صد، وكثر هو لحروف

ورغم أنه يمدك هذا العدد الكثير من النجاة، إلا أنه لم يكتف بها، وبصفت
 نفسه إلى معجبي موحدة، وطمع فيها، وأراد أخذها وصحبها إلى مدحه ﴿فَقَالَ
 أَكْفَيْتُ وَعَزَّيْ وَتُحِطَّابِ رَءٍ﴾ قال لي صم معتك إلى مدحي، لا يكون كـ فلا
 لها، وعلي في الكلام والجدل، وقهر بي وعلمي ومعني عني

وهذا اعتراف من المتكلم بأن حصه أقوى منه، ولذلك يقهره ويظفمه،
 وهو أقوى منه في الكلام، ولذلك يغلبه في حجة

المتكلم مصوم حست كلامه، وحضه باع طائم متعد، ولم يطل دود
 عليه سلام من لشكى عيه حجه، وطرن أن الأمر واضح، لا يحتاج إلى سماع
 كلام لدله سمعي، ولذلك سارع بإصدار حكمه ﴿قَالَ لَقَدْ طَمَسَكَ يَسُونِ تَجَمَّكَ
 إِلَى يَسَاقُ﴾ أي طلمت حضك، عندما طبت صم معتك إلى مدحه

وتابع داود عنه السلام كلامه بقوله ﴿وَأَنَّ كَثِيرًا مِّنَ غَطَّةٍ لَّمْ يَخْشَوْهُمْ عَلَى يَسِينِ
 وَلَا أَلْبِينِ مَأْمُونًا وَعَيْلُو الصَّلَاحِيَّةِ وَقِيلَ مَا هُمْ﴾ أي معظم الشركاء يعي بعضهم
 على بعض، ويطم بعضهم بعضاً، ولا يستشي من ذلك إلا الذين آمنوا وعملوا
 الصالحات منهم، وهم فائز

وعندما انتهى داود عيه السلام من كلامه فكر، فعرف حكمة هذه الحادثة،
 وأنه هو المقصود: ﴿وَلَقَدْ دَاوُدُ أَنفَاقَتَهُ﴾

ومعني (من) أنق وأدراة وعلم

أنق داود عليه السلام أن الله قتته وانتلاه وامسحه يهدين الرجلين الوقيين
 أمده إيهام لب رحمن حقيقيين، ولكنهما ملكا من املائكة، وليست
 بينهما شركة حقيقيه، ولا توحذ منه معجبه حقيقيه، وإسا ذكر له قصة رمزية
 تشبیه، وعدم أنه تسرع في حكمه على المتكلم عيه فل أن يسمع كلامه

وعند عرف داود عليه السلام هدف الحادثة كلها، وأنه هو المقصود بها،
 لحا إلى الله، فسجد له واستغفره وأتاب إيه ﴿فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ﴾.

ولا يراد سركوع في الألة الركوع المعروف في الصلاة، وإسا مراد به
 السجود على الأرض، لأنه قال ﴿وَخَرَّ رَاكِعًا﴾، وفعل (خر) لا يستعمل إلا في
 السجود.

والإنابة إلى الله: الرجوع إليه بالتوبة والاستغفار.

وهذه الحركة العنيفة من داود عليه سلام دليل على حرصه على رجوعه
إلى الله، وذكره وشكره وعبادته

وأخبرنا الله أنه قبل نومه ﴿فَعَصَى دَاوُدُ ذَلِكَ وَلَمْ يَغْتَابِ لَرْفَى وَحَسَنَ مَقَامٍ﴾
عمر لله له، وردّه قربي منه وجعل به رُفَى وحضرة عنده ﴿وَبَرَّ لَمْ يَغْتَابِ
لَرْفَى وَحَسَنَ مَقَامٍ﴾

وهذا ثناء من الله على داود عليه السلام.

ويبدو أن برحمتين تحصين عذارا محترمة كما دحلاه، بعدم عرف داود
عليه السلام الحكمة من الحادثة.

وكان ينبغي على قصّة تحصين الرمية بالتذكير بمجموعة من الحقائق
المتعلقة بالحكم والخلافة والقضاء.

قال تعالى ﴿يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ
الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُرَىٰ يَصِلُونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ يَوْمَ تُنْفَخُ
الْأَنْفُسُ﴾

٥ - توجيه موقف داود من الخصمين.

١ - كان داود عليه السلام حبيبة منكاً، وكان حريصاً على لاكثر من ذكر
الله وعبادته، وسدّد حصص النهار للخلافة وسميت والحكم بين الناس، وحل
مشكلاتهم وقضاء حوائجهم، فيما حصص الليل لعبادة الله وذكره ومجابهة
وكان داود محترمة بيلاً للمدة لا يدخل عليه أحد فيه، ويأمر الحر من
بإغلاق الأبواب وعدم إدخال أحد لأنه في عبادة الله.

هل أخطأ داود عليه السلام في هذا العمل؟

الجواب بالنفي، فقد جعل النهار للحكم والقضاء بين الناس، وفضلت له
يهمهم ولم يتركهم، وليلة حصصه لمداواة الله، وفضلت صواباً!

نكنّ كان الأوسى والأفضل والأكمل به أن لا يعلق بانه أمام أحد، في أي
ساعة من ساعات الليل والنهار، وعنده أن يسمع شكوى أيّ مشكك أو منظم حتى
لو كان في محرابه!

وأرسل الله له لملكين في صورهم رحبين، ونشورا عنه لمحارب، وعرض
عنه قصبة مثيرة، وذلك لإرشاده إلى أنه ترك الأولى والأفضل والأكمل.

دع فعه صواب وصحيح، ولا خطأ فيه، ويكن الله أرشده إلى ما هو أولى
وأفضل! وقد وعى هذا التوجيه عليه السلام.

٢ ولما نزل الرحلان عليه المحارب حاف ومرغ ميهما فهل أخطأ في
دع؟

جواب يسمى أخطاءاً والطريقه وكيفية سي دخلا بها عليه يدعو إلى
الخوف والفرع.

فهو قد أمر بإغلاق الأبواب، وأمر المحارب من سمع الناس من الدخول، وهو
في محرابه مستغرق بمحاجة الله، وفعلة رفع رأسه فرأى رحبين يدخلين عليه من
سور المحراب!!

أليس في هذا ما يدعو للفرع!

إن خوفه في هذه الحادثة طبيعي، لأنه توقع الخطر، وخاف حصول مكروه،
ومن كان مكانه فسيحاف كما حاف

بأنه لم يحطن في ذلك. ولكن كان الأولى والأفضل والأكمل له أن لا
يحاف! لأنه مستغرق في محاجة الله وذكره وتسميته، فالأولى أن لا يخاف وهو
في هذه الحالة الإيمانية العالية!

٣ - ساق له الرحلان الحاضرين، المذنبين في الحقيقة - قصة رمزية، وليست
حادثة واقعية ومشكلة حقيقية، لإرشاده إلى أن الأولى والأفضل أن لا يعلق نفسه
بشيء، فقد بابه من خاص من ماله مدخلة، تحتلح إلى حكم سريع!

سمع داود عليه السلام الشكوى من المشتكي، ووجد به مظلوم، فظن أن
الأمر لا يتطلب سماع لطرف الآخر، لأن الصورة وصحت أمامه

هل أخطأ في ذلك؟ الجواب بالفي فقد عرف شكوى من مشتكي،
وبأن له الحق فيها، وبذلك أصدر حكمه، وهو في حالة تأثر ومعان، فقل إن
خصمك ظالم، وقد ظلمك بسؤال نعمتك إلى نعاجه.

إن حكمه صواب، وقوله صحيح، فطالما رأى أنه عرف المسألة، فعليه أن
ينصت فيها

ولكن كان الأولى والأفضل والأكمل به أن لا يحكم حتى يسمع حجة الطرف الآخر، حتى لو وقف على الحقيقة عنه أن يُعطي طرف الآخر حقه في الكلام، وإن كان كلامه لا يعز في الحكم شيئاً، لوصوح الصورة عند انقاضيها

هذه بوجه موقف داود عليه السلام في مسائل الثلاثة احتجاجاً عن سبب في السبل سماحة الله، وخوفه من بروب الترحيل عليه، وحكمته في العصية قبل سماع الطرف الآخر

وبهذا عرف أنه لم يُحظن فيها، وأن موقفه كان صحيحاً صواباً، لكنه ترك الأولى والأفضل والأكمل، فأرشد الله إلى ذلك

٤ - فبد كان ذلك كدلت عليه كان سجوده واستعداده وإدته وتوبته؟

لما وعى المدرس، وعرف أنه فتنه وامتحنه وتلاء من الله، أدرك أنه في المواقف الثلاثة فعل خلاف الأولى والأفضل وما أنه سيئ مقرب عند الله فعليه أن يفعل الأصح وليس الصحيح، والأصوب وليس الصواب

ولما ترك الأصح والأصوب شعر بانقصاره وجرح، فسارع إلى السجود والتوبة والاستغفار.

استعداده لم يكن سبباً ارتكبه، أو خطأ وقع فيه، لأنه سيئ معصوم، وإنما استعداده لأنه فعل خلاف الأولى، وهو صورة من صور ذكركه لله وسماحةه والقرب منه!

ولذلك رآه الله باستعداده وتوبته رلى وقربى عنه ﴿فَعَقَرْنَا لَهُمْ ذِيكَ وَإِنَّ لَهُمْ جِدْنًا لَّزْلَىٰ وَحَسَنَ مَّكَابٍ﴾

هكذا نفهم قصة داود عليه السلام مع الحصصين وائمة بعثة، وحكمه وتوبته واستعداده، وهكذا توجبهها توجبها يتفق مع سؤنه وعصمته وصرلته وكرامته، بعد استعداد الإسرائيليات والانبيا ماب سي وجهها به أحد اليهود الكافرون.

* * *

الْفَضْلُ الْعَاشِرُ

إشكالات حول قصة سليمان عليه السلام

تَحْلِيلُ وَتَوْجِيهُ

الفصل العاشر

إشكالات حول قصة سليمان عليه السلام

تحليل وتوجيه

١ - بعثنا ورث سليمان داود عليهما السلام؟

داود بنِّي رسولَ مَلِكٍ في بني إسرائيل، وابنه سليمانُ نبيُّ رسولٍ مَلِكٍ فيهم، عليهما الصلاة والسلام، ولما توفّي داود ورثه ابنه سليمان، عليهما السلام. قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ وَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ [المل ١٥-١٦] نصّت الآية على أن سليمان ورث أباه داود، عليهما السلام، لكن بمادى ورثه؟

لقد ورثه في النبوة والرسالة، فهو نبيُّ رسولٍ بعده عليهما الصلاة والسلام. كما ورثه في الملك والخلافة، لأنه وليّ أمر بني إسرائيل من بعده أبيه. ولم يرثه في الأموال والممتلكات، لأن سنة الله في الأنبياء أنهم لا يورثون، فلا يأخذ أولادهم وورثتهم شيئاً مما خلفوه وراءهم، فإن تركوا شيئاً وراءهم كان صدقة في سبيل الله!

دليل ذلك حديث رسول الله ﷺ:

روى البخاري [رقم: ٦٧٣٠]، ومسلم [برقم ١٧٥٨]، عن عائشة رضي الله عنها أن أزواج النبي ﷺ حين توفّي رسول الله ﷺ، أردن أن يعفن عثمان إلى أبي بكر يسألنه ميراثهن. فقالت لهن عائشة: أليس قال رسول الله ﷺ: «لا تُورث، ما تركنا صدقة».

وروى البخاري [برقم ٦٧٢٥]، عن عائشة رضي الله عنها أن فاطمة والعباس رضي الله عنهما أتيا أبا بكر، يلتمان ميراثهما من رسول الله ﷺ، وهما حينئذ يطلبان أرضهما من قذك، ومنههما من خير

فقال لهما أبو بكر سمعت رسول الله ﷺ يقول «لا نورث، ما ترك صدقة»

هذا الإسناد من كثير عن وراثته سليمان بن داود عليهما السلام «قال الله تعالى ﴿وَوَيْتَ سُلَيْمَنُ دَاوُدَ﴾ أي ورثته في لسانه والملك وليس المراد أنه ورثته في الملك. لأنه قد كان له من غيره مما كان ليحصله بالمال دونهم.

ولأنه قد ثبت في الصحيح من غير وجه، عن جماعة من الصحابة أن رسول الله ﷺ قال «لا نورث، ما تركنا صدقة». وفي لفظ: «نحن معاشر الأنبياء لا نورث».

فأحر الصدق لمصدق عليه السلام. أن لأبي لا نورث أموالهم عنهم، كما يورث غيرهم، بل تكون أموالهم صدقة من بعدهم على فقراء والمحاويج، لا يحضون بها أموالهم، لأن الذب كانت أموال عبيد وأحقق بعدهم من دين، كما هي عند أبي أرسلهم واصطفاهم وقصصهم

٢ - توجيه موقف سليمان من الصاعقات الجياد:

أشارت آيات القرآن إلى حادثة حرب سليمان عليه السلام، وهي فعلة بالحيل الصاعقات قال تعالى ﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَنَ يَحْمُ الْقَيْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ [٣٣-٣٠] عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَنِيِّ الْقَتْلُ الْقَيْدُ فَقَالَ إِنْ أَحْبَبْتُ حَتَّى الْخَيْرِ عَنْ دِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ [٣٣-٣٠] رَوَاهُ عَلٌّ قَطِيعٌ مَسْحَا بِالسُّوقِ وَالْأَعْيَابِ [سورة ص ٣٠-٣٣]

لا يوجد أحاديث صحيحة عن رسول الله ﷺ نصف شيء عن الصاعقات لجيد أم الإسرائيليات فقد أوردت تفصيلات عن فتنة سليمان بالحيل، وتقصيره في العادات والواجبات، لاشعاليه بالحيل وسببه، ولما دهم على ذلك فكل تلك الحيل !!

ويجب أن نرفض الإسرائيليات، ونسره سليمان الكريم عليه السلام عن هذه الاتهامات والأكاذيب والمزاعم.

ما معنى الآيات الإجمالية؟

﴿يَدْعُرْصَ عَلَيْهِ بِالْعَيْنِ تَصْنَعَتْ لِحَادُ﴾ العشي ما كان قبل مغيب الشمس

والصافات لحباد الحيل الحده

انصرفت جمع صاف والحباد جمع حواد

والصاف حركة لظنة للفرس عتد وقوفها، حيث تقف على ثلاث من
فوائدها الأربع، أم راعه فيها ترفعها ونشها، ونحعل صرف حادها على
الأرض، وهي بعد تجمع من ربعها ومن الوقوف عليها، فلا هي راعتها عن
لأرض، ولا هي وقفت عليها.

وهذه حركة لظنة جميلة، يترك حادها من استمتع بمطر العرس وهي
صافه.

والحيل الحباد هي حيل محسة التي تحوذ في سيرها وعدوها، فهي نذل
جهتها وطافها في عدوها، ونجود بذلك، ولا تصر منه شيء، فيأتي عدوها
سريعا

الوضان ﴿لَقَدْ تَصْنَعَتْ الْحَبَادُ﴾ بدلان على حركتين لطيفين انصرفت
تصوير للحيل عند وقوفها وسكونها والحباد تصوير للحيل عند عدوها
وإسراعها والحيل حيلة في صفتها عند وقوفها، وحيلة في حودها عند
عدوها.

ويها قد ﴿إِنِّي أَخَشْتُ حَتَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي﴾

وأحرر رسول الله ﷺ عن الحير الحميم الملازم بحيل فقد روى سحري
[برقم ٢٨٥٠]، ومصمم [برقم ١٨٧١]، عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما
قال، قال رسول الله ﷺ الحسن معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة.

لما عرصت الحيل انصرفت لحباد على سليمان عليه سلام وقت العشي
خمد الله على ما أعم به عليه منها، وقال ﴿إِنِّي أَخَشْتُ حَتَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي﴾

والمعنى إني أحب الحيل حيا كثيرا، لما فيها من خير، وخشي لها عن
ذكر ربي، وبسبب ذكر ربي

فكانه ذكر لربه عندما بحث الحيل، وحش لها ذكر منه الله، يحمده الله ويشكره
على إعمه عليها، وعندما يراها يذكر ربه ويشكره، كما أن شراره عليها وعددها

للجهاد صورة من صور عبادته وذكره لربه .

﴿ حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ ﴾ الكلام عن الحيل التي أخذها ومعنى (توارت)

احتجبت

والحجاب شيء كان يحجبها عن سليمان ، كأن يكون حياءً أو تلاء

وتدنُّ الحملة على أن سليمان عليه السلام كان يراقب حياءً وهي تجري ،

لتدرب على سحري واعذوب ، وتكون بذلك حاضرة للجهاد

ويسود أنه أمر برقص الحيل وعذوها ، فلما رها تجري في الميدان حمد الله

على ذلك ، واعتبر حيله لها صورة من ذكره الله ، وقال . ﴿ إِنِّي اخْتَبْتُ حَيْلَ الْخَيْرِ عَنْ

وَكَيْرٍ رَبِّي ﴾ وبقي يطرز إلى الحيل العذرية في الميدان مضمناً ، حتى توارت

واحتجبت وراء الحيل الذي حجبها

ومما توارت وعاشت عن ما طرزه قال ﴿ رُدُّوْهَا عَلَيَّ ﴾ أي أعيدوها إلي

ولما أعادوها ، ووفقت أمانته صدر مسح عنها ، كما قال تعالى ﴿ فَطَقِيقَ

مَسْحَا يَلْسُوهُ وَالْأَعْصَا يَفْخُفُ

وَالسَّوْقُ جَمْعُ سَاقٍ وَالْمَرَادُ بِهَا . سِفَانُ الْحِيلِ وَالْأَعْدَاءُ جَمْعُ عَدُوٍّ

والمعنى أن سليمان عليه السلام صدر مسح على سيقانها وأعناق الحيل ،

وشعر أصدعها عليها برفق ، يلاعنها ويُداعنها ويكرّمها ، من اهتمام بها ومن

المعصوم أن الحيل تحت هذه الحركة اللطيفة من صاحبها ، وتأسل به عندما يمسح

على سوقها وأعناقها ، فترادفها له وتعلقاً به ، كما ترد دُبقاً عنى لجهاداً

٣- ما هو الجسد الملقى على كرسي سليمان ؟

أخبرنا الله أنه من سليمان عليه السلام بأن ألقى على كرسيه جسداً . قال

تعالى : ﴿ وَلَقَدْ قَتَلْنَا شَالِسَ وَالْقَبَا عَن كُرَيْبِهِ . جَسَداً ثُمَّ أَنَابَ ﴾ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي

مُلْكاً لَا يَنْسِي لِأَحَدٍ مِّنْ هَدْيٍ إِنكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴾ [سورة ص : ٣٤-٣٥] .

المراد بالقتل الاغتيال والامتحان ، والله يمتحن من شاء من خلقه بما شاء من

عنه ومن الناس من يعرف حكمة الاغتيال ويستفيد منه ، فيحج ، ومبهم من

لا يعرف ذلك فيخسر . .

وأشدُّ سببِ بلاءِ الأنبياءِ، لأنهم الأقرَّبُ إلى الله، وهم يعرفون حكمة الانقلاء، فتريدهم نعمةً فرداً من الله

وبما فتح الله دود عبه سلام بقصة الملكين، عرف ذلك، فأقبل على الله واستغفره وتاب وأبى إليه

ولما فتح الله سيمان عبه لسلام أقبل عبه وأبى إليه، وتصرع ودعا فل تعس ﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَداً ثُمَّ أَنَابَ قَالَ رَبِّهِ عَافِي﴾

كيف كانت فتنة سيمان عبه سلام وما هو الجسد الذي القاه الله على كرسيه؟

تحدث الإسرائيليون المكذوبة الصفة عن إيهامات فخرية لسليمان عبه سلام

تقول تلك الإسرائيليات وافق سيمان مرأته بكهنة على الكفر بالله، وصنع بها صنماً ووضعها في قصره تتعبد من دود الله فعافاه الله على ذلك، وكان يحكم الحنّ وشياطين ساحته السحري، فأدب الله لشيطن ساردان يترن بربه، فأخذ الحنّ منه، وستم يحكم منه، وكأنه قام بقلب عسكري صده وبقي على هذا عدة أسابيع، ثم عدّله يحكم بعد ذلك، بعد أن استخرج حاتم من بطي سمكة، ثم وضع ساردان في صندوق، وألقاه في قعر البحر

وحنّ لا يجيز تفسير كتاب الله بهذه الأكديت والافتراءات، ووجب تبرئة سليمان عليه السلام منها

عندنا حديث صحيح عن رسول الله ﷺ، يتحدث عن الجسد العنقى على كرسى سيمان عبه السلام، ولعله هو المراد بعبته المذكورة في الآية

روى السحري [رقم ٣٤٢٤]، ومسلم [رقم ١٦٥٤]، عن أبي هريرة رضي الله عنه عن سبي ﷺ قال لاقى سليمان دود عبه سلام لأصوفن البينة على سبعين امراه، كلهم تأتي بقرص، يجاهد في سبيل الله

فقال له صاحبه قل، إن شاء الله، فلم يصح إن شاء الله.

فلم تحمل شئاً إلا وحداً، ساقطاً إحدى شفتيه

فقال النبي ﷺ لو قالها لجاهدوا في سبيل الله

وهي رومة أخرى للسحاري [يرقم ٥٢٤٢] عن رسول الله ﷺ أن سليمان عليه السلام قال: «لأطوفنَّ الملة على منه سراً، كلهنَّ تأتي بغير من يهدنَّ في سبيل الله».

فقال له صاحبه: قل إن شاء الله! فلم يقل: إن شاء الله!

فلم تحملنَّ منهنَّ إلا امرأة واحدة، جاءت بشق رجل

واندي بمس محمد بن عبد الله لو قال: إن شاء الله، يهدو في سبيل الله هرساً أجمعون.

خلاصة الحادثة التي أثار لها الحديث أن سليمان عليه السلام كان عبده منه امرأة، بين حرية وأمة، وكان رجل جهيد وقتل، قتل في بيته، لأطوفنَّ البيعة على منه امرأة تحمل كل واحدة، وبعد علام يكون قد مرَّ من يهدنَّ في سبيل الله

فهو يريد أن يكون له منه وليد فارسي مجاهد

فقال له اسلك قل إن شاء الله! ولكه سي دك، فم يقل: إن شاء الله!

وطاف على نساؤه المئة، وجامعهنَّ في ليلة واحدة!

وقته الله لأنه لم يقل: إن شاء الله، فم تحمل من نساؤه المئة إلا امرأة واحدة، حملت بحبي مشوء، وبها وصعته ولدته ميت، وكان شق باب، فوصعته له على كرسية! ولعله هو اندي أشارت له الآية ﴿وَأَنبَأَ عَلَى كُرْسِيِّ جَدِّ ثُمَّ أَنَبَ﴾.

لا عرامة في أن يكون سليمان عليه السلام منه امرأة، ما بين روحية حرة، وأمة حارية، إن عدم حوار الرواح بأكثر من أربع نساء في وقت واحد هو شرعاً ولعل هذا لمنع من يكن في شريعة سليمان عليه السلام!

ولم يكن احتفاظ سليمان عليه السلام بمئة امرأة بقصد شهوة، إنما بهدف النسل والإيجاب لتكون له الدرية الصالحة

وبما أنه كان رجلاً جهاداً فقد أراد أن يطوف على نساؤه المئة في ليلة واحدة، لينتجن رجالاً مجاهدين!

وقد جامع سليمان عليه السلام نساءه المئة في ليلة واحدة وهذا يستحيل

أن يصدر عن الإنسان العادي أما سليمان عليه السلام فقد فعل ذلك، ولعل الأمر (معجزة) من الله، أجراه الله له، وأمكنه من معاشرته ستة أشهر! وما أن الأمر من الله فلا غرابة فيه، لأنه ورد في الحديث الصحيح!

ولما قال سليمان عليه السلام لأطوفن على منه امرأة كل واحدة تدر علاماً مجاهد في سبيل الله، قل له الملك قل إن شاء الله، فسي أن يقول إن شاء الله ونسيته أن يقول إن شاء الله مصهر من مظهر شرته، فلا تلام عليه، فهو رسول بشر عليه الصلاة والسلام، يعبره ما يعبري البشر مما لا يعارض مع النبوة، ومن ذلك النسيان!

قد يسمى الرسول في غير السبع، وهذا هو رسولنا محمد ﷺ، بسأله بمشركون عن دي لقريش وأهل الكهف والروح، فقال لهم أحبكم عدو وسي أن يقول إن شاء الله! معاتبه الله بأن أوقف عنه لوجي حوالي أسوعين، وبعد ذلك أرسل عليه سورة كهف، وفيها توجيهاً إلى الاستثناء عند الوعد، بأن يقول إن شاء الله قال تعالى ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا يُعْطَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَكِنْ قُلْ بِنِعْمَةِ اللَّهِ أَنَا وَأَكْتُفِرُ﴾ [الكهف ٢٣-٢٤]

ولا غرامة أن يسمى سليمان مؤث إن شاء الله، رغم تذكير حديث له بذلك وقد عاتبه الله، وأراه آية من آياته، فلم تحمل من نساياه المنة إلا امرأة واحدة، وأنجبت له شق يسار ميت، وصعته له على كرسيه وعث رسول ﷺ على ذلك بأنه لو قال إن شاء الله، لحملت النساء المنة، ولكان له مئة ولد، كلهم فرسان مجاهدون

وهذا تأكيد على مشيئة الإلهية، فما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، وهذا لم يشأ سبحانه أن يحقق رغبة سليمان عليه السلام، في أن يكون له مئة ولد فارس!!

٤- توجيه طلب سليمان الملك الواسع

بعدما من الله سليمان عليه السلام بالحديد لم يقب على كرسيه، تصرع سليمان إلى رثه، وحلت منه ملكاً وسعاً عريضاً

قال تعالى ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَاسًا ثُمَّ نَابَهُ قَالَ رَبِّ اعْمُرْ

ي وَهَبَ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ عِبَادِكَ إِلَّا أَنْ تَقُولَ ﴿[سورة ص: ٣٤-٣٥].

واستغفاره في قوله: ﴿رَبِّ اجْعَلْنِي﴾ ليس عن ديب ارتكبه، فإنه نبي معصوم، وإنما هو صورة من صور ذكره الله، وتقرب إليه بالاستعمار

و قد طلب من الله الوهاب أن يهبه ملكاً خاصاً به، لا يُعطيه لأحد من بعده، فما توجيه هذا الطلب؟ وعلى ماذا يدل؟

قد يعترض بعضهم هذا الطلب حرصاً من سليمان عليه السلام على الرعامة، وتهالكاً على الملك، وتماحراً على الأحرار أي أنه أراد الملك من أجل السمك!

سليمان نبي كريم عليه الصلاة والسلام، وهو مُسَرَّةٌ عن هذه الأمراض والآفات التي تُصيب الملوك والرعماء، وهو راعٍ في الله وادِر لآخرة، وحياته في الدنيا وقَّتْ على دين الله والتمكين له، وهو يريد السمك لحاصل العريص الواسع لهذه الغاية.

إنه يريد الملك الذي لا يبغي لأحد من بعده نُشر دين الله وندعوة إليه، وليكون مطهراً من مظاهر الإلغام الرباني عليه، وليتجده وسيلةً لذكر الله وشكره

إنه لا يريد الملك الواسع ليكون عاية مقصودة، إسم يريدُه وسيلةً لتحقيق الغاية الإيمانية العظيمة!

ولذلك استجاب الله دعاءه، وأعطاه من السمك ما لم يعطه لأحد قبله، ولا لأحد بعده، ولو كان على طله ودعائه مأخوذاً بما استجاب الله له!

قال تعالى ﴿فَسَحَرْنَا لَهُ الرِّيحَ فَتَجْرِي بِأَمْرِهِ رُحَاءَ حَيْثُ أَسَّابَ ۖ وَالشَّيَاطِينُ كُلُّ سَاقٍ وَغَوَاصٍ ۚ وَآخَرِينَ مُقَرَّبِينَ ۚ فِي الْأَصْفَادِ ۚ هَذَا عَذَابٌ فَلَسٌ أَوْ أَشَدُّ بِمَنْ حَسَابٍ﴾ [سورة ص: ٣٦-٣٩]

سَحَر الله له الريح، فكانت تجري بأمره وسَحَر به الجن والشياطين، فكانوا أطوع أمره.. وسَحَر له الطير فكانت من جنوده..

وهه الله ملكاً خاصاً لم نهته لأحد من بعده، فكان حاكماً بمحموعات من الجن، والإنس، والطير، والريح

وهل هناك حاكمٌ قبل سليمان أو بعده حكيمٌ لإنس وجرى والعيز والريح؟

بهذا كان سليمان عليه السلام أكثر الحكام ملكاً، لسبب شدة مملكته، ولا سبب كثرة عدد سكان مملكته. فهناك حكامٌ حكموا بلاداً أكبر من مملكته، وحكموا ملايين أكثر منها، إنه أوسع الحكام ملكاً لأنه حكم طوائف ومجموعات من الجن والإنس والطير والرياح!!

وقد عرف رسولنا محمد ﷺ سليمان عليه السلام ما حصّه الله به من لملك، ومنه تسخير الجن والشياطين له.

روى البخاري [رقم ٤٦٦١]، ومسلم [رقم ٥٤١] عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّ جُفْرِيًّا مِنَ الْجِنِّ تَقَلَّتْ عَنِّي الرِّحَةُ، لِيَقْطَعَ عَلَيَّ صَلَاتِي، فَأَمَكَّنِي اللَّهُ مِنْهُ، فَأَرَدْتُ أَنْ أَرْطَهُ إِلَى سِدْرِيَّةٍ مِنْ سُورِي الْمَسْجِدِ، حَتَّى نَصْرُوا إِلَيْهِ كُنُكُم، فَتَذَكَّرْتُ دَعْوَةَ أَحِي سَيْمَانَ فَأَنْزَلَ رَبِّي أَعْمَرَ لِي وَهَبَ لِي مَلِكاً لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي فَرَدُّهُ خَاسِئاً»

وفي رواية أخرى عند مسلم [رقم ٥٤٢]، والبيهقي [رقم ١٢٦٥] عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: «قَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِصَلَاةٍ فَسَمِعَهُ يَقُولُ: «أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْكَ، أَلْعَنَكَ بِلْعَنَةِ اللَّهِ أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْكَ، أَلْعَنَكَ بِلْعَنَةِ اللَّهِ» وَسَطَ يَدِهِ كَأَنَّهُ يَتَنَاوَلُ شَيْئاً»

فلم فرغ من الصلاة قل: يا رسول الله ﷺ قد سمعتك في صلاة تقول شيئاً، لم نسمعك تقوله قبل ذلك، ورأيك سَطَطَ يَدَكَ؟

قال: «إِنَّ عَبْدَ اللَّهِ إِبْلِيسَ جَاءَ بِشَهَابٍ مِنْ نَارٍ، لِيَجْعَلَهُ فِي وَحْشِي، فَقُلْتُ: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْكَ، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، ثُمَّ قُلْتُ: أَلْعَنَكَ بِلْعَنَةِ اللَّهِ الثَّامَةَ، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، فَلَمْ يَسْتَخِرْ».

ثم أردت أحده، والله لولا دعوة أخي سيمان لأصبح موثقاً، ببعث به ولداً أهل المدينة»

أراد الرسول ﷺ أن يوثق الشيطان الذي جاء ليُعبد عليه صلاته، ولو فعل لتعرض عليه المسمومون، ولعن به الولدان في المدينة، والذي منعه من ذلك مذكره دعوة سيمان عليه السلام، بأن يهنه الله ملكاً لا يهنه أحدٌ من بعده، فأراد الرسول ﷺ أن يقوي هذه الخاصية لسيمان عليه السلام!

٥ - كيف سخرت الريح لسليمان عليه السلام؟

أخبرنا الله أنه سخرَ الريحَ بسيفٍ عليه السلام قال تعالى ﴿وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِ رَبِّهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي تَرَكَ فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَيْنِينَ﴾ [أنبياء ٨١]

وقد تعالى ﴿وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِ رَبِّهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي تَرَكَ فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَيْنِينَ﴾ [سبا ١٢]

ما معنى هذه الآيات، وكيف سخر الله بريح سليمان عليه السلام، وما معنى ﴿عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِ رَبِّهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي تَرَكَ فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَيْنِينَ﴾؟

حملَ الله الريحَ طوعاً أمراً سليمان عليه السلام، تتحرك أيتها شاء، ونسيرُ إلى أي مكان أرد، وتقدمُ بعث والحير ندس، وكان هدايةً من آيات الله لسليمان عليه السلام.

﴿تَحَرَّيْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِ رَبِّهِ رُحَاءَ حَيْثُ أَمَرْنَا﴾ [سورة ص: ٣٦]: كانت الريح تجري وتتحرك ونسيرُ بأمر سليمان عليه السلام، وتحملُ معها الرُّحَاءَ والعيثَ وكلمة (رُحَاءَ) في الآية ذات دلالة لطيفة.

إنها مشتقة من (رحا) بمعنى حَسَنَ وأَشْنَعُ نقوب: رَحَاءُ فُلَانٍ أي حَسَنَ حُلْمَهُ ورحاء عيشته أشنع عيشته و رُحَاءُ - يفتح راء - العيشُ الواسعُ لرعيه. ولفرق بين (رُحَاءَ) بالضم، و(رُحَاءَ) بالفتح.

الرُّحَاءُ - بالضم - هي: الريحُ اللينةُ الطيبةُ النافعة.

و رُحَاءُ - بالفتح - هو سَعَةُ بعثٍ وثمرته ونبوته ورفاهيته

والثاني نتيجة بلاول وثمرته، و رُحَاءُ والرعدُ وحصصُ والبسرُ نتيجة للريحِ رُحَاءُ، لأنها تأتي بالبعث، فينتج عنه برزخُ وثمرُ والحصص، ولذلك يعيش الناسُ في رُحَاءٍ وسعةٍ وثمرٍ!

هذه الريحُ الرُّحَاءُ كانت تجري بأمر سليمان عليه السلام إلى الأرض المقدسة ﴿وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِ رَبِّهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي تَرَكَ فِيهَا﴾ [أنبياء ٨١]

والأرض التي ذكرها الله فيها هي الأرضُ المقدسة فلسطين وما حولها، التي كان فيها حكمُ سليمان عليه السلام

هذه الريحُ للريحاءِ العاصمِ كان عدوُّها شهرَ آورو وُجها شهرًا
والعدوُّ هو أوَّلُ النهارِ تقولُ عدا، عدو، عدوَّةٌ. دأكر وحرخ في أوَّلِ
النهارِ.

والرواحُ هو السَّيرُ في آخرِ النهارِ، قَبيلَ الغروبِ.

والعدوُّ والرواحُ أمرانِ متماثلان، الأوَّلُ في أَوَّلِ النهارِ، والثاني في حَرِّه
ومعنى ﴿عُدُوْهَا شَهْرٌ وَرَوَّاحُهَا شَهْرٌ﴾. حمل الله الريحَ عاصفةً سريعةً،
تحمِلُ معها لغيثٌ ولجبر، وينقطعُ مسيرُ شهرٍ في عدوِّه وقُدومُه ومجيئُها وقتُ
النصْحِ، وتقطعُ مسيرة شهرٍ آخرٍ في رواحِها ودهبُها وقتُ بحسِّيٍّ في حرِّ النهارِ
أي أنَّ ريحًا كانت تُقطعُ مسيرَ شهرين في اليومِ لو احداً وهذا مظهرٌ من
مظاهرِ الرحمةِ والحِصْبِ الذي كانت تأتي به هذه الريحُ، وتحركُ بأمرِ سليمانَ
عليه السلام!

ويجِبُ أنْ يستعدَّ لإسْرَ نيلاتِ الحِرايةِ المتعقِّقةِ بالرياحِ محمَّرةِ سليمانَ
عليه السلام، إنَّها تتحدَّثُ عن (بساطِ الريحِ السَّحْريِّ) الذي كان يركبُ عليه
سليمانُ وجوَّده ورحلتهُ، فيطيرُ بهم هذا البساطُ في سحْوٍ، ويحوِّلُ عليه في
مختلفِ بلادِ سحْرم، وكأنَّه (طائرة) من طائراتِ هذا زمان!

وقد سنهوت هذه لإسرائيليت والأصايرُ بعضُ مفسرين والإحاديثِ
المسلمين، وفُتروا بها آياتُ لقرآن، وسُخِّبو بعضُ رحلاتِ سليمانَ بجويةِ
المشيخةِ على (بساطِ الريحِ).

٦- تقرير الهدهد عن ملكة سبأ:

كان سليمانُ عليه السلامُ يحكمُ الأرضَ المقدَّسةَ، حيثُ أقامَ فيها حكمًا
(إسلاميًا) فوثقَ آخرُ ما القرآنُ عن اتصالِ جرى بينه وبين مملكةِ (سأ) في
اليَمَنِ والمسدفةَ بين فلسطينَ ولبنانَ طومنه، تريدُ على لآلئِ كينو متر

الذي أجبرَ سليمانَ عن مملكةِ سأ هو (الهدهد) الذي كان في حيثِ المكَّوَّبِ
من الحنَّ والإسْ والظيرِ وتحدثتُ عن ذلك آياتُ سورةِ لسن [١٥-٤٤]

فإنَّ تعالى عن تقريرِ الهدهد عن مملكةِ سأ ﴿فَمَكَتْ عَمَرَ تَوَسِّرَ فَقَالَ

أَحْطَتْ بِمَا تَمْ تَحْطُ بِهِ. وَجَنَّدَكَ مِنْ سَيِّئَاتِي ۖ ﴿٢٢﴾ إِنِّي وَدَدْتُ أَمْرًا تَمْلِكُكُمْ وَأُوتِيتُ مِنْ كُنْزِ ثَنُوٍّ وَفَإِ عَرْشُ عَطَمٍ ۖ ﴿٢٣﴾ وَوَدَدْتُهَا وَقَوْمُهَا يَسْعُدُونَ يَشْتَرِينَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ۖ [النمل: ٢٢-٢٤]

أحضر الله عن رحلة الهدد إلى سابعونه ﴿فَمَكَتْ عَمَرَ بَعِيرٍ﴾ أو هد يشير إلى تقصير فترة عياب الهدد عن جيش سليمان عليه السلام !.

كيف مكث الهدد غير بعيد مع أن المسافة بين اليمن وفلسطين بعيدة؟ تريد على الألفي كيلو متر، وسهما نقاع عديدة مثل بجران وعير واحجار ومديس! كيف مكث الهدد غير بعيد مع أن المسافة بين اليمن وفلسطين تحتاج إلى شهور لقطعها؟

لقد كان قطع الهدد للمسافة الطويلة في وقت قصير (معجزة) راحة، والله طوى له الطريق الصوية، وجعله يحترقها في فترة قصيرة، ويعود في مدة يسيرة ولا يسي أن الله سحر الريح سليمان عليه السلام، عدوها شهر وروحها شهر وقد يكون لهذه الريح دور في حمل الهدد إلى اليمن وعودته إلى فلسطين ولملأ عيبة الهدد عن سليمان عليه السلام لم ترد على يومين، يوم للذهاب، ويوم للعودة.

وقد الهدد سليمان عليه السلام تقريراً عن ساء أرضاً وشعباً وملكة وعرشاً وديانة

﴿إِنِّي وَدَدْتُ أَمْرًا تَمْلِكُكُمْ﴾ كان يظن دولاً مأمكياً، وكثرت ملكتهم امرأة، شاعدها الهدد.

وكلمة (امرأة) في الآية نكرة، وهذا تكبير للإيهام، ولم يذكر بقرئ منها، كما لم يرد منها في حديث صحيح عن رسول الله ﷺ

ودعت الإحاريون والمفسرون إلى أن منها (نفس) نكر ليس عليه دليل من القرآن والسنة، ونسك لا محوص فيه

﴿وَأُوتِيتُ مِنْ كُنْزِ ثَنُوٍّ﴾ أمعن لهدد بصره في أحواب الملكة، وهي مظهر منبجها، فوجد عدها كثير، وأحسن ذلك في هذه جملة ﴿وَأُوتِيتُ مِنْ كُنْزِ ثَنُوٍّ﴾

أي أوتيت من كل شيء من متاع الدنيا، مما يعتنق إليه السمك في ملكه، ويؤدي إلى تقوية السمك ومتاعه. وهذا يعني أن ممتلكاتك أقوى غنة مردودة في ذلك الوقت، نسمع بالكثير من مصاهر الحبر ورفده واحتاع، وهذا هي أوتيت من كل شيء من متاع الدنيا.

﴿وَلَمَّا عَزَّشْ غُطِيَّةً﴾ أحرر لُجْدَهُدْ عن عصمه عرش مكة سبأ، ويكف
تصوُّر مدى عصمه عرش وصاحبه من حلال السوس في الكلتين ﴿عَزَّشْ
غُطِيَّةً﴾ ولما حاجة إلى اسمينيات، لاسم من حديث عن عصمة هد
بعرش، وكلام عن مقاماته صولاً وعرضاً، وعن الماده التي صُنع
مها، وعن مذهب وحوهر واللاتي التي رُش بها، وتسمى مع التمجيم في سوس
﴿وَلَمَّا عَزَّشْ غُطِيَّةً﴾

ولا حظ لهدد شريكهم بالله، وعادتهم يشتمون من دونه، واستغرب هذا
شريك مع أنه حاضر، وسبغ تاييد تقريره لسلطان عليه اسلام بقوله ﴿وَجَدْتُهُمْ
وَقَوْمَهُمْ يَسْتَحْذِرُونَ لِقَائِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَيْسَ لَهُمُ الشَّيْءُ أَعْمَلُهُمْ فَتَشَبَّهَنِي فِي السَّبِيلِ فَمَنْ لَمْ
يَهْتَدِ لِلْإِسْلَامِ فَلَا يُبْدِئُوا بِهِ نَبَأَ لِقَائِي يُجْزَى الْغَنِيَّةُ فِي النَّفْسِ وَالْآرَمِ وَيَقْلُ مَا تُحْمَلُونَ وَمَا
يُسْمَوْنَ لِلَّهِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ [النمل: ٢٤-٢٦].

٧ - موقف مملكة سبأ من كتاب سليمان إليها:

كتب سلمان عليه السلام كتاباً إلى مملكة سبأ وقومها، يدعوهم فيه إلى
الدخول في الإسلام، وذكر القرآن نصّاً بكتب وهو ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ
الرَّحِيمِ﴾ لَا تَتَّبِعُوا هَاتَيْنِ الْوَتَنَيْنِ ﴿[الحج - ٣٠ - ٣١]

وَكَيْفَ يُهْدِيهِمْ جَمْعُ الْكُتُبِ إِلَيْهِمْ، وَمُرَافِقَةُ الْأَمْرِ مَعْرِفَةُ رُذُوفِهِمْ قَبْلَ تَدْلِيهِمْ ﴿٢٧﴾ قَدْ سَطُرَ أَصْدَقُ أَدَبٍ مِنَ الْكَيْدِيِّينَ ﴿٢٨﴾ أَهْبَ يَكْنَى هَكَذَا وَقَوْلُهُمْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّى عَنْهُمْ فَأَطْرَفَ عَادَا يَرْجِعُونَ ﴿[الصل ٢٧-٢٨]﴾

وأوصل الهدء نكحت إلى ملكوتنا، ولا يعرف أوصله، ولا يهشما
معرفة ذلك، لأنه مسكوت عنه في القرآن.

قرأت مكة منذ كتب سليمان عليه السلام، وسمعت قصده وهي تسمع
سليمان وتعرف من هو، وتدرى مظاهر قوته وبعد عرفت أنها مقدمة على

وذكر القرآن الكلام ملكاً سيأ حول الملوك الذي تقصده به سليمان عليه السلام، هو من باب الإحار عما قالته، وليس من باب اعتماد وتقريره، وحقيقته قرآنية مطردة. وبدخل هذا صحت ذكر القرآن لأقوال الكافرين عن شركهم وكفرهم، فهو يذكره من باب الإحار، ولا يقول أحد به يذكره له يقرره ويعتمده. وهكذا ذكره الكلام ملكاً سيأ عن الملوك.

٨- لماذا أراد سليمان إحضار عرش الملكة؟

أرادت منك ساء امتحان سليمان عليه السلام، لتعرف مدى حديثه في
دعويته، فبحث له هدية ثمينة، مع وعد من مستشاريه، فإن قبلها كان راعاً في
الدنيا، وإن رفضها وأصر على دعونه كان حاداً داعية ﴿وَإِنْ مَرَّ مِنْكُمْ فَيَكْتُمْ
غَيْظًا لَكُمْ وَلَهُ يَكْتُمُ﴾ .

وسببنا عليه السلام دعوة مجاهد جادٌ ولدلث رقص الهدية، وأصرَّ على
دعوته، وخاطب الوفد بغاية الصراحة والشدة قال تعالى ﴿فَمَا جَاءَ شَيْئًا قَالَ
أَنْتُمْ وَمَنْ مَعَكُمْ أَتَىٰ اللَّهَ حَدًّا يَفَٰءُ مَا تَكْتُمُونَ﴾ [النجم: ٣٦] ﴿أَنْتُمْ
فَلَا تَتْلُوهُمْ شَٰوِرًا وَلَا فِئًا وَلَا يَحِثُّهُمْ بِآيَاتِهِ وَلَهُمْ صَعْرُونَ﴾ [الزلزال: ٣٧]

وعادةً يوفدُ إلى الملكة يحضرها برقص سيمار الهدية، وتصميجه على الدعوة، وتهديده بغزو اليمن واحتلالها.

عند ذلك عرفت المنكة حقيقة سليمان عليه السلام، وأتي مورع من الملوك هو، وأنها أُمُّ رجل دعوة ويسى حاسع مال، وأنه قادمٌ لقتلهم، وأنه لا طاقة لهم به! واقتبعت دعوته لها إلى الإسلام، وصممت على المجيء إليه مع وفد من قومها، للإسلام معه! .

وَعَدَمَ سَلِيحَانٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ تَوَجُّهُهُ الْمَلِكَةَ إِلَهُ الْإِسْلَامِ ، فَأَرَادَ أَنْ يُرِيَهَا آيَةً
وَبَيِّنَاتٍ بَاهِرَةً ، تَدُلُّ عَلَى أَنَّ اللَّهَ مَعَهُ .

قال تعالى: ﴿قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُوا إِلَيْكُمْ يُرْسِلُ بَرَصًا قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَهُمْ مَتْلُوبُهُمْ﴾ [التمل: ٣٨]

بركت منكه مسأ عرشها العظيم حلقها في قصرها تحت الحجر اسفل الشديدة ،
وسميان عليه السلام يريد من العلاء احضار هذا العرش قبل وصول الحلكة اليه ا

وهدف سليمان عليه السلام من ذلك أن يُري الملكة ووقته مريداً من
مظهر قوته وعموده وسلطانه، وذلك ليُزيل أي فكرة عندها أو عند وديها بمواجهه
أو المصادمة، وليردادوا قاعة بعدم معموداتهم لهم، وليقدم لهم الدليل بقوة
على أن الله معه، ولذلك قدّر إحضار العرش إليه

هدفه من إحضار عرشها هدف دعوتي إيماني رفيعا وليس مجرد متلاك
لذلك العرش العظيم

٩ - كيف أحضر عرشها في لحظة؟

بما طفت سليمان عليه السلام من سلاحي حصار عرشها قبل وصولها، قدّم
له عرشان:

عرشٌ بعمريت، وعرشٌ اندي عنده عثم من نكتات، وكلف ستمار عليه
السلام، ثامي بإحضار العرش لأنه قدّم عرشاً أسرع

قال تعالى ﴿فَالْيَقِينُ أَنَّهُ يَكُونُ بِكَ يَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ وَأَنَّكَ تَكُونُ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ﴾
﴿فَالْيَقِينُ أَنَّهُ يَكُونُ بِكَ يَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ وَأَنَّكَ تَكُونُ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ﴾
﴿فَالْيَقِينُ أَنَّهُ يَكُونُ بِكَ يَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ وَأَنَّكَ تَكُونُ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ﴾
﴿فَالْيَقِينُ أَنَّهُ يَكُونُ بِكَ يَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ وَأَنَّكَ تَكُونُ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ﴾
[النمل: ٢٨ - ٤٠].

كان في مجلس سليمان عليه السلام اثنان:

الأول عمريت من بجي استعداد أن يحضر عرش السمكة من اليمن إلى
فلسطين، قبل أن يقوم سليمان من مجلسه.

وهذا حارق من بحوارق، يُحرره الله عن يدي عمريت بحني، كرامة له،
لأن المسافة بين اليمن وفلسطين طويلة، تحتاج إلى أسبوع دهباً، وأسبوع ياباً،
وحمل العرش العظيم يحتاج إلى مجموعة من الرجال فكيف سيحضر هذا
لعمريت العرش وحده؟ وكيف يحضره في ساعات قليلة؟

ببس هذا، إلا كرامة من الله، سيُجرى على يد العمريت وهذا العمريت
«نجي» منهم من مهام القرآن، لا يعرف اسمه، ولا يعرف وطفته عند سليمان،

بأنه: ﴿عَلَّمْنِي تِلْكَ الْكِتَابَ﴾، وهذا التكبير مقصود، حتى لا يحوص نحن في تحدث هذا العلم، لأن الآيات والأحداث الصحيحة لم تعدده!

كلّف سليمان عليه السلام هذا العبد الضائع بإحصاء عرش في (طرفه غير)، وأجرى الله على يديه كرامة حارقة أرسل سليمان عليه سلام طرفه، وهو جالس مكانه ونظر إلى بعد، وفاجأ الذي عنده علم من الكتاب بإحصاء العرش وما بين عدد طرفه سليمان إليه، حتى رأى عرش ملكه سباً أمامه، مستقراً عنده!!

كيف أحضر العالم العرش في لحظة؟

لأمر ليس حاصلاً لمقاييس بشر، ولا عطفانهم وقدراتهم ومكاناتهم، وهو متحول بحساب الشري، لكن الأمر أمر الله، وهو فعال لما يريد، وليس عليه شيء مستحيل!

إن الله هو الذي أحضر عرش ملكة سباً، من اليمن إلى فلسطين، في لحظة، ودور الذي عنده علم من كتاب ظاهري. جعله الله سباً بشرياً، وأجرى الحارقة على يديه..

فلا مجال للاستعرب أو الدهشة أو الإنكار، وما أن الله أحيا ما عن دث في نقرآن أنه وقع، فلا بد أن تصدق به! ولا مجال لتفسير ما حدث تفسيراً علمياً مادياً، ولا قياسه بمعايير الشر وقدراتهم، لأن المعجزة أو بكرامة أمر حارق بمعايير الناس، ونقل عرش ورثه عدة كيو عرايات من اليمن إلى فلسطين في لحظة، لا يقلل عليه إلا الله رب العالمين!!

١٠ - لماذا امتحان الملكة بتكبير عرشها؟

رأى سليمان عليه السلام عرش ملكة سباً أمامه، قبل وصولها مع وفد، وأراد أن يمتحنها، فأمر بتكبير عرشها

قال تعالى ﴿قَالَ نَكِّرُوا لَهَا عَرْشَهَا نَنظُرُ أَتَنْهَى أَنْ تَكُونِ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ﴾ ﴿٤٣﴾ فَلَمَّا جَاءَتْ مِنْ أَمَّاكَامِ عَرْشِكِ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ وَأُوبِ الْآخِرِينَ قَالَتْ وَكَيْفَ مَعِيَ وَصَدَّقَهَا كَأَنَّ تَكْبِيرُ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَأَنَّ مِنْ قَوْمٍ كَفَرٍ ﴿٤٤﴾ [سجدة ٤٣ - ٤٤]

طلب سليمان عليه السلام من راحته أن (تكرر) لملكته عرشها، وذلك

سجدة بعض تعبيرات الشككة بحريته عليه، لا تُعبرُ صورته الحقيقية وضريح
 بأن هدفه من هذا السكير وتعبير الحرفي هو منحاح لملكه في ذلك، ومعرفة
 قسطها وقوة ملاحظتها. فعدمت ترى عرش هل ستعرفه بعد السكير والتعبير؟
 ﴿يَكْرَهُ أَنْ يَنْظُرَ أَتَيْدَى أَرْكَانُ مِنْ لَدُنْ لَا يَهْدُونَ﴾

وبعد جاءت الملكة ودخلت الفصر، وراى عرش أمهات سألوه أهكذا
 عرشك؟

وهذا السؤال في قصة سادة فمم يقوونها أهذا عرشك؟ فلو كان
 السؤال بهذه بصيغة كان فيه شيء يقبل لها، وإيحاء لها بالحواس، وإشارة
 خفية إلى أنهم أحضروا عرشها في غيبتها!

وقالوا لها أهد عرشك؟ فسيكون جوابها نعم هو عرشي

كلمة (أهكذا) مكونة من ثلاثة أحرف دخلت على اسم الإشارة (دا) وهي
 همزة الاستفهام (أ) وهاء تشبيه (ها) وكاف تشبيه (ك).

شبه الحممة (أهكذا) في محل رفع خبر مقدم و(عرشك) متدا مؤخر
 وقدمت هاء تشبيه على كاف تشبيه (أهكذا) والأصل أكهدا وكاف
 تشبيه بمعنى (مثل) والمعنى أمثل هذا لعرش عرشك؟

ومعنى سؤال دعوة بسكة إلى معاد نظر في العرش الموحد أمهات،
 وملاحظة أوجه التشابه بين عرشها وكأنهم يقولون لها أعرشك مثل عرشها؟
 نظرت الملكة إلى معاد إلى عرش به عرشها، ومطهر تشكير والتعبير
 عليه لم توقعها في اللبس!

ووقعت في حيرة ما الذي جاء بعرشها إلى هنا؟ أهو عرش سليمان؟ وهل
 من الممكن أن يكون عرشان متشابهين إلى هذه الدرجة؟

أمامها ثلاث إجابات على السؤال:

الأولى هذا عرشي وهو أحدث بهذه الإحالة كانت ساذجة، لأنها مستهمل
 رجال سليمان بأخذ عرشها وسرقه، وهذا لا يقق مع (الكياسة) برسمية!!

الثانية حسن عرشي ولو أحدث بها ما كانت فطنة، لأن هذا العرش يشبه
 عرشها في كثير من الأمور

الثالثة كأنه هو! وهذه الإجابة المثقفة مع الحكمة والقطعة

حرف التشبيه (كَأَنَّ) يدلُّ على الشبه الكبير بين العرشين، كأنه لا فرق

بينهما.

معنى قولها ﴿كَأَنَّهُ هُوَ﴾ كأن عرشي هو هذا العرش وهو فرس من القول: هو هو! لكنه يحلو من الاتهام المماثل بحطف العرش

ثم تعيَّن حكيد هو يتصدق الجواب مع السؤال، لأن هذا يدلُّ على وضوح التعبير بين العرشين وهي لا تكذبُ بعد التعاير بينهما واضحاً.

ثم ذكر جوابها ﴿كَأَنَّهُ هُوَ﴾ في سبيل الكسوة والحجب، فلا هي عتوت أنه هو، ولا هي نفت أنه هو، واحتجَّت في جوابها بحطُّ رُجعة، وأعت الباب مفتوحاً لكلِّ الاحتمالات!!

عرف سيمان عنه سلام قطعة منكمه وكيسته وحجبها في جوابها ﴿كَأَنَّهُ هُوَ﴾ لكن فرق كبير بين حيرتها رعه قطعتها، وبين عمنه وبقيته وندت عشق سيمان على جوابها قنلاً ﴿وَأَوْرِيَا أَيْمَنَ مِن يَدَيْهِ وَكَاتَمْنِي﴾

أي سيمان سي مسيم عليه السلام، وندت تارة الله مارة من نعم بطري والمملي، استصاع هو ورحمة هذا بعد إحصار عرشها أما هي فم تزت من دنت نعم، لأنها لم تكن مسلمة، وصدتها كفرها لله وعبدتها لأنها ساطلة عن دنت العلم بها ذي اليقيني الدفع، بل لارة للإسلام

وهكذا انهرمت ملكة سا في هذه المواجهة بينها وبين سيمان عليه السلام، وتقلب هو عليها لإيمانه وإسلامه وإقباله على الله!

١١ - الملكة والصرح المعرد من قواوير:

وبما كانت ملكة سنا تحب تأثير الدهشة والحيرة من عرش الموحود أمامها، أعدت به سيمان على السلام مع حاة أخرى مذهبة! صصرت عبدها للاعتراف بالهريمة.

قال تعالى: ﴿قَدْ عَلِمْنَا أَفْضَلَ مِنْ أَشْيَاءِ رَأَيْتُمْ حَيْثُ لُحْهُ وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقَيْهَا قَالَتْ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّشْرَقٌ مِّنْ قَوْمٍ رَبِّهِ فِي طَعْنٍ نَفْسِي وَأَسْنَفْتُ مَعَ شَلْمَنْسَرِ بْنِ رَبِّهِ الْقَالِيَيْنِ﴾ [الملء: ٤٤]

وقفت على باب القصر لمدخله ، ولم يكن القصرُ مساً من حجاره وطين ،
إما كان قصراً من بلور زجاجي ، وجهز مدخله بطريقة عجيبة مثيرة ، حيث كان
مسبباً من رجاح متين سميت ، أُقيم على بركة ماء ، فدانظره القادم سمير زجاج ،
وظن أنه مقبل على حوض الماء ، فيستعد لذلك برقع ثوبه عن ساقته

وقف سليمان عليه سلام على باب القصر لاستقار بمكة ، والرجاح
المنسي على الماء يقصص به وبين بمكة ، ودعيت الملكة إلى الدحور والعمور
للوصول إلى سليمان ، ﴿ قِيلَ مَا أَذْخَلِيَ النَّصْرَ ﴾ .

حاررت بمكة ، كيف ستصل إلى سليمان بواقب أمهه ، وبينها وبينه
حاجز من الماء ؟ إذن لابد أن تحوص ماء ، رفعت ثوبها عن ساقها لتحوصل
(لحجة) الماء أمامها ، ﴿ فَتَرَاهُ حَبِيبَةً لِحَجَّة ﴾

وتصور سحرية مواقف مع سليمان عليه السلام من بمكة ، وهي ترفع
ثوبها لتقطع ما حسنته لحجة هذه بمكة القوية العيبة يدكية ، التي تحكم دولة
عبي ، وأوتيت من كل شيء ، وبها عرش عظيم ، وتتمتع بفضة ودكاه ، هي الآن
صارت مجالا لسحرية ، وأصحت حركتها تكشف عن ساقها شاة سادحة

وقل أن يحظر قدمها حظوتها سادحة ، قد به سليمان عليه سلام
﴿ إِنَّهُ مَتَّحٌ ثَمَرَةٌ فِي قَوَائِرِ ﴾ !

وراد كلامه به من سترائها ودهشتها ، فما هي تمر أمام سليمان سلسلة
من المفاجآت المثيرة ، تهزم هي فيها واحدة واحدة
معنى ﴿ ثَمَرَةٌ ﴾ : أملس ، ومعنى ﴿ قَوَائِرِ ﴾ : زجاج .

أي هد قصر مني من رجاح كأن سليمان عليه السلام يقوب بها :
ما أممت يسس نجة ماء ، فلا داعي لكشف ساقها ، بما هو ممر من الرجاح سي
على بركة من الماء ، فاعبريه بأمان !

ونأى الأسرائيليت إلا ذكر الخرافات والأكاذيب ، حتى في هذه المسألة !
نماداسي سليمان بقصر من الرجاح ، وحمل أمه هذه المدخل من الزجاج المنسي
على بركة الماء ؟

قال دعدة لإسرائيليت : كان سليمان قد سمع الكثير عن جمال (ملبس)

ملكة سبأ، لكنّه سمع أنّ عني رجلتيه شعرٌ كثيراً فأراد أن يأكّد، هل على
رجليها شعرٌ أم لا؟ فسي بها هذا السوء من رجاح بصطراً إلى الكشيب عن ساقها
فدور، وبما كشفت عن ساقها نظر إبيها، فرأى عبيها شعرًا كثيراً فأمر
رجاله بإعداد دواء لها يُزيل ذلك الشعر!!

هذه الإسرائيليات ولاكدت بحث أن تُعده عن كتاب الله، ولا يحور أن
نفسر بها أعمال ومواقف أنبياء الله!!

لقد أراد سليمان عليه السلام مدحاة ملكة سبأ بالقصر المنيف من رجاح،
ومدحيه رجاح حيّ بمسي على ماء، ليريهما قوّته وعظمتها، باعتبارها سبأ
مؤمن بالله، وأنّ الله ربّ عالمين معه، وأنّ يسير بها ضعفها أمامه، وهريمتها أمام
قوته، لأنها كفرّة بالله، يفقدها ذلك في الإيمان بالله!

إنّ هدفه من معاجات ملكة المتتابعة هدفٌ دعويّ إسلامي، وليس هدفًا
تسلطياً، أو هدفًا (شعرياً)!! وحاشاه أن يفعل ذلك!!

١٢ - الإسلام الذي دخلت ملكة سبأ فيه:

في نهاية رحلة ملكة سبأ المثيرة إلى سليمان عليه السلام، عرفت بقوته
ونعوقه عبيها، وبهريمتها وضعفها أمامه، وهي التي أوتيت من كلّ شيء

عرفت أنّ سرّ قوة سليمان عليه السلام يمانه الله، والله معه، هو الذي مكّن
له، ووجهه هذه المظاهر بقوة إلهية، وعرفت أنّ سرّ ضعفها كفرها بالله، وانتهت
لم تضعها ولم تصغرّها، إذن هي طالمة لنفسها بكفرها

وأعنت دخولها في (الإسلام) دين سليمان عليه السلام وكانت آخر جملة
قالت في نهاية قصتها المثيرة ﴿رَبِّ إِنِّي ظَنَنْتُ نَفْسِي وَأَسْتَكْبَرْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ إِنَّ رَبِّيَ
الْعَلِيِّينَ﴾

أسلمت هي، وأسلم وفلذها الذي جاء معها، وأسلم قومها!

وهكذا، نجح سليمان عبيها السلام في هدفه من دعوه هؤلاء إلى الإسلام،
وتحققت رسالته التي بعثها لهم: ﴿يَسِّرْ اللَّهُ لِرَجُلَيْنِ الرَّجِيمِ﴾ ﴿أَلَا تَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ
مُسْتَبِينَ﴾ [النمل: ٣٠-٣١].

وسكت القرآن عن ما جرى بعد ذلك فلا يدري هل تزوج سليمان ملكة ساء أم لا؟ ولا يدري كيف كانت بهامه ملكة ساء؟ وعلمنا أن سكت عن ما سكت عنه القرآن

واسمهم هو انوقوف أمام دعوه سليمان عليه السلام ملكة ملكة ساء وقومها للدخول في الإسلام، ودخولها في الإسلام فعلاً

وقد يتسّر الأمر على بعضهم، لأنه يضر أن لإسلام هو دين الذي جاء به محمد رسول الله ﷺ فقط، والذي دخلنا نحن فيه أم لأسياء السابقين فأين هم من هذا لإسلام؟ وكيف يدعو سليمان إلى الإسلام مع أنه يبرئني، وكان رسولاً إلى بني إسرائيل، وملكاً عليهم؟؟

لقد حرص قرآن على تأكيد حقيقة أن الإسلام هو دين سليمان عليه السلام، ولذلك دعا ملكة ساء وقومها للدخول فيه، ولذلك كرر (الإسلام) أكثر من مرة، في حديثه عن قصة سليمان عليه السلام مع ملكة ساء

قال تعالى ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ [النمل: ٣١]

قال تعالى ﴿أَتُكْفَرُ بِأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ وَقَدْ أَخْلَفَ بَآئِنِي وَعَصَيْتُ أَمْرًا﴾ [النمل: ٣٨].

وقد تعالى ﴿وَأَرْسَلْنَا إِلَيْنَا رَسُولًا وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَكِيمٌ﴾ [النمل: ٤٢].

وقال تعالى: ﴿إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [النمل: ٤٤].

إن الإسلام هو دين الرسل والأنبياء جميعاً، كنهم حذروا بالإسلام، ودعوا قومهم للدخول في الإسلام.

وقد أورد القرآن ثلاثة معاني للإسلام:

الأول إسلام بالمعنى العام وهو دين كل المخلوقات في هذا الوجود كل واحد منها (مسلم) مسلم خاضع متقاد لله.

قال تعالى ﴿أَفَعَبِّرْ بِصِغَارِ الَّذِينَ هَمَزُوا فِي جِنِّهِمْ وَقَالُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَكَفَرُوا﴾ [النمل: ٨٣]

إن الآية صريحة في أن كل مخلوق أسلم لله، إما طوعاً وإم كرهاً، ويكون خاضعاً لله مسليماً له، أو قس (مسلم) لله، بهذا المعنى العام بالإسلام!

لثاني: الإسلام بالمعنى التاريخي: وهو دين كل نبي ورسول، إن كل نبي مسلم، ودينه هو لإسلام، وقد دعا أسس إلى الإسلام، وأتبعه بمؤمن (مسلمين).

وعنى هذا قوله تعالى ﴿وَمَنْ يَرْغَبْ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَى آخِرَتِهَا فَمِثْلُ نَفْسِهِ فَخَسِرَ أَفْضَلَ وَأَضْلَى﴾ [البقرة 130-133] إذ قال لكم ربك وأسيم قال أسلمت لرب العالمين ﴿وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ نَبِيَّهُ وَيعْقُوبُ يٰبَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة 130] أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت إذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدي قلوا نعبد آلنا وإلهنا وإلهك وإلهنا ﴿يٰبَنِيَّ ارْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ عَسَىٰ أَنْ يَمْسُكَ مِنْكَ فَتْلَةٌ وَيَسْخَرُ مِنْكَ الْغَافِلُونَ﴾ [البقرة 130-133]

الثالث لإسلام بمعنى خاص: وهو دين الإسلام وشريعته، الذي جاء به محمد ﷺ، حاتم الأنبياء ومرسلين، به هو الذي انتهت إليه رسالات الرسل، والذي سبغ الله به لأديب السفة، وصلت الدس جميعاً أن يعشقوه، واعتبره الدين الوحيد المقبول عنده، ومن لم يعشقه فهو كافر.

عنى هذا قوله تعالى ﴿الْيَوْمَ أَكُنْتُ لَكُمْ رَسُولًا﴾ [سورة 3]

وقوله تعالى ﴿وَمَنْ يَتَّبِعْ عِزَّ الْإِسْلَامِ وَيُتَّبِعْ عِزَّ الْإِسْلَامِ وَيُتَّبِعْ عِزَّ الْإِسْلَامِ﴾ [آل عمران 85]

قد جاء سيماء عليه السلام بالإسلام بمعنى الثاني - الإسلام التاريخي - فهو مسلم خاصع لله، ودعا أسس إلى الدحول في دينه الذي هو الإسلام، وستجأت ملكة ساء وقومها بدعوتة، ودحوا في الإسلام بهذا معنى، وكبو مسلمين خاصعين لله، عابدين مخلصين به.

١٣ - كيف مات سليمان عليه السلام؟

أشارت آية قرآنية إشارة مجملة إلى موت سليمان عليه السلام، ونفس عنها على بعضهم

قال تعالى ﴿فَمَا أَصْبَا عَنْ يَدَيْهِ لَمُوتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِ لَا تَكُنْ الْأَرْضُ نَاسِكًا وَمَسَّاكِينًا حَرَّ نَبَيْتٍ لِّئَلَّا تُكَذَّبُوا بِمَا لَكُمْ فِي الْأَعْيَابِ أَنَّهُمْ﴾ [سورة 34]

ولا يوجد حديث صحيح عن رسول الله ﷺ يُصِفُ تفصيلاً على ما ذكرناه
لأنه من موت سليمان عليه السلام، والثالث سقى لانه، متدبرين لكلماتها

لقد أَرَادَ الله الحكيم أن يجعل من موت سليمان عليه السلام عبرة ودرساً
سجراً وإلماً، ودلالة إيمانية عقيدة على أنهم لا يعلمون الغيب، لأنه لا يعلم
الغيب إلا الله!

إن علم أن سليمان عليه السلام قد حكم فريقاً من الجن، وكانوا حاضرين
به، متدبرين لأوامره، يضعفون له نصائح مختلفة، وكان حازماً شديداً
معه، يعاقب كل من خالفه منهم

قال تعالى ﴿وَمَنْ آتَيْنَا مِنْ بَيْنِهِمْ بَذْراً فَلَيْسَ بَدِينِ اللَّهِ عَلَيْهِمْ أَنْ يَتَّبِعُوا أَهْلَهُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾
﴿وَمَنْ آتَيْنَا مِنْ بَيْنِهِمْ بَذْراً فَلَيْسَ بَدِينِ اللَّهِ عَلَيْهِمْ أَنْ يَتَّبِعُوا أَهْلَهُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾
﴿وَمَنْ آتَيْنَا مِنْ بَيْنِهِمْ بَذْراً فَلَيْسَ بَدِينِ اللَّهِ عَلَيْهِمْ أَنْ يَتَّبِعُوا أَهْلَهُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾
﴿وَمَنْ آتَيْنَا مِنْ بَيْنِهِمْ بَذْراً فَلَيْسَ بَدِينِ اللَّهِ عَلَيْهِمْ أَنْ يَتَّبِعُوا أَهْلَهُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾
[سجدة ١٢-١٤]

وكان شبيهاً من الجن يُطِيقون إشاعات وأكاذيب، حيث كانوا يرفعون
أصواتهم يعمون ليعب، ويُعميهم بذلك على أناسهم من الإسر فأراد الله الحكيم
جعل موت سليمان عليه السلام إلهاماً لتلك الإشاعات الشيطانية

لما حدث أهل سليمان عليه السلام، وجاءه ميث لموت، كان يُشرف على
مجموعة من الجن والشياطين، وهي تقوم بأعمال متعة شاقة، ويدعو أنه كان
واقفاً أمامهم، متكئاً على عصاه.

ويما أنه كان حازماً شديداً، فقد كانوا يهابونه ويخافون منه، ولعلهم كانوا
لا يرفعون رؤوسهم ولا ينظرون إليه خوفاً منه!

في هذا الجزء أرسل الله ميث روح سليمان عليه السلام،
فماضت روحه الشريفة وهو متكئ على عصاه وفي جن متدبرين على العمل،
لا اعتقد أنهم أن سليمان متكئ على عصاه حراقهم، وهم لا يسطرون به خوفاً
منه

حفظ الله حجة سليمان عليه السلام من السقوط، وفي متكئ عليها، وجرى

منهمكون في أعمالهم ! لا يعلمون بموته !!

وأرسل الله (دابة الأرض) إلى عصا سليمان عليه السلام، وهي (لأرضه) معروفة بأكل الأخت، وأحدث الأرضة نكح العصا ونجسها من سحل، ولما نجست العصا لم تحم جسم سليمان تمت عليه سلام، فكسرت، وحر جسم سليمان على الأرض !

وبصروا إليه، وفوجئوا بما حصل ! إذن سليمان عليه السلام مات منذ فترة، وهم لا يعلمون بذلك، ولو كانوا يعلمون لعيب لعرفوا ذلك ! بهم لا يعلمون الحاضر المارز أمامهم، فكيف يعلمون الغيب؟

إن سليمان عليه السلام أمامهم ميت، وهم لا يعلمون أنه ميت، وأن جسده على بعض بدون روح، وإذا كانوا جاهلين بشي، أمامهم فكيف يرعمون العلم بغيره ؟ ﴿ قَدْ قَضَيْتَ عَلَيْهِ الْمَوْتَ ﴾

لقد حكم سليمان عليه السلام الحق ميتاً كما حكمهم حياً، حكمهم جسده الهامد، كما حكمهم جسمه الحي المتحرك، وهبوه وهو ميت - وهم لا يعلمون أنه ميت - كما هبوه من قبل وهو حي.

كم كنت الفرة بين وفاته وهو متكى على عصاه، وبين حروره على لأرض بعدما انكسرت عصاه؟

ذهب بعضهم إلى تقديرها بسنوات، أو عشرات السنين ! لأن تؤسن العصا وأكل السوس لها يحتاج إلى سنوات !!

هل يعقل هذا؟ هل يبقى سليمان عليه السلام ميتاً متكناً على العصا سنوات عديدة؟ ألم يكتشف واحد من رجال دولته عبثه في هذه مدة؟ ألم يبحثوا عنه؟ وهو ليس رجلاً عادياً، بل ملك يحكمه مملكة قوية كبيرة ! وهل يُعقل أن يعيب الملك عن مملكته سنوات عديدة، دون أن يبحث عنه رجاؤه؟

وهل يعقل أن نفي الجرم مهمكس في العمل صلة هذه سنوات؟ لا يرفعون رؤوسهم، ولا يذهبون إلى الطعام والشراب ولزجة واليوم؟ ثم يجوعون ويعطشون وينعسوا خلال هذه السنوات؟

بدي براه أن أكل دابة الأرض لمساء سليمان عليه السلام كان حادثة مر

الحوارق، لم يستغرق أكثر من عدة ساعات ! .

ولا يعرفُ عمرُ سليمان عليه السلام عتله مات، كما لا يعرف مقدار سنوات حكمه .

وبوفا سليمان عليه السلام انتهى العصرُ الذهبيُّ المشرقُ لسي إسرائيل، لعمش في حكم داود وسليمان عليهما السلام وما رأت الحلافتُ بعصفُ بدولة، وما رأت معاصيهم تسحبُ عقابُ الله، حتى زالت تلك الدولة هدياً بعد فترة، وشرد الله اليهود الكافرين في الأرض !

* * *

الفصل الحادي عشر

إشكالات حول قصة أيوب عليه السلام

تحليل وتوجيه

الفصل الحادي عشر

إشكالات حول قصة أيوب عليه السلام

تحليل وتوجيه

١- توجيه ابتلاء أيوب عليه السلام:

أيوب نبي كريم عليه السلام، ابتلاه الله فصير، وهو إمام الصابرين وقُدوة لهم، وقد تحدثت سورة الأساء عن ابتلائه وصبره ونصره على الله واستحابة الله له

قال تعالى ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ ﴿٨٣﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنَّا وَمُنَازَاتٍ لِّغُلَامَيْنِ مِنَّا ﴿٨٤﴾ (الأنبياء . ٨٣ - ٨٤)

بحر، قرآن أنه لما أصيب أيوب عليه السلام بالضَّرُّ أقبل على الله، يدعو ويتضرع إليه ويستغيث به

معنى ﴿مَسَّنِيَ الضُّرُّ﴾ أصابني الأذى والمرص، ووقع على بدني وهذا بدلٌ على أنَّ الضَّرُّ أصابه في نفسه وبدنه، حيث أصيب جسمه بالمرض، كما مشه في أهله وأولاده وأمواله وممتلكاته.
وجاءت كلمة (الضر) في قوله ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ﴾ مطلقة، وذلك لتشمل كل أنواع الضر...

وهو يعلم أنَّ هذا الضر من الله، يتليه به، ولذلك رضي بقدر الله، وصبر على ابتلائه، وتأذَّب معه سبحانه، فقال له ﴿وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾.
إنه يتوسل إلى الله برحمته كي يكشف عنه الضر، بدون سحق ولا صجر، وإنما بغاية الأدب مع الله سبحانه.

وهذا الدعاء منه يشير إلى أنَّ المبتلى بالضر عليه أن ينجأ إلى الله، ويطلب منه كشف الضر، على شرط أن يكون هذا في عافية، لأدب مع الله

وسجدت الله لأيوب عليه السلام بعد دعائه مباشرة ﴿فَسَجَدَ لَهُ﴾
 الفاء في ﴿فَسَجَدَ لَهُ﴾ للعطف، غصت لاستحادة على الدعاء، وتدثر الدعاء
 على التريب مع المعصية بقوري، أي أن الاستجابة كانت بعد الدعاء مباشرة،
 وهذا من مظهر رحمة الله بأيوب عليه السلام، فما أن دعا الله، متوسلاً إليه
 برحمته، حتى سجدت الله مباشرة وكشف عنه صوته!

كشف الله عن أيوب عنه سلاخ الضرع الذي أصابه في جسمه، وعفوه من
 أمر صبه، وأزال صبر بني أصابه في أهله، وصاعفهم به ﴿وَوَهَّبْنَا لَهُ أَهْلَهُ
 وَمَتَّعْنَاهُمْ ثَمَرَاتِهِ﴾

وهذه بحمة مهيمة غير مينة، وكل من راحده بها أن الله سيأيوب عليه
 السلام أهله، وأنه مثله معهم أيضاً من تحديق هؤلاء الأهل فلا دليل عليه،
 لا يعرف عددهم، ولا يعرف درجة قرابته به، هل هم أولاده أم بانه، ولا يعرف
 كيف آتاه الله إياهم ومثلهم معهم

وحمل الله قصة أيوب عليه السلام ﴿وَذَكَرَ يُسَبِّحِينَ﴾

والعابدون هم المؤمنون بالله، والمستسلمون به، الراضون بقضائه،
 المتضرعون به، يصرون على تلاته إذ ابتلاه الله بضرع يشكرون ابتلاء
 أيوب عليه السلام، فيقتدون به في فعله، فيصرون ويحتسون، ويسألون الله
 كشف الضرع عنهم بأدب

لم يوقع الله به ضرع في أهله ونفبه وماله عقوبة له، لأن الله لا يعاقب
 أنبياءه، ولأن العقوبة لا تكون لأبى نسب، والأنبياء معصومون من الذنوب
 والمعاصي، فأيوب عليه السلام لم يذنب، ولم يرتكب ما يوجب العقاب

إما كان ابتلاء الله به لقوة إيمانه، والله يسنّي أباؤه وأحبابه، والأنبياء هم
 أشد الناس بلاء، يلهمهم الله ثم الصالحون، وقدّر الله بحكمته أن تسلي الرجل
 على قدر دمه، فإن وجد في دينه صلابة ريدته في ابتلاء!

أيوب عليه السلام أعظم حسن في عصره زماناً، وبديت ابتلاء الله، لم يرد
 إيماناً، وارتفع درجته عنده، ويكون قدوة لأصحاب ابتلاء من العابدس
 المؤمنين الصابرين!

٢- كيف منه الشيطان بنصب وعذاب؟

حبر قرآن أن أيوب عليه السلام لما دعا ربه ذكر أن شيطان هو الذي منه بالتَّصْبِ والعذاب قال تعالى: ﴿وَأَدَّكَرْ عَبْدًا يُؤْتِي دُونَهُ أَيَّ مَسِيٍّ لَأَسْتَقْبِلُ بِصَبِّ وَعَذَابٍ﴾ [سورة ص: ٤١].

وقد يقع بعضهم في إشكال في هذه الآية، فكيف يمنه شيطان؟ وهل للشيطان سلطان عليه وهو النبي؟ وما المراد بالتَّصْبِ والعذاب الذي منه الشيطان به؟

(تُصَّبُ) في أربع حالات من التشكيك، وفيها معنى خاص في كل حالة

تُصَّبُ - يصم - يسكون - أعمه فني نصيب لئلا

والتَّصْبِ - بفتح التاء والنون والصاد -: الإعياء والتعب.

والتَّصْبِ - بضم التاء والنون والصاد -: العذاب.

والتَّصْبِ - بالفتح والسين -: البلاء والشر.

وقد عُرِّقَ فتادة بين تُصَّبُ والعذاب الذي أصاب أيوب عليه السلام، فقد «تُصَّبُ» لضر الذي أصابه في بطنه، والعذاب دهر حال والأهل

وحرر مع فتادة في هذا بتعريف، والتَّصْبِ هو الضر الذي أصابه في جسده، والذي سببه شيطان بتعب وتضعف والإعياء والمرح و لأنه أم بعدد الذي أصابه فهو الابتلاء الذي أوقعه الله على ماله و هله

وسبب أيوب عليه السلام ما نصبه إلى الشيطان ﴿إِنِّي مَسِيٍّ لَأَسْتَقْبِلُ بِصَبِّ وَعَذَابٍ﴾ من أدبه مع الله.

ولا فون الله هو الذي قدر أن يسليه، ويصبه بصب وعذاب، لأن العمل فعل الله، بفعل بعده ما يشاء، فكل ما يصيبهم من ضر أو نفع، هو من الله في حقيقة، لأن الأمور كلها بيده، انخلق خلقه، والعقل فعه، والأمر أمره

ومع يقين المؤمن بهذه الحقيقة الإلهية، إلا أنهم لا يسعون لشأن الله، أدباً مع الله.

ول إبراهيم عليه السلام ﴿لَا رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ أَلَيْكَ حَقِّي فَهَوَّ تَهَيَّيْ رَحْمَةً

وَأَلَيْكَ هُوَ يُطِيعُنِي وَيَسْعَى ﴿٧٧﴾ وَإِذَا مَرَضْتُ قَبْلَهُ يَشْفِينِي ﴿٧٨﴾
فست الهدية و لإعدام والسقاية والشفاء إلى الله وسب المرض إليه أدنا مع الله
مع أن المرض من الله في الحقيقة

وهكذا سب أيوب الخُصِفَ والعذاب إلى الشيطان أدنا مع الله، لأن لخصب
والعذاب أصابه بأمر الله وقدره، ابتلاء واختباراً له

ولا سلطان للشيطان على أيوب عليه السلام. لأنه سي كرم، وعصم الله
أنبياءه من الشيطان، فلم يجعل له سلطاناً عليهم.

وَحَدَّثَنَا مِنْ أَكْدِيدٍ (سفر أيوب) فِي الْعَهْدِ الْقَدِيمِ، تَنَبَّأَ أَنَّهَا أَحَدُ سُبُودِ
الْكُفَّارِ وَقَدْ رَعَمُوا فِيهَا أَنَّ الشَّيْطَانَ طَلَبَ مِنْ اللَّهِ أَنْ يَسْطُرَ عَلَى أَيُّوبَ، فَمَضَى
عِيَهُ، فَأَهْلَكَ أَهْلَهُ، وَأَبْدَأَ أَمْوَالَهُ، وَفَضَى بِمَرَضٍ عَلَى حِمْلِهِ، فَشَكَا وَضَعَهُ إِلَى
اللَّهِ ۖ وَذَكَرُوا فِي ذَلِكَ تَفْصِيلاً مَطْوُوعَةً، كُلُّهَا كَدْتُ وَفَرَّءُ ۖ

وقد ردّد معظم المفسرين هذه الإسرائيليات الكاذبة، وفشروا بها قوله
تعالى ﴿أَيُّ مَسِيٍّ تَتَّبِعُنَّ يَنْتَرِبُ وَعَذَابُ﴾

ونقل الإمام القرطبي كلاماً جيداً لفنصبي أبي بكر بن عربي، في رفض
نكت الإسرائيليات ولوم المفسرين الذين ردّدوها

قال ابن العربي: «والذي جرّأهم على ذلك، وتدّعوا به، في ذكر هذه،
قوله تعالى ﴿أَيُّ مَسِيٍّ تَتَّبِعُنَّ يَنْتَرِبُ وَعَذَابُ﴾ فيما رواه قد شكّا من شيطان،
أصافوا إليه من رأيهم ما سبق من التفسير في هذه لأقول

وليس الأمر كما زعموا.

والأفعال كلّها، خيرٌها وشرُّها، في أيديها وكبرها، وطاعتها ومعصيتها،
حائزها هو الله، لا شريك له في حلقها، ولا في خلق شيء غيرها

ولكن الشر لا يُنسبُ إليه دكراً، وإن كان موحوداً منه خلقاً، أدنا أدب به،
ونحميداً علمه. وكان من ذكر محمد ﷺ لرواه قوله «وَحَيْرٌ فِي يَدَيْكَ،
وَالشَّرُّ لَيْسَ إِلَيْكَ»

ومنه قول إبراهيم عليه السلام «وَإِذَا مَرَضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِي»

ولم يصح عن أيوب عليه السلام في أمره إلا ما أخبر به الله عنه في كتابه، في

يَتَّبِعِ الْأَوَّلَى قَوْلَهُ مَعَالَى ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ﴾ [الأنبياء: ٨٣] وإثابته ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ﴾ [سورة ص: ٤١]

وأما لِسِيٍّ فَمَعْنَى بَصَحَ عَنْهُ ذِكْرُهُ بِحَرْفٍ وَاحِدٍ، إِلَّا قَوْلَهُ «بَعْدَ أَيُّوبَ» يَعْتَلِ... الحديث

وَرَدَّ مَ بَصَحَ فِيهِ مَرَّةً وَلَا سَهْ إِلَّا مَا ذَكَرْنَاهُ، فَفِي الَّذِي يُوَصِّلُ السَّامِعَ إِلَى أَيُّوبَ خَبْرَهُ؟ أَمْ عَلَى أَيِّ لِسَانٍ سَمِعَهُ؟

وَالْإِسْرَائِيلِيَّةُ مَرْفُوعَةٌ عَنِ الْعُلَمَاءِ عَلَى ثَلَاثٍ، وَأَعْرَضَ عَنْ سُطُورِهَا تَضَرُّعًا، وَصَمَّمَ عَنْ سَمَاعِهَا أَدْبِكَ، فَإِنَّهَا لَا تُعْطِي فِكْرَكَ إِلَّا حَذَلًا، وَلَا تُرِيدُ فَوَادِكَ إِلَّا خَبَالًا^(١).

وَكَمْ كَانَ ابْنُ عَرَبِيٍّ مُوَفَّقًا فِي رَدِّهِ لَتِلْكَ الْإِسْرَائِيلِيَّاتِ، وَفِي تَوْحِيهِ قَوْلَ أَيُّوبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَيَلَيْتُ سَمْعَ رِجْلَيْهِ دَكْرًا وَمَا ذَكَرُوا اقْتَدَوْهُ، وَفَعَلُوا مِثْلَ فَعْلِهِ!!

٣- معنى قول الله: ﴿أَرْكَضَ بِرَجِيئِكَ﴾

أَرْشَدَ اللَّهُ أَيُّوبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى الْعِلَاجِ الَّذِي يُرِيهِ مَا أَصَابَهُ مِنْ صُورٍ وَأَلَمٍ وَمَرَضٍ قَدْ تَعَدَّى ﴿أَرْكَضَ بِرَجِيئِكَ هَذَا مَعْتَلٌ بَارِدٌ وَشَرِبٌ﴾ [سورة ص: ٤٢]

وَمَعْنَى قَوْلِهِ ﴿أَرْكَضَ بِرَجِيئِكَ﴾ صَرَبَ الْأَرْضَ بِرَحْمَتِ

قَالَ الْإِمَامُ الرَّاقِبِيُّ: «الرَّكَضُ: الضَّرْبُ بِالرَّحْلِ» مَعْنَى نُكِبَ مِنَ الرَّاحِطِ هُوَ إِعْدَاءُ مَرْكُوبٍ يَحْوِي رَكْبَتُ لِفَرَسٍ وَمَتَى نُكِبَ إِلَى الْمَاشِي هُوَ وَطءُ الْأَرْضِ...^(٢)

وَعَنْ أَمْرِهُ بِصَرَبِ الْأَرْضِ بِرَحْلِهِ أَنَّ أَمْرَهُ مَعْتَلٌ بَارِدٌ وَشَرِبٌ ﴿أَرْكَضَ بِرَجِيئِكَ هَذَا مَعْتَلٌ بَارِدٌ وَشَرِبٌ﴾.

وَيَسُدُّوهُ كَمَا كَانَ وَفَقًا عَلَى الْأَرْضِ، وَلَيْسَ مَافَهُ عَيْنُ مَاءٍ، وَلَمَّا أَمَرَهُ اللَّهُ أَنْ يَصْرَبَ الْأَرْضَ بِرَحْلِهِ أَرَادَ أَنْ يُحَقِّقَ مَعْمَرَةً عَلَى يَدِ أَيُّوبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ

(١) تفسير القرطبي، ٢١٠/١٥

(٢) المعرّفات، ص ٣٦٤

فقد صوبت الأرض برحله، أسمع الله به عبد من هذه السردا^١ وتذكر أن هذه
معجزة بمعجزة تحجيج، أيوب من الحجر، بعد صوته موسى عليه السلام بعصاه،
كما تذكر معجزة صوبت حريق الأرض، سبحانه فأسمع الله ماء زمزم أمام ابرصع
إسماعيل!

أيوب هو نسب في مع الماء السرد بعد صوبت لأرض برحله، لكن لمقدّر
و لمست هو الله، والله في الحقيقة هو الذي أسمع الماء السرد

وأمر الله أيوب عليه السلام بالاعتسار من هذه الماء السرد، ثم شرب منه،
وحمل هذا الماء السرد سبب شدة من الأمر من، ويرى العسر عنه، والله حكيم
يختار ما يشاء من الأسباب والوسائل.

وبعد أيوب عليه سلام أمر الله، فاعتسار من عسر هذه السرد، فأذهب الله
عنه بمرض الحارحي الذي أصاب بدنه، ثم شرب منه، فأذهب الله عنه المرض
الباطني الذي أصابه!

وهكذا أراد الله عن أيوب عليه السلام ما نصبه من نصب وعذاب، وأعد
له صحته وعافته، ووهب له أهله ومثله معهم، وحمل هذه رحمة منه به، لأنه
صبر على الابتلاء، وأقبل على الله، متضرعاً منيئاً

وبيت ما كان أيوب يغتسل ساق الله له آية أخرى، ومعجزة جديدة.

روى بخاري [برقم ٢٧٩] عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن رسول الله
ﷺ أن أيسا أيوب يغتسل عرباً، حرّ عليه حرّ دمن ذهب، فجعل أيوب يحثي
في ثوبه، فاده رثته تدرت وتعدى به أيوب، ثم كن أعستت عما ترى!

قال: بلى، ولكن لا غنى لي عن بركتك.

أخبر رسول الله ﷺ في هذا الحديث أن الله عوض أيوب عليه السلام ماله،
الذي هلك أثناء ابتلائه، ويبدو أن هذا كان أثناء اعتساره الماء السرد! فبما كان
يغتسل أمطر الله عليه جرأداً من ذهب

أمر الله عنه الذهب على صورة حراد، وكان هذا الحر دمن ذهب كثيراً،
وحمل الله هذا الذهب، بكثيرة من أمته، أكرم به الله عليه بصلاته وسلام
وبما رأى أيوب عليه السلام هذا الذهب مصوباً عليه سور ثوبه الذي

وصفه بحسبه أثناء الاعتقال، وصار يجمع الذهب سدينه ويحشوه ويضعه في ثوبه!

فعجب الله من فعله، وقال له: **يَا أَيُّوبُ أَلَمْ أَكُنْ عَسْتُكَ عَمَدًا بَرِيًّا؟**^{١٤}

أي أن الله أعد له ما وهبه من رزق، فلماذا يجمع الذهب ثوبه؟

أجاب أيوب عليه السلام: **لَقَدْ آتَيْتَنِي بَرًّا رَبِّي، وَلَكِنْ هَذَا بَعَثَ بَرَكَةً مِنْكَ، وَبِرَكَتِكَ لَا أُغْنِي لِي عَنْهَا!**

ثم بكى أيوب عليه السلام حريصاً على المال، مهووماً في جمعه، بل كان راغداً في الدنيا، مُقْبِلاً على الآخرة، ومعلوماً أن لأبيه هم أئمة الزهادين. إن جمعه للذهب ثوبه بعينه بركة من الله، وبركة الله تُصَنَّفُ ويُخَرَّجُ عليها

وهذا انتصرف من أيوب عليه السلام يدٌ على أنه يحوز بمؤمن أن يجمع ثماراً، وأن يستكثر منه، وأن يحتفظ به، بشرط أن يأتيه من حلال، وأن يُخَرَّجَ حق الله فيه، وأن لا تستشره نفسه، ولا يملأ عليه حياته!

٤ - توجيه يعين أيوب والضرب بالضعف

أشار بقرب إلى يعين حلقه أيوب عليه السلام، فأرشدته الله إلى طريقة تفهيمه، قال تعالى: ﴿وَحَذِّرْ بَنِيكَ أَنْ يُحْبِطُوا وَأَمْرٌ بِهِ لَوْلَا تَحْتَ﴾ [سورة ص: ٤٤]

الصَّعْتُ مَشْتَقٌّ مِنْ (صَعَت)

ورد في (المعجم الوسيط): **صَعَتُ الْحَبِيرِ، صَعْتًا جَمْعُهُ وَحَبَّتُ صَعْتًا وَصَعَتُ لَأْتِيَاءَ حَبَطَ بَعْضُهَا بَعْضٌ**

وَالصَّعْتُ مَصْعُوثٌ وَكُلُّ مَا خُمِعَ وَقُصِرَ عَلَيْهِ يَجْمَعُ الْكُفَّ^(١)

و المراد بالصعوت هنا بعض من الشجرة فيه عدة فروع صغيرة

أمر الله أيوب عليه السلام أن يأخذ هذا العص الذي عليه مجموعة من الفروع والأوراق، وأن يصوب به الشخص الذي خلف أن يصوبه، وذلك مثلاً بحيث في يمينه ﴿وَسَدَّنَا عَنْكَ الْجِنَّةَ﴾

(١) المعجم الوسيط، ص ٥٤٠

و لَدَيُّ يُوْحَدُ مِنْ هَذِهِ الْإِشَارَةِ أَنَّهُ حَصَلَ شَيْءٌ مَا سَبَّ أَبُوبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَبَيْنَ
أَحَدِ الْأَشْخَاصِ أَثْنَاءَ مَرَضِهِ ، فَجَعَلَ أَنْ يَضْرِبَ ذَلِكَ الشَّخْصُ وَلَمَّا عَفَاهُ اللَّهُ مِنْ
مَرَضِهِ ، أَرْشَدَهُ اللَّهُ إِلَى طَرِيقَةِ تَعْقِيدِ يَمِينِهِ ، فَأَمَرَهُ أَنْ يَأْخُذَ صَعْتًا - عَصَاً - مِنَ الشَّجَرِ
عَلَيْهِ عَدَّةٌ مَرُوعٌ وَأَوْرَقٌ ، وَأَنْ يَضْرِبَ ذَلِكَ الشَّخْصَ بِهِ ، وَبِذَلِكَ لَا يَحِثُّ فِي يَمِينِهِ

وَبِمِ يَسَّرَ تَقْرَأَ ذَلِكَ الشَّخْصُ ، هُنَّ هُوَ مَرَأَتُهُ أَمْ غَيْرُهَا؟ كَمَا لَمْ يُبَيِّنْ دَرَجَةَ
فِرَاقِهِ ذَلِكَ الشَّخْصَ لَهُ ، وَلَمْ يَذْكُرِ السَّبَّ الَّذِي دَعَى أَبُوبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى أَنْ يَحْلِفَ
أَنْ يَصْبِرَ بِهِ ، وَلَمْ يُبَيِّنْ كَيْفَ ضَرَبَ أَبُوبَ الشَّخْصَ الْآخَرَ ذَلِكَ الصَّعْتِ أَوْ سَمِ يَرِذُ
حَدَّثَ صَاحِبُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ هَذِهِ سَهْمَاتٍ ، وَتَقْدُمُ بَعْضُ التَّفْصِيلَاتِ

وَقَدْ أورد المفسرون رويَاتٍ فَصَّلُوا فِيهَا هَذِهِ الْحَدِيثَ ، وَيَتَكَلَّمُوا فِيهَا هَذِهِ
سَهْمَاتٍ ، وَبِكُنْ رَوَايَاتُهُمْ مَأْخُودَةٌ مِنَ الْأَسْرِ نَبِيَّاتٍ أَوَّلَ ذَلِكَ لَا يَذْكُرُ مِنْهَا شَيْئاً

* * *

الفصلُ الثَّانِي عَشَرَ

إشكالات حول قصة يونس عليه السلام

تَحْلِيلٌ وَتَوْجِيهُ

الفصل الثاني عشر

إشكالات حول قصة يونس عليه السلام

تَحْلِيلُ وَتَوْجِيهُ

١ - كيف يغادر يونس قومه مغاضباً؟

يونس بن متى رسول من رسل الله، عليه الصلاة والسلام، بعثه الله رسولا إلى أهل نينوى في شمال العراق.

قد تعس ﴿وَدَا الْثُورُ إِذْ هَبَّ مَعْصِفًا فُطْرًا أَنْ لَنْ يَنْقُورَ﴾ [الأنبياء: ٨٧].

في هذه الجملة من الآية ثلاثة إشكالات:

الأول: ما معنى ﴿وَدَا الْثُورُ﴾؟ ولماذا وُصف يونس به؟

الثاني: ما معنى قوله ﴿إِذْ هَبَّ مَعْصِفًا﴾؟ وأين ذهب؟ وكان معاصياً لمن؟

الثالث: ما معنى قوله ﴿فُطْرًا أَنْ لَنْ يَنْقُورَ عَلَيْهِ﴾؟

(لن) هو الحوت. الذي انتقم يونس عليه السلام

وسُمِّي يونس عليه السلام (دا الثور)، كما سُمي (صاحب الحوت) في قوله تعالى: ﴿فَأَنصَرَفْ يَكْرِيكَ وَلَا تَكْثُرْ كَصَلِيلِ الْثُورِ﴾ [القم ٤٨]، لأنه عُش في بطن الحوت فترة، وبقي فيه حياً ياذن الله!

واللصيف أن القرآن اعتبرها صفة بين يونس والحوت! وكان الحوت عندما انتقم يونس عليه السلام كان صاحباً مساعداً له، انتقمه لحربه وإشفاقه عليه، لأنه خاف أن تاكله باقي الحيتان والأسماك، فأقذته منهم بتلاعه، بهدف حمايته لا بهدف أكله! ولهذا صارت بينهما صحبة!!

وقد أحبرنا الله أن دا الثور عليه السلام ذهب مغاضباً: ﴿وَدَا الْثُورُ إِذْ هَبَّ مَعْصِفًا﴾.

و(مغاضباً) - اسم فاعل. فعله الماضي رُباعي (عاصب) والالف في الفعل ألف مفاعلة، تدلُّ على المشاركة.

و لمشاركته تدل على أن العصبة كان بين طرفين الطرف الأول هو يوسر عليه السلام، لكن من هو الطرف الثاني؟

ذهب دهبو، الإمبراطور، إلى أن الطرف الثاني هو الله سبحانه، أي أن يوسر عليه السلام عادر قومه وذهب عنهم معاصياً لوجه الله الإمبراطور، عصب يوسر من ربه، لأنه لم يوقع العداوة على قومه خلال ثلاثة أيام، مما جعله يبدو أمراً مهنماً كدناً، وعصبت الله منه لأنه عادرهم بدول دينه!!

وهذا فعل لا يحوز أن يصدر عن مسلم صالح، فكيف يصدر عن نبي كريم عليه السلام؟ لئلا الصالح لا يعص من الله فهل يعص يوسر النبي من الله؟ وهل يعص الله منه؟ بحث أن يرى يوسر عليه السلام من هذه الأكاذيب والاتهامات الإسرائيلية!!

قد كانت المعاصية بين يوسر عليه السلام وبين قومه الكافرين عصب هو منهم لأنهم رفضوا دعوته، وأصروا على كفر وعصروهم منه، لأنه أدرهم لعدا، وأحيرهم أنه سيفع بهم بعد ثلاثة أيام!!

ذن معنى قوله ﴿إِذْ هَبَّ مَعْصِفًا﴾ عادر يوسر عليه السلام قومه معاصياً، عصب منهم لكفرهم، وعصروا منه تهديده لهم بالعدا!

لعماد عادر قومه؟ هل كان نرفاً صديق الصدر؟ لم يصبر عليهم ولم يحتملهم؟ كلا، إنه نبي كريم عليه السلام، وما بحث الله نبياً لا وهو صابر وسع الصدر، متحمل لتكالييف الدعوة!

عادر يوسر عليه السلام قومه لأنه ظن أن مهمته فيهم قد انتهت فقد أحضره الله أن العدا سيفع بهم بعد ثلاثة أيام، وهذا معناه في ظنه أن الأمر عندهم قد انتهى، وأن الدعوة فيهم قد توقفت، وأنهم من يوسر، ذن لعماد سقى بينهم؟ عليه أن يذهب عنهم، وأن يبحث عن ناس آخرين يستمعهم لدعوة!

ويؤكد هذا الفهم قوله تعالى: ﴿فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ﴾

وقد وقع بعضهم في شكك في فهم هذه بحمها وعسر كلام فيها عن قدرة الله، وقالوا: ظن يونس بمعادرتة لقومه أن الله لن يقدر عليه، وسيعجز عنه!

وهذا طعن لا يجوز أن يصدر عن مسلم صالح، فكيف يصدر عن يوسف عليه السلام؟ هل يمكن أن يظن يوسف عليه السلام أن الله ليس على كل شيء قدير؟ وأن الله يعجز عن أشياء يريد فعلها؟ حاشا أن يظن يوسف النبي عليه السلام بربه هذا الطعن! إن يوسف عليه السلام يوقن أن الله على كل شيء قدير، وأنه لا يحجزه شيء في الأرض ولا في السماء!

الفعل (تقدر) بمعنى: تضيق

نقول: قدر، يقدر، قدر بمعنى: ضيق. وقدر عليه رزقه: ضيقه عليه.

قال تعالى: ﴿وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهْنَنِ﴾ [الفجر: ١٦]، أي: ضيق عليه رزقه.

وقد تعالى ﴿وَمَنْ يُؤْرِ عَنْهُ رَبُّهُ فَيَهِينَ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ﴾ [الطلاق: ٧]، أي: من ضيق عليه رزقه فيهين مما آتاه الله.

بدل فعل (تقدر عليه) من القدر بمعنى التصيق، وليس من القدرة بمعنى الاستطاعة والتمكن!

معنى قوله ﴿فَطَنَّ أَنْ لَوْ تَقْدِرَ عَلَيْهِ﴾ من يوسف أن الله لن يضيق عليه، بإيقانه عدم هؤلاء الكفار، المستظرين للعداب، وسيبؤخه إلى قوم آخرين يدعوهم إلى الله!

قال السير الحلي في معنى ﴿فَطَنَّ أَنْ لَوْ تَقْدِرَ عَلَيْهِ﴾ «طعن أن من يضيق عليه واستفد يرهب التصيق ومنه قوله تعالى ﴿وَقَدَّرِ السَّيْرُ﴾ [سأ] [١١]، أي: ضيق في الدرع، لتكون الفتحة على قدر مسمار

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: أرسل لي معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه، فقال لي: لقد ضربتني أمواج القرآن!

قلت: بماذا؟

قال: في قوله تعالى ﴿فَطَنَّ أَنْ لَوْ تَقْدِرَ عَلَيْهِ﴾، أي: طعن عبد من عبيد الله أن الله لا يقدر عليه، فضلاً عن نبي من الأنبياء؟

قلت له: ليس ذلك من القدرة، إنما ذلك من التقدير بمعنى التصيق، قال

تعالى: ﴿فَقَدَرْنَا عَلَيْهِ رِزْقَهُ﴾ أي: صيب عليه ورقه^(١)

وذكر عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ما جرى بين يوسف عليه السلام وبين
قومه قبل معادته بهم: «إن يوسف عليه السلام كان وعد قومه بعداد، وأخبرهم
أنه يأتيهم بي ثلاثة أيام، ففرقوا بين كل والدية وولده، ثم خرجوا، فجأروا إلى
الله، واستعزوه فكف الله عنهم بعداد

وعدا يوسف عليه السلام ينتظر لعداد، فلم ير شيئا، وكان من كذب، ولم
يكن له نية قبل أن يصدق معاصيا، حتى أتى قوم في سفينة، فحملوه^(٢)
[اذن: خرج يوسف عليه السلام من عد قومه بعد أن أبدى لهم وقوع بعداد
بهم، وبعد أن عاصيهم وعاصيهم، وظن أن الله س يضيف عليه بإيقانه بينهم،
وسيوخه بي قوم حريير

٢- يونس في خروجه فعل خلاف الأولى

وصف القرآن معادته يوسف لقومه بالإباق: قال تعالى ﴿وَإِنْ يُؤْخَرْ لَجَنَّ
الْمُرْسِيْنَ لَا يَذْكُرْكَ إِلَّا فِي تَعْدٍ الْمَشْهُورِ﴾ [الصافات ١٣٩-١٤١]

مع معنى الإباق^(٣) وما توحية وضم يوسف النبي له عليه السلام^(٤)

قال السمين بحسبي^(٥) الإباق هرب بعيد من سيده ولما كان الخفق
كلهم بعيد الله قال الله في حق عبده يوسف عليه السلام ﴿إِذْ أَتَى عَلَى الْقَلْبِ
الْمَشْهُورِ﴾ والله أن يقول ما يشاء، أما نحن فلا يجوز أن نقول أتى بي^(٦)
وهل، صبرد أبق تساعد وقيل خرج سرأ من أس^(٧)

بذن أساس معنى (أبق) هرب، ويُستعمل في هروب بعيد من سيده

لكنه قد يُستعمل في خروج سر من الناس، ولشأغ عنهم، وبوهم يكن
ذلك الخروج هروبا!

ولم يرد فعل (أتى) في صرأ، لا في هذا الموضع، ﴿إِذْ أَتَى عَلَى الْقَلْبِ
الْمَشْهُورِ﴾

(١) عفة الحفظ ٣/٣٢٧

(٢) لمرجع السابق ٥٠/١.

ولا يُرَدُّه حقيقة الهروب، كهروب العبد من سيده، لأن يونس عليه السلام بيّن كريم، يُرَدُّه من هدي هروب، وهو لا يهرب من دعوة الله، إنما شئ فعله بفعل هروب العبد من سيده، وأطبق عليه أنه إياي، لأنه شابهه في الظاهر، وإن اختلف عنه في الحقيقة، لأن ذلك هروب من الحكمة، وهذا انتقال إلى موقع آخر للدعوة.

كل ما في الأمر أن يونس خرج من فومه ميتاً، دون أن يشعر به أو يشهوا

هـ

هل كان يونس عليه السلام محتضناً في معدته فومه؟

حتى يعرف الحجاب على ذلك لا بد أن تعرف على نحو ندي عذرهم فيه بعد أن دعاهم مرة صوية، وراحوا دعوة بالإصرار على الكفر والتكذيب أمره الله أن يدرهم العذاب، وأنه سيقع بهم قريباً، ولما أدرهم عصبوا منه وغضب منهم..

معنى هذا في نظره أنه لم يغدقهم حبر ولا أمل، لأن العذاب قريب منهم، فس يؤمروا ومعنى هذا أن مهمته عندهم قد انتهت إله رسوبهم، وقد دفعهم لدعوة، وأقام عليهم الحجة، وسبعدهم الله عن قريب، فما داعي لأب يقى موحود بينهم؟ فبحث عن قوم آخرين يدعوهم إلى الله^{١١}

يشير إلى هذا قوله: ﴿فَلَقَدْ أَن لَّنْ نَّقْدِرَ عَلَيْهِ﴾، أي هل أن لن نصيق عليه بإيقارته عند هؤلاء قوم الدين سيقع بهم العذاب، فقد انتهت مهمته فيهم، وهو يريد أن يذهب إلى آخرين يدعوهم.

لذلك سارع بالخروج والمعدرة، قبل أن يوحه الله، على أساس أن يوحه الله ليحيا بعد.

هل أخطأ يونس عليه السلام في خروجه؟

لم نحظ إلا لأنه في صفة الجهاد له سبق فائدة من نقائه فيهم، فهل يقى حالاً بينهم بدون دعوه؟ به داعية إلى الله، حريص على قيام بوجهه، وإذا انتهت مهمته عند هؤلاء بكفرهم، فذهب إلى آخرين يدعوهم أهل في هذا خطأ^{١٢}

ومع أن بصرفه صحيح ضابط، إلا أنه خلاف لأولى، وقد كان الأولى
يونس عليه سلام أن يبقى في قومه، حتى يأتيه الإذن بالخروج وبمعدرة من
الله، لأنه سيكرّم، والله هو الذي يوجهه حيث يشاء! أي أنه لم يعدد قومه بإذن
من الله، على اعتبار أن يأمر ذلك الإذن في طريقة وكان لأولى والأفضل
والأكمل له أن لا يتعجل الخروج، وأن ينتظر إذن الله بذلك.

فما فعله عليه سلام صواب، نكته برك لأصوب والأفضل، فجاء فعله
خلاف لأولى، وبدت حريه من حري بعد ذلك، من الإبرار إلى سحر ومحبه
الحوت ودعاؤه في الظلمات

وهو في فعله - سدي هو خلاف لأولى - يستحق نوم من الله، ولذلك قال
تعالى ﴿فَأَنقَضَ الْحُوتُ وَهُوَ يُنِيمُ﴾ [صدقات ١٤٢]، لأن الله يوم رسله على فعل
خلاف الأولى، لأن لأولى بهم أن يكون معنهم هو لأولى والأكمل والأفضل!

٣- هل كانت محنته عقوبة له؟

عذر يونس عليه سلام قومه، وتوجهه إلى شاطئ بحر، وركب سفينة
مملوءة بركب، ولم كنت وسط البحر وحالها العواصف، فاصطبر ركابها إلى
الانقاذ على نصيحة بأحدهم تحف حمولة سفينة، ويتمكن من متبعة
سيرها، وعموا فرعة فيما بهم، فمن حرج شمه لا بد أن يبقى نفسه في البحر،
ولما اقترعوا حرج سم يونس عليه سلام، وأبقى نفسه في الماء، وساق الله له
حوتاً تنقذه ليكون أمراً له! قال تعالى ﴿وَبِئْسَ لَكُم مَّا تَكْفُرُونَ﴾ [الأنبياء ١٧٠]، وقال
﴿فَأَنقَضَ الْحُوتُ وَهُوَ يُنِيمُ﴾ [صدقات ١٣٩-١٤٤]

وهكذا بدأت محنته يونس عليه السلام!

لنقمة الحوت لنقمة، وثلغته تلاعاً، ولم بمصعة، وما استفقر يونس في
بطنه لم يهضمه، ولم يعتبره وجبة طعام له!

لقد كان حوت ية من الله به، وبحوت حسبي بعد أمر الله، أمره الله أن
يوجهه نحو السفينة، وأن يفتح فمه، ويخرج صوت يونس عليه سلام للماء،
عليه أن ينقذه! وبهي لله بحوت عن مصعه أو خذشه أو حرجه، كما بهد عن

فرار العاصيات لها صمة عليه! وعليه أن يكون دارت محبة وإيقاد له! وقد الحوت
أمر من الله!

وبعد استقر يوسف عليه السلام في نظر الحوت، وعرض الحوت في أعماق
لحمر، وخذ يوسف نفسه في ﴿الظلمات﴾، ظلمة اسحر، وظلمة بطن الحوت،
وظلمة الموح، وظلمة محبة ونهم. وهذا ما دلحاً لا إلى الله، فدعه وتصرّح
إليه

وقد يشكّل أمر محنة يوسف على معصهم، فيعتبرها عقوبة من الله له، عقبة
لأنه فعل ما يستحق العقوبة!

قد يقول بعضهم: لم يصبر يوسف على تكليف بدعوة، وهرب من قومه،
وأخطأ في حروجه، وفعل ما يوجب العقاب، فعاقبه الله بأن أنقذه من سيفة،
وعاقبه بأن أمر بحوت بالندمة، وعاقبه بأن صار في صدمات وهم وعم!
وهذا كلام مردود، لأن نبيه الله لا يذسور، ولا يفعلون ما يستحقون به
العقاب من الله، إن الله لا يعاقبهم لأنه اصطفاهم.

واسمحة التي مر بها يوسف عليه السلام من رب لوم لله له، وقد صرحت
الآية بذلك ﴿وَالْقَصَّةَ الْكُتُوبِ وَالْقُرْآنِ﴾، أي فعل ما يستحق به السوم

وفوق بين سوء والعقاب بعقاب يكون عن وقوع في ذنب، ترك واجب
أو فعل حرم، أما السوم فيه يكون عن فعل خلاف الأولى، مع حور ديث فعل،
لأن الله يوسف لأنه فعل خلاف الأولى، وقدّر له أن يصرّحت سمحة لشديدة ليعي
ذلك الدرس

وكانت اسمحة تلاء من الله له، والانتلاء لا يكون بسبب الذنوب دائماً،
فقد يكون بهدف رفع درجات المستلبي عند الله. ومن هذا باب انتلاء الأنبياء!

كما كانت محنة يوسف عليه السلام درساً وعمرة للمؤمنين من بعده، وأحزنا
الله عليها في مصر، حنق عبده مدثرين، وتأخذ منها العبرة وحطة، وأحد
مها دروساً في لعنهم والإيمان، والإيمان على الله، والمحوه الله، ولاعتماد
علمه عند المحن والمصائب والانتلاءات!

٤- سوجبه وصف يوسف نفسه بالظلم:

عندما وخذ يوسف نفسه في الظلمات أقبل على الله، ذكر أممّحاً، داعياً

متصرعاً، وكان تسييحه ودعاؤه سيئاً لحجائه.

قال تعالى: ﴿قُلْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسِيحِينَ﴾ [البقرة: 131] ﴿لَيْسَ فِي بَطْنِهِ إِلَهٌ يَوْمَ يُنْفَخُونَ﴾ [الصافات: 143-144]

أي: سبب بحدته أنه سبَّ الله في بطن الحوت، ولو لم يستع الله لهصته الحوت، وحَوَّله إلى عذابه له.

مادام قال يوسُفُ عليه السلام عندما نادى الله وتصرَّع به؟ يا ناعسي ﴿وَدَّ الْوُجُوهَ دَهَبَ مَنْصُوبًا﴾ ﴿لَنْ نَقْبِرَ عَلَيْهِ فَكْدَىٰ ذِي الْقُلُوبِ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا﴾ ﴿سُبْحَنَكَ﴾ ﴿فِي حَكْمَتِي مِنَ الظُّلُمَاتِ﴾ ﴿وَأَسْتَحْسِبُّهُمُ وَبَحْيَتُهُ مِنْ أَعْمَىٰ وَكَذَلِكَ تُجِيبُ الْمُتَوَمِّلِينَ﴾ [الأنعام: 87-88]

نظر يوسُفُ في دعائه بالكلمة الطيبة، وحسب الله بقوله ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا﴾ ﴿سُبْحَنَكَ﴾

ثم وصف نفسه بسطيم ﴿إِنِّي حَكْتُ مِنَ الظُّلُمَاتِ﴾

وهذا معناه أن يوسُفَ عليه السلام أدرك وهو في بطن الحوت، أنه تصرَّع بالحروج من قومه قبل توجبه الله له، وأنَّ الله عتبَ عليه ولأتمه من أجل ذلك، وقدَّر أن يوقع به هذا البلاء، ويمتحنه بهذه المحنة

عند ذلك انطلق سبانه بأنه كان ظالماً في فعله ونصره وحروجه، وطلب من الله أن يتجاوزَ عن ظلمه!

وقد يقع بعضهم في إشكالي في فهم وصف يوسُفَ بأنه سطيْم، لأنَّ السطيْمَ جريمةٌ عظيمة، فكيف يعترف يوسُفُ أنه كان ظالماً مع نبيِّ كريم؟ وأيُّ أروع الظلم ينطبق عليه؟

الظلمُ نوعان. ظلمٌ كفر، وظلمٌ معصيةٌ وذنب.

الكفرُ والشركُ ظلمٌ كبير. قال لقمان لابنه: ﴿يَسْئَلُ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّكَ أَشْرَكَ بِظُلْمٍ عَظِيمٍ﴾ [لقمان: 13]

وكلُّ كفرٍ ظالم، لأنه كفر بالله ﴿وَالْكُفْرُ بِهِمُ الْعَظِيمُونَ﴾ [سورة: 254]

ولم يكن ظلمُ يوسُفَ عليه السلام من هذا النوع، لأنه سيِّئٌ كريمٌ عليه السلام، لم يكفر بالله!

والمعصية ظلم، لأنَّ المذنب العاصي يتجاوز حُدَّه فيكون ظالماً من
تعالى ﴿وَمَنْ لَّمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [المحزاب ١١]

ولم يكن صفة يونس عليه السلام من هذا النوع أيضاً، لأنه لم يرتكب ذنباً أو
معصية، لما سبق أن وجهنا به خروجه من عند قومه

إذن: ما معنى وصف يونس نفسه بالظلم؟

لا يراد به ذلك حقيقة بظلم، لأنه نبي كريم معصوم عنه سلام بما دلت
من باب شعوره بالتقصير في حق الله، وحديثه من به، وظنه بفرح العم والكرب
ولصيق عهد الاعراف منه من باب ذكره لله، وتوكله إليه

يجب أن يفهم وصف يونس عليه السلام بصفة بظلم من خلال مستحصار
لعمليته من المعاصي والذنوب، فلا يعتبره كظلم المعصية والذنوب من المسلمين،
بما هو ظلم خاص، وصف نفسه به أدباً مع الله، وحياة من الله، وذكر الله، وتوكله
إلى الله لتفريح كربيه وهمة وغمه.

٥ - توجيه إيمان قوم يونس بعد غيابه عنهم

أندرس يونس عليه السلام قومه العذاب، قبل مغادرته بهم، وجرى له ما جرى
في رحلته، وعادة الله من محبة بعض الخلق، واعدت له صحته، وكل طئه أن
قوته قد أهلكوا بالعذاب!

ولما استردَّ يونس عليه السلام صحته أعد الله له قومه، الذين عذرهم
وهم كافرون، لأنهم الآن مؤمنون!

ولعلَّ يونس عليه السلام موحى بإيمان قومه! فما الذي جرى؟ لقد مكث
فيهم سنوات عديدة يدعوهم، ولم يستجيبوا له، والآن بعد عذرهم أموا! ثم إنَّ
الله أندرسهم، عذاب، وكن لعذاب على وشك الوقوع بهم فهل امسك قبيلاً وفروعه؟
وهل يقبل الإيمان في هذه الحالة؟

ما الذي حصل لقومه بعد مغادرته؟

لقد أحزهم أن العذاب سيق بهم بعد ثلاثة أيام! فبدأ عاذرهم، وحلَّ
الأيام الثلاثة، احتسب عقلاء قومه، وفكروا في الأمر! لقد أندرسهم يونس، عذاب،

وهو صادق في إدارته، فما عهدوا عليه كذباً، وهذا معناه أن عذاب قدومهم لا محالة، فما أن تسهي الأسماء الثلاثة حتى يقع بهم عذاباً ولا وسعة لدفع العذاب إلا الإيمان بالله

وشرح الله صدورهم بالإيمان، فأسو وحسنو من قومهم الإيمان قبل انقضاء المدة، فممن يقوم، وخرجوا إلى الغراء متضرعين إلى الله بالدعاء، طاسين من الله مغفرة ذنوبهم ورفع العذاب عنهم

وعنه الله صدقهم، فعاد بهم بشفقة ورحمة، وقبل إيمانهم، ورفع عذاب عنهم، ومنعهم إلى حين

ول لإمام ابن كثير: ابن موسى بن مثنى عليه سلام بشفقة الله إلى أهل قرية سوى، وهي قرية من أرض الموصل، فدعاهم إلى الله، فأسو عنه، وبما ذكره عن كبرهم، فخرج من بين أظهرهم، فعدسأ بهم، ووعدهم بعذاب بعد ثلاث، فلما تحققوا منه ذلك، وعلموا أن لسي لا يكذب، خرجوا إلى الصحراء، بأطفالهم وأعدابهم ومواشيهم، وفروا بين الأمهات وأولادهم، ثم تصرعوا إلى الله عز وجل، وجأروا إليه، وردت الإبل وفصلانها، وحدثت سقر وأولادهم، وثقت الغنم وبسحالها، ورفع الله عنهم العذاب^(١)

وكان قومهم يريدون على منه ألفاً قال تعالى ﴿وَأَرْسَلْنَا إِلَى بَاثَةِ أَلِفٍ أَوْ يَرْبُودٍ﴾ فقاموا فمقتنعهم إلى حين (الصفحات ١٤٧-١٤٨).

وأحسب الله أن قوم موسى أموا أنه عليه عهد، وأن إيمانهم تلقعهم، ورفع بذلك العذاب عنهم قال تعالى ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَبِغْضَائِهَا إِبْرَاهِيمَ إِذَا لَوْ قَوْمُ يُونُسَ لَمَاءَ آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخَبْرِ فِي الْحَيَاةِ نَدْبًا وَمُنْقَلَبًا إِلَى حِينٍ﴾ [يونس ٩٨]

ما معنى هذه الآية؟

﴿لَوْلَا﴾ حرف حث وحسن، بمعنى فلا وفيها دعوة أهل القري إلى الإيمان.

﴿كَانَتْ﴾ فعل ماضي تام، بمعنى: وجدت

(١) تفسير ابن كثير: ٣/ ١٨٦-١٨٧

﴿قرية﴾ : فاعل ﴿كانت﴾ الماضي التام.

﴿أمنت﴾ : جملة فعلية، في محل رفع صفة لكلمة ﴿قرية﴾

﴿معهم إيمان﴾ : جملة فعلية أخرى، معطوفة على ﴿مست﴾

والقدير: **هَلَّا وُجِدَتْ قَرْيَةٌ مُؤْمِنَةٌ، مُتَّعَةً بِإِيمَانِهَا.**

وهذه جملة بمعنى لتوبيخ لأهل بقرى من الكافرين لسابقين، ادين
كفرو فكر كفرهم سباً في عذابهم، ولو آمنوا معهم يدينهم، وكان إيمانهم
سبياً في رفع العذاب عنهم.

ومعنى ﴿هَلَّا كَانَتْ قَرْيَةٌ أَمَتْ﴾ أي سم يؤمن أهل بقرى سابقون،
ولذلك لم يرفع عنهم عذاب

﴿إِلَّا قَوْمٌ يَبُوءُونَ﴾ كَمَا أَمَرُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخَبْرِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَنَضْحَمُّهُمْ إِلَىٰ
﴿يَبُوءُونَ﴾

﴿إلا﴾ : حرف استثناء.

﴿قوم يونس﴾ : مستثنى.

﴿لما﴾ : ظرف زمان بمعنى حين، بصيغة معنى لشرط وفعل اشترط
﴿آمنوا﴾، وجواب الشرط ﴿كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخَبْرِ﴾

ولاستثناء ما مضمون. فالمستثنى ﴿قوم يونس﴾ ليس من جنس المستثنى
مه ﴿كَانَتْ قَرْيَةٌ أَمَتْ مُعْتَصِفًا بِإِيمَانِهَا﴾.

والمعنى الكافرون السابقون لم يؤمنوا ولم يرفع عنهم العذاب، أما قوم
يونس فدينهم عذاب آمنوا معهم يدينهم، وأذن إلى رفع عذاب عنهم

دلالة صريحة في أن قوم يونس آمنوا قبل رفع عذابهم، ولذلك قال
الله إيمانهم، ورفع العذاب عنهم

قال من عذب ربي الله عنهم - تكن قرية أمت، معهم إيمان إذا بر
بها ناس لله، إلا قرية قوم يونس، ما أمنت بمعهم إيمان

وقال سعيد بن جبير لما أرسل الله يونس إلى قومه، يدعوهم إلى الإسلام،
وتتركهم عليه، دعاهم فأبوا، فقبل له أن يحرقهم أن عذاب مصيبتهم فقلو

بِأَلَمٍ مُّحْرَبٍ عَلَيْهِ كَذَبَ ، وَظَنُّوا ، فَإِنَّ يُونُسَ مِنْكُمْ مِمَّنْ شَقِيَ ، وَإِنْ نَحْنُ
فِيكُمْ فَاغْلِبُوا إِنَّ الْعَذَابَ مُصِيبُكُمْ !

فَمَا أَصْحَابُ تَعْتَبَهُمُ الْعَذَابَ ، فَفَرَّقُوا بَيْنَ الْإِنْسَانِ وَوَلَدِهِ ، وَبَيْنَ الْبَهِيمَةِ
وَوَلَدِهَا ، ثُمَّ عَجَّوْا إِلَى اللَّهِ ، فَقَالُوا : آمَنَّا وَصَدَّقْنَا بِمَا جَاءَ بِهِ يُونُسَ ، فَكَشَفَ اللَّهُ
عَنَّهُمُ الْعَذَابَ

وَهَكَذَا مِنْ قَوْمِ يُونُسَ جَمِيعاً أَثَاءَ عِبَادَةِ عِبَادِهِمْ ، وَقِيلَ وَقُوعُ الْعَذَابِ بِهِمْ ،
وَقِيلَ لَهُ يَمَنُّهُمْ ، فَفَرَّغَ لِعَذَابِهِمْ ، وَأَعَادَ يُونُسَ بِهِمْ ، سَلَّعَهُمْ الْأَحْكَامَ
وَالشَّرِيعَاتِ .

٦ - تَوْجِيهِ أَحَادِيثِ بِشَانِ يُونُسَ عَلَيْهِ السَّلَامُ :

قَدْ يَحُضُّ بَعْضُهُمْ أَنَّ يُونُسَ عَلَيْهِ السَّلَامُ صَاحِبُ صِدْقٍ مِنْ قَوْمِهِ ، وَأَنَّهُ أَحْطَأَ فِي
مَعَادَرَتِهِ بِهِمْ ، وَبِذَلِكَ يُفَضَّلُ غَيْرُهُ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ وَرَسُولِهِ عَلَيْهِ ! وَقَدْ سَبَقَ أَنْ وَجَّهْتُ
تَصْرِيفَهُ !

وَحَرِّصَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى عَدَمِ تَقْصِي يُونُسَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَبِهِى عَنْ تَهْصِيلِ
أَحَدٍ مِنَ الرِّسَالِ عَلَيْهِ !

رَوَى اسْحَارِيُّ [بِرَقْم ٣٤١٤] ، وَمُسْنَدُ [بِرَقْم ٢٣٧٦] عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : سَمِعْتُ يَهُودِيَّ يُعْرَضُ سَعْتُهُ ، أُعْطِيَ بِهَا شَيْئاً كَرِهَهُ ، فَقَالَ لَا
وَالَّذِي اصْطَفَى مُوسَى عَلَى الْبَشَرِ !

فَسَمِعَهُ رَجُلٌ مِنْ الْأَنْصَارِ ، فَقَامَ مَطْمَ وَجْهَهُ ، وَقَالَ تَقُولُ وَبِذَا اصْطَفَى
مُوسَى عَلَى الْبَشَرِ ، وَالنَّبِيُّ ﷺ بَيْنَ أَظْهُرِنَا ؟

فَدَعَتْ بَيْنَهُ ، فَقَالَ يَا أَبَا سَلَمَةَ يَا لِي دَعْمَةٌ وَعَهْدٌ ، فَمَا رَأَى فُلَانٌ يَطْمَ
وَجْهِي ؟

فَقَالَ : «لِمَ لَطَمْتَ وَجْهَهُ ؟»

فَذَكَرَهُ مَعْصَتَ نَبِيِّ ﷺ ، حَتَّى رُؤِيَ الْغَضَبُ فِي وَجْهِهِ ، ثُمَّ قَالَ : «لَا
تَقْصُوا بَيْنَ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ ، فَإِنَّهُ يُنْمَخُ فِي الصُّورِ ، فَيُصْعَقُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي
الْأَرْضِ ، لَا مِنْ شَاءِ اللَّهِ ، ثُمَّ يُنْمَخُ فِيهِ أُخْرَى ، فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يُعْتَبَرُ ، فَيُؤَادُ مُوسَى

اجد بالعرش، فلا أدري أحوسب بصعقته يوم الطور، أم نعث قبلي!.. ولا أقول: إن أحداً أفضل من يونس بن متى.

ولشاهد في الحديث الحملة الأخيرة منه، حيث به لا يقول: إن أحداً أفضل من يونس بن متى عليه السلام!

أي أنه لا يحير لأحد تفصيل رسول علي يونس، بل كان هذا تفصيل يؤدي إلى انتقاص يونس عليه السلام!

وروى البخاري [برقم: ٣٤١٦] عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يسمي أحد أن يقول: أنا خير من يونس بن متى»

وروى بخاري [برقم: ٣٤١٢] عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يقول أحد بي خير من يونس بن متى»

وروى بخاري [برقم: ٣٤١٣] عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «ما يسمي أحد أن يقول: إني خير من يونس بن متى»

وروى بخاري [برقم: ٤٨٠٥] عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من قال: أنا أفضل من يونس بن متى فقد كذب»

يدفع رسول الله ﷺ في هذه الأحاديث عن يونس عليه السلام في معادربه لقومه باحتجاده، ويهيئ أي شخص أن يعترفه أفضل من يونس، وأنه أوسع منه صدراً، وأنه أكثر منه صبراً!

وهذا معناه أن يونس عليه السلام لم يكن مخطئاً في معادرتة لقومه، وأن فعله باحتجاده كان صواباً، لكنه خلاف الأولى

ومعلوم أنه لا يجوز لأحد أن يعبر نفسه أفضل من الرسل والأنبياء، وإن أصلح صالح من حزميين لا يكون أفضل عند الله من نبي رسول أو سي

كما أنه لا يجوز تفصيل من الرسل إذا أدى ذلك تفصيل في تفصيل قدر الرسول المفضل عليه!

* * *

الفصل الثالث عشر

اشكالات حول قصة زكريا ويحيى

عليهما السلام

تحليل وتوجيه

الفصل الثالث عشر

اشكالات حول قصة زكريا وعيسى عليهما السلام

تَحْلِيلُ وَتَوْجِيهُ

١ - ما الذي خافه زكريا من الموالي؟

أحربا الله عن الدعاء الذي دعا به زكريا عليه السلام ربه ، قال تعالى ﴿ إِذْ نَادَى رَبَّهُ يَدَّأْهُ حَوِيًّا ﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَيْفًا ﴿ وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِن وَرَأْيِكَ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلَدًا ﴾ يَرْثِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴿ [مريم: ٣-٦].

لقد تقدّم بركريا عليه السلام العمر ، وأصبح شيخاً طاعياً في لس ، وهنَّ عظمه ، وشبَّ رأسه ، وامرأته عاقرة ، وهو يريد الولد ليرثه واحبز في دعائه أنه خاف الموالي من ورأيه ﴿ وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِن وَرَأْيِكَ ﴾ .

والموالي : جمع مولى ، وهم العصاة لأقارب

ومعنى هذه الجملة من دعائه أنه خاف مواليه وأقاربه وعصته ، وحشي أن يتصرفوا في الناس شرّاً بعد وفاته . ولدك يريد ولد يرثه ويرث آل يعقوب بعدا خاف زكريا عليه السلام الموالي من بعده ؟ وفي ماذا سيرته ؟

خاف زكريا عليه السلام مواليه وأقاربه أن يتصرفوا تصرفات سيئة في الناس بعد وفاته ، سمحوا أنهم أقاربه ، ويستغلوا قرينهم مع في إيذاء الناس وطلبهم والإساءة إليهم فأراد أن يهبه الله ولداً صالحاً رصياً ، يُحسن إلى الناس من بعده وأراد أن يرثه هذا الولي الولد ، ويرث آل يعقوب أجداده ، لأن زكريا عليه السلام من آل يعقوب ، وهم بنو إسرائيل

ولا يريد أن يرثه في ماله ، لأن زكريا عليه السلام لم يكن صاحب مال ، إنما

كان محراباً يأكُر من عملي يده، ولا يجمع من عمه هذا ملاك، ولا نبأ أره شيء
في الدنيا ولو ترك ملاكاً هذا ايمان يكون صدقة في سبيل الله، بس نورتهم
منه شيء.

دليل ذلك ما رواه البخاري [رقم ٦٧٣٠]، ومسلم [رقم ١٧٥٨] عن
عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله ﷺ نحن معاشر الأنبياء لا نورث، ما
تركنا صدقة.

يريد ركوب عليه سلام الله يرثه في السوة والعلم والدعوة، ليكون نبياً في
نبي إسرائيل، ومعلماً لهم وداعياً فيهم
وهدف من طلب الولد هدف ديني، وحواف من مربيه من أهل الدين،
ويريد ورثاً يرث رسالته وعلمه ودعوته، وهذا شيء عظيم عند ركوب عليه
السلام

٢- لماذا تعجب زكريا من البشارة؟

استحب الله دعاء ركوب عليه سلام، وأمر ملائكة أن تنسره وهو يصلي
في المحراب بذلك.

قال تعالى ﴿ قَدَدَهُ الْمَلَكُوتُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُنَزِّلُ رِزْقًا
مُصَفًّى بِكَوْثٍ مِنْ لَدُنْهُ وَسَيِّدًا وَحَاضِرًا وَنَبِيًّا مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾ [١٧٣] قَالَ رَبِّ إِنِّي يَكُونُ لِي عَذَابٌ
وَقَدْ بَنَيْتُ الْكِبْرَ وَأَمْرًا عَظِيمًا قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَقَعِدُ مَا يَشَاءُ ﴿ [آل عمران
٣٩-٤٠].

وقد تعدى ﴿ بِرَكْرِيًا إِنَّ يُنَزِّلُ رِزْقًا مُصَفًّى لَمْ يَحْمِلْهُ مِنْ قَبْلُ
سَمِيًّا ﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي يَكُونُ لِي عَذَابٌ وَكَانَ سَبَّ أَسْرَافِي عَاقِبًا وَقَدْ بَنَيْتُ مِنَ الْكِبَرِ
عِزًّا إِنَّ قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رُبُّكَ هُوَ عَلَى هَيْئٍ وَقَدْ خَلَقْتَنِي مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُنْ شَيْئًا ﴿ [مريم
٧-٩]

وبما سمع ركوب عليه السلام من الملائكة بشارة ينحى تعجب وفوجي،
مع أنه هو الذي طلب الولد الوارث

وصرح ملائكة تعجبه ودهشته: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي يَكُونُ لِي عَذَابٌ ﴾.

وقد يقع بعضهم في إشكال من تعجبه وسؤاله: كيف يعجب من بشارة

بالولد وهو ندي طلفه؟ وما معنى سؤاله؟ هل هو الاستعداد؟

﴿أَيُّ﴾ سَمُّ اسْتَعْتَمِلَ لِمَتَعَجَّبَ، بِمَعْنَى ﴿كَيْفَ﴾ أَيْ كَيْفَ يَكُونُ لِي

عَلَامٌ؟

وَسُؤْلُهُ وَاسْتَعْتَمِلَهُ يَسْ مِنْ دَابِ الاسْتِعْدَادِ أَوْ الشُّكِّ أَوْ الْإِكْرَارِ، لِأَنَّهُ هُوَ الَّذِي دَعَى اللَّهَ وَطَلَبَ مِنْهُ الْوَلَدَ، وَهُوَ يَقُولُ "أَلَا اللَّهُ مَسْنَحْتُ بِهِ" ﴿وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا﴾

كَانَ سُؤْلُهُ عَنِ لَحِيحَةِ اخِي يَأْتِيهِ مِنْهَا الْعَلَامُ، أَيْ مِنْ ثَمَرٍ يَكُونُ لِي عَلَامٌ؟ وَكَيْفَ سِبَاسِي الْعَلَامُ؟ فَقَدْ بَلَغَنِي الْكُفْرُ وَأَصْحَبْتُ شَيْعَ هَرَمًا، وَامْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَلْ سَنَبَقِي عَلَى حَالِنَا أَمْ سَيَتَعَبِرُ؟

يَدُلُّ عَلَى سُؤْلِهِ عَنِ كَيْفِيَّةِ سِبَاسِي يَأْتِيهِ مِنْهُ الْوَلَدُ، فَإِنَّهُ الْجَوَابُ بِأَنَّ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ﴿قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ تَعْمَلُ مَا تَشَاءُ﴾

وَمَا أَنَّهُ مِنْ فِعْلِ اللَّهِ فَلَا مَحَالَ لِمَتَعَجَّبَ أَوْ اسْتَعْتَمَلَ، إِنَّ اللَّهَ هُوَ الَّذِي قَدَّرَ أَنْ يَرِيقَ رُكْبًا عَلَيْهِ سَلَامَ بَوْدٍ، وَقَدْرُهُ وَاقِعٌ لَا يَسْتَعُ مَا يَحِلُّ

صَحِيحٌ أَنَّ رُكْبًا قَدْ بَلَغَ مِنْ كُفْرٍ عَنِيًّا، وَيَسَّ عَذَابَهُ قَدْرُهُ دَائِمٌ عَلَى الْإِحْصَاءِ، وَصَحِيحٌ أَنَّ مَرَاتِهِ عَاقِرٌ، وَيَسَّرَ عَذَابَهَا قَدْرُهُ دَائِمٌ عَلَى حِمْلِهَا، بِهِمَا عَاقِرُونَ عَنِ دِينِهِ وَفَوْقَ سَبْرِ الشَّرِيَةِ الْكُفْرَ يَنْظُرُ إِلَى بَشَرَتِهِ بِالْوَلَدِ يَسَّ مِنْ هَذِهِ الرُّوْبَةِ الشَّرِيَةِ، إِنَّمَا الْبَطْنُ بَيْنَهُمَا مِنْ رَوَايَةِ إِرَادَةِ اللَّهِ وَمَشِيئَتِهِ، فَلَا مَرُؤَ أَمْرُ اللَّهِ، وَالْمَعْلُ فَعْلُهُ، وَهُوَ فَعَالٌ لِمَا يَرِيدُ.

وَلِلَّذَلِكَ أَحْوَالُ الْحَوَائِثِ زَكْرِيَّا عَلَيْهِ السَّلَامُ عَنِ أَنَّ الْأَمْرَ هَبْرٌ عَلَى اللَّهِ، وَذَكَرَهُ بِخَلْقِ اللَّهِ بِهِ هُوَ ﴿قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَى هَبْرٍ وَقَدْ حَسَّنْتَ لَكَ مِنْ قَبْلُ وَكَثُرَتْ لَكَ شَيْئًا﴾

أَيْ يَحَاضُّ الْوَلَدَ مِنْهُمْ رِجْمًا وَصَعْبًا أَتَمُّ هَبْرٌ مَيُورٌ عَلَى اللَّهِ، لِأَنَّهُ لَا يُعْجَرُهُ شَيْءٌ فَكَرَّرَ بَعْدَهُ خَلْقَهُ اللَّهُ مِنَ الْعَدَمِ، وَجَعَلَهُ حَبْرًا، فَلْيَسْكَرْ بِدَائِمَتِهِ لِيَعْرِفَ أَنَّ الْأَمْرَ هَبْرٌ سَهْلٌ عَلَى اللَّهِ سَحَابُهُ.

٣- آية زكريا في انحياس لسانه.

لَمَّا سَأَلَ اللَّهُ زَكْرِيَّا بِالْوَلَدِ عَلَى كِبَرِهِ، طَلَبَ أَنْ يَجْعَلَ لَهُ آيَةً يَفْعَلُهَا لَدَيْهِ

قَالَ بَعْضُ رِوَايَاتٍ: رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي جَاءْتُكُمْ بِالْبُرْهَانِ وَالزُّبُرِ وَبِالْجَوَارِ الْمُتَّصِينَ أَلْفَ مِائَةٍ نَارًا وَمَنْ يَقْبَلْهُمْ فَقَدْ بَلَغَ أَجَلَ عَمَلِهِ فَعَسَى أَنْ يَكُونَ مِنْ الْمُفْسِدِينَ [١١-١٠]

وقال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي جَاءْتُكُمْ بِالْبُرْهَانِ وَالزُّبُرِ وَبِالْجَوَارِ الْمُتَّصِينَ أَلْفَ مِائَةٍ نَارًا وَمَنْ يَقْبَلْهُمْ فَقَدْ بَلَغَ أَجَلَ عَمَلِهِ فَعَسَى أَنْ يَكُونَ مِنْ الْمُفْسِدِينَ﴾ [مريم: ١٠-١١].

لماذا طلب ذكرى عليه السلام الآية؟ ولماذا سيقدّمها؟

إنه لا يريد نفسه، لأنه سيّ كريم، يوفى بوعده الله، وأنه لا شأن بحقوقه، إنما يريد الآيات بقوله، لأن ولادة مرآة رعم وصعوبهم المعروف أمر عجيب مثير، وسيستعجب قومه كثير من ذلك، سيذكر أن ذكرى عليه السلام أن يقدم الآية لقومه لتكون تمهيداً للآية الكبرى بعد ذلك، عندما يولد له يحيى!

واستحدث الله له، وأعطاه تلك الآية وكانت في لسانه يحبس لسانه عن الكلام عندما يواجه الناس لمدة ثلاث ليال، مع أنه سيؤتي فصيح متكلم وليس أحسن!

﴿سَوِيًّا﴾ في قوله ﴿أَلَا تُكَلِّمُ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا﴾، حال من ركب أي أنت سيؤتي فصيح معافى، ليس بيت مريض أو خرس، ومع ذلك لا تكلم بس!

كان ذكرى عليه السلام في هذه الأيام ثلاثة على حاشين

الحاشية الأولى: عندما يحبو بنفسه ويكون وحيداً، ليس معه أحد، يصفق لسانه بذكر الله وتسميته، ويسمع نفسه وهو يسمع الله

الحاشية الثانية: عندما يخرج على قومه، فإنه يعجز عن مخاطبتهم، ويحبس لسانه عن الكلام بطريقة لا إرادية، عند ذلك يتصل بهم عن طريق برمر والإيماء والإشارة فيتحدث قومه من ذلك، ويسعدون عن سب احسان لسانه عن الكلام فإذا عذر قومه، وعدّ إلى حقوته ومحرره انطلق لسانه بالكلام!

سئموا على هذا الوضع ثلاثة أيام بلياليها!

وليس هذا عربياً على الله، والله هو الذي خلقه مسكناً، يمكن لسانه من الكلام، ولكنه لا يتكلم كلمة إلا بقدر الله، والله هو الذي أعطاه هذه الآية

يَحْيَى لِسَانَهُ عَنْ كَلَامٍ عَدَمَ بَوَاحَةِ الدَّاسِ ، وَتَصَدَّقَ سَانَهُ بِكَلَامٍ عَدَمَا يَحْيَوِ
إِلَى نَفْسِهِ !

وَمِنْ جَمْعَتِ هَذِهِ سُورَةُ بَ عَمْرٍاءَ حَالَتِي رَكِبَ عَنْهُ سَلَامٌ فِي الْأَنَامِ
الثَّلَاثَةِ بَصُمْتُ أَمَامَ سَاسٍ ، وَلِكَلَامٍ عَدَمَ لِحُلُوهِ وَبِإِعْصَى ﴿ قُلْ رَبِّ اجْعَلْ
لِي ذَنْبِي قَدْ أَثِمْتُ إِلَّا تُحْكِمَهُ لَأَمْسُ ثَلَاثَةِ آيَاتٍ بِإِلَهِ قَوْمِي وَذَكَرْتُكَ كَثِيرًا وَتَسْمِعُ لِأَعْيُنِي
وَأَلَانِغَمٍ ﴾ [آل عمران ٤١]

وَمِنْ أُخْرَى اللَّهِ لَآيَةً عَلَى سَانِهِ ، وَتَحْسَنَ عَنْ كَلَامٍ بِطَرِيقَةٍ لَا بِرَدِيَّةٍ ،
حَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ صَمْتًا ، سَمِعْتُمْ لِإِشَارَةِ وَبَرَمَرٍ فِي تَفَاهُمٍ مَعَهُمْ ﴿ فَخَرَجَ عَلَى
قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا ثُكْرًا وَعُشْبًا ﴾ [مريم ١١]

حَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنْ مِحْرَابٍ صَمْتًا ، وَلَعْنَهَا أَوْثُورَةً بِشَهَادَتِهِ فِيهَا
صَمْتًا ، لَا سَلَامَ وَلَا كَلَامَ ، وَلَا تَحِيَّةَ وَلَا مَحَاذَةَ تَعْجُوزٍ وَدُخْشُورٍ ، وَكُنُوهِ
وَحَاطِطُوهِ ، فَلَمْ يَكُنْهُمْ ، وَتَحْدَمُ مَعَهُمْ لِإِشَارَةِ وَبَرَمَرٍ ، بَانَ أَشْرَافُهُمْ بِيَدِهِ
حَالَتُهُمْ تَسْبِيحُ اللَّهِ وَفِيهِ الْقَوْمُ إِشَارَتَهُ ، وَقَدَمُوا تَسْبِيحُ اللَّهِ

وَبَعْدَ نَقْصِ الْأَيَمِ الثَّلَاثَةِ ، أَصْبَحَ اللَّهُ لِسَانَهُ بِالْكَلَامِ أَمَامَ قَوْمِهِ ، فَأَخْبَرَهُمْ أَنَّ
اللَّهَ حَسَنَ سَانَهُ عَنْ كَلَامٍ أَمَامَهُمْ ، وَحَقَّنَ هَذِيئَتَهُ ، تَهَيَّأَ لِلآيَةِ الْكَرَى قَدَمَةً ،
حَيْثُ سَبَّحَهُ وَلَدًا اسْمُهُ يَحْيَى .

وَسَمِعَ أَتَدُّعِيَهُ الْمُؤْمِنُونَ أَحَدًا بِمَعْجَرَةٍ قَدَمَةٍ ، فَارْدَادَ بِسَانِهِم بِاللَّهِ ،
وَقَدَرْتَهُ عَلَى حَرْقِ الْعَادَابِ وَبِأَمْرِهِ دَلَّهُ بِي أَمْسِكَ لِسَانَهُ عَنْ كَلَامٍ ، هُوَ
لَدَى سَبْرِئِلَ سَمَاعٍ عَدَمَ وَعَدَرُوجِهِ عَنِ الْإِنْحَابِ ، وَسَمِعَتْهُمَا بَوْدًا !

٤ - مَعْنَى كَوْنِ يَحْيَى حَصُورًا :

أَخْبَرَ اللَّهُ عَنْ بَعْضِ صِفَاتِ يَحْيَى عَلَيْهِ سَلَامٌ ، عِنْدَمَا يَبْشُرُ رُكْبَانَهُ قُلُوبَهُ
تَعَالَى ﴿ أَنْ اللَّهَ يَبْشُرُكَ بِحَيٍّ مُصَدِّقٍ لِكَلِمَاتِكَ مِنَ اللَّهِ وَسَيِّدٍ أَوْحُودٍ وَبَيْتٍ مِنْ أَنْصَارِهِ ﴾
[آل عمران ٢٩]

صِفَاتُهُ مَذْكُورَةٌ هَاهُنَا أَرْبَعَةٌ مُصَدِّقٌ لِكَلِمَاتِهِ مِنَ اللَّهِ ، وَسَيِّدٌ ، وَحَصُورٌ ، وَسَيِّدٌ
أَمْرًا تَصْدِيقُ يَحْيَى لِكَلِمَاتِهِ مِنَ اللَّهِ تَصْدِيقُهُ نَعْسِي عَلَيْهِمَا سَلَامٌ ، حَيْثُ

سَحَلُّ لَه عِيى عَلَيْهِ السَّلَام بِكَلِمَتِهِ دُونَ ثَمٍّ، وَبِصِدْقِهِ بِحَيٍّ، لِأَنَّهُ مَسْكُونٌ
أَوَّلَ مَنْ يَوْمُهُ أَنَّهُ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ!

وَيَكُونُ بِحَيٍّ عَلَيْهِ السَّلَام سَدًّا، سَحَلُّهُ بِهِ سِدًّا شَرِيفًا فِي قَوْمِهِ،
مُسَوِّدُهُمْ بِسُوءِ تَعْلَمِ وَالْعِبَادَةِ وَالْحِلْمِ، وَنَجَّاهُ وَالْكَرَمِ

وَيَسِجَعُهُ اللَّهُ حُصُورًا. فَمَا مَعْنَى هَذِهِ الصِّفَةِ؟

﴿حُصُورًا﴾: اسْمٌ مَفْعُولٌ مِنَ الْخُصْرِ، وَهُوَ الْعَنَقُ

وَبِمِ بَرْدِ كَلِمَةٍ ﴿حُصُورًا﴾ فِي غَيْرِ هَذَا مَوْجِعٍ مِنْ غَيْرِ

قَالَ الْإِمَامُ بِرَأْعِ الْخُصُورِ هُوَ الَّذِي لَا يَأْتِي لِنِسَاءٍ، إِمَّا مِنْ أَعْتِهِ، وَإِمَّا
مِنَ الْعَقَّةِ وَالْاجْتِهَادِ فِي إِزَالَةِ الشَّهْوَةِ.

وَالثَّانِي هُوَ حُرْدٌ فِي الْآتَةِ. لِأَنَّهُ سَدٌّ يَسْتَحِقُّ مَحْمَدَةً

قَالَ مِنْ مَسْعُودٍ وَبِنْ عَاسٍ وَمُحَاهِدٍ وَغَكْرَمَةٍ وَبِنْ حَبِيرٍ الْحُصُورُ هُوَ
الَّذِي لَا يَأْتِي النِّسَاءَ.

بِحَيٍّ عَلَيْهِ السَّلَام حُصُورٌ، مَنَعَ نَفْسَهُ عَنْ نِسَاءٍ بِرَعْتِهِ وَإِرَادَتِهِ، وَجَاهَدَ
نَفْسَهُ فِي عَدَمِ الرِّعَاةِ فِيهِ، وَلَمْ تَكُنْ فِيهِ (عَقَّةٌ) تَمْنَعُهُ مِنْ مَعَاشِرَةِ النِّسَاءِ، لِأَنَّ هَذِهِ
الْعَقَّةَ - الْمَعْرُوفَةَ بِحَيٍّ - يَفْصِلُ بَيْنَهُ وَالنِّسَاءِ.

وَقَدْ نَقَلَ الْإِمَامُ عَنْ كَثِيرٍ كَلَامًا طَبِيعًا مُفَاضِيًا عِيَّاسٍ فِي مَعْنَى كَوْنِ بِحَيٍّ عَلَيْهِ
السَّلَام حُصُورًا:

«قَالَ الْقَاضِي فِيهِ أَعْنَى أَنْ نِسَاءَ اللَّهِ عَلَى بِحَيٍّ أَنَّهُ كَانَ ﴿حُصُورًا﴾ لَيْسَ كَمَا
قَالَ بَعْضُهُمْ مِنْ أَنَّهُ كَانَ مُتَنَبِّئًا يَحَافُ مَعَاشِرَةَ النِّسَاءِ، أَوْ أَنَّهُ لَا ذَكَرَ لَهُ!

بَلْ قَدْ تُنَكَّرُ هَذَا خُذْلَقُ الْمُفَسِّرِينَ وَتَقَادُّ الْعِنَاءِ، وَقَدْ هَذِهِ بَقِيصَةٌ
وَعَجِيبٌ، لَا تَلِيقُ بِالْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ.

وَبِمَا مَعْنَى ﴿حُصُورًا﴾ أَنَّهُ مَعْصُومٌ مِنْ دُيُوتٍ، لَا يَأْتِيهَا، كَأَنَّهُ خُصُورٌ

عَمَّا

وقيل - معناه : مانعاً نفسه من الشهوات .

وقيل - معناه : ليست له شهوة هي التواء .

وقد سألنا من هذا أن عدم قدرته على الكبح بقصص ، وربما قصص في كونه موحوده ، ثم يصعب ، إما بمحاضرة كعسى ، أو بكثرة من الله عز وجل كيحيى عليه السلام

ثم هي في حق من قدر عليها ، وفاء بالواجب فيها ، ولم تشعه عن ربه ، درحة عينا ، وهي درحة نبينا محمد ﷺ ، الذي لم تشعه كثرته عن عذرة ربه ، من ربه ذلك عذره ، تحصيله وقدمه عنيه ،^١

كان يحيى عنه السلام حضوراً ، تسمى بعريته وشهوته ، فم يفتكر في الباء ، ولم يرفح لاء ، مع قدره على ذلك لو أراد

٥ - هل قتل اليهود زكريا ويحيى عليهما السلام ؟

لم يذكر القرآن كيفية موت زكريا عليه السلام ، فموت من مبهمة القرآن ، التي سمى بيئتها^١ ولم يرد حديث صحيح مرفوع عن رسول الله ﷺ بين كيفية وفاته . وقد تحدثت لاسرائيليت عن كيفية وفاة زكريا عليه السلام ، وذكرت أن اليهود هم الذين قتلوه ، وروعت أن اليهود لحقوه بقتلهم ، وأنه هرب منهم ، ولما صاقت به بطريق واحد أمامه شجرة ، ففتح الله له فيها باباً فدخلها ، ولما نطق شجرة عليه بقي صوف ثوبه حارحها ، فراه شيطان ودن عليه اليهود ، فجاء اليهود لمشار وشرواه شجرة ، وقطعوا حمار زكريا قطعتين^٢

وردد بعض المفسرين هذه لاسرائيليت ، وحذروا ، وفاة زكريا على هذه الصورة ، وأن اليهود هم الذين قتلوه !

ونحن لا نقول بهذه الاسرائيليت ، ولا نقول بها كلام الله ، ولا نعتمد في حديث عن وفاة زكريا عليه السلام ، ونوقف في قبولها ، لأن صدقها ولا مكذبها ، لكنا لا نسجلها ولا نوردناها إلا من باب التحذير منها^٣

أي لا نقول قتل يهود زكريا عليه السلام . ولا نعرف كيف كانت وفاته ،

(١) تفسير ابن كثير ١٠ / ٣٤٢ .

هناك من مودة صديق. ثم مات مقبلاً على يدي اليهود، لعدم وجود نص صحيح صريح في مصادر الإسلاميه يعتمد عليه في التفسير، ونسعى مع قراءتنا، نقول كما قال به، ونسكت عن ما سككت عنه!

هذا عن ركريا عليه السلام، سوقف في الحديث عن ووفيه

أما يحيى عليه السلام فإن ما فاتته الإسراء تليد عن قتل اليهود لأبيه فانه عنه، حيث ذهبت تلك الإسراء تليد إلى أن اليهود هم الذين قتلوه أيضاً!!

قضيت قصة قتله، وذكرنا أن التليد في ذلك هو أن مات يهودي في مقدس أراد أن يترشح لانه أحدها وهذا الروح محرمة في شريعة يهودية، لكنه كان يعشق ابنه أحبه، وأنت كانت يعشق عفتها، ولما صعد على الروح قام يحيى عليه سلام بالركب عليهما، فعصب عفتها، وحملت من حمل أن يقتل يحيى، ومهرم هو أن يقدم بها رأسه! وبعد موت اليهودي رعته، وأمر حوده بقتل يحيى عليه سلام، فقتلوه أمره، وقدم له رأس يحيى على طبق من ذهب، ثم تروحه!! وعصب الله على اليهود بقتله يحيى عليه سلام وأوقع بهم القتل والتشريد!

وستهوت هذه الإسرائيليات المؤرخين ومفسرين المسلمين، ورددوها في كتبهم، وشاعت بين المسلمين، وكأنها قصة بذهنية مسنمة، مما تقدس مسماً وتساءله إلا بحيث قتلوا اليهود هم الذين قتلوا ركريا ويحيى عليهما سلام!

وما فتد عن توقفنا في رعم قتل يهود ركريا بقوله هـ، وشوق في قوس تلك الإسرائيليات التي ترعم قتل يهود يحيى عليه سلام ولا حوص في كيفية وفاة يحيى عليه سلام، لعدم ورود ما يعمده عليه من نص صريح صحيح في مصادرنا الإسلامية.

لا نقول هذا دفاعاً عن اليهود، ولنا حريصن على تبرئة اليهود، واليهود كفار مجرمون، وهم قتل الأنبياء، وقتلهم الأساء حقيقة قاطعة، أحبرنا الله عنها في آياته القرآن.

قال تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِعَالِيَتِ أَقْوَى وَيَقْتُلُونَ أَنبِيَاءَ يَسْتَرِ
الْحَقِّ﴾ [البقرة ٦١]

وقال تعالى ﴿ أَتُكَلِّمُنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ فَيَكُونُ أَمْ تُكَلِّمُ الَّذِينَ يُكَفِّرُونَ ﴾ [البقرة: ٨٧]

لايت صريحه في إيدنه يهود لقتلهم لأساء، وهي حريسة قبيحة شسعه،
تعمل نكرهم وسعضهم، ونحكم عليهم بالكفر، فلا يقبل سي، لا كفو محرم
أما تعيين الأبياء من قتلوه، ونحدد أسمائهم وأعد بهم، ويد
كفيل قتلهم، فهذا الاستحوص فيه، لأن القرآن لم يتحدث عنه

إسرى أن دعاء قتل يهود يحيى عليه سلام يعرض مع لمر!

قال الله عنه ﴿ وَتَسَلَّمَ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُنْعَثُ حَيًّا ﴾ [مريم: ١٥]

الآية صريحه في أن الله منح يحيى سلام في حياته، وذكر على تحقيق
السلام له في ثلاثة مواطر عند ميلاده، وعند وفاته، وعند نعته حيًا يوم
وهد معده أنه بال السلام ولأمن والأمان من الله في هذه المواطر الثلاثة
على بخصوص، وفي حياته كنه على عموم الله عصمه من الأخطار والآفات،
ونجاة من المكيد والمؤامرات!

فد كان يهود نكفرون يريدون قتل يحيى عليه سلام، فأن الله سبحانه
منهم، وسمنحه السلام ولأمن والأمان بنص الآية.

أليس هذا ما حصل مع عيسى عليه السلام؟ حيث منحه الله سلام في حياته
كلها، وفي لمواطر الثلاثة بحظيرة قال تعالى ﴿ وَتَسَلَّمَ عَلَى يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ
أَمُوتُ وَيَوْمَ أُنْعَثُ حَيًّا ﴾ [مريم: ٣٣].

ولذلك لما أريد يهود قتل عيسى عليه السلام وصلته، وصنموا على
ذلك، وعزموا على تقيده، عصمه الله منهم، ومنحه لأمن وسلام والأمان،
ورفعه إليه!

فد كان الله قد حمى عيسى عليه سلام من يهود لما أريدوا قتله، لأنه
منحه السلام بنص الآية فمدا لا يكون قد حمى يحيى عليه سلام لأنه منحه
لسلام بنص الآية، وإذا كان اليهود يريدون قتله، فإن الله سبحانه منحه
إسرافهم من قوته تعالى عن يحيى عليه سلام ﴿ وَتَسَلَّمَ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ

يُؤْمِنُ وَيُؤْمِنُ بِمَا جَاءَهُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ، وَهُوَ اللَّهُ الْكَافِرُ
مَنْ قَتَلَهُ . .

أما كيف مات يحيى عليه السلام فإن هذه من مهمات القرآن، التي لم يعرف
سابقها، وما فسد من أهلها بكثرة وفاة كرون بموته عن جهل بكيفية وفاة يحيى
عليهما السلام!

* * *

الفصل الرابع عشر

إشكالات حول قصة عيسى عليه السلام

تحليل وتوجيه

الفصل الرابع عشر

إشكالات حول قصة عيسى عليه السلام تَحْلِيلُ وَتَوْحِيدُهُ

١ - لماذا لقب عيسى بالمسيح؟

لما أراد الله خلق عيسى عليه السلام، أرسل جبريل عليه السلام إلى مريم يسئرها حديثاً، وذكر لها أن الله سيجعلها تحب ولداً اسمه عيسى وبقته المسيح، وذكر لها بعض صفاته، وهذا قبل النطق فيها وحملها به

قد تعالى ﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهاً فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّابِرِينَ﴾ [آل عمران: ٤٥-٤٦].

اسمه عيسى، ولقبه لمسيح، وصفته أنه ابن مريم، عليه السلام.

و(عيسى) اسم علم أعجمي، مسروق من الصرف، للعلمية والعجمة

ويسميه النصارى (يسوع)، ومعناه عندهم: المحلص.

ونحن نستخدم الاسم الذي سناه الله به، والذي أخبرنا عنه في القرآن، ولا يعيننا اسم النصارى (يسوع).

ولقب عيسى عليه السلام هو (المسيح)، وذكر هذا اللفظ إحدى عشرة مرة في القرآن.

وهو على وزن (فعليل)، مشتق من المصح.

ودهب بعضهم إلى أن (مسيح) بمعنى اسم الفاعل (ماسح)، بينما ذهب آخرون إلى أنه بمعنى اسم المفعول (ممسوح).

فما معنى هذا اللقب؟ ولماذا لقب عيسى عليه السلام به؟ سواء كان بمعنى

اسم الفاعل (ممسح)، أو كان بمعنى اسمه المتعول (ممسوح)^(١)

وإن إرادة لراعته الأصغرية «ممسح» مبرزة بيده على شيء، وإرادة الأثر عنه.

وقيل سُمي عيسى عليه السلام مسحاً، كونه مسحاً في الأرض، أي ذاهباً فيها

وقيل: سُمي مسحاً لأنه كان يمسحُ ذا العاهة فيبرأ.

وقال بعضهم: وعسى أن مريم هي المسحُ لأنه مُسحتُ به القوة لدمعة من جهل وشبه والحرص، وسائر لأحلاف بدميمة *^(٢)

وقد كان (المسيح) بمعنى اسم الفاعل (ممسح) فإن عيسى عليه السلام نُقِبَ به لأنه كان يمسحُ الأرض بالسباحة وسير فيها، أو لأنه كان يمسحُ بيده على المريض فيبرأ.

وقد كان (ممسح) بمعنى اسم المتعول (ممسوح) فإنه نُقِبَ به لأن الله مسحَه بالبركة، فكان مسحاً مباركاً

ونرى أن لغة جمع بين اسم الفاعل و اسم المتعول، ويكون صيغة مبالغة على وزن (فعليل).

كان عيسى عليه السلام مسحاً، يمسحُ بيده على مريض فسراً، وكان مسحاً مسحاً الله بالبركة.

أما معنى المسيح عند نصارى فهو مكرّم للخدمة وبقده «سُمي» سرور المسيح لأنه مُعزَّر ومكرَّم للخدمة وبقده، ووعد بمحيته حلاً بعد السقوط...^(٣)

وسب عيسى عليه السلام إلى أمه (عيسى بن مريم) لأنه لا أب له، وذلك لفرق على مريم حصارى حوّل باسم عيسى عليه السلام، فهم يقولون عيسى بن الله!

(١) المفردات، ص ٧٦٧-٧٦٨

(٢) قاموس الكتاب المقدس، ص ٨٦٠

وَمَرَأَانِ يَكْذِبُهُمْ فَانْلَا لَهُمْ إِبْنَهُ مِنْهُمْ - وَأَمَّا تَعْرِفُونَ عَنْ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَكُنْتُمْ أَشْوَاقَ ۚ

٢- توجيه الحوار بين مريم وجبريل:

عاشر حریب مرسہ بمسی ڈھسٹ واستعربت، وار استعربہا منہا ردہ
 اہ، ولہ بقعہ ماشاء، وهو قدر علی ان جمعہا تحمل وتدس غیر رواج،
 ودون ان یحسب بشر قال تعالی ﴿قَالَ رَبِّ اَنْیْ یُکُوْنُ وَاَلَمْ یَسْکُنْ فِیْ اَرْضَ
 مَدَیْنٍ اَللّٰهُ یَعْلَمُ مَا یَعْبُدُوْنَ﴾ واقصی امرہا بقول کلمہ فی کون ﴿آل عمران: ۴۷﴾.

[illegible]

كانت مريّة في ذلك المكار الشرقي وحيدة، فحلوا إلى مصعب، وتشعّب
سأوراذه وأذكراه ومباحته، وفوحست بشير أمهم ﴿فَكَرِهَتْ إِلَيْهَا﴾
﴿وَوَحَّ فَمَشَى لَهَا بَشِيرًا سَوِيًّا﴾

وللمراد بكلمة ﴿روح﴾ حريق عليه السلام وقد أضيق عليه القرآن كلمة (روح) في أكثر من آية منها قوله تعالى ﴿وَلَوْ سِئِلْ رَبِّ تَعَالَى رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ عَنِ قَبْرِكَ لَيَسْأَلَنَّ عَنْ قَبْرِكَ وَلَيَكُونَ مِنْ تَسْأَلٍ﴾ [الشعراء: ١٩٢-١٩٤]

ولما أرسل الله حريين إلى مريم مكلمة من أن يتحول إلى صورة آدمية بشرية ﴿فتمثل لها بشرًا مريمًا﴾

ومعنى ﴿سَوِيًّا﴾ مستويًا، سَوِيَ الخنثى، كامل لادمية

هو جنس من سم العذراء السور بحاي عرب واقب اسمها ، وهي وحده بعيدة
عن أهلها ، فخافت خوفاً شديداً

مَدِّ تَعْمَلْ لَيْسَ أَمْرُهُ إِلَّا أَنْ تَلْحَاقَ بِأَيِّ قَبْلَةٍ، لَدُنْكَ حَاصِلَتْ رَجُلٌ مَعْرُوفٌ
عَائِلَةٌ ﴿وَفِي أَعْوَادٍ بِالْاِحْتِمَالِ مِنْكَ فِي كُنْ يَمِينًا﴾. آي: إِنِّي أَعُوذُ بِرَبِّي الرَّحْمَنِ،
وَأَعِظُكَ مِنْ أَنْ تَحْمِلَ مِنْهُ

وحملته ﴿يَسْ كُتَّ نَبِيًّا﴾ حملة شرعية، مكثرة من حرب شرط وفعل الشرط، وحبس شرط محذوف، واستقدير يس كبت تقياً بحاف الله فلا يفترب مني، ولا تمسني يادي.

لقد خاطبت الإيمان عنده، واستحييت التقوى في قلبه. ﴿وَنَبِيًّا﴾ صاحب التقوى.

ومن سخافات الإسرائيليين الكاذبة أنَّ ﴿نَبِيًّا﴾ سم رجل فاسق مجرم معروف عند الناس، اسمه (نقي) فقدت مريم لرجل يس كبت أمت ذلك رجل الفاسق الذي اسمه نقي، فلا يعيدني من لا الله!

وعنق لإمام يس كثر على الإسرائيليين بقوله «وهذا يؤذون من رعم انه كان في بني إسرائيل رجل فاسق، مشهور بالفسق، اسمه (نقي)، يؤذ هذا قول باطل بلا دليل، وهو من اسخف الأقوال»^(١).

وصالحها بأنه يس رجلاً في الحقيقة، وإنما هو رسول من عند الله، وملاك من الملائكة، معناه لله فيها ليهب لها علامة ركباً، ويعدّ وغده السابق لها، وأزال استعرائها بأن أحاطها على قدرة الله ﴿قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا﴾ قالت في يكون لي غلم ولم يمتسني شراً ولم أك نبيّاً قال كذّاب قال رَبِّهِ هُوَ عَلَى هَيْئٍ وَلِنَجْمِكُمُ آيَةٌ إِنَّا أَنَا وَرَحْمَتُهُ مِنَّا وَكَانَ أَمْرٌ مُّفْصِيصٌ ﴿[مريم ١٩-٢١]

٣- معنى قوله ﴿مَعْتَمِدًا عَلَيْهَا مِنْ رُوحِكَ﴾

أحبر القرآن عن نوح جبريل في مريم ما جعلها تحمل عيسى عليه سلام قال تعالى ﴿وَالَّتِي أَحْصَيْتُ فَرْجَهَا مَعْتَمِدًا عَلَيْهَا مِنْ رُوحِكُمْ وَجَعَلْنَاهَا نَبِيًّا عَاقِبَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ [الأنساء ٩١]

وقد امت الالة شهادة لمريم رضي الله عنها بالعمة والطهارة وعدم ارتكاب لفواحش، حيث وصفها بأنها أحصت فرجها وحصلت بفرح بالعمة وعدم الزنا.

(١) قصص النساء لابن كثير، ص ٥٠٦.

وقد يصح بعضهم تناقصاً في القرآن عند حديثه عن النسخ في مريم فقال في
سورة الأنبياء ﴿وَالَّتِي أَحْصَيْتَ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا﴾ [الأنبياء
٩١] وقد في سورة النحل ﴿وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَيْتَ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ
مِن رُّوحِنَا وَصَدَقْنَا بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتِبَ عَلَيْهَا الذِّكْرُ وَقَدْ كَانَتْ مِنَ الْغَافِلِينَ﴾ [التحریم ١٢]
فلما دعا عثر بالمؤث في سورة الأنبياء ﴿فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا﴾ وعثر بالمذكّر
في سورة النحل ﴿فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا﴾

(هـ) مؤث في سورة الأنبياء تعود على مريم رضي الله عنها أي
أحصت مريم فرجها فصحت في مريم من روح
(هـ) مذكّر في سورة النحل تعود على فرجها، لأنه لفظ مذكّر، أي
أحصت مريم فرجها، فصحت في فرجها من روحنا
وفرخ لمرأة معروف، وسفحة كات في فرجها معروف
ولا تعارض بين آية سورة الأنبياء وآية سورة النحل

نحو آية سورة الأنبياء أن سمعته كات في مريم، أي في يد مريم، وهو
تعبير عام، سيما نحو آية سورة النحل أن السفحة كات في فرج مريم على وجه
الخصوص، وهذا من ذكر الحاضر بعد الغام، فلا تعارض بين الاثنين
ولا ينسى أن سورة الأنبياء مكية، فعاء التعبير بها عاماً، أحبر أن السفحة
كات في يد مريم، وأن سورة النحل مكية، فعاء التعبير بها خاصاً،
أحبر أن السفحة كات في فرج مريم، أي هو حرة من يدها
ومن لطائف التعبير نقرأ في أنه احتج التعبير بسفح لروح في آدم وسفح
الروح في فرج مريم لتلد عيسى عليه السلام.

عثر عن سفح لروح في آدم بالمفرد ﴿فَوَدَّ سَوْسُورٌ وَقَعَتْ يَدُ رُوحِي﴾
[نحل ٢٩]، سيما عثر عن السفح في مريم بالجمع ﴿فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا﴾.

ناسة لأدم عليه السلام فإن الله هو الذي نفخ في جبهه الممعدّد، وكانت
نفحة مباشرة من الله، بغير قسي، فلدت الروح في آدم، وقد يساهم حتاً، ولهد

أُسْمِدُ نَفْعُ لِهْ وَحْدَه، وَحَاءُ اسْتَعِيرُ اسْتَمْتَرَدُ ﴿وَفَتَحَتْ يَدُوهُ مِنْ رُوحِي﴾

مَا دَلَسَ نَعْبِي عَلَيْهِ السَّلَامُ فَوَرَّ اللَّهُ نَعَثَ حَرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَفْعُ فِي
مَرِيَمَ مِنْ رُوحِهِ، فَقَامَ حَرِيلُ بِحَمَمِهِ وَنَجَدَ عَثْرَ السَّجْمِ ﴿فَفَتَحَتْ يَدُوهُ مِنْ
رُوحِي﴾

لَقَدْ حَتَمَ فِي شَأْنِ عَيْسَى كُلَّ مَنْ اسْتَبَّ وَالْمُسْتَبَّ، وَاللَّهُ هُوَ الْمُسْتَبُّ فِي
السَّجْمِ، لِأَنَّهُ هُوَ الَّذِي أَمَرَهُ، وَحَرِيلُ هُوَ حَسْبُ الْمَادِي، لِأَنَّهُ هُوَ الَّذِي نَقَدَ أَمْرُ
لَهُ وَقَدْ سَلَفَ، فَعَثْرَ السَّجْمِ ﴿فَفَتَحَتْ يَدُوهُ مِنْ رُوحِي﴾ سَحَطَ دَوْرَ مُسْتَبَّ وَلَسَبَ
الْمَادِي ۱.

٤- ﴿رُوحِي﴾ لَهَا مَعْنِيَانِ:

وَرَدَتْ ﴿رُوحِي﴾ الْمَصَافَةُ إِلَى اللَّهِ فِي مَعْنَى عَيْسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ بِمَعْنِي

الْأَوَّلِ حَرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَذَلِكَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَأَنصَحَتْ مِنْ دُورِهِمْ
جِبَّ بِأَمْرٍ سَلَا لَيْتَهَا رُوحًا فَتَحَّتْ لَهَا بَشْرًا سَوِيًّا﴾ [مريم: ١٧]

حَرِيلُ رُوحٌ مِنَ اللَّهِ، وَإِصَافُهُ إِلَى اللَّهِ لِتَكْرِيمِهِ وَتَشْرِيفِهِ، وَهُوَ رُوحٌ مِنَ اللَّهِ،
سَرُّهُ لِرُوحِ عَمِّي رَسَمِهِ، وَاعْتَرَفَهُ الْقُرْآنُ (الرُّوحَ الْأَمِينُ) وَلَمَّا وَقَفَ حَرِيلُ لِرُوحِ
الْأَمِينِ أَمَامَ مَرِيَمَ كَانَ رَحْلًا سَوِيًّا كَمَا سَوَى أَنْ يَتَ

اِسْمِي الرُّوحُ مِنَ اللَّهِ الْحَقِيقَةُ الْعَبِيدَةُ، إِنِّي يَحْمِلُهَا اللَّهُ فِي أَسَاسِ الْأَحْيَاءِ،
وَذَلِكَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَرْيَمُ اسْتَوْتَرَتْ أَنْتِ حَصَنَتْ رَحْمَةً فَفَتَحَتْ يَدُوهُ مِنْ
رُوحِي﴾

لَقَدْ كَانَ حَرِيلُ رُوحُ الْأَمِينِ يَحْمِلُ لِرُوحِ الْحَقِيقَةِ الْعَبِيدَةِ، إِنِّي يَحْمِلُهَا اللَّهُ
مِنْ الدَّاسِ، وَيَحْمِلُهَا فِي أُنْدِهِمْ، فَيَصِيرُونَ بِهَا أَحْيَاءَ، وَيَحْمِلُهَا مَعَهُ لِيُصَحِّحَهَا فِي
مَرِيَمَ، وَمَا يَحْمِلُهَا فِي فَرْجِ مَرِيَمَ، تَحْمِلُ عَيْسَى حَبِيبًا فِي رَحِمِ مَرِيَمَ بِأَمْرِ اللَّهِ سَحَابَهُ

وَلَا يَعْرِفُ حَقِيقَةَ تِلْكَ الرُّوحِ إِنِّي كَانَ يَحْمِلُهَا حَرِيلُ مَعَهُ، لِأَنَّهُ سَرُّهُ مِنَ
اللَّهِ، لَا مَكُنْ مَعْرِفَتُهُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ عَنْ رُوحِ قُلِ رُوحٌ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَقَدْ
أُوتِيتُ مِنَ الْغَيْبِ إِلَّا قَيْسًا﴾ [الإسراء: ٨٥]

وَلَا يَعْرِفُ كَيْفَ يَفْعُ حَرِيلُ فِي فَرْجِ مَرِيَمَ، وَلَا كَيْفَ تَقْلُبُ تِلْكَ الرُّوحُ
الْعَبِيدَةَ إِلَى رَحِمِهَا، وَلَا كَيْفَ صَارَتْ حَسْبًا حَرِيلُ لَا يَعْرِفُ ذَلِكَ لِأَنَّهُ مِنْ عَالَمِ

الغيب، وعمولنا بشرية ثم نُجهز بوسائل الشح في عالم غيب، والعقل المسمم
بؤمن ويصدق بالنص الذي تتحدث عن عالم الغيب

المهم أن الروح التي نفخها جبريل في فرج مريم بامر الله، والتي حنق منها
عيسى في رحمها، هي نفسها الروح العيسية التي نفخ الله في دم عليه السلام
فصار إنساناً حياً، وهي نفسها الروح التي يأمر الله الحد أن يمتحها في الحين
وهو في رحم أمه فيكون حياً، وسقى هذه الروح فيه ما دام حياً ولا يحتنف روح
عيسى عليه السلام عن روح دم، ولا عن روح نبي، إن شاء الله

قد سجد قلب عن المعين المذكور بكلمة ﴿رُوحِكَ﴾ في الأسير
السابقة

هل كلمة ﴿رُوحِكَ﴾ التي في سورة مريم هي نفسها روح نبي في سورة
التحریم؟ وهل مدلولها فيهما واحد؟

نحن نميل إلى أنها ذات مدلولين: فهي في سورة مريم تعني الروح الأمين،
وهو رسول الله إلى مريم

أم في سورة تحریم تعني الروح الذي نفخ الله فيه في دم، وقد هو إنسان،
ونفخ فيه في فرج مريم، فبدأ الويض حياً مسنداً بسو فهي المدة الإلهية
التي مسحها الحياة، وتمسح معها بحصائص مرافقة لروح حية^(١)

٥ - توجيه كون عيسى «كلمة الله وروح منه»:

اعتبر المرء عيسى عليه السلام كلمة الله، وروحاً منه قال تعالى ﴿يَأْتِيهِ
الْحُكْمُ لَا يَسْأَلُ فِي دِينِكُمْ وَلَا يَسْأَلُ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقُّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ
مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْ رَبِّهِ فَتَأْتِيوْنَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا
ثَلَاثَةٌ أَنْتُمْ وَآخِرُكُمْ﴾ [النساء ١٧١]

عيسى عليه السلام رسول الله، أرسله إلى بني إسرائيل وهو كلمته
القاه إلى مريم، ومعنى كونه «كلمة الله» أنه محبوب بكلمة الله، بني يحب الله
المحبوب، وهي كلمة ﴿كن﴾ الكويبة، فبدأ الله خلق شيء، يقول به

﴿كُنْ﴾ فيكون وبوخذ في عام الوقع في حصة كما يريد الله، وهي الكلمة
 بعد كونه في قوته تعالى ﴿يَسْمَأُ أَمْرُهُ بِدَ أَرَادَ شَيْءٌ أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾
 [نفس: ٨٢]

فدما أر د الله خلق عيسى عليه السلام في رحم مريم من غير أب، بوخت
 أر دة بيها، وقد كن عيسى مخلوقاً حياً في رحم مريم، فكان كما أمر الله
 ولهد كل عيسى كلمة الله سي أقاه سي مريم بهد لا عتد

وليس عيسى وحده كلمة الله، مع أنه خلق خلقاً معجزاً بأمر الله، فكل إنسان
 ما يمكن عتاره كمنه الله، لأن كل إنسان ما خلق بأمر الله، وخلق بكلمة الله
 التكوينية «كن»، قل له ﴿كُنْ﴾، فكان إنساناً حياً في رحم أمه!

وعيسى روح من الله بنص الآية: ﴿وَرُوحٌ مِنْهُ﴾

(من) حرف جر والهاء ضمير متصل في محل جر وشئ حمه
 ﴿منه﴾ متعنة بصمة لكللمه ﴿روح﴾، وتفسير وروح كثة من الله

وحرف مجز (من) ليس بتعيص، ولا تصنع أن تكون بتعيص، لا
 روح الله لا يمكن أن تنقص أو تنجز، أو تنقسم إلى أجزاء ولو كانت (من)
 لتعيص بك معنى لله روح، وقطع الله جزءاً أو غصاً وقطعة من هذه روح.
 وحشها إلى جبريل، ووضعها جبريل في رحم مريم، وخلق منها عيسى!

بصاري لدير أنهم عيسى عليه السلام، وعثروه الله، وهو من أن
 (من) في قوته ﴿وَرُوحٌ مِنْهُ﴾ بتعيص، وعثروا أن لروح شي في عيسى عليه
 السلام هي جزء من روح الله، أي أن في عيسى (قطعة) من دة الله وبها هو من
 الله! تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً.

(من) في قوته ﴿وَرُوحٌ مِنْهُ﴾ سبب، أي أنها تبي أن هذه روح التي خلق
 منها عيسى هي من عند الله، وهي الروح العسية التي يخلق منها كل البشر، كما
 سبق أن قلنا!

وقد أورد لسعين حنبلي حواراً طريفاً بين نصراني وعالم مسلم، أفصح
 المسلم نصراني وأقام عليه حجة قل المؤمن عريب ما يحكي أن بعض بصاري
 نطر عني من بحسين بن وفد المروري، وفد به في كتاب الله (القرآن) ما تشهد

أَنْ عَيْسى حَرَّةٌ مِنْ اللَّهِ! وَتَلَاهُ هَذِهِ لَايَةً ﴿وَكَلِمَتُهُ أَلْفُهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ﴾
 فَعَرَضَهُ بِرُوحٍ وَقَدْ يَقُولُهُ تَعَالَى ﴿وَسَخَّرْنَا مَاءَ الْيَمِّ فِي الْآخِرِينَ حَيْثُ
 مِتُّهُ﴾ [الجنانية: ١٣]

وَقَالَ لَهُ: «يَا صَاحِبَ كَلَامٍ لِلرَّحْمَةِ أَنْ يَكُونَ حَمِيعُ هَذِهِ لِأَنَّ فِي لِسْمَوَاتٍ
 وَالْأَرْضِ جَرَاءُ مِنَ اللَّهِ! وَهَذَا مُسْتَحِيلٌ!

فَسَكَتَ النَّصْرَانِيُّ وَانْقَطَعَ، ثُمَّ أَسْلَمَ...»^(١).

الْقُرْآنُ حَرِيصٌ عَلَى إِصَافَةِ شَيْءٍ الْحَمْلَةَ ﴿مِنْهُ﴾ لِيَرْوَحَ، وَبِهَذَا قَالَ
 ﴿وَرُوحٌ مِنْهُ﴾ وَهَذَا نَكِدَتْ نَصَارَى، الَّذِينَ يَحْرُصُونَ عَلَى حَذْفِ شَيْءٍ الْحَمْلَةَ
 ﴿مِنْهُ﴾ وَيَقُولُونَ: عَيْسى رُوحُ اللَّهِ!

وَهُمْ يَرِيدُونَ مِنْ إِصَافَةِ رُوحٍ إِلَى امْرَأَةٍ مَشْرُوعَ (رُوحٌ لِلَّهِ) تَأْكِيدُ كَوْنِهِ بِاللَّهِ،
 وَأَنَّ الرُّوحَ الَّتِي فِيهِ قِطْعَةٌ مِنْ ذَاتِ اللَّهِ!

وَالْقُرْآنُ يَزِيدُ عَيْسى أَنَّ عَيْسى مِنْ رُوحِ اللَّهِ، لِأَنَّهُ هُوَ (رُوحٌ مِنَ اللَّهِ)، أَيْ
 الرُّوحُ الَّتِي فِي بَدَنِ عَيْسَى سَلَامٌ مِنَ عِندِ اللَّهِ، حَقِيقَةُ اللَّهِ فِيهَا، وَجَعَلَهَا فِي بَدَنِ امْرَأَةٍ!
 فَزُقَ عَيْسَى بِرُوحٍ مِنَ رُوحِ اللَّهِ، وَقَدْ يَقْرَأُ عَيْسى
 رُوحٌ مِنَ اللَّهِ!

٦- تَوَجُّهُ حَمَلِ مَرْيَمَ وَوِلَادَتُهَا فِي سَاعَاتٍ:

أَخْرَجَ الْقُرْآنُ عَنْ حَمَلِ مَرْيَمَ عَيْسى عَلَيْهِ السَّلَامُ ﴿فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ
 بِوَدْحٍ مَكَانًا فَعِيسَى رَجُلًا مَحَاضٍ إِلَى جَنَّةِ نَعِيمٍ﴾ [مريم: ٢٢-٢٣]

لَمَّا حَمَلَتْ عَيْسى عَلَيْهِ السَّلَامُ تَعَدَّتْ عَنْ أَهْلِهَا مَسَافَةً كَثِيرَةً، وَتَوَخَّيَتْ مِنْ
 لَمَكَةِ الشَّرِّ فِي - الَّذِي أَرَادَ مِنْهُ حَرْبًا عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَنَجَّحَ فِيهَا مِنْ رُوحِ اللَّهِ - إِبْنِ
 مَكِّيٍّ آخَرَ قَصِيًّا!

أَخْرَجَ الْقُرْآنُ أَنَّ مَرْيَمَ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَرَّتَيْنِ:

العمرة الأولى: قال الله عنها ﴿وَإِذْ أَتَيْنَاكِ مِنَ آهْلِهَا مَكَّا شَرْقِيَّ﴾ [مريم: ١٦]، وجاءها في ذلك مكان اشرفي حبريل عليه السلام، وحملت عيسى بأمر الله

مرة ثانية قال الله عنها ﴿وَحَمَلْنَاهُ فَأَتَيْنَاكِ بِهِ، مَكَّا كَأَنَّكَ قَاصِيَةٌ﴾ [مريم: ٢٢]

وهذه مرحلة ثانية، وحطوة ثالثة، فبعد حملت عيسى عليه السلام مباشرة، تنقلت من مكان لشرقي، إلى مكان أهد، هو مكان لقصبي بالسنة إلى المكان الشرقي

وهذا المكان قصبي هو (بيت لحم) ندي وندت فيه عيسى عليه السلام وهو مكان قصبي بالسنة إلى القدس، لأن أهله كانوا يُقيمون في القدس، وبين القدس وبيت لحم حوالي ستة أميال!

وردة في (قاموس الكتاب المقدس) عن بيت لحم مايلي: (بيت لحم سمّ عري، معناه (بيت حبر) وهي قرية صغيرة، مبنية على أكمة، تعد ستة أميال إلى جنوب من بيت المقدس، وهي محاطة ثلاث تكسوف لأشجار والتات جسمية وفيها مائة عدة، تنجز من أراضي الحصة وكان دود عليه السلام يشرث الماء من شر ندي فيها وكانت مدفن رحيل، ومسقط دود، ومسكن نعي وبوعز وراحوث.

وأعظم من ذلك جميعه أنه وُلدَ فيها المحلّص

وبيت لحم أكثر من أربعة آلاف سنة مد أُنست، ومن تزل صغيرة حتى إلى ما بعد أيام المسيح.

ونت لامراطورة (هيلانة) كيسة فوق سمارة نتي بطن أن محنص وُلد فيها، وهي أقدم كيسة مسيحية في العالم، وهي كيسة المهد^(١)

لما ذهبت مريم إلى مكان قصبي في بيت لحم، متبلدة بجنيها عن أهله، أحست هزة لآل محاص ﴿فَأَجَنَّهُا تَحَاصُّ لِيُجَنِّحَ الْخَبْرُ﴾ [مريم: ٢٣]

(١) قاموس الكتاب المقدس، ص ٢٠٥-٢٠٦

وقد اختلف العلماء في مدة حملها بعيسى عليه السلام:

فدعت بعضهم إلى أنها حملت به حملاً طبيعياً عادياً، كما تحمل النساء، فكانت مدة الحمل تسعة أشهر

وردهم آخرون إلى أن حملها به كان سريعاً، لم يزد على ساعات!!

والراجح عند هو قول الثاني، فقد أن حملت به في امكان شرفي، ثم توخّعت إلى امكان محضي، حتى أحياه المحاض إلى جرح سحبه

ومما يدل على هذا تعبير قرآن عن تسارع لأحداث ولده: ﴿فَحَمَلَتْهُ فَاتَّبَعَتْ ذِي مَكَانٍ فَوَيْسَتْ رَبِّ فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِوْفِهَا فَوَلَدَتْهُ﴾ ولده تدل على الترتيب مع التعقيب بقولي، أي أن المراحل كانت مرتبة سريعة

ثم كون حملها لم يستغرق إلا ساعات يتوافق مع المعجزة في خلق عيسى عليه السلام من غير أب، وفي معجزات ولادته بعد ذلك قاله نبي خلقه خلقاً معجزاً، هو نفسه الذي جعل حملها في ساعات، ليكون حملها معجزاً كحقيقته

وبو ستعز حملها به تسعة أشهر للاحتفاظ أهلها مطهر لحمل عليها، ولا تكروا عليها!

أما حين أن مريم رضي الله عنها حرحت من عبد أهلها في صبح، وعادت إليهم في المساء وهي تحمل أنها عيسى!

وهذا هو رأي ابن عباس رضي الله عنهما، حيث قال ما هو إلا أن حملت وولدت، فليس بين حملها وولادتها زمن

٧- معنى فعل ﴿فَأَجَاءَهَا﴾

مع مع فعل ﴿فَأَجَاءَهَا﴾ لوارده في قوله تعالى ﴿فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِوْفِهَا فَوَلَدَتْهُ﴾ [مريم: ٢٣].

لده فيه حرف عطف و «أجاء» فعل ماض، وإنهاء «هـ» تعود على مريم، صمير متصل في محل نصب مقعوب به مقدم، و «المخاض» فعل مؤخر و تقدير أجاء المخاض مريم إلى جوف التخلّة.

و«أجاء» من تصريفات فعل «جاء» متعدداً، نصبت متعوب به، و«همزة الأولى فيه تسمى همزة التعدية».

وهذه الهمزة تصحح أن يكون عوضاً عن «اء» المحذوفة، تقول «جاء بها» لمخاص، و«ب» حذف «اء» عوضت عنها بـ «همزة»، فتقول «أجاءها لمخاص» وفعل «أجاء» يبدأ على الإنشاء ولا كره ولا صرار وإنما قال زهير بن أبي سلمى:

وجارٍ سارٍ فغنىد بكلمة أجاءته مخافةً ولزجاء والمعنى: ألبجأت المخافة والزجاء.

وكأن فعل «أجاءها» شتر إلى ما حذس مرث بهم مريم رضي الله عنها، عندما شعرت بالآلام المخاص

المرحبة لأوس جاء بها المخاص إلى جذع النخلة، وذلك عندما أحسّت بالآلام الوصب، من أجل أن تستد إلى جذع نخلة

بمرحبة لثيابه أنجاه المخاص إلى جذع نخلة إنجاء، ودفعها به دفعا، وأكرهها إليه، واضطرها لتساقده، ودبت عندما شتت بها آلام الوصب، فأمسكت به وقالت يا بني مثقل هذا وكث سباً مسياً

والخلاصة: فعل «أجاءها» بتصريف فعل «جاء» بها ويدل على معنى لإنجاء ولا كره ولا صرار ودفع، وهذه المعاني لا يؤديها فعل «جاء» بها

٨- توجيه ثماني مريم للموت:

عد جذع النخلة أحدها يظن، وشدت بها لآلم مخاص ولو صبغ، فأمسكت به بدفع، وأظفقت روعة موجهه، وقالت ﴿يَلْبَسِي مَثَقَلْ هَذَا وَكُثِّتْ تَسْبِيحاً مُسْبِئاً﴾ [مريم ٢٣]

مثقلاً رضي الله عنها لو كانت ماتت قبل هذا الحزن بمكروب يدي هي فيه، وكانت تسباً مسباً

واسمى هو الشيء الذي يسبأ أصحابه ويشركونه ويدعون عنه، بحضرته

عدهم ﴿مُسِيئًا﴾ اسمٌ مقعور، صفةٌ لهذا السيِّئ حثوثًا، مبالغةٌ في إهماله وتركيه.

ويطلق السيِّئُ على كلِّ شيءٍ دفعٍ حثريٍّ، وتركه أصبحائه محذره. مثلُ حرفه حصصٌ سيِّئٌ بصرخه المدة ويهملها، كنه يسرٌ حاصٌ بحرقه حصص، بما هو عامٌ بشمل كلِّ ما كان كذلك في نفعه وحذره.

وقد شكَّلَ سنها حوثٌ على بعضه، فسدَّ كيف تسمى مريمة بموت، وهي الفتة بسؤمه، وتسمى الموت لا بحور؟

بدي دفعها إلى تسمى موت هو الحانة خاصةً سيِّئٌ بمزبها، والآلام الشديدة التي تسيطر عليها.

إن آلام محاصٍ موضِعٌ شديدةٌ مؤلمةٌ لكلِّ مرَّةٍ، حتى وهي في بيتها وحواسها أهلها، فإن لها وتريدُ لآلامَ عذابٍ تصعُّ المرأةُ حمليها الأول، وتحت أول مولود لها، وتزهد هذه امرأةٌ بحديثٍ شديده، من كربٍ وآلامٍ والمعاناة والتوتر، هذا وهي في بيتها وبين أهلها!

هل كانت مريمة كذلك؟ هل كانت في بيتها، وأهلها حوثٌ يقدمون لها المساعدة؟

بها فتاةٌ عذراء، لا حيرةٌ بها بالولادة. وبها وحيدةٌ معكدةٌ بحدعٍ سبعة، ليس بجانبها مساعدٌ أو معينٌ من البشر، وإن آلام محاصٍ تزداد وتشتد، وبها تمرُّ بحالةٍ شديدةٍ من التوتر والمعاناة والخسوف والاضطراب!

ها حميتها لأفكرُ ولومادوس. وهي تعاني ما تعاني من آلام، كيف سبند ولا حيرةٌ بها بذلك؟ وكيف سبندُ الموبود ولا وصالٌ معها ذلك؟ وكيف سأكلُ أو تشربُ ولا شيءٌ عندها من ذلك؟ ثم كيف سبوحه أهلها بمولودها؟ ومدد سيقومون بها؟ وكيف سبندُ مع عن نفسها؟ وكيف سبندُهم بمرءتها؟

هذه أسئلةٌ صعبةٌ بمرءتها، وغيرها كثير، وكلُّها لا حوثٌ عليها عندها فأقلُّ شيءٍ تقولُه في ذلك حانةٌ بحرقه ﴿يَبْتَئِي بِتُ قَتْلَ هَذَا وَكُكُتُ نَسِيًا مُسِيئًا﴾ ولو كانت فتاةٌ أخرى مكابها لقالَتْ أكثرُ من هذه العبارة!

بها لم تكن محصنةٌ في تسميتها بموت، والآلامُ عليه ثمرةُ الحانةِ به

بذم طويلًا، فسرعان ما أسعفتها الله بنظم أسية و نوحمة. وأنحت عيسى عليه
السلام سلام. ورأيت عنها مشعر السور و نقس و لاصطر س، و عادت بها
صمأبستها

٩- من الذي ناداه؟ وماذا قال لها؟

قال تعالى: ﴿فَادْنَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنَ قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا﴾ [مريم: ٢٤].

من هو الذي ناداه من تحتها، عندما وصفت عيسى عليه السلام مباشرة؟
ذهب بعض العلماء إلى أن الذي ناداه من تحتها هو جبريل عليه السلام،
حيث كان قريباً منها، ولما وضعت مولودها جاءه ووقف بين يديها، فيمكن
أسفل منها.

وذهب آخرون إلى أن سادتي هو نبي عيسى عليه السلام، الذي لم يولد
إلا قبل لحظات!

وآخر حج هو يقول شيء، لأن سياق يتحدث عن عيسى عليه السلام
وليس عن جبريل.

و بصمة السيف تعود عن عيسى ﴿فحمته وندت به ناداه
من تحتها.﴾

ثم فيها لما ذهبت إلى قومها وهي تحمله، واستعربو أمرها، أشارت إليه
ليشرح لهم الأمر، وهي لم تفعل ذلك إلا لأنها سمعه يكتفهم من قبل!

وكون سادتي لها أنها الذي أنحته فل تحصدت، أنبع وأظهر في معصرة،
لأن الله هو الذي أنطقه بكلام فصيح، وهذا من مألوف في حجة سموه
وسموره مدى ذهنة مريم ومقدساتها، وهي تسمع بها يكتفهم ويوجههم ويرفع
معتوياتها!

ماذا قال أنها لها؟

قال تعالى: ﴿فَادْنَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنَ قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا﴾ وَهِيَ رَبِّي
يُصَدِّقُ لِحَدِيثِكَ عَنْكَ رَحِمًا خَيْرٌ مِنْكَ وَهِيَ رَبِّي وَهِيَ رَبِّي وَهِيَ رَبِّي مِنْ أَنْشَرُ نَعْدُ
فَقُولِي فِي نَدْرَتِ بَرْتَمِسِ صَوْمًا فَنَزْ أَحْكَبِكُمْ أَيَوْمًا يَسْتُ﴾ [مريم: ٢٤-٢٦]

الله هو الذي أنعم عليهم لئلا يقولوا لله هد كلاماً، لأنه لا علم له
بذلك، حيث لم يعض على ولادته إلا لحظات!

قال يا ﴿لا تحزني﴾ دعها أي: لا تعترضها من حزنٍ وهمٍّ وكرب،
مما مر بها من أحداث، لأن الله معها، يحتضنها ويرعاها
﴿قد جعل ربك تخليقاً سروراً﴾

ليراحح أن يمر دسري في جدول نساء، وسُمي (سري) لأن نساء سري
ويجري فيه.

ويراحح أن الله فطر في جدول نساء أمه لحظه ولادته، وأنه لم يكن
موجوداً عندما أتت بي جدة سحلة، وهذه معجزة من معجزات الله، كرم بها
مريم رضي الله عنها، يضاف بي المعجزات وسحوري الأخرى، التي صاحبها
ولادة عيسى عليه السلام.

﴿وَمُرِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُصَافُّ عَيْنَا رَبِّكِ فَاحْنِي﴾

أمرها أن تهز وتحرك جذع النخلة، وعندما تقفل دنت فسوف يتكافأ عليها
الربط الجني الصالح.

ودعت بعضهن بي أنه كان حذواً ناساً، فيما هزته جعبة الله لحنة حصره
حية تجعل الربط الجني!

ويراحح أنه لم يكن يداً، وأن لحنة كانت حية حصره!

كن هل كانت تلك لحنة الحصر، مشرة ثم طيعاً؟ وهل كانت ولادة
عيسى عليه السلام في وقت نفوج التمر؟

من المعلوم أن التمر يصح في وقت الصيف، فهل كانت ولادة عيسى في
الصيف؟

يذهب حصرى إلى أن ولادة عيسى عليه السلام كانت في شدة، في ارباع
وبعشرين من شهر كانون أول ولا يكون التمر ناصحاً في هذا الوقت، بل إن
النخلة لم تكن قد بدأت في حمل الطح!

الروح أن إنذار لحنة كان معجزة من الله سبحانه! أمرها الله أن تثمر سح

في لحظة ، وأب يتحول إلى رطب حبي في لحظة ! فحدث أمر الله !

وإذا كان قد رطب أن يسبح سرى سماء كان معجزة من الله ، فإن هذا يؤكد أن
شمار سحله كان معجزة من الله أيضاً ، سكمال الطعام مع شرابه ، فأكل مريم
من الرطب الجنى ، وتشرب من ماء السرى !

وأمرت مريم بأن يهرج جرد لحنه من باب لأحد لأسباب ، ولأن جرد
لحنه كبير قوى ، تعجز مجموعته رحد عن هزله ، وهم أشد أقوبه ! فكيف
تستطيع مريم أن تحركه ، وهي بنت ضعيفة ، وهي الآن نفسها واهنة بقوه !

بها مصيبة لأحد لأسباب ، وعليها أن تصع يدها على الجرد محوطة
هزله ، والله هو يدي سيعرك اسحنة ويجعلها تسقط رطب حبي على مريم !

والرطب الجنى هو المجتس المأخوذ طرياً

وهذا يدل على أهمية رطب للمرأة المسنة ولادتها ، لتستعيد قوتها

﴿ فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا ﴾

كلتي من الرطب الحبي تصح بطيب لذي تسقطه عينك سحله ، واشربي
من ماء السرى الذي أجراه الله أمامك ، ولا تحشي جوعاً ولا عطشاً ! وعليك أن
تقري عيناً ، وأن تطيبي نفساً ، وأن لا تخربي من مزيك من أحداث !

﴿ قِيلَ نَبِّئِي مَنْ كَتَبَ آدَمَ فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْماً فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ
الْمُكَلِّمِينَ ﴾

قال عيسى لأمه دهي لي أهنت ، وأنت تحميلي ، فإن شاهدت أحد من
شتر ، سواء كان من أهنت أو من عرهم ، وسعرت منك ، وسألت عن سر
لأمر ، فلا تحوييه ولا تكلمي ، وأعنيه بشرة يفهم منها أنك صائمة عن الكلام ،
وبادرة أن لا تكلمي أي بسا ! وأحبي علي ، وأن سأتومي بكلام !

لماذا تصوم مريم عن الكلام ؟

لأنها فتاة عذراء صالحة ، تحسن ولدها ، وقد لا يصدقها الناس إذا كتمتهم
ودفعت عن نفسها ، ويدت أمرها الله تصوم عن الكلام ، وأطلق ولدها ، الذي
لم تمص على ولادته إلا ساعت معدودة ، وكان يصدق معجزة من الله سبحانه

ولا تقتدي أحد مريم رضي الله عنها في ذلك ، فسدر أن تصوم عن الكلام !

وقد دخل رحلاب على عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، فسلم أحدهم
ولم يسلم الآخر!

فقال له ابن مسعود: ما شأنك؟

فقال أصحابه: حلف أن لا يكلم الناس اليوم!

فقال له بن مسعود: كنتم تأسسونهم عليهم، فإن بك لمرأة عذمت أن
أحداً لا يصدقها، لأنها حملت من غير زوج!

١٠ - توجيه كون مريم أخت هارون:

حسنت مريم وبيدها، وتوخت ي قومها، فاستعربو وذهبوا، وأحبر
الله عبد قيوه بها. فإن تعسى ﴿فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلَةً فَكَانُوا بِمَرْيَمَ فَقَدْ جَحِثَ شَيْفًا
قَرِيبًا﴾ يتأخضت هرون ما كان أولي أمراً سووما كانت أمي بعيداً ﴿[مريم ٢٦-٢٨]

قولهم بها ﴿بِمَرْيَمَ فَقَدْ جَحِثَ شَيْفًا قَرِيبًا﴾ فيه تهام غير صريح لها. وهم
لم يتهموها بارتكاب الذنوب، بل بحسن بصرهم، وسبب يديهم بالله، وتقواهم به، وتحررو
من قدحها بما يعسوب من صلاحها واستقامتها وعفافها.

نكهم رأوا وليد على حضنها، وهو أقر عريب، يدعوى ي برية، فكيف
يوقنوا بين ما يعرفونه عنها من عفو وطهارة، وبين بطل نذي تحمله؟

كتبتهم بقريهم ﴿بِمَرْيَمَ فَقَدْ جَحِثَ شَيْفًا قَرِيبًا﴾ يتأخضت هرون ما كان أولي
أمراً سووما كانت أمي بعيداً ﴿

والشيء الفرقي هو الشيء العجيب المختلف

أي: لقد جنت شيء عظيم عجيب، فمن أين نك هذا نوب الذي يحملها،
وأنت معروفة، وشأت في أسرها صراحة تفتة عميقة، كان أول رحلاً صالحاً، ولم
يكن أمراً سوءاً، وكانت أمي امرأة صالحه، ولم تكن بعيداً، وأخوت هرون صالح

و يقول لمشكل هو ﴿يَتَأَخَضَتُ هَرُونَ﴾، حيث أشكل فهمه على بعضهم،
واتخذ بعضهم وسنة لإثارة بشهدت على نمران فمن هو هرون المذكور هنا؟
وكيف كانت مريم أختاً له؟

ذهب بعضهم إلى أنه لا يُراد بالأخوة هنا الأخوة الحقيقية، وإنما الأخوة
الشبيهة، أي أن القوة أرادوا تشبه مريم بها، وإن سبي شقيق موسى عندهما
السلام، في العادة والعفة والصلاح.

أي: أنت يا مريم أخت هارون في العادة، شبيهة به في ذلك، فمن أين لك
هذا الوليد؟

وذهب علماء حروب بني آل الحارث، لأخوة هـ لأخوة، حقيقية، فهي
أخت شقيقة لهارون!

ولكن هذا فيه إشكال. إذا كان هارون أخو موسى عندهما السلام، فكيف
تكون مريم أختاً شقيقة له، وبينهما قرون عديدة؟

أما راجع إلى هارون، المذكور في ليس هو هارون لسي أخ موسى عليهما
السلام، وإنما هو أخ شقيق لمريم، أخت أمها، وسبي هارون على سبب أبي
هارون! وهي أخت شقيقة له بهذا الاعتبار!

يؤيد هذا القول الراجح حديث رسول الله ﷺ.

روى مسلم [برقم ٢١٣٥]؛ والترمذي [برقم: ٣١٥٥] عن المعيرة بن
شعبة رضي الله عنه قال: نعتني رسول الله ﷺ إلى نجران

فقالوا: ألسنتم تفرزون: ﴿يَتَأَخَّتَ هَٰؤُلَاءُ﴾؟

قلت: بلى.

قالوا: وموسى قبل عيسى بكذا وكذا؟

فرجعت إلى رسول الله ﷺ فأخبرته

فقال: ألا أخبرتهم أنهم كانوا اسموا لأبياء والصالحين منهم

فأبى المعيرة بن شعبة رضي الله عنه سبب في نجران، فأثار أمته
شبهة على القرآن، ووخيلوا له مضطرباً، فكيف نجرى بقرآن مريم أخت هارون،
وبين موسى وعيسى قرون عديدة؟

لم يعرف المفسرة الجواب، فأبى رسول الله ﷺ فأخبره، فبين له ﷺ أن

بصالحين ومن عرهم كانوا، سقون أناءهم بأسماء النساء والصالحين الذين كانوا
منهم

أي أن رسول الله ﷺ أخرجه أنه كان لعمره شقيق اسمه حارون، فهي أخته
حبيبة

١١ - توجيه خصوصية رسالة عيسى وعالقيه المسيحية

بعث الله عيسى عليه السلام رسولا إلى بني إسرائيل فقط

قال تعالى ﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ تَبِيعَةِ إِسْرَءِيلَ ۚ قَدْ جَعَلْنَاكُم مِّثْقَاتٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾
[آل عمران: ٤٩].

وقال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَىٰ بْنُ مَرْيَمَ سُبْحَٰنَ رَبِّيَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم﴾ [الصف: ٦].

وبعث عيسى عليه السلام إلى بني إسرائيل فقط، لأن كل سبي من السابقين
كان يرسل إلى قومه خاصة، وبني نوح إلى البشر كافة هو رسول محمد ﷺ
فقط

كل سبي كان يقف لقومه ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾، أما رسول الله ﷺ فقد قال
﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ﴾ [الأعراف: ١٥٨]

وهذا نفعي ورد صحيح في الحديث الذي أخرجه مسلم [رقم ٥٢١]
عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ «أُعْصِيْتُ حَمَامَةَ
يُنْقَضُ أَحَدُ قَبْلِي كَذِبٌ كُلُّ سَبِيٍّ بُعِثَ إِلَى قَوْمِهِ حَاصَةً، وَبُعِثَ بَنِي كُلِّ أَحْمَرَ
وَأَسْوَدَ، وَأُحْبِبْتُ بَنِي مَعَانَةَ، وَلَمْ تُحِبَّ لِأَحَدٍ قَبْلِي، وَجَعَلْتُ فِي الْأَرْضِ حَيَّةً
ظُهُورًا وَمَسْحَدًا، فَإِذَا رَجُلٌ أَذْرَكَ صَلَاةَ صَلَاتِي حَيْثُ كَانَ، وَبَصُرْتُ بِأَعْرَبِ
بَيْنَ يَدَيَّ مَسِيرَةَ شَهْرٍ، وَأُعْطِيتُ الشَّفَاعَةَ...»

ومن مصنف التعبير العربي أنه أخرج عن تلميح موسى عليه السلام لرسالة
نوحه ﴿يُنْقَضُ﴾ قال تعالى ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يُقْوِمُوا﴾ [الصف: ٥].
بمعنا مع عيسى عليه السلام رسالته بقوله ﴿سُبْحَٰنَ رَبِّيَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ﴾

فبعث موسى بقولهم ﴿يُقْوِمُوا﴾ بمعنا مع عيسى بقولهم ﴿سُبْحَٰنَ رَبِّيَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ﴾
ولم يقل ما قوم؟

الحجاب - رحل يُسبب إلى قوم أنه - فيمن هو من سر فلا، ويحاط بهم
بصوته - قوم وهذا متحقق في موسى عليه السلام - فهو من عسرة، وعمر
أبوه من بني إسرائيل، لذلك قال لهم موسى - ﴿يَتَّقُوا﴾.

أما عيسى عليه السلام فإنه لا أت - ويدل لا يُسبب إلى بني إسرائيل،
ولا يصح أن يقول لهم ﴿يَتَّقُوا﴾ - ولعل فيهم - ﴿يَسْمَعُونَ مِنْ رُسُلِ اللَّهِ

وإذ كان عيسى عليه السلام رسولاً إلى بني إسرائيل فقط، يصح تقريب
واحد، فإن معنى هذا (صداقة) دالة على نسبة خاصة، موجهة إلى بني
إسرائيل، وغيرهم ليسوا مطالبين بها.

وبكر نوافع التاريخي مصر به لا تنق مع هذه بحقيقته، لعدم رفع الله
عيسى عنه السلام إلى السماء دخل في صصرية ناس من غير بني إسرائيل،
وانتشرت النصرانية في الشام ومصر، ثم امتدت إلى حبشة في الجنوب، وإلى
تركية وليون في الشمال، ووصلت إلى روما في الغرب، ثم نشرت في مختلف
بداع معاد - مصرسة هي أكثر الأديان تساعاً، حيث يوجد عدد أصاري لأن
عيسى مبرين من ناس أيضاً لا تحدر عدد يهودته عشر مليوناً.

أما هذا - لاشر العالمي بصرية خلاف صيغته وأصله، فهي رسالة
إسرائيلية محدودة، ولكن اليهود كفرو بها، وصهدوا بصاري، فتفرق إرهاباً
في الأديرة والكهوف والحد، هاربين منيهم - وأعجت الأقوم لأخرى في شام
ومصر وغيرهما بهم وعبادتهم ورهدهم، فدخرو في دينهم وصرو بصاري،
ولكن هذا خلاف صيغته النصرانية - وحرف إرهاباً رسالة عيسى بوحيدية،
ورعموا نوهة عيسى أو بؤته أنه أو يدب بحرف النصرانية - فسحق الله لإسلام.

١٢ - كيف كان عيسى يخلق الطير؟

نسى الله عيسى عليه السلام ذات باهرة ومعجزة تسعة، ندش على أنه رسول
الله، ومن تلك الآيات أنه كان يخلق الطير.

وقد أخبر الله عن هذا في قوله تعالى ﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ تِلْكَ قَرْيَةٍ تَدْعُونَ
بِأَنفُسِكُمْ أَنْ آمِنُوا لَكُمْ مِنْ تَحْتَ الْبُرُوجِ فَصَاحَ مِنْ فَوْقِ السَّمَاءِ أَنِ امْنُوا لِي وَأَطِيعُوا
أَمْرِي فَكَانَ الطُّيَرُ خَاضِعِينَ لِلَّهِ وَمَا يُشِيعُ بِهِ﴾ [آل عمران: ٤٩].

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَخْلُقْ مِنْ الطِّيرِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي﴾ [المائدة: ٥]

كان عيسى عليه السلام يصنع من الطير تمثالاً على شكل طائر. ثم ينفخ في ذلك، فتمثل، فمحول إلى طائر حي حقيقي بدون الله!

ونسب لآدم ﴿الحق﴾ أي عيسى عليه السلام، فكيف يحق عيسى من الطير طيراً، مع أن المخلوق هو الله وحده؟

ولم يأت برعب لأصمعي الحق أصه تقديراً مستقيم

ونستعمل في بدع من غير أصل ولا احتذاء. قال تعالى: ﴿لَتَنفَعَنَّهُ شِدْقُ حَقِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَتَعْمَلَ عَظَمَتُ الْوُجُودِ﴾ [الأنعام: ١].

ودليل حق سموات والأرض بمعنى إبداعهم من غير أصل، هو قوله تعالى ﴿يَدْعُ لِسَمَوَاتٍ وَالْأَرْضِ﴾ [الأنعام: ١٠١].

وهذا الحق الذي هو الإبداع من لا شيء، خاص بالله، ولهذا جعله الله فضلاً به عن غيره سبحانه. قال تعالى ﴿فَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ﴾ [الحج: ١٧]

ونستعمل الحق في إيجاد شيء من شيء. قال تعالى ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ مِنْ دَمٍ خَصِيٍّ ثَبِيٍّ﴾ [الحج: ٤]، وقال تعالى ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ﴾ وخلق لعمرك من خارج من شيء [رحمن: ١٤-١٥]

هذا الحق الذي هو بمعنى التحويل قد جعله الله تغييره في بعض الأحوال، كما في قوله تعالى ﴿وَيَذْخَبُ مِنَ الطِّيرِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي﴾

وهو بساد حق الطير إلى عيسى عليه السلام من نوع الشيء، الذي هو بمعنى تحويل، فكأن يصنع من طير تمثالاً على شكل طير، ثم ينفخ فيه، فيكون حياً بدون الله، أي تحول هذا الشكل الطبيعي إلى صير حي بدون الله!

وهذا مخلوق ليس إبداعاً من عدم، ولا إيجاداً من لا شيء، وإنما هو تحويل شيء خلقه الله من عدم، وأوجد في الأرض، فأخذها عيسى عليه السلام، حوتها من حديد، ثم رأت حبه لله، وماء خلقه الله فأخذ عيسى عليه السلام هذين العنصرين، ووجههما معاً، فصار صفاً، ثم جعلهما تمثالاً لا وليس هذا حقيقياً، بل هو تحول من شيء موجود إلى شيء موجود!

عيسى عليه السلام به خلق الطير حقيقة، لأن حاله طير من العدم هو الله

وحده، بما كان عيسى بحوّل مثال لطير يسمى صر حقيقي، وهذا تحويل وليس حقيقة ويدعى ويحده من العدد؟

وحرص من الخبر على أن يكون الله به ثلث تحويل، وإذ كان له في ثلث حبة في طير ﴿وَأَذْنَعُوا مِنَ الطَّيْرِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ يَذْنَعُ﴾ فكرر (رسول الله) مرة في صنع مثال لصير من الطير، ومرة في تحويل لثلاث إلى صير حتى بعد بفتح فيه وهذه بمعجزة يؤيد عيسى عليه السلام. تدعى على أنه رسول الله، فكان يصنع مثال طير من الطير، ثم يفتح فيه، وكان الله يجعل الحبة في ذلك صير، فيصير طيراً حيناً، عيسى عليه السلام بحد لأحد، وأنه هو المنصب المقدر، بثلث لحيه في صير

١٣ - هل شك الحواريون في قدرة الله؟

الحواريون هم أنصار الله الذين آمنوا بعيسى عليه السلام قال تعالى ﴿فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْخَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ فَاثْبَتْنَا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٥٢-٥٣]

أعزوا بسلامهم، وقالوا ﴿وَاشْهَدْ بِأَنَا مُسْلِمُونَ﴾، لأن عيسى عليه السلام جاء بالإسلام، ودينه هو الإسلام بالمعنى التاريخي، وأنصاره مسلمون.

ومع هذا الحواريين بالله، إلا أنهم ضلوا من عيسى عليه السلام طبعاً عربياً، وتكلموا عن الله كلاماً عجيباً فيه اشكال، وذلك عندما طمروا منه المائدة؟

قال تعالى ﴿وَإِذْ قَالَ الْخَوَارِيُّونَ يُعِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ هَلْ نَسْطِيعُ رَبَّنَا أَنْ يُفِثَ لَنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ قَالَ أَتَأْمَنُونَ اللَّهَ بِمَا نَزَّلْنَا فِي كُتُبِكُمْ فَتَكُونُونَ عَنْهَا مِنَ الشَّاكِكِينَ﴾ [آل عمران: ١١٢-١١٣] قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبِّ ارْزُقْنِي أَرْزُقْ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ لَنْ عِيدٍ لِأَوْلَادِهِمْ جِزَاءُ مَا يَكْفِيهِمْ وَأَرْزُقْ وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿١١٢﴾ قَالَ اللَّهُ إِنِّي مَبْرُؤُنَا عَلَيْكُمْ فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدَ مِثْقَلِ ذَرَّةٍ مِنْ عَدَايَايَ لَا أُغْنِيهِمْ عَنْ عَذَابِي﴾ [المائدة: ١١٢-١١٣]

(١) يتوقف على معنى الإسلام التاريخي غير ص ٣٣٢ من هذا الكتاب (١٠ شرب)

والإشكال في قولهم لعيسى عليه السلام ﴿هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُرِلَّ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ؟﴾

ظاهرُ الآية أنهم تساءلون عن مدى قدرة الله واستطاعته برز مائدة عليهم من السماء، وهذا يوحي بأنهم كانوا شاكين في قدرة الله واستطاعته فهل كانوا شاكين بذلك؟ وهل يتفق هذا مع إيمانهم بالله؟

فيل لإحاطة عيسى لسؤال مدكر أن في قوله ﴿هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ؟﴾ وراء ذلك لأولى وراء الكناية «هل يستطيع ربك» ساء بالفعل، ونصب «ربك» على أنها مفعول به.

ومعنى هذه القراءة يا عيسى بن مريم هل تستطيع أنت أن تسأل ربك، وأن تطلب منه إرسال مائدة عليهم من السماء؟ وهل يقل الله مث هذا بطلب والسؤال؟

ولا إشكال على هذه القراءة، لأنهم لم يشكوا في قدرة الله على إرسال المائدة، وإنما أرادوا أن يعرفوا مدى صلاحية عيسى عليه السلام في السؤال ولطلب، وهل يدخل هذا ضمن إمكانياته أم لا؟

قلت عائشة رضي الله عنها معتمدة هذه القراءة كان حواريون لا يشكون أن الله قادر على أن يرسل عليهم مائدة، وإنما قالوا يا عيسى هل يستطيع سؤال ربك إنزالها؟

اشبهت قراءة لستة الباقيين - ابن كثير ونافع وابن عامر وأبي عمرو وحزمة وعاصم - ﴿هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ؟﴾ مائب بالفعل، ورفع «ربك» على أنه فعل

والإشكال على هذه القراءة، فما معنى سؤال الحواريين؟ هل كانوا شاكين في قدرة الله؟ أم كانوا شاكين في كمال قدرته؟ أم أن الاستطاعة هي معنى آخر؟

ذهب بعضهم إلى أن الاستطاعة هنا ليست بمعنى القدرة، وإنما هي بمعنى الاستجابة، بمعنى قولهم ﴿هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُرِلَّ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ؟﴾ هل يستجيب لك ربك إن دعوته وسألكه وطلبت منه أن يرسل عليك مائدة؟

وهذا كقولنا هل يستطيع أن نهض معنا؟ وهو يعلم أنه يستطيع ذلك ونمدر عليه، لكن السؤال بمعنى هل يستجيب لنا ونهض معنا؟

وقدر هؤلاء بعد الاستطاعة لم معنى لاستجابه لتتو في الآية مع إيمان
بعدم ريب الله، فهم لا يكونوا شاكيين في استطاعته وقدرة على إبراء المائدة،
لكنهم أحسن يعرفون مدى استجابه له لسؤال عيسى عليه السلام

ودهب علماء الحروب إلى أن الاستطاعة هي على صاهرها، وأنها بمعنى
القدرة، ومعنى سؤالهم هل يندرك ثقت على إبراء المائدة؟

وهذا معناه أنهم كانوا شاكيين في كمال قدرة الله على إبراء المائدة، رغم
إيمانهم بالله!

وهذا هو قول آل حح، فقد كانوا مؤمنين بالله، ولكنهم يهابونه لم يكن
تماماً، رغم ما شاهدوا من الآيات المعجزة، بهم لا يكونوا شاكيين في قدرة الله
أساساً، لكنهم كانوا شاكيين في تمام وكمال قدرته!

كانهم قالوا: أمّا أن الله قادر على حياء سموات وبراء لأكمه ولأبرص،
فهل هو قادر على إنزال المائدة علينا من السماء؟!

تقدّر سؤالهم على صعب إيمانهم بقدرة الله المطلقة، ولذلك كره عيسى
عليه السلام سؤالهم، فقال لهم ﴿أَتَقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾

ومعنى كلامه: راقبوا الله، وحافظوه، واحذروا أن يترك بكم عقوبة على
كلامكم، فإن الله لا يعجزه شيء، فلا تشكروني في قدرة الله على إنزال المائدة،
واتقوه إن كنتم مؤمنين بالله حقاً!

ولما أن الحواريين كراهه على عيسى عليه السلام سؤالهم، ونهدهم لهم،
ذكروا به هدفهم من السؤال، فقال ﴿رُبُّدَأْنَأَكُنْ مَبَّ وَتَطْمِينْ قُوسَا وَتَعْمَمْ أَنْ
قَدْ صَدَقْتَنَا وَكُنْ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾

بعد ذلك دعا عيسى عليه السلام نه، وطلب منه إبراء المائدة على أشده
﴿قَالَ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَحْمَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا
وَعَايَةً مِنْكَ وَآرَافَةً وَأَمَّا خَيْرُ الْأَرْبَعِينَ﴾

وقد ردّ الله عنه بهديد الحواريين قال تعالى ﴿قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُرْسِلُهَا عَلَيْكُمْ
فَغَزَّ يَكْفُرُ مِنْكُمْ إِنِّي أََعِدُّكُمْ عَذَابًا لَا أَعِدُّهُ أَحَدًا مِنَ الْمُتَعَمِّينَ﴾

هل نزل الله المائدة على حواريين بعد هذا بهديد؟

ذهب بعضهم إلى أن الله لم ير لها عليهم، لأنهم لما سمعوا التهديد حادوا،
وقالوا لا حاجة لنا إلى المائدة، طالما هذه عاقبة من يكفر بها. فلم ير لها الله
وذهب جمهورهم بعمدة إلى أن الله أراها عليهم فعلاً، وأكفوا منها، وشكرو
الله عليها

ولرجع هو قول الجمهور، لأن هذا هو ظاهر الآيات، فالقولم طلبو
المائدة، وعيسى عليه السلام دعى الله صلياً إياها، والله سبحانه له، وقد
﴿إِنِّي مُرْسِلُهَا عَلَيْكُمْ﴾

المُرْسِلُ منه فعل، ويدل على وعيد قطع من الله بربها، والله لا يحلف
بغيره، فلا يجوز أن يسمع شخص أو يقرأ قول الله ﴿إِنِّي مُرْسِلُهَا عَلَيْكُمْ﴾، ثم
يقول: إن الله لم ينزلها عليهم!!

أما تفصيلات أصناف المائدة التي نزلها الله على الحواريين من هذا من
(مبهمة القرآن)، لم يذكر القرآن عنها شيئاً، ولا يجوز أن يفترض أو يدعي
أصنافاً لم يخبرنا الله عنها، كأن نقول: نزل الله عليهم لحماً أو خبزاً أو طيخاً
ويكفي لقول بأن الله أكرم الحواريين ونزل عليهم مائدة من السماء، فأكلوا
وشربوا وشكروا الله عليها

١٤ - هل بشر عيسى بمحمد أم بأحمد؟

أحضر القرآن عن بشارة عيسى عليه السلام بالنبي الحاتم من بعده قال
تعالى ﴿وَوَدَّعَسَى أَنْ تَمُرَّ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ بِرَسُولٍ فَإِنْ رَسُلٌ قَدْ يَكْفُرُ نَصِيحَةً لِمَنْ يَدَى مِنْ التَّوْبَةِ
وَمُنِيرًا رَسُولًا فَإِنْ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ أَمْرٌ فَلَا يَكْفُرُ قَالُوا هَذَا يَسْحَرُونَ ﴿٦﴾ وَمَنْ أَظْهَرُ مِنِّي
أَقْرَبَ عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ وَهُوَ يُدْعَى إِلَى الْإِسْلَامِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [نصف ٦-٧]

وأحضر رسول الله ﷺ عن هذه البشارة روى أحمد في المسند (٤- ١٢٧ -
[١٢٨]، عن العرياض بن سارية رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول
«بني عبد الله في أم الكتاب لحاتم السمن، وإن آدم لمحمد في طيته، وأسكنكم
ثأول دنك دعوة أبي إبراهيم، وبشارة عيسى قومه، ورؤيت أمي التي رأيت أله
خرج منها نور أضاءت له قصور الشام...»

والذي يُنبئ الطر في التعبير القرآني عن بشارة عيسى بمحمد عليهما

السلام أنه جاء فيه اسم (أحمد)!!

فهل نشر عيسى بالذي الحاتم أحمد؟ أم نشر بمحمد؟ وما الفرق بين أحمد ومحمد؟

وقد نشر بعضهم على هذا إشكالاً، فيقول: سيُّ لمسلمين اسمه محمد ﷺ ولا عاق، والفرق بصر على أن عيسى نشر بأحمد، إذن هو سم بشر بالرسول الخاتم! لأن عيسى هو خاتم الرسل والأنبياء!

لقد نشر عيسى عليه السلام بأحمد، وأحمد هو محمد، ولا فرق بين الاسمين اللذين سمي بهما رسول الله الخاتم ﷺ

أحمد ومحمد اسمان مشتقان من (الحمد). تقول حمد، يحمده، حمداً، فهو حامد وأحمد ومحمود ومحمد.

(أحمد) أفعل تفصيل أي أنه أكثر حمداً منه من غيره (ومحمد) على وزن (مفعّل).

ولعل احتيار عيسى عليه السلام لأفعل لتفصيل (أحمد) بالإشارة إلى فصل السيِّ الخاتم ﷺ على كل من سبقه من الرسل والأنبياء، فهو يقول: سيِّ الذي يأتي من بعدي هو (أحمد) لله مني ومن كل سيِّ قلبي، فهو أفصل جميعاً!

قال الإمام الرابع: يقال: فلان محمود: إذا حمده. وهو محمد. إذا كثرت حصاله المحمود.

وقوله تعالى ﴿وَمُبَشِّرٌ بِرُسُولٍ يُاتِي مِنْ بَعْدِي أَسْمُهُ أَحْمَدُ﴾ وأحمد إشارة إلى السيِّ ﷺ باسمه وفعله، نسيهاً أنه كما وُحِدَ اسمه أحمد، يوحد وهو محمود في أخلاقه وأفعاله.

وحصن لفظة (أحمد) فيما نشر به عيسى عليه السلام، نسيهاً أنه أحمد منه ومن الذين من قبله، أي: أكثر حمداً منهم لله.

وقوله تعالى ﴿يُحَمَّدُ رَسُولَ اللَّهِ﴾ [الفتح ٢٩] فمحمد هنا - وإن كان من وجوه أسماء له عموماً - فمعه إشارة إلى وصفه بذلك، وتحصيله معه^(١)

(١) المعجمات، ص ٢٥٦.

يدن لما سُئِرَ عيسى بأحمد، في قوله ﴿وَيُنشِرُ رَسُولُ يَافِيسَ بِعَدَى تَمَهُ أَحْمَدُ﴾،
 بما هو مُنْشَرُ بِمُحَمَّدٍ النَّبِيِّ لِحَاتَمٍ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وَلَا هَرْقَ بَيْنَ لَاسْمَيْنِ
 لِكَرْبَمَيْنِ أَحْمَدَ وَمُحَمَّدَ، لِأَنَّهُمَا اسْمَانِ لِمَقْصِيٍّ وَاحِدٍ، وَمُشْتَقَانِ مِنْ مَادَّةٍ
 وَاحِدَةٍ!

وَأَخْبَرَنَا رَسُولُنَا ﷺ عَنْ بَعْضِ أَسْمَاءِهِ:

رَوَى الْحَارِثِيُّ [رَقْم ٣٥٣٢٠]؛ وَمُسْلِمٌ [رَقْم ٢٣٥٤] عَنْ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ
 رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لِي حَمْسَةُ أَسْمَاءٍ: أُمَا مُحَمَّدٌ، وَأُمَا أَحْمَدُ،
 وَأَبُ الْمَاحِي الَّذِي يَمْحُو اللَّهُ بِي الْكُفْرَ، وَأُمَا الْحَاشِرُ الَّذِي يُخْشَرُ النَّاسُ عَلَى
 قَدَمِي، وَأَنَّ الْعَاقِبَ الَّذِي لَيْسَ بَعْدَهُ نَبِيٌّ...».

وَرَوَى مُسْلِمٌ [رَقْم ٢٣٥٥] عَنْ أَبِي مُوسَى لِأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ:
 كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُسَمِّي بِنَفْسِهِ أَسْمَاءً، قَالَ: «أُمَا مُحَمَّدٌ، وَأَحْمَدُ، وَالْمَقْفِيُّ،
 وَالْحَاشِرُ، وَنَبِيُّ التَّوْبَةِ، وَسَيِّدُ الرَّحْمَةِ...».

هُوَ لِمَاحِيٍّ، مَحَالَّةٌ لَهُ الْكُفْرُ، وَهُوَ الْحَاشِرُ، يُخْشَرُ النَّاسُ عَلَى قَدَمَيْهِ يَوْمَ
 الْقِيَامَةِ، يُشْفَعُهُ اللَّهُ فِيهِمْ، وَيَدْخُلُ الْمُؤْمِنُونَ الْحَنَةَ بَعْدَهُ. وَهُوَ الْعَاقِبُ، جَاءَتْ عَقَّتِ
 الْأَسْبَابُ جَمِيعًا، فَكَانَ آخِرُهُمْ وَخَاتَمُهُمْ وَهُوَ الْمَقْفِيُّ، قَفِيَ اللَّهُ لَهُ الْأَسْبَابُ،
 وَخَتَمَهُمْ بِهِ. وَهُوَ سَيِّدُ الرَّحْمَةِ وَالتَّوْبَةِ، حَمَلَهُ اللَّهُ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ، وَخُتُّ عَلَى
 التَّوْبَةِ وَالِاسْتِعْفَارِ.

هَذِهِ الْأَسْمَاءُ الْكَرِيمَةُ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، تَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ هُوَ أَحْمَدُ وَهُوَ مُحَمَّدٌ
 ﷺ، وَعِيسَى بَشَرِيَّةٌ، وَدَعَا سِي إِسْرَائِيلَ إِلَى الْإِيمَانِ بِهِ.

١٥ - كَيْفَ تَوَفَّى اللَّهُ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ؟

أَخْبَرَنَا اللَّهُ أَنَّهُ تَوَفَّى عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، عِنْدَمَا أَرَادَ الْيَهُودُ قَتْلَهُ. قَالَ تَعَالَى
 ﴿وَمَكْرُوهًا وَمَكْرَ اللَّهُ وَأَلَّهُ حَيْرُ النَّاسِ﴾ (١) إِذْ قَالَ اللَّهُ لِعِيسَى: «إِنِّي مُتَوَفِّيكَ
 وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُظَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَبِإِعْلَالِ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ قَوْفَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ
 الْقِيَامَةِ» [آل عمران: ٥٤-٥٥].

تَحَرَّرَ لِأَنَّهُ الْأَوَّلَى أَنَّ الْيَهُودَ مَكْرُوا صَدَّ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ وَتَمَرُّو عِنْدِهِ
 وَأَرَادُوا قَتْلَهُ، وَلَكِنَّ اللَّهَ مَكْرَ صَدَّهُمْ، وَذَلِكَ بِإِبْطَالِ مَكْرِهِمْ وَكَيْدِهِمْ وَتَمَرُّهِمْ،

وحسب عيسى عليه سلام مهم، والله خير لماكرين، ينصرونه وأوليائه، ويهدت أعداءه.

استندت الآية المكر إلى اليهود، كما أسندته إلى الله!

وفد يُشكّر فهم هذا على بعضهم، فإذا كان بسبب المكر إلى اليهود مفهوم، فكيف يُعهم إسناد المكر إلى الله؟

هذا يُبنى في سلاعة (مشاكنة) ومشاكنة هي «ذكر الشيء بلفظ غيره»، بوموعه في صحته، أو هي الاتفاق في اللفظ، والاختلاف في المعنى

مكر اليهود مكر حقيقي مدموم، لأنهم أرادوا قتل عيسى عليه السلام، ومكر الله (مشاكلة) بمكرهم، لكنه محمود، لأنه أطلع مكرهم وكيدهم

أنقذ الله عيسى عليه السلام منهم، وامتن عليه بذلك، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَنْكَ إِذْ جِئْتَهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِهِمْ إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾ (المائدة: ١١٠).

أنجى الله عيسى عليه سلام بأن توفه، ورفعته إليه، ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَٰعِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ تَوَفَّيْكَ وَارْفَعْكُ إِيَّاهُ وَمُطَهِّرْكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾.

وهذه الجملة من (مشكلات) قرآن، التي لم يُحسم كثير من فهمها، فما معنى قوله ﴿إِيَّاهُ تَوَفَّيْكَ﴾؟ وهل توفى الله عيسى وأمانته على الأرض؟ أم رفعه بروحه وحسيه إلى السماء؟ وإذا كان أمانته على الأرض فكيف سيرت في آخر الرمان؟ وإذا رفعه إلى السماء حيث فكيف قد ربه ﴿إِيَّاهُ تَوَفَّيْكَ وَارْفَعْكُ إِيَّاهُ﴾؟

بمفسرين أقول عديده محتججة في فهم هذه الجملة من الآية، لا يعيبا ستعراضها، ويرادها ها، إنما يذكر قول راحح وبوجهه، وتحل الإشكال بعون الله!

كيف توفى الله عيسى عليه سلام ورفعته إليه؟

﴿تَوَفَّيْكَ﴾ اسم فاعل فعله بماضي حُصصي (توفى) تقول توفاه، فهو متوفيه، أي أن الله توفى عيسى عليه السلام ورفعته إليه.

التوفي في القرآن له معنيان:

الأول: لموت. فالله يتوفى الناس، أي يُميتهم، وورد هذا في آيتين، قوله

نعالى ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي شَكٍّ مِنْ رَبِّي فَلَا آعْدَدُ لَكُمْ تَقْوَىٰ مِنْ رَبِّي أَن يَخَذَ اللَّهُ مِنْكُمْ مَتَدًا ﴾ [يونس ١٠٤]، أي أعد الله بي يعبكم ويقص أرواحكم

وقوله تعالى ﴿ وَاللَّهُ حَكِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ [الحل ٧٠]، أي الله أحباكم، ثم ينوفاكم ويعتكم عند انتهاء أعماركم.

الثاني اليوم والله توفى الناس عندما ينامون وورده في آيتين قوله تعالى ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا فَرَحْتُمْ بِهَا لَيْلًا ﴾ [الأنعام ٦٠]

أي الله يجعلكم نامون في الليل، وتوفى أرواحكم أثناء نومكم، ثم يعيد أرواحكم إلى أجسادكم في النهار

وقوله تعالى ﴿ اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَهْلِ مُسَكِّي ﴾ [الزمر ٤٢]

نصت الآية على أن اليوم موت بمعنى قوله ﴿ اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا ﴾ يقص الله لأفئس حين نومها، ويخرج لأرواح من الأحساد عند نومها وقسمت النام بعد النوم إلى قسمين

القسم الأول الذين أنهى الله أعمارهم عند النوم، فمستك أرواحهم، ولا يعيد بي أحسادهم، ويصحبون جثا هامة ﴿ فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ ﴾

قسم الثاني الذين بقيت من أعمارهم بقية، فهو لا يتوفى الله أرواحهم عند النوم، ولكنه يعيد أرواحهم بي أحسادهم عند الاستيقاظ ﴿ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَهْلِ مُسَكِّي ﴾

ولا يتبدل السابقين صريحتهم في أن اليوم موت، وأن الاستيقاظ حياة وبحث وأكد هذه الحقيقة رسول الله ﷺ في أدعية اليوم والاستيقاظ

روى البخاري [رقم ٦٣٢٠] ومسلم [رقم ٢٧١٤]، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ «إِذَا أَوَىٰ أَحَدُكُمْ إِلَىٰ مَوْضِعِهِ، فَيَتَفَضَّلُ

فرشته به جنة برزخ، فيه لا يموت من حنقه عليه، ثم يقول: «اسمعت ربي وصغيت حسي، وبك أرفع»، إن أمكنت نفسي ورحمتها، وإن أرسنتها وحفظها بما حفظت به عبادك الصالحين».

أي: إن قصت روحي وأمسكتها، ولم ترجعها إلى جسمي، فاغفر لها وارحمها. وإن أرسلت روحي، وأعدتها إلى جسمي في الصباح فاحفظني بحفظك.

أمدعاء لاستيقاظ من نوم فمدرواه البحري [رقم ٦٣١٢]، عن حديعة ابن ليث عن رضي الله عنه، ومسلم [رقم ٢٧١١] عن لراء بن عارب رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان إذا أوى إلى فراشه قال: «سمعت أحياء وبسمك أموت» وإذا استيقظ قال: «حمدك لله يدي أحياء بعدد أم تبارك به لشور».

فدعاء النوم ودعاء الاستيقاظ صريحان في أن النوم موت، والاستيقاظ بعث، وفي أن الله يتوفى روح النائم ويخرجها من جسمه، وعندما يستيقظ يُعيد روحه إليه.

بعد هذا اتوصيح بمك أن نهم قوله تعالى ﴿يُعِيسَى إِي مُتَوَفِّيكَ﴾
توفي هنا بمعنى أثنى، وهو توفي النوم، وليس بمعنى الأول، وهو توفي الموت.

لا يمكن أن يكون الله توفي عيسى عليه السلام توفي موت، لأنه سينزل في آخر الزمان، ثم يميت بعد ذلك موتاً طيباً، ولا يجمع الله عليه موتان، والله توفاه عندما أراد يهود صلبه وقتله، بأن جعله ينام، عندما كان بين تلاميذه وحوارييه، ثم رفعه إلى السماء وهو نائم.

إذن معنى قوله تعالى ﴿يُعِيسَى إِي مُتَوَفِّيكَ وَرَدُّكَ إِلَيَّ وَمُطَهَّرُكَ مِنَ الْوَيْلِ صَكَّرُوا﴾ عندما يأتي يهود بقتلوك، سأتوفك، بأن ألقى عليك سوم، وسأرفعك إلي وأستأنم، وبذلك سأظهر من اليهود مدين كهروا، ولن تمتد أيديهم إليك، ولن يؤذوك!

وليس عيسى عليه السلام هو اسمي الوحيد الذي رفعه الله إلى السماء وهو نائم، بل حصل هذا مع رسول محمد ﷺ، ودث في حديثه لإسراء والمعراج.

روى الحديث [رقم ٣٢٠٧] ومسلم [رقم ١٦٤] عن مالك بن صعصعة
 رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «يُصَا أَنَا عِدَّ الْبَيْتِ، بَيْنَ الدَّائِمِ وَالْمَقْطُوعِ، إِذَا
 سَمِعْتُ قَائِلًا يَقُولُ: أَحَدُ الثَّلَاثَةِ بَيْنَ الرَّحْلَيْنِ. فَأَسْتُ، فَسَطْلِقُ بِي»^{١٠}
 أحمر رسول الله ﷺ أنه يَصَا كان عِدَّ بَيْتِ اللَّهِ الْحَرَامِ، بَيْنَ الدَّائِمِ وَالْمَقْطُوعِ،
 قَدْ أَحْدَنَهُ سَيْفٌ مِنَ لُومٍ، أَمَّا مَكَا، وَبَدَأَتْ رَحْلُهُ الْإِسْرَاءَ وَصَعْرَاحَ
 دُفْعِ عَيْسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى السَّمَاءِ وَهُوَ دَائِمٌ، وَهَذَا تَوْفِي اللَّهِ لَهُ، وَأَسْرَى
 رَسُولِ اللَّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ ثُمَّ عُرِّجَ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ وَهُوَ دَائِمٌ^{١١}

١٦ - أحداث ليلة صلب شبه عيسى:

أحمرنا الله عن الأحداث الأخيرة، التي مر بها عيسى عليه السلام في حياته
 على الأرض، قبل أن يرفقه إلى السماء.

قال تعالى ﴿يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تَرْجِلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا
 مُوسَى أَكْبَرَهُمْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرَأَيْتُمْ أَجَهَرَةَ فَأَخَذَتْهُمْ الصَّاعِقَةُ يُظْلِمُهُمْ ثُمَّ أَخَذُوا آلِيهَاجِلَ
 مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ فَجَاءَتْهُمْ الْمَلَائِكَةُ فَمَعُونَا عَنْ ذَلِكَ وَهَاتَيْنَا مُوسَى سُلْطَانًا مُبِينًا ﴿١٠﴾ وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ
 الطُّورَ بِبَيْتِهِمْ وَفَلْنَا لَهُمْ أَذْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَقْدُوا فِي السَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ يَشْفَا
 عَظِيمًا ﴿١١﴾ فِيمَا نَقُصُّهُمْ قَبِيلَهُمْ وَكُفِّرِهِمْ بَنَيْنَا اللَّهُ وَقَتْلَهُمُ الْآيَاتِ بِمِثْرٍ خِثٍ وَقَوْلُهُمْ قُلُوبُنَا
 غُلْفٌ كُلِّ طَبْعٍ اللَّهُ عَلَيْهِمْ يَكْفُرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٢﴾ وَيَكْفُرُهُمْ وَقَوْلُهُمْ عَلَى مَرْيَمَ هُنَا
 عَذِيبٌ لَاحِقٌ وَقَوْلُهُمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ
 شُبِّهَ هُمْ قَوْلَ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَمْ يَكُنْ مِنْهُمْ مَن يَدْعُ مِنْ غَيْرِ وَلَا يَسْمَعُ الْخُصْمُ وَمَا قَتَلُوهُ
 يَقِينًا ﴿١٣﴾ كُلُّ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ غَرِيبًا حَكِيمًا ﴿١٤﴾ وَلَئِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ
 مَوْتِهِمْ وَلَوْ أَنْ يَقُولُوا يُكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴿١٥﴾ [النساء: ١٥٣ - ١٥٩]

تُسَجَّلُ هَذِهِ الْآيَاتُ مَجْمُوعَةً مِنْ حُرَاثَةِ الْيَهُودِ الَّتِي سَتَحَقُّوا بِهَا عَصَتِ اللَّهِ
 وَلَعْنَتُهُ وَعِقَابُهُ، وَبِهِمَا فِي هَذَا الْمَوْضِعِ الْحَدِيثُ عَنْ مُحَاوَلَتِهِمْ قَتْلَ عَيْسَى عَلَيْهِ
 السَّلَامُ.

من أسباب لعنة الله عليهم وعصه عليهم قولهم ﴿إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ
 رَسُولَ اللَّهِ﴾.

وقد كَذَّبَهُمُ اللَّهُ فِي هَذَا الزَّعْمِ، وَأَحْرَقَ أَنَّهُمْ لَمْ يَقْتُلُوهُ وَلَمْ يَصْلُبُوهُ، وَإِنَّمَا

قَدُوا شَهِيْدًا، أَمْ هُوَ قَدْ رَفَعَهُ اللهُ إِلَيْهِ ﴿ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَّوْهُ وَلَئِكَ شَيْءٌ مِّنْ عِندِ الَّذِينَ
أَحْبَلُوا بِهِ لِيُشَاقِقَ رَبَّهُ مَعَ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ ﴾ .

نَبَتْ لَّيْلَةً قَتَلَهُمْ لَهُ ﴿ وَمَا قَتَلُوهُ ﴾ ، كَمَا نَبَتْ صَلَّاهُمْ لَهُ : ﴿ وَمَا صَلَّوْهُ ﴾ .

وَأَدَّ كَسَا لَمْ يَقْبُوهُ وَلَمْ يَصَلُّوهُ ، فَنَمَادَا قَالُوا ﴿ يَا قُلُوبَنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ
مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ ﴾ ؟

لِحَوَاتٍ فِي لُجْجَةِ الْإِسْتِزْكَاءِ ﴿ وَلَئِكَ شَيْءٌ مِّنْهُمْ ﴾ ١

﴿ شَيْءٌ ﴾ : فَعَلٌ مَّا ضَرَفَ مَنِيٌّ لِلْمَجْهُولِ وَمَا نَبَتْ الْعَدْلَ مَسْتَرٌّ تَقْدِيرُهُ (هُوَ) ،
يَعُودُ عَلَى اشْحَاصِ بَدِي قَبُوءٍ وَالْمَعْنَى شَيْءٌ اشْحَصُ بِهِمْ عِيسَى ، فَقَالُوا هَذَا
الشَّيْءُ وَصَلُّوهُ ، ظَانِّينَ أَنَّهُ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ !

عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ هُوَ مَشْتَبَهُهُ ، وَلَا يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ هُوَ نَبَتْ مَعْدِلٍ مَّعْلُومٍ
﴿ شَيْءٌ ﴾ ، وَإِنَّمَا نَبَتْ الْمَاعِلُ هُوَ الشَّحْصُ مَشْتَبَهُ ، وَهُوَ الَّذِي قَتَلُوهُ وَصَلُّوهُ ،
وَبَدِي شَيْءٌ هَذَا ، لَشَحْصٍ لَهُمْ هُوَ اللَّهُ رَحْمَةُ الْعَالَمِينَ ، حَيْثُ أُلْقِيَ عَلَيْهِ شَيْءٌ عِيسَى
عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فَكَانَ كَأَنَّهُ عِيسَى ، أَوْ قُلُوبٌ صَارَ عِيسَى فِي هَيَاتِهِ وَشَكَنَ وَمُظْهِرُهُ
الْحَارِجِي ، مَعَ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ عِيسَى حَقِيقَةً فَأَحْدُوهُ وَقَتَلُوهُ وَصَلُّوهُ وَكُلُّ ظَنِّهِمْ أَنَّهُ
عِيسَى ، مَعَ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ عِيسَى فِي الْحَقِيقَةِ ١

مَادَا حَرَى فِي تَبَتِ بَيْتَةِ الْحَضِيرَةِ ، نَبِيٍّ حَرَى الْيَهُودُ وَرُومَانُ فِيهَا لَقَتِ عِيسَى
عَلَيْهِ السَّلَامُ ١ وَكَيْفَ شَيْءٌ دَبَّتِ الشَّيْءُ الْقَتْلُ لَهُمْ ؟

حَيْثُ مَنْ شَحْصٌ تَبَتِ الْأَحْدَاثِ الْحَضِيرَةِ هُوَ الْإِمَامُ مِنْ كَثِيرٍ فِي تَقْسِيمِهِ

قَالَ « وَكَانَ مِنْ حَرَى الْيَهُودِ - عَلَيْهِمْ لَعْنُ اللهِ وَسُحْطُهُ وَعَصَاهُ وَعِقَابُهُ - أَنَّهُ
لَمَّا مَعَتْ اللهُ عِيسَى مِنْ مَرْيَمَ بَلِيَّاتٍ وَالْهَدَى ، حَسَدُوهُ

وَسَعَوْا فِي آذَانِهِ كُلِّ مَا أَمَكَّهُمْ ! حَتَّى جَعَلَ سَيِّئُ اللهِ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ
لَا يَسْكُنُهُمْ فِي بَلَدِهِ ، بَلْ يُكْثِرُ السَّاحَةِ هُوَ وَأَهْلُهُ

ثُمَّ لَمْ يَصْغُهُمْ دَبَّتِ حَتَّى سَعَوْا إِلَى مَلِكٍ دَعَسَتْ فِي دَبَّتِ الرُّومِ - وَكَانَ
رَجُلًا مُشْرِكًا مِنْ عِدَّةِ الْكُوكَاكِبِ ، وَكَانَ يُقَالُ لِأَهْلِ مَلِكَةِ الرُّومِ - وَأَنَّهُوَ إِلَهُ أَنْ فِي
بَيْتٍ بِمَقْدَسٍ رَحَلَتْ تَقَرُّ النَّاسِ وَيُصَلُّونَهُمْ ، وَيُحْسَدُ عَلَى الْمَلِكِ رَعِيَدُهُ

فَعَصَبَ الْمَلِكُ مِنْ هَذَا ، وَكَتَبَ إِلَى بَائِسِهِ بِالْعَدَسِ أَنْ نَحْتَاطَ عَنِ هَذَا

مذكور، وأن يصلته، ويصغ الشوك على رأسه، ويكف أدع عن الناس!

فلما وصل الكتاب استلّ والي بيت المقدس ذلك . .

ودهب هو وطائفة من اليهود إلى البيت الذي فيه عيسى عليه السلام، وهو في جماعة من أصحابه، اثني عشر أو ثلاثة عشر، وفيل سبعة عشر بدرًا وكان ذلك يوم الجمعة بعد العصر، ليلة السبت، فحضره هناك

فلما أحس بهم، وأنه لا محالة من دحوهم عليه، أو حروجه إليهم، فإن لأصحابه أبكم تلقى عليه شهي، وهو رقيق في الحجة^{١٩}

فانتدب لذلك شاب منهم. فكانه استصغره! بأعدها ثانية وثالثة، وكلّ ذلك لا يستدب إلا ذلك الشاب!

فقال له: أنت هو!

والقى الله عليه شبه عيسى، حتى كأنه هو!!

ففتح (روية) من سقف البيت، وأحدث عيسى عليه السلام، شبه من . . . دفع إلى السماء وهو كذلك، كما قال تعالى ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَٰعِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ذَاوُكُ إِلَيَّ﴾

فلما رفع عيسى من سقف البيت، حرج أولئك النفر من البيت

فلما رأى اليهود والحدود ذلك، لاث طوا أنه عيسى، فأحدوه في السبل وضربوه، ووضعوا الشوك على رأسه . .

وتحير ليهود أنهم سموا في صلبه، ونسخوا بذلك

وسمى بهم هوائف من الصاري ذلك، لحقدتهم وقفة عقوبتهم، ما عدا من كـ في بيت مع المسيح، فيهم شاهدوا رفعه . . . وأما ما قول فيهم طوا كما من يهود أن لمصوب هو المسيح من مريم

وهذا كنه امتحان الله لعبده، لئلا في ذلك من الحكمة، بلعة

وقد أوضح الله الأمر وحلاء وبك وأظهره في القرآن العظيم، الذي أمره عيسى رسول الكريم ﷺ، حيث بين أنهم ما قتلوا عيسى عليه السلام وما صلبوه، ولكن شبه لهم، حيث ألقى الله شبهه على ذلك الشاب، فداهم كأنه عيسى فقتلوا

الشباب وصلوه، طائير أنه عيسى عليه السلام!

وأحرز الله أن الذين احتلفوا في عيسى عليه السلام عن اليهود الذين ادَّعوا قتلَه، وانصارى الجهدل الذين سلّموا لهم بذلك، كلُّهم في شكٍّ وحيرة وصلالٍ من ذلك..

فإن بن عباس رضي الله عنهما «لما أراد الله أن يرفع عيسى إلى السماء، حرح على أصحابه، وفي البيت اث عشر رجلاً من الجواريين، حرح عليهم من عيب في الب، ورأسه يقطر ماءً فقال: إن منكم من يكفر بي اثني عشرة مرة بعد أن آمن بي

ثم قال: أيكم يلقي عليه شئ، فبُتِّل مكاسي، ويكون معي في درختي؟ فقام شاب من أحدثهم سناً. فقال له: احبس! ثم أعدد عليهم، فقدم ذلك الشاب، فقال له: اجلس!! ثم أعاد عليهم، فقدم ذلك شاب فذب أنا فقل عيسى عليه السلام: هو أنت!

فأنقذ عليه شئ عيسى ورفع عيسى من روضة في بيت بن حمراء^(١) وجاءه الطلب من اليهود، فأخذوا الشبه فقتلوه، ثم صلبوه وهذا إسناد صحيح إلى ابن عباس.

اليهود لم يقتلوا عيسى عليه السلام ولم يصلبوه، رغم حرصهم على ذلك، لأن الله عصنه وحمده بهم، ورفع به، والذي قتلوه وصلبوه هو ذلك الشخص الذي شئ لهم، الذي تصوِّع ليعدي عيسى عليه السلام نفسه، فألقى الله بقدرته شئ عيسى عليه، فصارت يدو على أنه عيسى!!

فثبت مسألة في هذا الموضع، وهي معنى قوله ﴿وَالَّذِينَ اٰخْتَلَفُوا فِيهِ لِيَشْكُرَ رَبَّهُمْ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ اِلَّا اَنْشَاعَ الْفُسْخِ وَمَا قَدَرُوْهُ يَقِيْنًا﴾ [سورة اعراف: ١٥٧]

لهاء في «فيه» صمير يعود على القتل والصلب والهاء في «مه» صمير يعود على القتل والصلب أيضاً

والمعنى إن الذين احتلفوا في قتل عيسى وصلبه في شك من قتل عيسى

(١) تفسير ابن كثير ٥٤٣-٥٤٤

وصيه^١ والسبب في هذا الاختلاف والشك هو أنه يوجد شخص مقبول مصلوب،
يشبه عيسى تماماً، لكن من هو؟ أهو عيسى الحقيقي أم عيسى الشبهة؟

والدس احتفوا في القتل والمصلب هم اليهود وانتصاري، حتفوا في تحديد
هوية الشخص المقتول. ومألهم بذلك من عدم، وربما يتبعون فيه انصر والحدس
والتخمين.

وبعد ما نصت الآية عن اليهود العدم بهوية المقتول، نفت عنهم بقتل نفسي
عيسى عليه السلام، فثبت ﴿وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا﴾

ليهود قتلوا وصلبو شخصاً، يشبه عيسى في الطاهر، ولكن ما قتلوا، عيسى
بملاً، لأن الله عصمه منهم ورفعته إليه

١٧- توجيه نزول عيسى في آخر الزمان:

حمى الله عيسى عليه السلام من اليهود، ورفعته إليه حيث رهبواهم، وهو الآن
حي في السماء، بلحمه ودمه وروحه، رغم مرور حوالي ألفي سنة على رفعه
وهو ليس أمراً عادياً، إنما هو آية عذرة ومعجزة داهرة، أرادها الله تعالى بحكمته
وقد انتفى به رسول الله ﷺ في رحلة المعراج، حيث كاد في سماء الثانية،
مع ابن خالته يحيى، عليهما الصلاة والسلام

وسيرت^٢ الله عيسى عليه السلام في آخر الزمان، ليحكمه بالإسلام ويحده
أعداءه، ثم يموت بعد ذلك موتاً طبيعياً، ثم يُصلي عليه المسلمون ويدفون
وورد بكلام عن نزوله في آيات القرآن، وفي حديث رسول الله ﷺ

من إشارات القرآن عن نزوله قوله تعالى ﴿وَيُحْكِمُ الْإِسْلَامَ فِي الْأَنْدَلُسِ وَحَتَّى إِذَا
وَمِنَ الْأَنْدَلُسِ﴾ [آل عمران: ٤٦]

وقوله تعالى ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يٰعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ادْخُرِيْكَ بِعَمِيَّ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ لَدُنْكَ إِذْ
أَيْدَتْكَ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْكَ الْإِنْسَانِ فِي الْأَنْدَلُسِ وَحَتَّى إِذَا﴾ [المائدة: ١١٠].

نصت الآية على كلام حاصر لعيسى عليه السلام في مرحلتين من حياته
مرحبه الظموله في المهد، ومرحبه الكهولة وكلامه في المرحلتين معجزة من
بانت الله

وقد كُتِبَ الدِّين وهو في الحيد . بعد ساعات من ولادته ، عندما كان على
 حضن أمه ، فقدَّم نفسه إلى الدِّين ، كما ذكرت ذلك في سورة مريم
 ومن ذلك أيضاً قوله تعالى ﴿ وَإِنَّهُ لَفِيكُمْ يَقْسَاغِهِ فَلَا تَحْزَنْ جَنَّا ۖ ﴾
 [الزخرف: ٦١]

والمعنى إنَّ عيسى عليه السلام عظمُ الساعة أي إنَّ بروله في آخر الزمان
 سيكون علامة من علامات الساعة الكبرى . دالَّة على قرب قيامها
 ومن ذلك أيضاً قوله تعالى ﴿ وَإِنَّ بَيْنَ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنُوا بِهِ قُلْ مَوَدَّةٌ
 وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً ۖ ﴾ [الباء ١٥٩]

﴿بَيْنَ﴾ حرف نفي ، دلَّ على معنى الحصر ، بمعنى «إلا» بعده ،
 واجتماع «بَيْنَ» و«إلا» يدلُّ على الحصر ، والمعنى المحصور من أهل
 الكتاب من أحدٍ إلا ليؤمنوا به عيسى عليه السلام قبل موته

ولهذا في «به» وفي «موته» تعود على عيسى عليه السلام
 أي كلُّ واحدٍ من أهل الكتاب سيؤمن بعيسى عليه السلام أنه عبدُ الله
 ورسوله ، ويكون هذا عند بروله في آخر الزمان ، حيث يقتل الحزير ويكسر
 الصليب ، ولا يقبل من الناس إلا الإسلام

هذه ثلاث آيات تحرُّ عن برولي عيسى عليه السلام في آخر زمان ، وهي
 كافية لإثبات هذه الحقيقة ، وإيماننا بها .

وقد وردت عدة أحاديث صحيحة عن رسول الله ﷺ ، تُصريح بروله ،
 تُصاف إلى هذه الآيات . وقد جمع هذه الأحاديث وشرحها الإمام محمد أنور شاه
 لكشميري ، في كتاب (التصريح بما تواتر في روى المسيح) وقد اعتمدنا كتاب
 وعلم عليه الشيخ عبد الفتاح أبو علة رحمه الله

روى البخاري [برقم ٢٢٢٢] ومسلم [برقم ١٥٥] عن أبي هريرة رضي
 الله عنه ، عن رسول الله ﷺ قال : «والذي نفسي بيده ، يوشكن أن تنزل بيكم من
 مريم حكماً عدلاً ، فبكر الصليب ، ويقتل الحزير ، ويضع الحزير ، ويضع الصليب
 حتى لا يقبل أحد ، حتى تكون السجدة الواحدة حيراً من الناس وما فيها »

ثم قال أم هريرة رضي الله عنه «فروا بشتهم يومه نعاي ﴿ وَإِنَّ بَيْنَ أَهْلِ ﴾

أَتَكْتَلِبُ وَلَا يُؤْمِنُ بِهِ قَلَّ مَوْتِي وَتَوَمَّ الْيَمِينُ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَيْدًا» [إسراء ١٥٩]

وروى مسلمة [برقم ١٥٦] عن حارس عبد الله رضي الله عنهما قال
سمعت رسول الله ﷺ يقول «لا تزال هاتئة من أمتي يمدون على الحسن،
صهريين إلى يوم القيامة، فيرث عيسى ابن مريم عليه السلام

فيقول أميرهم: تعال صل لنا!

فيقول لا إله إلا الله معصية على بعض أمراء، بكرة الله هذه لأمة

وأخرى رسول الله ﷺ أنه سبى أربعين سنة بعد برونه روى أبو دود
[برقم ٤٣٢٤] عن أبي هريرة رضي الله عنه قال «يس بي وببي عيسى سي»
وبه ش، قد رأيتوه وعرفوه رجل مربع، إلى الحمرة وباص، يرب بين
محصرين، كأن رأسه مظهر، وإن لم يصبه نزل، فيدخل الناس على الإسلام،
فيقتل مصيب، ويقتل حبرير، ويصنع بحرة، ويهلك في زمانه بمن كذب إلا
الإسلام، ويهلك لمسيح الدخان فمكث في الأرض أربعين سنة، ثم يتوفى،
فيصلي عليه المسلمون».

وهناك أحاديث صحيحة أخرى كثيرة، تتحدث عن برونه، وتذكر بعض
أعمه

وقد شكك برون عيسى عليه السلام في حر الرماد على بعضهم، وقد يُثير
آخرون شبهات وتساؤلات عليه

من ذلك سبب أن يُرفع عيسى عليه السلام بجسده إلى السماء، ويقبضه
بجسده حياً إلى قرب قيام الساعة؟

وهذا الأمر لا يدعو إلى الاستعانة والإنكار، لأنه من فعل الله سبحانه، والله
فعل ما يريد، ولا نعتزله شيء في السماوات والأرض، فما أنه سبحانه أراد
رفعه إلى السماء بجسده وروحه، فسوف يفعل ذلك، لأنه لا يمنع أحد إرادته،
وبما أنه أراد إبقائه حياً في السماء بجسده وروحه إلى قرب قيام الساعة، فسوف
يفعل ذلك، لأنه لا يمنع إرادته أحد!

وبما كل ما تحدثوا عيسى عليه السلام حورق ومعجرات ويات، وهذا ما
أراد به، ومعظم ما جرى له لا يُدعى بمألوف البشر وعاداتهم وطوائفهم

ثم ابهما أعجبت ولاده عيسى عليه السلام من غير أب، أم رفعة بحسبه
وروحه إلى السماء، وبقاؤه حياً فيها؟ لا شك أن لأول أعجب! فمما صدق
الأول واستبعدنا الثاني؟

وقد يعترض بعضهم هذا لأمر متعصب مع قومه تعالى ﴿وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا
دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنتَ الْرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [المائدة ١١٧]
لأن عيسى عليه السلام يصرح بأن الله قد توفده ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنتَ
الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ﴾، وتوفي هو توفي موتاً ومعنى ما أمشي كس أنت لرقبت
عليهم.

قد هؤلاء بما أريد ليهود صلت عيسى عليه السلام، عصته لله وحماه
مهم، وأخرجه من المكاب إلى مكاب حرمان، ثم توفده الله وقبض روحه وأمانته،
ورفع روحه إلى السماء، ودُفِنَتْ جثته في الأرض!!

وهذا قول مردود، فليس التوفي في قومه ﴿تَوَفَّيْتَنِي﴾ بمعنى سموت، وبما
هو معنى سوم، وقد وضح هذا بتفصيل في بيان معنى قومه تعالى ﴿إِذْ قَالَ
لِلَّهِ يَكْسِبُ إِلَى تَوَفِّيكَ وَرَيْفِكَ﴾ [آل عمران ٥٥]

أنقى لله عليه اللوم، ورفعته إلى السماء دائماً وقد عرّض عدة آيات قرآنية
ورد فيها التوفي بمعنى اللوم.

على هذا فهم القرآني يكون معنى قومه ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنتَ الرَّقِيبَ
عَلَيْهِمْ﴾ بما قبضتي، وألقيت عنى اللوم، ورفعتي من السماء دائماً، وعيشتي
عنهم، كنت أن الرقيب عليهم

ثم إن بقاة عيسى عليه السلام حياً في السماء حوسي أمي سنة حتى الآن -
ولا نعم كم متقصي من سوت حتى يرب في بحر لرمات - يس فيه ما يدعو
إلى الاستعداد والإكراه، لأن الله هو سي رد ذلك، وهو فعل ما يريد، والموت
والحياة بيد الله وحده، والله يقدر لكل إنسان عمره!

ولماذا نذهب بعيداً؟ ألم يحق لله أن ينس الملعون قبل آدم عليه السلام
بفترة، وبما طلت من الله أن يُعَيِّدَ حياً إلى يوم يعثون أمهه الله حياً إلى يوم توفى
المعلوم؟ أي أن ينس سموت قبل يوم الساعة فكما المدة برهة من حق

ييس حتى وفاته قبل الساعة لا شك أن ذلك قد يكون ملايين السنين !!
 وإذا كان الله قد أن يعش إبليس ملابس السن، فهل تسبعت أن يكون قد
 أوقف عمر عيسى في سماء آلاف السنين، ليتركه بعد ذلك في آخر الزمان؟
 وقد يتساءل بعضهم: ألا يتعارض إبراهيم عليه السلام في آخر الزمان
 مع قول رسولنا محمد ﷺ «لا نبي بعدي»؟ فهذا هو عيسى بن مريم عليه السلام!!

لا يتعارض ذلك مع الحديث في الحقيقة، لأن محمد ﷺ حاتم الأنبياء
 ومرسلين، فلا يعنى الله نعمة نبي ولا رسولا وعيسى عليه السلام نبي رسول الله
 ﷺ إلى نبي إسرائيل، فهو نبي قبله وليس بعده، وإبراهيم نبي رسول الله
 في آخر زمان استمرار لسوته ورسالته التي ثبتت من سورة ورسالة محمد ﷺ !!

بل إن إبراهيم عليه السلام في آخر الزمان هو تأكيد لبوة محمد ﷺ
 وتصديق بها، لأن محمداً ﷺ آخر في عدة أحاديث صحيحة عن إبراهيم في آخر
 زمان، وإبراهيم تصديق عملي لتلك الأحبار الصادقة التي ذكرها محمد رسول الله
 ﷺ

وقد يتساءل بعضهم: بأية شريعة سيرة؟ أشريعت هو أم بشريعة محمد
 ﷺ؟ ويد برن شريعته ألا يعتبر هذا نسخاً لشريعة محمد ﷺ؟ ويد برن بالشريعة
 الإسلامية ألا يعتبر هذا إهانة لشريعته ورسالته؟

به سيرة بشريعة محمد ﷺ، وسيكون مفيداً ومطابقاً لها، وحكماً يحكم
 أسس بها، لأن هذه الشريعة هي الشريعة المستمرة حتى قيام الساعة

ولا يعتبر هذا إلغاء لشريعته ورسالته هو، لأن الأنبياء بحوة «أب» علأت
 كما نحر رسول الله ﷺ - ونساء العلأت هم الإحوة لأن - أي أن الأنبياء متقاربون
 في الشرائع والرسالات.

ومن أهم الجكم لرويه عليه السلام في آخر الزمان

- ١ - تكديت اليهود في رعمهم أنهم قتلوه وضدوه، فهذا هو حيي يفتنهم
 ويجهدهم، ويقتل ملكهم المسيح الدجال، هم لم يقتلوه، وهو الذي سيفتنهم
- ٢ - تكديت لصنادي الدين رعموا أنه قتل وضد، فهذا هو حيي سم يمت،
 وتكديت لصنادي لدين جعدهوا إلهاً أو اسأل الله، حيث يدعوهم إلى عبادة الله وحده

٣ - وتكديت أحر المعبارى في أسطورة الصيد، حيث سكرت نصيب
وتزنت منه، ويقفل الحرير وتحرته، الذي يرغم الصدى أنه مسخ بهم

٤ - نصيب محمد رسول الله ﷺ، حيث سكرت برمايته وشربته، وشهادة
عملية الإسلام بأنه الرسالة الحانمة، مسحة ما قبلها من رسالات، كاليهودية
والصربية، ونهذ يصع حرة، ونجده غير حسمين، فلا يقفل من الناس لا
الإسلام

٥ - ستكمان عمره الذي قدره الله له، مما رفعه الله إلى سماء يقفل من
عمره نعمة وفق قدر الله، وسكرته الله ليتكلم هذه لينة، حيث سيعيش أربعين
سنة، ثم يموت موقاً طيبها بعد ذلك.

على أساس هذا التحليل والتوجيه نحسن فهم مسألة بروز عيسى عليه
السلام في آخر الزمان. والله أعلم.

وصلّى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم.

• • •

الفهرس

الصفحة

الموضوع

٥

المقدمة

الفصل الأول

إشكالات حول قصة آدم عليه السلام

- ١- آدم : اسم علم أمجمي ١٣
- ٢- التوفيق بين الآيات المتحدثة عن خلق آدم ١٤
- ٣- كلام الملائكة عن ستخلاف آدم عليه السلام ١٧
- ٤- كيف عرفت الملائكة إفساد الخليفة وستكته لئدماء؟ ٢٠
- ٥- آدم خليفة لمن؟ ٢١
- ٦- معنى قول الله ﴿وَنَسَحْتُ يَدَايِي رُوحِي﴾ ٢٣
- ٧- ما الذي علمه الله لآدم عليه السلام؟ ٢٥
- ٨- توجيه سجود الملائكة لآدم عليه السلام ٢٦
- ٩- توجيه عدم سجود إبليس ٢٨
- ١٠- العجن وإبليس والشيطان ٣٠
- ١١- خلق آدم وحواء من النفس الواحدة ٣٤
- ١٢- توجيه بهي آدم وحواء عن الاقتراب من شجرة ٣٧
- ١٣- لماذا أكلتا من لشجرة رغم بهيها عن ذلك؟ ٣٩
- ١٤- كيف وسوس إبليس لهما رغم إخراجهم من الجنة؟ ٤٢
- ١٥- توجيه ظهور سوء أتيهما بعد الأكل من الشجرة ٤٤
- ١٦- آدم عصي ربه ٤٦

- ١٧- توجيه معصية آدم لربه ٤٨
 ١٨- ما هي الجنة التي جرت فيها أحداث قصة آدم؟ ٥٠
 ١٩- احتجاج آدم وموسى عليهما السلام ٥٢
 ٢٠- هل كان إنزال آدم إلى الأرض عقوبة له؟ ٥٤

الفصل الثاني

إشكالات حول قصة نوح عليه السلام

- ١- نوح اسم علم أعجمي ٥٩
 ٢- كيف تحول قومه من التوحيد إلى الشرك؟ ٥٩
 ٣- بقي نوح معهم حوالي ألف سنة ٦٢
 ٤- معنى خيانة امرأة نوح له ٦٥
 ٥- متى دعا نوح على قومه؟ ٦٦
 ٦- لماذا عرض على ابنه ركوب السفينة؟ ٦٨
 ٧- لماذا كان ابنه في معزل؟ ٧٠
 ٨- عتاب الله لنوح لسؤاله عن ابنه ٧٢

الفصل الثالث

إشكالات حول قصة هود عليه السلام

- ١- عاد من (العرد) وهود من (الهود) ٧٩
 ٢- ما هي (عاد إرم ذات العماد)؟ ٨٠
 ٣- هل هي عاد واحدة أم عادان اثنتان؟ ٨٢
 ٤- تعذيب عاد على مرحلتين ٨٤
 ٥- الريح عليهم سبع ليال وثمانية أيام ٨٧

الفصل الرابع

إشكالات حول قصة صالح عليه السلام

- ١- ثمود والحجر ٩٣

- ٢ - الناقة تشرب ماء العين في يوم! ٩٤
 ٣ - توحيه كور صبح عليه السلام (مس المسخرين) ٩٥
 ٤ - إهلاك ثمود بالرجفة والصيحة والصاعقة ٩٧
 ٥ - ديار ثمود والمرور بآثار المعذبين ٩٩

المضلل الخامس

إشكالات حول قصة إبراهيم عليه السلام

- ١ - كمر والد إبراهيم عليه السلام ١٠٣
 ٢ - توحيه استغفار إبراهيم لأبيه ١٠٥
 ٣ - توحيه قول إبراهيم عن الكوكب ﴿ هَذَا رَبِّي ﴾ ١٠٨
 ٤ - محاج إبراهيم عليه السلام في حواره مع الملك ١١١
 ٥ - لماذا طلب إبراهيم رؤية كيفية إحياء الموتي؟ ١١٣
 ٦ - قول إبراهيم: ﴿ إِنِّي سَقِيمٌ ﴾ ١١٧
 ٧ - إبراهيم يحطم الأصنام باليمين ١٢٠
 ٨ - توحيه قول إبراهيم ﴿ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا ﴾ ١٢٣
 ٩ - نحة إبراهيم وهم الأحسرون الأسفلون ١٢٧
 ١٠ - توحيه قوله عن سارة: (أختي) ١٢٩
 ١١ - من هو الذبيح؟ ١٣٠
 ١٢ - معنى رفع إبراهيم قواعد البيت الحرام ١٣٤
 ١٣ - توحيه ما جرى بين إبراهيم والملائكة ١٣٧
 ١٤ - كيف كان إبراهيم خليل الله؟ ١٤٠
 ١٥ - توحيه سؤل إبراهيم عن إلامه في درسته ١٤٢
 ١٦ - اليهود و نصارى والمشركون ليسوا على مله إبراهيم ١٤٥
 ١٧ - كيف إبراهيم أب لهذه الأمة؟ ١٤٧

نقص لئادس

اشكال است حول قصة لوط عليه السلام

- ١- الفرق بين اسم لوط والمواط ١٥٣
- ٢- لماذا ضاق لوط بضيوفه؟ ١٥٤
- ٣- معنى قوله: ﴿ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ ﴾ ١٥٥
- ٤- الركن الشديد الذي تمنى لوط أن يأوي إليه ١٥٨
- ٥- كفر امرأة لوط وخيانتها له ١٦١
- ٦- المؤثقة والمؤثقات ١٦١

نقص لئادس

اشكال است حول قصة يعقوب ويوسف عليه السلام

- ١- كيف يعقوب ردة؟ ١٦٧
- ٢- يعقوب وإسرائيل والذي حرّمه على نفسه ١٦٨
- ٣- إسرائيل مسلم وليس يهودياً ١٧١
- ٤- لماذا اهتم يعقوب بابنه يوسف أكثر؟ ١٧٣
- ٥- من الذين باعوا يوسف؟ ١٧٤
- ٦- سرودة المرأة يوسف وقوله ﴿ إِنِّي رَجُلٌ ﴾ ١٧٦
- ٧- عقت به وهو ما هم بها ١٧٩
- ٨- يوسف يتصر على اغراء نسوة المدينة ١٨٣
- ٩- توجيه قول يوسف للمسجين: ﴿ أَذْكُرُنِي عَسَىٰ رَبُّكَ ﴾ ١٨٦
- ١٠- يوسف لا يتحمل الخروح ويطلب إعادة المحاكمة ١٨٩
- ١١- من العائش ﴿ وَمَا أُكْرِي بِقِيٍّ ﴾ ١٩٢
- ١٢- توجيه طلب يوسف الملك ١٩٥
- ١٣- توجيه من حرى من يوسف وإخوته ١٩٨
- ١٤- ابصت عبداً يعقوب من حرته وكظمه ٢٠٥
- ١٥- قميص يوسف على وجه يعقوب ٢٠٦

- ٢٠٩ - ١٦ - توجه سحود الأنوين و إخوة يوسف
- ٢١١ - ١٧ - إخوة يوسف ليسوا أنبياء، والمراد بالأسباط
- الفصل الثاني من
- شكالات حل قصة موسى عليه السلام
- ٢١٩ ١ - معنى وحي الله إلى أم موسى
- ٢٢٠ ٢ - بين فؤاد أم موسى وقلها
- ٢٢٢ ٣ - معنى قوله: ﴿ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاصِعَ ﴾
- ٢٢٣ ٤ - ملايسة قتل موسى للقيبطي
- ٢٢٥ ٥ - بعدد عسر موسى قتل من عمل الشيطان؟
- ٢٢٦ ٦ - توجيه استغفار موسى بعد القتل
- ٢٢٨ ٧ - الأسر نسي يكشف سر قتل الفرعوني
- ٢٣٠ ٨ - أين تقع أرض (مدين)؟
- ٢٣٢ ٩ - موسى والمرأتان على ماء مدين
- ٢٣٣ ١٠ - من هو الرجل الصالح ندي عمل موسى عنده؟
- ٢٣٦ ١١ - روح موسى من به الرجل الصالح مفلس رعيه العجم
- ٢٣٨ ١٢ - عصا موسى: هل هي جان أم حية؟
- ٢٣٩ ١٣ - توجيه خوف موسى من الحية
- ٢٤٠ ١٤ - هل موسى رسول إلى فرعون؟
- ٢٤١ ١٥ - عقدة لسان موسى وحكيه الجعرة واشجرة
- ٢٤٣ ١٦ - كانت عقدة لسان موسى معنوية
- ٢٤٥ ١٧ - كيف هارون أفصح لسان موسى؟
- ٢٤٧ ١٨ - معنى (صلاب) موسى في قتله لنفسي
- ٢٤٨ ١٩ - توجيه بحوي نوره ﴿ قَالُوا إِن هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ ﴾
- ٢٤٩ ٢٠ - كان سحر لسحره بخللاً
- ٢٥١ ٢١ - الحيمه سي أو حسمه موسى في نفسه

- ٢٢- موسى وآياته التسع إلى فرعون وملكه ٢٥٢
- ٢٣- ماهي (مفاتيح) كنوز قارون؟ ٢٥٤
- ٢٤- معنى (ويكأن) الله يسط الرزق ويقدر ٢٥٦
- ٢٥- موسى على جبل الطور أربعين ليلة ٢٥٨
- ٢٦- بعض صفات التوراة الإيجابية ٢٦١
- ٢٧- عتاب الله لموسى على عجلته ٢٦٤
- ٢٨- غضب موسى والقاؤه الألواح ٢٦٥
- ٢٩- موقف هارون من عبادتهم العجل ٢٦٨
- ٣٠- ماجرى بين موسى وهارون عندهم سلام ٢٧٠
- ٣١- السامري وصناعة العجل ٢٧٣
- ٣٢- قول موسى لربه: ﴿إِنِّي لَأَمْنُكَ﴾ ٢٧٦
- ٣٣- موسى ينقض يديه من بني إسرائيل ٢٧٧
- ٣٤- توجيه مواقف موسى مع الخضر عليهما السلام ٢٧٩
- ٣٥- موسى وبراءته ومعجزة الحجر والثوب ٢٨٤
- ٣٦- توجيه موقف موسى من ملك الموت ٢٨٥

الفصل التاسع

إشكالات حول قصة داود عليه السلام

- ١- توجيه تسييح الحبال والطير مع داود ٢٩٣
- ٢- داود حداد يصنع النروع ٢٩٥
- ٣- سليمان يتدرك على داود في قصبه نعم والحرث وإبوله ٢٩٧
- ٤- حقيقة ماجرى بين داود والخصمين ٣٠١
- ٥- توجيه موقف داود من الخصمين ٣٠٤

الفصل العاشر

إشكالات حول قصة سليمان عليه السلام

- ١- بماذا ورث سليمان داود عليهما السلام؟ ٣٠٩

- ٢- توجيه موقف سليمان من الصفات الجياد..... ٣١٠
- ٣- ما هو الجسد الملقى على كرسي سليمان؟ ٣١٢
- ٤- توجيه طلب سليمان العلك الواسع ٣١٥
- ٥- كيف سحرت الريح لسليمان عليه السلام؟ ٣١٨
- ٦- تقرير الهدهد عن مكة سا ٣١٩
- ٧- موقف ملكة سبا من كتاب سليمان إليها ٣٢١
- ٨- لماذا أراد سليمان إحصار عرش الملكة؟ ٣٢٣
- ٩- كيف أحضر عرشها في لحظة؟ ٣٢٤
- ١٠- لماذا امتحان الملكة تكبير عرشها؟ ٣٢٦
- ١١- الملكة والصرح الممرد من قوارير ٣٢٨
- ١٢- الإسلام الذي دخلت ملكة سبا فيه ٣٣٠
- ١٣- كيف مات سليمان عليه السلام؟ ٣٣٢

الفصل الحادي عشر

إشكالات حول قصة أيوب عليه السلام

- ١- توجيه ابتلاء أيوب عليه السلام ٣٣٩
- ٢- كيف سمه الشيطان بنصب وعذاب؟ ٣٤١
- ٣- معنى قول الله: ﴿أَرْكَضَ بِرَحْلَيْهِ﴾ ٣٤٣
- ٤- توجيه يعين أيوب والضرب بالصفث ٣٤٥

الفصل الثاني عشر

إشكالات حول قصة يونس عليه السلام

- ١- كيف يغادر يونس قومه معاضياً؟ ٣٤٩
- ٢- يونس في خروجه فعل خلاف الأولى ٣٥٢
- ٣- هل كانت محبته عقاباً له؟ ٣٥٤
- ٤- توجيه وصف يونس نفسه بالظلم ... ٣٥٥

- ٣٥٧ ٥ - توجيه إيمان قوم موسى بعد عذابه عنهم
٣٦٠ ٦ - توجيه أحاديث بشأن يوسف عليه السلام

الفصل الثالث عشر

اشكالات حول قصة زكريا وعيسى عليه السلام

- ٣٦٥ ١ - ما الذي خافه زكريا من الموالي ؟
٣٦٦ ٢ - لماذا تعجب زكريا من البشارة ؟
٣٦٧ ٣ - آية زكريا في انحباس لسانه
٣٧٩ ٤ - معنى كون يحيى حصوراً
٣٧١ ٥ - هل قتل اليهود زكريا ويحيى عليهما السلام ؟

الفصل الرابع عشر

اشكالات حول قصة عيسى مريم

- ٣٧٧ ١ - لماذا لقب عيسى بالمسيح ؟
٣٧٩ ٢ - توجيه الحوار بين مريم وجبريل
٣٨٠ ٣ - معنى قوله ﴿ فَتَحْكُمِيْوِيْسَ رُّوْحًا ﴾
٣٨٢ ٤ - ﴿ رُّوْحَنَا ﴾ لها معنيان
٣٨٣ ٥ - توجيه كون عيسى «كنمة» لله وروح منه
٣٨٥ ٦ - توجيه حمل مريم وولادتها في صاعدات
٣٨٧ ٧ - معنى فعل ﴿ فَأَحْيَاهَا ﴾
٣٨٨ ٨ - توجيه تمزيق مريم للموت
٣٩٠ ٩ - من اندي «داها» وماذا قال لها ؟
٣٩٣ ١٠ - توجيه كون مريم أخت هارون
٣٩٥ ١١ - توجيه خصوصية رسالة عيسى وعالمية المسيحية
٣٩٦ ١٢ - كيف كان عيسى يخلق الطير ؟
٣٩٨ ١٣ - هل شئت الحوار بين في قدره الله ؟

٤٠٦	١٤. هل بشر عيسى بمحمد أم بأحمد؟
٤٠٣	١٥ - كيف توفي الله عيسى عليه السلام
٤٠٧	١٦ - أحداث ليلة صلب شبه عيسى
٤١١	١٧ - توجيه نزول عيسى في آخر الزمان .
٤١٧	الفهرس
٤٢٦	كتب صدرت للمؤلف



صدر عن دار القلم من سلسلة (من كنوز القرآن)

- ١- معانيح للتعامل مع القرآن.
- ٢- في ظلال الإيمان
- ٣- الشخصية اليهودية من خلال القرآن.
- ٤- تصويبات في فهم بعض الآيات.
- ٥- لطائف قرآنية.
- ٦- مع قصص السابقين في القرآن: ١-٣.
- ٧- القصص القرآني عرض وقنع وتحليل أحداث ١-٤.
- ٨- مواقف الأنبياء في القرآن: تحليل وتوجيه.



كتب صدرت للمؤلف مرتبة وفق صدورها

- ١ - سيد قطب الشهيد الحي .
- ٢ - نظرية التصوير الفني في القرآن عند سيد قطب .
- ٣ - أمريكا من الداخل بمنظار سيد قطب .
- ٤ - مدخل إلى ظلال القرآن .
- ٥ - المنهج الحركي في ظلال القرآن .
- ٦ - في ظلال القرآن في الميزان .
- ٧ - مفاتيح للتعامل مع القرآن .
- ٨ - في ظلال الإيمان .
- ٩ - الشخصية اليهودية من خلال القرآن .
- ١٠ - تصويبات في فهم بعض الآيات .
- ١١ - مع قصص السابقين في القرآن : ١ - ٣ .
- ١٢ - البيان في إعجاز القرآن .
- ١٣ - ثوابت للمسلم المعاصر .
- ١٤ - إسرائيليات معاصرة .
- ١٥ - سيد قطب من الميلاد إلى الاستشهاد .
- ١٦ - لطائف قرآنية .
- ١٧ - هذا القرآن .
- ١٨ - حقائق قرآنية حول القضية الفلسطينية .

- ١٩- الخلقاء الراشدون بين الاستخلاف والاستشهاد.
- ٢٠- التفسير والتأويل في القرآن.
- ٢١- الأتباع والمتبوعون في القرآن.
- ٢٢- التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق.
- ٢٣- الخطبة البراقة للذي النفس التواقة.
- ٢٤- تفسير الطبري : تقريب وتهذيب : ١- ٧.
- ٢٥- الرسول المبلغ ﷺ.
- ٢٦- القصص القرآني : ١- ٤.
- ٢٧- تهذيب فضائل الجهاد لابن النحاس.
- ٢٨- تعريف الدارسين بمناهج المفسرين.
- ٢٩- القيسات السنية من شرح العقيدة الطحاوية.
- ٣٠- سيد قطب : الأديب الناقد والداعية المجاهد والمفكر المفسر الرائد.
- ٣١- صور من جهاد الصحابة.
- ٣٢- إعجاز القرآن البياني ودلائل مصدره الرباني.
- ٣٣- سعد بن أبي وقاص : المجاهد الفاتح ومعتزل الفتنة ومجابه الدعوة.
- ٣٤- مواقف الأنبياء في القرآن : تحليل وتوجيه.

* * *



تطلب جميع كتبنا من :

دار القلم - دمشق: ص ب : ٤٥٢٣ - ت : ٢٢٢٩١٧٧

الدار الشامية - بيروت - ت : ٦٥٣٦٥٥ / ٦٥٣٦٦٦

ص ب : ١١٣ / ٦٥٠١

توزع جميع كتبنا في السعودية عن طريق

دار البشير - جدة : ٢١٤٦١ - ص ب : ٢٨٩٥

ت : ٦٦٠٨٩٠٤ / ٦٦٥٧٦٢١



0101080